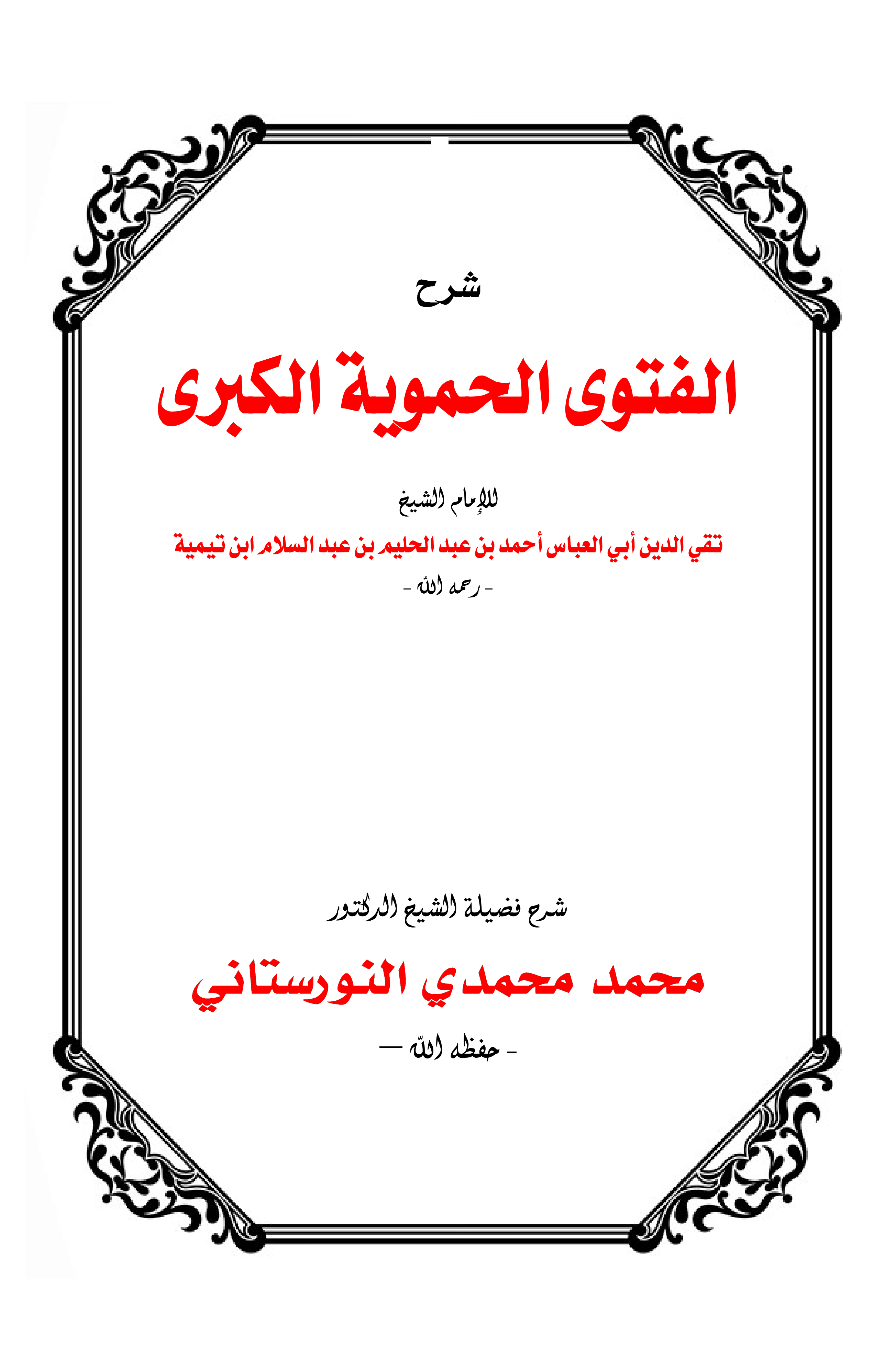


شرح

الفتوى الحموية الكبرى

للإمام الشيخ

تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية

- رحمه الله -

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد محمدي النورستاني

- حفظه الله —

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

للإمام الشيخ

شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني

- رحمه الله -

(المجلس الأول)

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد محمدي النورستاني

- حفظه الله -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وأشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أما بعد:-

فَإِن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وشر الأمور محدثاتها وكل محدثةٍ بدعة وكل بدعةٍ ضلالة وكل ضلالةٍ في النار، هذا الكتاب الذي نتدارسه بإذن الله عبارة عن رسالة من رسائل شَيْخ الإِسْلَام ابن تيمية-رَحِمَهُ اللهُ- ألفها كما ذكر هو بنفسه: ألفها في قعدةٍ بين الظهر والعصر.

هذا الكتاب الذي نتدارسه بإذن الله أكثر من أسبوع وما أدري سننتهي منه أو لا كتبه شيخ الإِسْلَام في قعدةٍ بين الظهر والعصر، وهذا الكتاب مليءٌ بالنصوص من الكتاب والسنة، وهذا ليس غريبًا على شيخ الإِسْلَام لأن شيخ الإِسْلَام كان يحفظ مسند الإِمَام أحمد، أما القُرْآن فذكر في عددٍ من كتبه: أن من لا يحفظ القُرْآن فليس من طلب العلم في شيء ولا يجوز له أن يتكلم في مسائل العلم.

فليس غريبًا أن يرد هذه النصوص من حفظه؛ ولكن الغريب أن أكثر من ثلث الكتاب فيه نصوص لأئمة السلف وغيرهم الذين أثبتوا بعض الصفات أو كل الصفات، ذكر شيخ الإِسْلَام نصوصهم وأقوالهم بالنص، وكما قلت: تقريبًا أكثر من ثلث الكتاب أقوال الأئمة هذا كله ذكره وهو في قعدةٍ بين الظهر والعصر.

ومع ذلك يأتي أحد من رد على شيخ الإِسْلَام وسأتحدث عنهم يقول: ثم ذكر آيةً ما أدري هل نقلها من المصحف أو كتبها من حفظه، لاحظ التجني والتجاهل الذي نجده عند بعض الناس.

هذه الرسالة لم يسميها شيخ الإِسْلَام رسالة بل سماها فتيا أو فتوى، يشير بذلك إلى أنها أقل من كونها كتابًا بل أقل من كونها رسالة، وموضوع هذه الرسالة وموضوع هذا الكتاب وما علينا من تسمية شيخ الإِسْلَام هذا كتاب عظيم، موضوعه: توحيد رب العالمين صميم التوحيد.

والتوحيد كما تعرفون ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- توحيد الله -عَزَّ وَجَلَّ- في ربوبيته توحيده بأفعاله هذا القسم الأول.
- توحيده في إلوهيته وإفراده بأفعال الإنسان هذا القسم الثاني.
- توحيده بأسمائه وصفاته.

النوع الأخير نجد أن أكثر نصوص الكتاب والسنة وخاصة نصوص القُرْآن في هذا النوع، إِذا أردنا أن نعرف نسبة النصوص الواردة في هذه الأقسام الثلاثة نجد أنه لا نسبة أصلًا لا مقارنة.

فالنصوص الواردة في توحيد الأسماء والصفات خاصةً في الكتاب ما من آيةٍ إلا وفيها شيءٌ من أسماءه أو صفاته، والله -عَزَّ وَجَلَّ- تعرف إلى عباده بذكر أسماءه وصفاته ونحن نتعبده بأسمائه وصفاته.

ومع ذلك حصل في هذا القسم وفي هذا النوع حصل فيه الانحراف مبكرًا، أول الأنواع حصولًا للانحراف أول أنواع التوحيد حصولًا للانحراف توحدي الأسماء والصفات، وكان هدف من وقعوا في الانحراف أو أضلوا الناس عن علمٍ وعن عمدٍ كان هدفهم معروفًا.

الذي يعبد الله -عَزَّ وَجَلَّ- يعبده بأسمائه وصفاته، فأنت لما تقول: الله -عَزَّ وَجَلَّ- لا يجوز أن تحبه ولا يجوز أن يحبك سد عليك باب العبادة لأن العبادة مبناها المحبة، والذي يقول: لا يتصف بهذه الصفة ولا يتصف بهذه الصفة هذا معناه أنك لا يمكن أن تعرفه إن كنت ستثبته ستثبت وجوده.

فأوائل الجهمية فيهم من الزندقة ما هو معروف، أما من تأثر بهم ولا زالوا متأثرين بهم فهؤلاء وقعوا في هذه الانحرافات عن جهل، ولذلك يعذرون بها يظنون أنهم يعظمون الله -عَزَّ وَجَلَّ- وأنهم ينزهونه وأنهم يسبحونه وهم أبعد الناس من تسبيحه كيف يكون تسبيحه وتنزيهه برد ما أثبته لنفسه! هل هذه هي الطريقة لتنزيهه وتسبيحهِ؟!

أصل شيخ الإِسْلَام نحن لن ندخل في ترجمة شيخ الإِسْلَام، شَيْخ الإِسْلَام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، ولد سنة ستمائة وواحد وستين وتوفي سنة سبعمائة وثمانية وعشرين.

من أشهر أعلام هذه الأمة الذين كانوا يمثلون أَهْلِ السُّنَّة في عصره هم الأشاعرة، كانت الأمور كانت الموازين قد انقلبت إلى حد أن من يثبت توحيد الأسماء والصفات على وجهه يُحشر مع المجسمة ويُعد من المبتدعة ويختلف في كونه مسلمًا أو كافرًا! هل بقي في دائرة الإِسْلَام أو خرج من دائرة الإِسْلَام هذا الذي كان يهمه؟!

جاء شيخ الإِسْلَام وتجرد للتوحيد وكتب في ذلك المؤلفات الكثيرة، ومن تلك المؤلفات هذه الرسالة الصغيرة، ولكن هذه الرسالة كان لها أثر لم يكن لكتبه الكبيرة لِمَاذَا؟!

❍ أولًا: هذه الرسالة ألفها في مقتبل عمره ألفها وعمره سبعٌ وثلاثون سنة، طَبْعًا هو بدأ في التأليف وعمره تسعة عشر سنة يَعْنِي بالنظر إلى تأليفاته ليس هذا يَعْنِي تبكيرًا؛ ولكن عمومًا ليست من الرسائل التي ألفها بعد المائة الثامنة يَعْنِي بعد السبعمائة.

ومع ذلك كان لها من الضجة والأثر في الموافقين والمخالفين ما قد يفوق أثر بعض كتبه الكبيرة لِمَاذَا؟ ألفها كما ذكر في مقدمته ذكر راوي الكتاب في مقدمة الكتاب ألفها سنة ستمائة ثمانية وتسعين وذكر المؤرخون ابن عبد الهادي وغيره: أنه كان في شهر ربيع الأول بداية شهر ربيع الأول ورده الاستفتاء من أهل حماة، حماة تلك المدينة التي في سوريا وكانت الرسائل تأتيهم من كثيرٍ مثل التدمرية والحموية والماردينية والواسطية لأنه كان مرجعًا لكثيرٍ من الْمُسْلِمِيْن رغم أنف أعداءه ذلك الوقت ولا زال مرجعًا.

جاءت هذه الرسالة ويقول في كتابٍ آخر له " **بيان تلبيس الجهمية**" هذا الكتاب من آثار هذه الرسالة وهذا طبع في عشر مجلدات، يقول فيه في بدايته: "**أما بعد فإني كنت سُئلت من مدةٍ طويلة، بُعيد سنة تسعين وستمائة عن الآيات والأحاديث الواردة في صفات الله، في فتيا قدمت من حماة فأحلت السائل على غيري، فذكر أنهم يريدون الجواب مني لا بُد، فكتبت الجواب في قعدةٍ بين الظهر والعصر، وذكرت فيه مذهب السلف والأئمة والمبني على**

الكتاب والسنة، المطابق لفطرة الله التي فطر الناس عليها، ولما يعلم بالأدلة العقلية، التي لا تغليظ فيها، وبينت ما يجب من مخالفة الجهمية المعطلة؛ ومن قابلهم من المشبهة الممثلة".

لما وردت هذه أو لما ورده هذا الاستفتاء كتب هذه الرسالة، طَبْعًا نحن قرأنا السؤال مختصر ما رأيكم في آيات الصفات، والسائل ذكر بعض النصوص يقول: ما قولكم في آيات الصفات كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[طه: 5]؛ ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾[فصلت: 11]، إلى غير ذلك من الآيات.

وأحاديث الصفات كقوله: «**إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن**».

وقوله: «**يضع الجبار قدمه في النار**»، إلى غير ذلك من الأَحَادِيْث وما قالت العُلَمَاء: "**وابسط القول في ذلك مأجورين -إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى- فأَّجر**"، سؤال مختصر جدًا.

وكنا نتوقع من شيخ الإِسْلَام أن يجيبه بجوابٍ مختصر لا يتعدى صفحتين أو ثلاثة بالكثير؛ ولكن قبل أن يجيبه طَبْعًا هنا السؤال والجواب بعد هذه الصفحة سيأتي الجواب يَعْنِي هنا السؤال وهنا الجواب، وقبل الجواب أشار شيخ الإِسْلَام إلى هذا الذي حصل ما الذي حصل حتى يُظن الحق في هذا الباب يُظن باطلًا وتشبيهًا وتجسيمًا وتركيبًا ما الذي حصل وأين الحق في هذا الباب؟!

فذكر هنا مقدمات تصل إلى تسعة أو عشرة وهذه المقدمات هي صُلب هذه الرسالة، وهذه المقدمات في الحقيقة يَنبْغي أن نحفظها وهي جمل مركزة جدًا ومختصرة، وشيخ الإِسْلَام يتدرج فيها بطريقة يوصلك إلى النتيجة حتمًا إن كان فيك شيءٌ من الإنصاف.

تدرج فيها وبين فيها أن الحق في هذا الباب واضح وأن المسألة مسألة توحيد؛ وإذا افترضنا أن الحق في هذا الباب ليس واضحًا فما الذي جاء به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-! وما الذي عمله أصحابه! إذا كان الحق في هذا الباب ليس واضحًا وفيه تلبيس وفيه غموض فما الذي أوضحه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟!

سؤال أليس كذلك هذا السؤال يطرحه الجميع؟ إذا كان الحق في توحيد الأسماء والصفات وبه نتعرف الله -عَزَّ وَجَلَّ- والله -عَزَّ وَجَلَّ- يتعرف به إلى عباده فما الذي أوضحه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟! هذا هو صُلب التوحيد وصُلب هذا الدين.

ثم إذا كان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أوضحه من الذي فرط في هذا الباب هل هم الصَّحَابَة التابعون من بعدهم من الأئمة؟ يذكر هذا شيخ الإِسْلَام مرتبًا ترتيبًا رائعًا جدًا ويصل إلى هذه النتيجة أن الخلل في المبتدعة والمتكلمين وليس الخلل لا في الكتاب ولا في السنة ولا في الصَّحَابَة ولا في السلف الخلل ليس فيهم أبدًا.

هذه المقدمات التي ذكرها هي التي أثارتهم لما ألف هذا الكتب، طَبْعًا هو ألف كتبًا كثيرة ولكن كما قلت: كان أثر هذه الرسالة غائرًا في المخالفين، أصلًا كان شيخ الإِسْلَام مستهدفًا من مخالفيه فمن طاعنٍ فيه في عرضه ومن طاعنٍ فيه في أنيته ومن سابٍ له في كذا؛ ولكن ما كانوا يجدون أن شيخ الإِسْلَام لا هو طالب للمنصب يزاحمهم فيها ولا هو ممن عُرف بكذا وراء الدنيا أبد.

ومع ذلك جاهه في العوام شيء غريب، ولكن بعد تأليف هذه الرسالة زادت هذه زادت وتيرة الخلافات والمؤامرات ضد شيخ الإِسْلَام، واتجهوا في ذلك اتجاهين:

✹**الاتجاه الأول**: نفس الأسلوب الكذب عليه سبه شتمه ورفع الشكوى إلى المسئولين زادوا في هذا الباب، لو نذكر تفاصيل هذه الأمور نجلس أيام في ذكرها والمحقق أحسن في عرضها، المحقق الذي حقق هذا الكتاب وخدمه دكتور محمد عبد المحسن التويجري أحسن في عرض هذا ذكرها هذا الاتجاه الأول.

✹**الاتجاه الثاني**: تأليف ولم نحصل إلى الآن على مؤلفاتٍ فيها ردٌ على شيخ الإِسْلَام سوى كتابين: كتاب مفقود لو لم يذكره شيخ الإِسْلَام ما كنا نعرفه أصلًا، ومن إنصافه -رَحِمَهُ الله- شيخ الإِسْلَام غريب ذكره في مقدمة هذا الكتاب مقدمة "**بيان تلبيس الجهمية**" وقال فيه: "**وأوصل إليّ بعض الناس مصنفًا لأفضل القضاة المعارضين**"، انظر اللطف في التعبير: "**وفيه أنواع من الأسئلة والمعارضات، فكتبت جواب ذلك وبسطته في مجلدات**".

أنا كنت أظن قبل أن أطلع على هذه القطعة وهذه القطعة لها قصة أَيْضًا، كنت أظن أن هذا الفاضل الذي أشار إليه شيخ الإِسْلَام هو ابن جهبل، ابن جهبل كتابه موجود ومطبوع والذي احتفظ به هو السبكي أورده كله في "**طبقات الشافية الكبرى**"، ويبدوا أن الكتاب مُستل منه الذي طبعه يبدوا اعتمد عليه، لأن السبكي لا يترك شاردة ولا واردة مما أُلف في هذا إلا يذكرها في "**طبقات الشافية الكبرى**".

طَبْعًا هذا الكتاب موجود وهو لابن جهبل توفي سنة سبعمائة وثلاثة وثلاثين وهو معاصر لشيخ الإِسْلَام، كنت أظن أن هذا القاضي هو ذاك ولكن تبين لي وخاصةً بعد طبع هذه الرسالة أنه شمس الدين أحمد بن إِبْرَاهِيمَ بن عبد الغني السروجي وهو حنفي، قاضي القضاة بمصر توفي سنة سبعمائة وعشرة يَعْنِي قبل شيخ الإِسْلَام، شيخ الإِسْلَام توفي سنة سبعمائة وثمانية وعشرين.

يقول ابن كثير عن السروجي: "**له اعتراضاتٌ على الشيخ تقي الدين ابن تيمية في علم الكلام أضحك فيها على نفسه وقد رد الشيخ تقي الدين عليه في مجلدات وأبطل حججه**"، ذكر هذا في بداية: "**البداية والنهاية**" هذا المؤلف الأول.

المؤلف الأول كما قلت: لو لم يذكر عنه شيخ الإِسْلَام ما كنا نعرف عنه أصلًا، رد عليه بكتاب للأسف هذا الكتاب مفقود إلى الآن سبحان الله من أهم كتب شيخ الإِسْلَام اسمه: "**جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية**" لم يعثروا إلا على قطعة منه وجدوا قطعة منه في مكتبة في باكستان وقطعة صغيرة جدًا في مكتبة في تركيا، وحُقق به تحقيق الشيخ محمد عُزي شمس.

هذه القطعة كلها في موضوع واحد مما يدل على أنه فصل فيه، طَبْعًا هم يقولون:في أربع مجلدات إذا كان في أربع مجلدات على تقسيمهم أنا أتوقع أنه أكبر من "**بيان تلبيس الجهمية**"، وهذا الكتاب للأسف كما قلت: مفقود ونسأل الله أن يكتب لنا العثور عليه وخدمته ونشره للناس.

هذا الكتاب ذكر فيه طَبْعًا لاحظوا الصفحة هذه من هنا إلى هنا، هذا كلام المعترض ونقله شيخ الإِسْلَام كلام السروجي نقله شيخ الإِسْلَام، هذا الذي من هنا إلى هنا هذا كله رد عليه كله رد على هذه الفقرة فقرتين.

لكن لما تقرأ هذه الفقرة تعرف ما الذي في جعبته لم يخرج على النمط المعروف عند المتكلمين، كما ذكرت لكم شيخ الإِسْلَام هنا يذكر النصوص من الكتاب والسنة أراد أن يرد على شيخ الإِسْلَام في هذه الفقرة يرد عليه فيما يتعلق بالأَحَادِيْث، في هذه السطور يبطل كل ما ذكره شيخ الإِسْلَام من الأَحَادِيْث فقط بهذه الأسطر.

يقول فيها: "**وأما الجواب عن الأَحَادِيْث بعد المطالبة بصحتها**" كأنه يقول: لابد أن تثبت لي أن هذا الحديث صحيح لأنه لا يهمه صحيح أو ضعيف أصلًا لا يهمه، بالنسبة له لا يقدم ولا يؤخر لأنه لم يبن عقيدته على الأَحَادِيْث أصلًا وهم يصرحون بأن هذه ليست بضاعتهم.

يقول: "**فمن وجوه أحدها: أنها أخبار آحادٍ لا تفيد العلم بل تفيد الظن لما عُرف في الأصول**"، أحالنا إلى الأصول نفسه سنجده في الأصول أَيْضًا هؤلاء المتكلمون كتبوا في علم الكلام وكتبوا في الأصول وهناك يحيلون على ما كتبوه هنا وهنا يحيلون على ما كتبوه هنا.

وهو نفسه هناك أقصد بقولي: هو نفسه أصحابه (الجويني، والآمدي، والرازي)، فهو هنا وهو هناك لما عُرف في الأصول كأن القضية متفق عليها؛ هذا قدحٌ في ثبوتها بهذا السطر يزعم أنه انتهى من هذه الأَحَادِيْث كلها وأنه أسقطها ثبوتًا بهذا السطر، أحاديث آحاد لا تفيد اليقين ثبوتًا فهذا أولًا.

بالنسبة للدلالة: "**والثاني أنها ليست نصوصًا في ذلك بل هي ظاهرةٌ قابلةٌ للتأويل**"، هذا منهج ثبوتًا ظنيًا انتهينا منها لا تقول لي: هذا الحديث متفقٌ عليه هذا أخرجه البُخَارِيّ هذا أخرجه كذا أبدًا، أخبار آحاد وسبيلها كما يقولون: الإطراح.

الثاني: في دلالتها أَيْضًا ظنية ليست نصوصًا إنما هي ظاهرة ما دام هي ظاهرة تقبل التأويل هذا منهج.

الوجه الثالث: أن هذا الذي ذكرته يقول: طبقه السلف يقول: **"والوجه الثالث قد تأَّول السلف كثيرًا منها ومن الآيات، وأذن لنا في التأويل ابن عباس وهو حبر هذه الأمة وترجمان القُرْآن في غير ما آية.**

وقال: إذا خفي عليكم شيءٌ من القُرْآن فابتغوه في الشعر"؛ طَبْعًا تصرف في كلامه تصرفًا لا يليق: **"فَإِنه ديوان العرض"**؛ قال في قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾[القلم: 42]، أما سمعتم قول العرب: **"قامت الحرب بنا على سوق"**.

يَعْنِي الوجه الثالث والثاني وجه واحد: ليست نصوصًا هي ظنية في دلالتها تقبل التأويل والسلف أولوا.

الوجه الرابع: عارضتها الأدلة العقلية فيحسن أو يَنبغْي؟ لا، فيجب تأويلها يجب مَاذَا؟ سبحان الله والله استغرب فيجب تأويلها، والوجوب حكم شرعي أليس كذلك من أين تأخذه؟ من الدليل من الكتاب والسنة، كما كان يردد الشيخ عبد الوكيل في مجال السماع من كيسه وجوه وهذا من كيسي.

يقول: **"فيجب تأويلها والله لا يشبهه شيءٌ من المخلوقات ولا يحل فيه حادثًا ولا يحل هو في حادث وعند ذلك يستحيل وصفه بالتحيز والاتصال بالمحدودات"**، هو هنا يلخص كلام الإِسْلَام يلخص كتاب شيخ الإِسْلَام، أن كتاب شيخ الإِسْلَام كله في وصف الله -عَزَّ وَجَلَّ- بالتحيز وبالاتصال بالمحدودات.

هذه الوجوه الأربعة رد عليها شيخ الإِسْلَام هنا بهذه القطعة، طَبْعًا هذه القطعة تبدأ من هنا إلى هنا فهرس هذا كله يَعْنِي كلامه الواحد ما يشبع منه أصلًا، وأنا سبحان الله أتأسف على هذا الكتاب أتمنى كنا نتمنى أن نحصل على هذا الكتاب كنا نرجع إلى المخطوطات وهي غير مرتبة وكذا وخاصةً إذا كنت قويًا فيه، والحمد لله طُبع طبعة جميلة جدًا في مجمع الملك فهد -رَحِمَهُ الله- وإِنْ شَاءَ الله- سنحصل على هذا الكتاب أَيْضًا.

هذا الكتاب الأول الذي لم يكشف عنه إلا شيخ الإِسْلَام وإلا ما كنا نعرف عن هذا الكتاب، الكتاب الثاني هو مطبوع هذا الكتاب طَبْعًا ذكر في مقدمته ذكر في مقدمة الكتاب يلخص الكتاب لاحظوا أمانة هؤلاء.

يقول:"**فالذي دعا إلى تسطير هذه النبذة، ما وقع في هذه المدة، مما علقه بعضهم في إثبات الجهة**"، طَبْعًا منهج شيخ الإِسْلَام منهجه في هذا منهج دقيق جدًا خاصةً في الألفاظ المجملة التي تحتمل الحق والباطل منهجه فيها التوقف في اللفظ والاستفصال في المعنى، لا نطلق هذه الألفاظ التي تحتمل الحق والباطل حتى على المعنى الصحيح لا نطلقها نتقيد بما ورد في الكتاب والسنة.

ومع ذلك يزعم هذا ابن جهبل القاضي وهو شافعي يزعم أنه ألفه لإثبات الجهة أين ذكر أنك لابد أن تثبت الجهة، شيخ الإِسْلَام فصل في الجهة يقول: من يطلق الجهة نستفصله ماذا تقصد؟ إن كنت تقصد بالجهة أمرًا عدميًا فموقفنا كذا وكذا، وإن كنت تقصد بالجهة أمرًا وجوديًا فموقفنا كذا وكذا ومع ذلك لا نثبت الجهة ولا ننفيها.

يقول: "**واغتر بها من لم يرسخ له في التعليم قدمٌ ولم يتعلق بأذيال المعرفة**"، طَبْعًا هذه المعرفة التي جاءتكم من أرسطو ومن غيره نعوذ بالله منها، هذه المعرفة التي تخليك تجافي نصوص الكتاب والسنة وتجعلك دائمًا تتصادم مع نصوص الكتاب والسنة وتتمشكل مع نصوص الكتاب والسنة وتجعلك دائمًا تفكر كيف أتخلص من هذا الكم الهائل من النصوص هذه المعرفة ليست معرفةً صحيحة.

هذا الاتجاه الثاني التأليف ولكن حتى يبدوا لي أنا والله أعلم: لأن هذين الكتابين ليست من الكتب المعروفة عند القوم ويبدوا أنهم هم أَيْضًا يَعْنِي مقتنعون أن هذه الكتب ما قدمت ولا أخرت يَعْنِي لم يستطيعوا أن ينالوا من شيخ الإِسْلَام، وهذه الفتيا لازالت تلاحقهم هذه الفتيا.

فنقول لأشاعرة هذا العصر: لازالت هذه تلاحقكم لا تكذبوا على شيخ الإِسْلَام كونوا رجالًا ردوا عليه، ردوا عليه في جميع ما ذكره وأنىَّ هذا لا يجوز أن تكذب حتى على الشيطان لا يجوز، فكيف بعالم من علماء هذه الأمة إن كنتم رجالًا ردوا عليه.

هذه الرسالة تمثل المنهج السلفي في التعاطي مع النصوص وفي هذا الباب الخصوص، بعدما ألف كما قلت هذه الفتيا ألف السروجي ردًا على شيخ الإِسْلَام ووصل الكتاب إلى شيخ الإِسْلَام وألف هذا الكتاب "**جواب الاعتراضات المصرية**" هذا كله في مصر.

لما رجع إلى دمشق طَبْعًا هذا الكتاب فيه رد كما يقولون: منهجي يرد على منهجهم أَيْضًا يتتبع الألفاظ؛ ولكن أراد شيخ الإِسْلَام أن يطبق هذا الذي ذكره على كتاب من كتبهم التي ألفوها للتأصيل، طَبْعًا هذا رد على رد فلان رد على شيخ الإِسْلَام ورد عليه، أراد شيخ الإِسْلَام أن يتبع هذا بردٍ على كتابٍ من كتبهم التي ألفوها للتأصيل ليس للردود.

الكتب تنقسم هناك كتب تؤلف في الردود للرد على فلان وكتب تؤلف للتأصيل مثل هذه الرسالة "**الفتوى الحموية**" كلها للتأصيل ومثل "**التدمرية**" ومثل "**الواسطية**"، هذه كتب تريد أن تتعلم العقيدة السلفية المحضة تعلم من هذه الكتب دون أن تدخل في متاهات الردود، قلنا وقيل وها تأصيل.

فوقع اختياره على كتابٍ هو فعلًا يَعْنِي لو بحثت إلى الآن لن تجد كتابًا يَعْنِي يعتبره القوم أصلًا لهم، وهو كتاب الرازي أسماه "**أساس التقديس**" هذا الكتاب ألفه ليضع المنهج في هذا الباب أساس التقديس كيف تقدس الله -عَزَّ وَجَلَّ- ما نختلفه في هذا كلنا نريد أن نقدس الله -عَزَّ وَجَلَّ- ولكن كيف تقدسه؟!

هذا الكتاب مسكه شيخ الإِسْلَام جملةً جملةً في هذا الكتاب جملةً جملةً ورد عليه، وبهذا تكون منظومة الردود على الأفراد والكتب قد اكتملت، وسبب هذا كله هو هذه الرسالة "**الفتوى الحموية**"، وكما ستعرفون في وأكيد أنتم عرفتم نحن نريد أن كما سنرى يَعْنِي كيف أن شيخ الإِسْلَام يركز في هذه الرسالة، أنا أعذر الخصوم إذا كان هذا يؤلمهم لأنه فعلًا

ولكن ليست القضية قضية رد فهذا باب التوحيد توحيد رب العالمين، اجعل الكتاب والسنة هو المصدر تصل إلى الحق أليس كذلك؟!

الخلل في التلقي والخلل في تحديد مصادر التلقي يؤثر ينعكس سلبًا على المنهج، لذلك ركز شيخ الإِسْلَام على هذه المسألة أَيْضًا من المسائل التي ركز عليها في هذه الرسالة: قضية مصادر التلقي، وبين أن من أهم الأسباب في الانحراف في هذا الباب: هو الخطأ في تحديد مصادر التلقي والخطأ في التعامل والتعاطي مع الكتاب والسنة.

بالنسبة لموضوعات هذه الرسالة قبل أن يجيب كما قلت: ذكر تقريبًا تسع أو عشر فقرات فيها بيان البداية في هذا الطريق ولِمَاذَا حصل هذا الذي حصل؟ بدأها بأن أهم ما في هذا الدين هو التوحيد ومن أبواب التوحيد هو توحيد الأسماء والصفات وأن هذا الباب أتقنه وأحكمه الله -عَزَّ وَجَلَّ- في كتابه: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود: 1].

وأن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أحكمه أَيْضًا وأن الصَّحَابَة لم يكن منهم تقصيرٌ في هذا الباب، وأنهم لو لم يتعلموا من النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذا الباب وتعلموا منه كل شيء كانوا أبلد الناس كما هذا تعبير شيخ الإِسْلَام.

شخص يأتي إلى الشيخ المحدث ويسأله عن كل شيء إلا الحديث مَاذَا تقول فيه؟ يسأله عن الهندسة وعن الطب وعن الفيزياء والكيمياء لا يسأله عن الحديث هكذا كان سيكون حال الصَّحَابَة.

بعد ذلك يأتي إلى بعض المقولات خاصةً مقولة: (مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم)، فيناقشها مناقشةً تفصيلية ثم يذكر النصوص عمومًا في إثبات، هذا كله قبل أن يجيب في إثبات الصفات ويركز على مسألة العلو والاستواء.

يذكر النصوص من الكتاب والسنة هذا كله فيه رسم للمنهج بعد هذا أجاب، بعد أن أجاب ذكر ما يؤيد المنهج السني والسلفي ثم ذكر نصوص الأئمة ذكر كثيرًا من المتكلمين أَيْضًا الذين أثبتوا بعض النصوص بعض الصفات، ثم ذكر موقف المخالفين فصل في ذلك

وختم الكتاب بذكر علم الكلام الذي هو الداء العُضال علم الكلام ما هو علم الكلام؟ وذكر حال المتكلمين وما وصلوا إليه من اليقين أو الحيرة والشك وبهذا ختم الكتاب.

وكما قلت: أهميته في هذه أهميته ليس في الجواب الجوابُ هذا أخذناه من شيخ الإِسْلَام ومن غيره لكن أهميته في هذا التأصيل وفي هذه الأمور التي ذكرها في المقدمة، يقول السائل طَبْعًا هذا كلام الراوي الذي روى هذا الكتاب.

يقول: سُئل شيخ الإِسْلَام أبو العباس أحمد بن تيمية وذلك في سنة ثمانٍ وتسعين وستمائة، وكما قلت: ذكر ابن عبد الهادي وابن كثير: أنه كان في بداية شهر ربيع الأول، يقول: **"وجرى بسبب هذا الجواب أمور ومحن، وهو جواب عظيم النفع جدًا"**؛ فقال السائل: ما قولكم في آيات الصفات كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه: 5]؟!

طَبْعًا هذا فيه تخصيص بعد تعميم طَبْعًا رأي شَيْخ الإِسْلَام في آيات الصفات وكما تعرفون الصفات تنقسم إلى أقسام:

- الصفات الخبرية.
- والصفات الذاتية.
- والصفات الفعلية.

والصفات بالنظر إلى الأدلة تنقسم إلى قسمين:

- صفات عقلية.
- وصفات خبرية.

هذا التقسيم أصله من المتكلمين ولكن نحن نذكره بشيءٍ من التحوير، والصفات بالنظر إلى تعلقها بذات الله -عَزَّ وَجَلَّ- تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

- صفات ذاتية أزلية أبدية.
- الصفات الفعلية.
- والصفات التي هي فعلية باعتبار وأزلية باعتبار.

ثلاثة أقسام آيات الصفات يشمل هذا كله، ولكن التمثيل يبدوا أن تركيز السائل على نوعٍ من الصفات وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه: 5] هذا من أي صفات؟ من الصفات الفعلية.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾[فصلت: 11] أَيْضًا من الصفات الفعلية، إلى غير ذلك من الآيات وأحاديث الصفات؛ كقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن**»؛ هذا في أي صفات في أي نوع من أنواع الصفات؟ الصفات الخبرية، لو لم يكن هناك خبر في الكتاب والسنة أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- متصفٌ بهذه الصفة ما كنا ندري عنها.

أما الصفات العقلية كصفة العلو بالفطرة نعرف أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- مباينٌ للمخلوق وأنه في جهة العلو بالفطرة بالدليل الفطري والعقلي والسمعي، وقوله: «**يضع الجبار قدمه في النار**»، أَيْضًا هذه من الصفات الخبرية، إلى غير ذلك من الأحاديث وما قالت العلماء، وابسُطوا القول في ذلك مأجورين -إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى-.

إِذًا السائل يسأل عن الصفات عمومًا وركز على نوعين من أنواع الصفات: (الصفات الخبرية، والصفات الفعلية)، بالنسبة للصفات الخبرية الكُلابية وأوائل الأشاعرة يثبتونها من حيث الجُملة أقول: من حيث الجُملة لأن بعضهم من حيث الجُملة الكُلابية وأوائل الأشاعرة يثبتونها الصفات الخبرية.

الأشعري في طوره الكُلابي يثبتها والأشاعرة في المرحلة الأولى يثبتونها بالنسبة للصفات الخبرية، أما بالنسبة للصفات الفعلية فالمتكلمون كلهم بدون استثناء يعطلونها قولًا واحدًا لأنهم يقولون: أن الصفات الفعلية تستلزم حلول الحوادث بذاته سبحانه هكذا يقولون وهم يعطلونها، فالصفات الفعلية كما قلت التي تتعلق بمشيئته وقدرته يعطلونها كلها هذا السؤال.

الجواب: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"، دائمًا يبدأ شيخ الإِسْلَام كتبه بالثناء على الله-عَزَّ وَجَلَّ- هذا منهج أَهْلِ السُّنَّة وَالجَمَاعَة، وهناك حديث ولكنه ليس صحيحًا: «**كل أمرٍ ذي**

بالٍ لم يُبدأ بحمد الله فهو أبتر»، هذا لا يصح ولكن رسائل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كلها وكتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- بدأ بالحمد والثناء على الله -عَزَّ وَجَلَّ-، والحمد هو الثناء على المحمود مع المحبة والتعظيم.

تثني عليه بِمَاذَا؟ تثني عليه بذكر صفاته وأسمائه أليس كذلك؟ تثني عليه بما هو أثبته هو بنفسه فَإِذا نفيت الأسماء والصفات تثني عليه بأنه ليس بكذا وليس بكذا تثني عليه بذكر السلوب.

ولذلك إثبات الحمد لله -عَزَّ وَجَلَّ- هذا نصف باب توحيد الأسماء والصفات، توحيد الأسماء والصفات فيه إثبات ونفي إثبات جميع صفات الكمال والجلال لله -عَزَّ وَجَلَّ- وهذا هو الحمد، الحمد الألف للاستغراق جميع المحامد لله -عَزَّ وَجَلَّ-، فلما تثبتها مع المحبة والتعظيم تكون حمدت الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

أما إثبات صفات الكمال بدون المحبة والتعظيم هذا يكون مدحًا، فالفرق بين المدح أنك في الحمد تثبت صفاته صفات الكمال والجلال تثبتها مع حبك وتعظيمك لله -عَزَّ وَجَلَّ-، أما المدح فكما يكون من الشعراء وغيرهم يمدحه وقد يطريه وقد يكون في قلبه غير هذا الذي يقوله فهذا هو الفرق بين الحمد والمدح.

الحمد جميع صفات الكمال لله -عَزَّ وَجَلَّ- ولابد أن نقيد أَيْضًا نفصل أكثر نقول: جميع صفات الكمال على كمالها وتمامها لله -عَزَّ وَجَلَّ-، لأن المخلوقين بعضهم فيهم صفات الكمال ولكن هذه الصفات موهوبة لهم ليست منهم الله -عَزَّ وَجَلَّ- هو الذي وهبها لهم.

فالعلم والسمع والبصر والقدرة هذه صفات كمال يتصف بها المخلوق وهذه الصفات ليست لهم الله -عَزَّ وَجَلَّ- هو الذي وهبها أولًا، ثانيًا: أن هذه الصفات مهما كان هذا في العلم وفي كذا وكذا علمه محدود بمحدود يجب رسائله.

فهذه الصفات صفات الكمال ليست على وجه الكمال والتمام لغير الله -عَزَّ وَجَلَّ-، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ طَبْعًا الله -عَزَّ وَجَلَّ- يحمد نفسه وكلما حمد نفسه ذكر بعض

متعلقات الحمد يذكر بعض ما يستوجب حمده سبحانه من ذلك أنه رب العالمين، ورب العالمين هو الذي خلقك وهو الذي أخرجك من العدم وهو الذي يرزقك ويدبر أمورك وهو الذي يستحق منك الحمد الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

يقول: **"قولنا فيها ما قاله الله ورسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-"**، طَبْعًا هذا الذي جاء يستفتي أنا في رأيي عنده كثيرٌ من الصبر لو واحد مثلي يذهب إلى الشيخ ويقول له: ما رأيك ويشغله ساعتين بهذه المقدمات الناس فيهم استعجال أليس كذلك؟ فيبدوا أن هذا السائل عنده شيء من العلم وعنده شيء من الصبر بحيث صبر على شيخ الإِسْلَام، صبر عليه وانتظره إلى أن أعطاه الجواب.

يقول: **" قولنا فيها ما قاله الله ورسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار"**، لاحظوا أن هذا جوابٌ إجمالي وهذا الجواب الإجمالي لا يمكن أحدًا أن يجيب بهذا الجواب الإجمالي إلا أَهْلِ السُّنَّة وَالجَمَاعَة.

يقول: **" قولنا فيها ما قاله الله ورسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وغيره"**، هذا لا يمكن أن يقوله إلا أَهْلِ السُّنَّة وَالجَمَاعَة لِمَاذَا؟!

لأن كل ما أخذوه من الكتاب والسنة آمنت بهذا لِمَاذَا؟ لأنه في الكتاب والسنة آمنت بهذا لأنه في الكتاب والسنة؛ لم أؤمن بهذا لأنه ليس في الكتاب والسنة فعقيدتهم مبنية على ما جاء في الكتاب والسنة، وبالتالي قولهم ما قاله الله ورسوله.

قد يكون بعضهم أخطأ في شيءٍ مما ورد في الكتاب والسنة وبالتالي قد يكون أخطأ في، هذا خطأه في الفهم وليس في المنهج والتأصيل فالذي يستطيع أن يقول: أن قولنا هو ما جاء في الكتاب والسنة هذا لا يمكن أحدًا إلا من استسلم للكتاب والسنة.

وإلا أنت اسأل الأشعري مثْلًا كمثال أنا أذكر الأشاعرة لأن هذا الكتاب رد عليهم كما سيصرح شيخ الإِسْلَام، سيذكر المخالفين وسيصرح أن هذا الرد هذه الفتيا رد عليهم،

اسأله وقل له: هذه الخرافات التي تؤمن بها ما هو دليلها؟ سيقول لك: العقل لا يمكنه أن يقول: الكتاب والسنة لا يمكنه.

ولو تحذلق بعض المعاصرين الآن بدءوا يتحذلقون ويقولون: هذا مؤدى كذا أبدًا لأن نزاعه دائمًا مع الكتاب والسنة، فالذي يجيب بهذا الجواب وقلبه مُنشرح هو من استسلم للكتاب والسنة وهذا الذي يجب على الجميع أليس كذلك؟ وهذا الذي يجمع الجميع على الحق على الكتاب والسنة وهذا هو الواجب على جميع الخلق.

وكما قلت: الجواب سيأتي الذي عنده هذه الطبعة الجواب في صفحة مائتين وخمسة وخمسين طبعة التويجري، لِمَاذَا هذا الجواب؟ يقول: **"فإن الله بعث محمدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالهدى ودين الحق"**، الله -عَزَّ وَجَلَّ- بعث محمدًا بأمرين الهدى ودين الحق العلم الصحيح والعمل الصالح.

أنت تريد أن تعمل لتصل إلى رضى الله -عَزَّ وَجَلَّ- لتصل إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ-أليس كذلك؟ ولابد أن تتعلم حتى تصل فالعلم الصحيح والعمل الصالح والعمل لا يكون صالحًا إلا إذا كان مبنيًا على الكتاب والسنة؛ العلم الصحيح والعمل الصالح أين تجده؟ في الكتاب والسنة بالهدى ودين الحق، العلم الصحيح والعمل الصالح لِمَاذَا؟!

يقول: **"ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد"**، هذا هو صراط الله -عَزَّ وَجَلَّ- وشهد له الله -عَزَّ وَجَلَّ- شهد له شهد للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **"وشهد له بأنه بعثه داعيًا إليه"**، لَا إِلَهَ إِلَّا الله هذا فيه إفراد الله -عَزَّ وَجَلَّ- بالتوحيد ولكن نتعلم التوحيد من محمد رسول الله، دائمًا الله -عَزَّ وَجَلَّ- يذكرنا بالذي أرسله وهو الذي يشهد أنه بعثه داعيًا إليه داعيًا إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- ليس إلى الفلسفة والمنطق.

يقول: **"بإذنه وسراجًا منيرًا"**، يدعوا إليه بإذنه بأمره، وسراجًا منيرًا طريقة واضح سراج ينير ليس هناك غموض فيما جاء به وأمره أن يقول: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[يوسف: 108].

النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مأمورٌ بأن يقول: قُلْ هَذِهِ الضمير يرجع إلى الدعاء إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن تدعوا إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ-، هذه سَبِيلِي أَدْعُو هذه سبيلي مع أنها لا تتوقف ليست هناك دائمًا تدعوا إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- بقولك بعملك ولكن عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي، أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي متعلق بأدعو أو بعلى بصيرة، فكلنا على بصيرة وكلنا ندعوا نكمل -إِنْ شَاءَ اللهُ -بعد العشاء.

هذا هو الجواب الإجمالي بعد هذا الجواب طَبْعًا في هذا الجواب أن قولنا هو ما جاء في الكتاب والسنة، السؤال ما الذي جاء في الكتاب والسنة؟ والذي جاء في الكتاب والسنة واضح لو كان واضحًا ما حصل هذا الخلاف الطويل العريض فأنت تحيلنا إلى مَاذَا؟!

بالنسبة للدعاوى كل واحد يستطيع أن يدعي أن قولي هو ما جاء في الكتاب والسنة يستطيع أن يدعي ولو كان من أبعد الناس عنه، كيف أصل إلى هذا وأنت تزعم أن هذا الباب واضح كيف؟ يذكر شيخ الإِسْلَام هنا فقرات من أهم ما يكون في هذا الباب، على هذه الفقرات بناء هذا الكتاب هذه الفقرات أُس هذا الكتاب أساس هذا الكتاب، فنرتب هذه الفقرات نكتب رقم واحد هنا عند فمن المحال.

(المتن)

قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:

فمن المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وأمر الناس أن يردُّوا ما تنازعوا فيه من دينهم إلى ما بعث به من الكتاب والحكمة، وهو يدعو إلى الله وإلى سبيله بإذنه على بصيرة.

وقد أخبر أنه أكمل له ولأمته دينهم، وأتم عليهم نعمته محالٌ مع هذا وغيره أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبسًا مشتبهًا، فلم يميز بين ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العليا، وما يجوز عليه وما يمتنع عليه.

فإن معرفة هذا أصل الدين، وأساس الهداية، وأفضل ما اكتسبته القلوب، وحصلته النفوس، وأدركته العقول، فكيف يكون ذلك الكتاب، وذلك الرسول وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يحكموا هذا الكتاب اعتقادًا وقولاً؟!

(الشرح)

إِذًا السؤال الأول: هل خفي هذا الباب على المتأخرين لأن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نفسه لم يكن قد أحكمه وعرفه حق المعرفة؟ هذا السؤال الجواب كما يذكر شيخ الإِسْلَام العكس هو الصحيح، فَإِذا لم يُحكم هذا الكتاب فلمن تركه ومن الذي أحكمه؟ إذا لم يُحكم هذا الباب من الذي أحكمه ولمن تركه؟!

يقول: "**فمن المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور**"، لاحظوا هذه الأوصاف التي يذكرها شيخ الإِسْلَام أولًا: هو السراج المنير الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، الناس في الظلمات وهو الذي سيخرجهم من الظلمات إلى النور أولًا.

يقول: "**وأنزل معه الكتاب بالحق**"، كيف أخرجهم من الظلمات إلى النور؟ بهذا الكتاب الذي أنزله بالحق: "**ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وأمر الناس أن يردُّوا ما تنازعوا فيه من دينهم إلى ما بعث به من الكتاب والحكمة، وهو يدعو إلى الله وإلى سبيله بإذنه على بصيرة**".

أَيْضًا يقول: "**وقد أخبر أنه أكمل له ولأمته دينهم، وأتم عليهم نعمته**"، هذه الأمور الخمسة ومع ذلك: "**محالٌ مع هذا وغيره أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبسًا مشتبهًا**"، أنا ذكرت أن هذا الباب الذي هو باب توحيد الأسماء والصفات هو كما قلت من التوحيد نوع من أنواع التوحيد والتوحيد به يتحقق الإيمان بالله -عَزَّ وَجَلَّ-.

إذا أردت أن تحقق الإيمان بالله -عَزَّ وَجَلَّ- تحققه بتحقيق التوحيد؛ إِذًا نحن في باب الإيمان بالله -عَزَّ وَجَلَّ- نحن نتحدث عن الركن الأول الذي هو الإيمان بالله -عَزَّ وَجَلَّ-.

لذلك يقول: "**محالٌ مع هذا وغيره أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبسًا مشتبهًا، فلم يميز بين ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العليا، وما يجوز عليه وما يمتنع عليه**".

مع كل هذه الأوصاف هو الذي سيخرج الناس من الظلمات إلى النور، وهو الذي أُعْطِي الكتاب والحكمة؛ وهو الذي أُمرنا أن نرجع إليه عند التنازع، وهو الذي أُخبرنا أنه أتم الله -عَزَّ وَجَلَّ- به نعمته علينا مع هذا كله محال أن لا يكون قد أحكم هذا الباب الذي هو باب الإيمان بالله -عَزَّ وَجَلَّ-.

محال أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله -عَزَّ وَجَلَّ- مشتبهًا ملتبسًا مع هذه المعطيات كلها محال عقلًا ودينًا هذه الفقرة الأولى، محال مع هذا كله أن يترك ما يجب لله -عَزَّ وَجَلَّ- من الصفات وما يجوز له وما يمتنع عليه محال أن يترك هذا كله؛ السؤال إذا كان تركه تركهُ لمن لِمَاذَا محال؟!

يقول: "**فإن معرفة هذا أصل الدين، وأساس الهداية**"، أصل الدين أن تعبد الله -عَزَّ وَجَلَّ- لِمَاذَا؟ لأن من أسمائه الله والإله بمعنى المعبود تبعده لأنه يرحمك وتعبده لأنه كذا كل هذا توحيد الأسماء والصفات، إِذًا أساس هذا الدين أساسه وأصله هو هذا الباب.

يقول: "**وأفضل ما اكتسبته القلوب، وحصلته النفوس، وأدركته العقول**"، إذا أردت أن تعرف أفضل ما تكتسبه القلوب وأفضل ما تدركه العقول هو هذا الباب لأن به يتم الإيمان بالله -عَزَّ وَجَلَّ- به تتم السعادة في الدارين، إذا كنت عرفت كل شيء إلا الله -عَزَّ وَجَلَّ- عرفت شيئًا؟ إذا كنت عرفت كل شيء أحكمت كل شيء إلا هذا الباب فما الذي عرفته؟ إِذًا هذا هو أساس الدين.

يقول: "**فكيف يكون ذلك الكتاب، وذلك الرسول وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يحكموا هذا الكتاب اعتقادًا وقولاً؟!**" كيف؟ مستحيل هذا نحن ذكرنا السؤال الأول والجواب عند شيخ الإِسْلَام أين الخلل نحن في الفقرات هذه الآن نبحث أين الخلل؟

نكمل بعد الصلاة حتى لا نشوش على الناس، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

للإمام الشيخ

شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني

- رحمه الله -

(المجلس الثاني)

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد محمدي النورستاني

- حفظه الله -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نحمده ونصلي على رسوله الكريم، أما بعد:-

لازلنا مع تأصيل شَيْخُ الإِسْلَام وتقريره: أن معرفة هذا الباب أصل الدين وأساس الهداية، وأفضل ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول، فمع ذلك كيف يكون الكتاب وذلك الرسول وأفضل خلق بعد النبيين لم يحكموا هذا الباب اعتقادًا وقولًا وعملًا كيف؟! هذه الفقرة الأولى تفضل.

(المتن)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، اللَّهم اغفر لنا ولشيخنا آمين قال شَيْخُ الإِسْلَام -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:

ومن المحال أيضًا أن يكون النبي -صَلى اللهُ عليهِ وسَلم- قد علَّم أُمَّتَه كل شيء حتى الخراءة.

وقال: «**تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**».

وقال فيما صح عنه أيضًا: «**ما بعث الله من نبي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم**».

وقال أبو ذر -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-: «**لقد توفي رسول الله -صَلى اللهُ عليهِ وسَلم- وما من طائرٍ يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا**».

وقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: «**قام فينا رسول الله -صَلى اللهُ عليهِ وسَلم- مقامًا فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه**»، رواه البخاري.

محال مع تعليمهم كل شيءٍ لهم فيه منفعةٌ في الدين وإن دقت أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه بقلوبهم في ربهم ومعبودهم رب العالمين، الذي معرفته غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الإلهية، فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مُسكةٍ من إيمان وحكمةٍ أن لا

يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول -صَلى اللهُ عليهِ وسَلم- على غاية التمام؟ إذا كان قد وقع ذلك منه، فمن المحال أن يكون خير أمته وأفضل قرونها قصروا في هذا الباب، زائدين فيه أو ناقصين عنه.

(الشرح)

نعم هنا يجيب شَيْخُ الإِسْلَام -رَحِمَهُ الله- على تساؤلٍ آخر، هل خفي هذا الباب لازلنا نطرح هذا الباب هل خفي هذا الباب لأن النبي -صَلى اللهُ عليهِ وسَلم- وإن كان قد أحكمه إلا أنه يجوز أن لا يكون قد علم أمته لما فيه من المعاني الغامضة كما يقوله المتكلمون! وأنه اكتفى بظواهر التشبيه مع تنبيهاتٍ دقيقةٍ إلى التوحيد الخالص لا يتفطن لها إلا حُذاق المتعلمين هل هذا الذي حصل؟!

كما يقول المتكلمون: أن النصوص التي ورد فيها إثبات هذا الباب نصوص ظواهر التشبيه هكذا يسمونه هم، هذا هو الاسم المفضلة والتسمية المفضلة لهذه النصوص عندهم ظواهر التشبيه دائمًا يقولون فيه: ظواهر التشبيه ظواهر التشبيه حتى ليس هناك تأدب مع كلام الله -عَزَّ وَجَلَّ- ظواهر التشبيه.

أولًا: هي ظواهر كما ذكرها هذا السروجي ظواهر وليست نصوص.

وثانيًا: ظواهر مَاذَا؟ ظواهر التوحيدَ! لا ظواهر التشبيه.

لأن هذه النصوص فيها تشبيهٌ وتجسيمٌ وفيها إثبات الحيز والمكان والجهة هل هذا الذي حصل؟ الجواب عند المتكلمين: نعم هذا الذي قاله الرازي، لأن الجميع متفقون على أن النبي -صَلى اللهُ عليهِ وسَلم- بين التوحيد، الرازي وجماعته مضطرون إلى أن يقولوا: أنه بين التوحيد ولكن كيف بينه؟!

الجميع يقولون: أن التوحيد هو أصل الدين وأساسه وأنه بينه ولكن كيف بينه! هل بيانه في هذه النصوص؟ عندهم لا هذه النصوص هي ظواهر التشبيه وهي تحتاج إلى حل هي جزءٌ من الإشكال جزءٌ من المشكلة.

لأن من اغتر بها كما يقول الآمدي: لأن من اغتر بها يقع في التشبيه والتجسيم، والتشبيه والتجسيم كفر فهي تحتاج إلى حل؛ ولكن لِمَاذَا ملأ النبي -صَلى اللهُ عليهِ وسَلم- لِمَاذَا ملأ الله -عَزَّ وَجَلَّ- كتابه بهذه الظواهر لِمَاذَا؟!

الجواب عند ابن سينا ابن سينا ذكر هذا السؤال له رسالة اسمها **"الأضحوية في الميعاد"**، ابن سينا يرى أن ما جاء في الكتاب والسنة من ذكر الميعاد وأن هناك ميعادًا للأرواح والأجسام والأبدان، وأن هناك كذا وكذا هذا كله تخييل.

طيب النصوص هذه؟ قال: هذه النصوص تؤول كما ألتم نصوص العلو، ذكر هذا بالتفصيل في كتابه **"الأضحوية في الميعاد"**، وذكر ابن سينا أن الأنبياء جاءوا بالتوحيد ولكن الإشارة إلى التوحيد عندهم كان في نصوصٍ في إشاراتٍ دقيقة لا يتفطن إليها إلا أمثاله، أما الأنبياء والرسل والصحابة والتابعون وأئمة السلف فمن أبعد الناس عن فهم تلك الإشارات.

كما تعرفون من كتبه **"الإشارات"** من كتب ابن سينا **"الإشارات"** لأنهم يفهمون هذه الإشارات إشارات ابن سينا من الكتب المحترمة عن المتكلمين، نفس الجواب ذكره الرازي نفس الجواب ذكره الرازي في كتابه **"المطالب العالية في العلم الإلهي"**، هذا ألفه قبل موته بخمس سنوات الرازي توفي سنة 606 وهذا ألفه سنة 605.

نفس السؤال لِمَاذَا ملأ الله -عَزَّ وَجَلَّ- كتابه بهذه الظواهر؟ ونفس الجواب، ونقل عن الرازي كُثر من المتكلمين، إذًا الجواب واضح عندهم: أن الرسل مع الأسف الشديد ما استطاعوا أن يظهروا حقيقة التوحيد لأن العوام ما يفهمون عندهم، وأن الرسل قد كذبوا فعلًا لمصلحة الجمهور هكذا يقولون.

نعوذ بالله أليس هذا ماذا نسميه؟ طَبْعًا هناك الدين دين الفلاسفة زندقة وإلحاد، وهناك الدين دين الأنبياء والرسل نحن أمام نصوص واضحة في توحيد الله-عَزَّ وَجَلَّ- في ربوبيته وإلوهيته وأسماءه وصفاته؛ لابد أن نؤمن بها حتى نحقق الإيمان بالله -عَزَّ وَجَلَّ-.

أما إذا جئت إلى ابن سينا فهذه النصوص فيها تركيب فيها تجسيم وفيها تشبيه، أنا لا استبعد من ابن سينا دينه غير أصلًا هو كان من القرامطة وذكر هذا هو بنفسه ذكر أن والده كان مع القرامطة وأنه على دينهم ذكر هذا بنفسه.

ولكن المتكلمين الأشاعرة الذين يسمون أنفسهم أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة ما الذي أداكم إلى دين ابن سينا؟ نفس الجواب كما قتل لكم، إِذًا الجواب عند الأشاعرة الباب نبه إليه النبي ما نقول: أوضحه وإنما كما يقول ابن سينا وكما يقول الرازي: **"مع إشاراتٍ دقيقةٍ إلى التوحيد الخاص لا يتفطن لها إلا الحُذاق"**.

نحن عندنا الجواب أَيْضًا واضح: أن النبي -صَلى اللهُ عليهِ وسَلم- أحكم هذا الباب أيما إحكام، والله -عَزَّ وَجَلَّ- أحكمه أيما إحكام ومن أحسن من الله حديثًا ومن أصدق من الله حديثًا في الفصاحة والبلاغة وفي النصح وفي العلم؟ خبر الله -عَزَّ وَجَلَّ- عن نفسه وخبر رسوله عن الله -عَزَّ وَجَلَّ- هذا هو الخبر الذي نؤمن به حتى نكون موحدين ومؤمنين الباب واضح.

هذا الباب واضح متقن محكم وليس تلك الإشارات التي هي إشارات ابن سينا أبدًا، تلك الإشارات إلى توحيدٍ آخر إِذًا هذا سؤال هل علم النبي -صَلى اللهُ عليهِ وسَلم- هذا الباب ولكن بطريقة غامضة كما يقول المتكلمون: إنما اكتفى بظواهر التشبيه مع إشاراتٍ دقيقة أو أحكمه وأوضحه وصرح به وأكثر منه وكرره مرارًا وتكرارًا، ما من آية إلا وفيها إثباتٌ لشيءٍ من أسماءه وصفاته في الغالب؟! هذا الذي حصل.

طيب لِمَاذَا تفترض هكذا يا ابن تيمية؟ يقول: **"من المحال أيضًا أن يكون النبي -صَلى اللهُ عليهِ وسَلم- قد علَّم أُمَّتَه كل شيء حتى الخراءة"**.

وقال: **«تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»**.

طَبْعًا أحد من رد على شَيْخُ الإِسْلَام -رَحِمَهُ الله- وهو ابن جهبل رد على شَيْخُ الإِسْلَام هنا يقول: ما يدري أن ابن تيمية أن الخراءة يحتاج إليها الإنسان كذا، طيب هذا الباب

الإيمان بالله -عَزَّ وَجَلَّ- إذا كنت أنت ما تحتاج إليه فغيرك يحتاج إليه حتى يكون مؤمنًا انظر الجواب.

يقول: «**تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»، الحديث أخرجه ابن ماجة وغيره.

وقال فيما صح عنه أيضًا: « **ما بعث الله من نبي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم**» حقًا عليه أي يجب عليه، والحديث أخرج الإِمَام مسلم وغيره.

وقال أبو ذر -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْه-: «**لقد توفي رسول الله -صَلى اللهُ عليهِ وسَلم- وما من طائرٍ يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا**».

وقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: «**قام فينا رسول الله -صَلى اللهُ عليهِ وسَلم- مقامًا**»، التنكير هنا للتعظيم كان مقامًا مشهودًا: «**فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم**»، يَعْنِي ذكر بدأ الخلق ونهاية الخلق أول الخلق وآخر الخلق وما بينهما يَعْنِي ذكر أمورًا الأمور بالتفصيل: «**حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه**»، رواه البخاري.

يقول شَيْخُ الإِسْلَام -رَحِمَهُ الله-: "**محالٌ مع تعليمهم كل شيءٍ لهم فيه منفعةٌ في الدين وإن دقت محالٌ مع ذلك كله أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه بقلوبهم في ربهم ومعبودهم رب العالمين**"، محالٌ مع ذلك كله أن يكون علمهم كل شيء إلا التوحيد محال هذا أليس كذلك؟!

حتى هو يقول: محال ولكن نختلف هنا في طريقة الإشارة إلى ذلك التوحيد عنده النبي -صَلى اللهُ عليهِ وسَلم- والله -عَزَّ وَجَلَّ- أشارا إلى ذلك التوحيد ولم يتفطن له إلا الجهم، من أول من أثار هذه القضية؟ الجهم إِذًا هو أول من تفطن في هذه الأمة المباركة المرحومة إلى تلك الإشارات.

أليس هذا كافيًا إلى أن تلك الإشارات فعلًا إشارات ابن سينا التي لم يتفطن لها أحدٌ من الصَّحَابَة وأحدٌ من التابعين وأحدٌ من أئمة السلف لم يتفطن لها إلا هذا الذي كما يقول شَيْخُ الإِسْلَام -رَحِمَهُ الله-: "**مغموصٌ في دينه متهمٌ في دينه**" وسيأتي بيان حاله أليس هذا كافيًا؟!

يقول: "**محالٌ مع ذلك كله أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه بقلوبهم في ربهم ومعبودهم رب العالمين، الذي معرفته غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد**"، طَبْعًا هذا جانب يتعلق بالعلم وهذا جانب يتعلق بالعمل.

الجانب الذي يتعلق بالعلم أشرف معلوم من هو؟ الله -عَزَّ وَجَلَّ- والعلم الذي يتعلق به هو أشرف العلوم لأنه هو أشرف معلوم، بالنسبة للأعمال ذلك العمل الذي يوصلك إليه هو أفضل الأعمال وهو عبادته وإخلاص العبادة لله رب العالمين: "**الذي معرفته غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد والوصول إليه غاية المطالب**".

إذا كان عندك مطالب وتلك المطالب توصلك إلى مطلوب مقصود عندك أهداف فما هو أشرفها وأعظمها؟ ذلك الذي يوصلك إلى رب العالمين.

يقول ابن القيم -رَحِمَهُ الله- في "**مدارج السالكين**"، ونقله ابن أبي العز في "**مقدمة شرح الطحاوية**"، يقول الرسل جاءوا بثلاثة أمور:

- <u>الأمر الأول</u>: "**بيان المعبود من هو المعبود من هو الله -عَزَّ وَجَلَّ-؟**".
- <u>الأمر الثاني</u>: "**كيف تصل إليه ومن الذي يوصلك إليه الطريق الموصل إليه إلى رب العالمين؟**".
- <u>الأمر الثالث</u>: "**ما الذي ينظرك هناك بعد الوصول إليه من النعيم! أو ما الذي ينظر من لم يصل إليه من العذاب؟**" هذه الأمور الثلاثة.

يقول شيخ الإسلام هنا: "**الوصول إليه غاية المطالب بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الإلهية، فكيف يتوهم من في قلبه أدني مُسكةٍ من إيمانٍ وحكمة أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول -صَلى اللهُ عليهِ وسَلم- على غاية التمام**".

إذًا هذا الباب وقع من النبي -صَلى اللهُ عليهِ وسَلم- حصل منه التوضيح والبيان على غاية الكمال والتمام، جاء الدور إلى الصحابة: **"إذا كان وقع ذلك منه فمن المحال أن يكون خير أمته وأفضل قرونها قصروا في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه"**.

هل الخلل كان من الصحابة؟ محال هذا أنت تتحدث عن من؟ تتحدث عمن اختارهم الله -عَزَّ وَجَلَّ- لصحبة نبيه وهذا الاختيار لا يشركهم فيه أحد: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾[الفتح: 29]، بهذه الآيات ذكر الله -عَزَّ وَجَلَّ- فضائل الصحابة وقدم هذه الفضيلة والذين معه كونهم معه هذه فضيلة لا يشركهم فيها أحد هذه الفضيلة انتهت بموت النبي -صَلى اللهُ عليهِ وسَلم- واضح فضيلة الصحبة.

هم يذكرون دائما مقرونين بالنبي -صَلى اللهُ عليهِ وسَلم- صحابة رسول الله -صَلى اللهُ عليهِ وسَلم- هذا يكفيهم فخرًا وشرفًا، هل تتوقع من ذلك الجيل أن يكونوا قصروا في هذا الباب؟ إذا كانوا قصروا في هذا الباب فما الذي أوضحوه لنا؟!

هل أبو بكر علمنا المنطق والفلسفة؟ عمر -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه- عثمان وعلي -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَ وأرضاهم أجمعين- من الذي أوضحوه؟ إذًا محال أن لا يكون هذا الباب قد أوضحه وأحكمه النبي -صَلى اللهُ عليهِ وسَلم-، ومحال أَيْضًا أن يكون قد قصر فيه جيل الصحابة نعم.

(المتن)

قال -رَحِمَهُ الله- تعالى:

ثم من المحال أيضًا أن تكون القرون الفاضلة القرن الذي بعث فيهم رسول الله -صَلى اللهُ عليهِ وسَلم- ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كانوا غير عالمين وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين، لأن ضد ذلك إما عدم العلم والقول، وإما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق وكلاهما ممتنع.

أما الأول فلأن من في قلبه أدنى حياةٍ وطلبٍ للعلم، أو نهمةٍ في العبادة يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده وأعظم مطالبه، أعني: بيان ما

ينبغي اعتقاده، لا معرفة كيفية الرب وصفاته، وليست النفوس الصحيحة إلى شيءٍ أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر.

وهذا أمر معلومٌ بالفطرة الوجدية، فكيف يتصور مع قيام هذا المقتضى الذي هو من أقوى المقتضيات أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم! هذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق، وأشدهم إعراضًا عن الله، وأعظمهم إكبابًا على طلب الدنيا، والغفلة عن ذكر الله، فكيف يقع من أولئك؟!

وأما كونهم كانوا معتقدين فيه غير الحق أو قائليه، فهذا لا يعتقده مسلمٌ ولا عاقلٌ عرف حال القوم.

(الشرح)

ذكر شَيْخ الإِسْلَام أنه من المحال أَيْضًا أن يكون التقصير والخلل وقع من جيل الصَّحَابَة، ثم ذكر أَيْضًا فقرةً تتعلق بالصحابة وهذه الفقرة مبنية على الفقرة الأولى، وزيادة بيانٍ وتوضيحٍ لها.

قال: "**ثم من المحال أيضًا أن تكون القرون الفاضلة القرن الذي بعث فيهم رسول الله -صَلى اللهُ عليهِ وسَلم- ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**"، هذه الفقرة أدخل فيها التابعين وأتباع التابعين الفقرة الأولى خاصة بالصحابة هذه الفقرة تتعلق بالصَّحَابَة والتابعين وأتباع التابعين وهي القرون الفاضلة.

من المحال أَيْضًا أن تكون القرون الفاضلة: "**كانوا غير عالمين وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين**"، هذا محال أن تعتقد في القرون الفاضلة أنهم كانوا غير عالمين بهذا الباب أو تعتقد فيهم أنهم كانوا عالمين ولكن كانوا غير قائلين به، هذان الأمران غير قائلين بالحق المبين هذان الأمران محالان لِمَاذَا؟!

يقول: "**لأن ضد ذلك إما عدم العلم والقول، وإما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق وكلاهما ممتنع**"، ضد ذلك أي ضد العلم يمتنع عقلًا وواقعًا أن يكون الصَّحَابَة غير

عالمين بالحق المبين في هذا الباب ويمتنع أَيْضًا أنهم كانوا معتقدين نقيض الحق في هذا الباب.

طَبْعًا هنا أمران:

- **الأمر الأول**: أنهم كانوا عالمين بالحق ويمتنع خلافهم كانوا عالمين بالحق.
- **الأمر الأول**: أنهم يمتنع أنهم كانوا عالمين وغير قائلين به.

الأمر الأول فصل فيه شَيْخ الإِسْلَام أطال فيه قليلًا، الأمر الثاني لم يفصل فيه لأن من عنده شيء من الإيمان يستحي من أن يقول: أن الصَّحَابَة كانوا عالمين ومع ذلك كانوا قائلين بضده.

لأن هؤلاء المتكلمين يقولون: أن الصَّحَابَة كانوا يقولون بالتفويض والتفويض هو الجهل، لِمَاذَا هذا الجهل؟ لأنه جاهل فلا يقولون: أنهم كانوا عالمين ومع ذلك كانوا يعتقدون خلافه! لا، هم يعتذرون عنهم بأنهم كانوا جهلة، لذلك الفقرة الثانية لم يطيل فيها شيخ الإِسْلَام.

يقول: "**وأما كونهم كانوا معتقدين فيه غير الحق أو قائليه، فهذا لا يعتقده مسلمٌ ولا عاقلٌ عرف حال القوم**"، أحال في هذا إلى حال القوم.

أما الأمر الأول ففصل فيه يقول: "**أما الأول فلأن من في قلبه أدنى حياةٍ وطلبٍ للعلم**"، هنا يصور شيخ الإِسْلَام يصور الصَّحَابَة وهم ذلك الجيل الذي اختارهم الله -عَزَّ وَجَلَّ- لصحبة نبيه هذا الجيل أمام أشرف الخلق، هذا الجيل أمام النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هم تلامذته وهو أستاذهم مجرد ما تتصور هذا التصور ينصرف ذهنك إلى أن هؤلاء الأفاضل سيأخذون من هذا الذي هو أفضل الخلق أشرف العلوم أليس كذلك؟!

فرصة لهم فرصة أمام النبي-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سيبدأ علمه من التوحيد سيتعلمون سيبدءون من التوحيد أليس كذلك؟ فرصة لهم، الذي يتصور أن الصَّحَابَة تعلموا كل شيء إلا التوحيد وهذا لا يقدر قدر الصَّحَابَة كما أنه لا يقدر قدر ذلك الأستاذ.

هب أنهم ما أرادوه ولكن ذلك الأستاذ سيرضى منهم هذا؟ سيرضى منهم عنده هدف هو رسول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء: 107] عنده هدف، إذًا هؤلاء يدرسون وهو أستاذهم فما الذي تتوقعه من هذا الجيل ومن أستاذهم؟!

يقول: **"فلأن من في قلبه أدنى حياةٍ وطلبٍ للعلم أو نهمةٍ في العبادة"**، النُهمة هي الحاجة والرغبة في الشيء: **"يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده"**.

نحن نتحدث عن من في قلبه أدنى طلب للعلم لا نتحدث عن الصَّحَابَة لأن من في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم أو نُهمة في العبادة: **"يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده وأعظم مطالبه، أعني: بيان ما ينبغي اعتقاده، لا معرفة كيفية الرب وصفاته، وليست النفوس الصحيحة إلى شيءٍ أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر"**.

أليس النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رسول الله محمدٌ رسول الله؟ أول ما سيسألهم من أرسلك ما هي صفاته ما هي أسماءه أليس كذلك؟ من هنا سيبدأ، الذي عنده أدنى طلب للعلم وعنده أدنى حياة فيكون هذا هو الشيء الذي يشغله.

يقول: **"وهذا أمر معلومٌ بالفطرة الوجدية"**، يقول شيخ الإِسْلَام: ما يحتاج أن أدلل لكم وأذكر لكم أدلة الفطرة التي يجدها كل واحدٍ منا في نفسه هي التي تقولها: معلومٌ بالفطرة الوجدية الفطرة التي يجدها كل واحدٍ منا من نفسه.

يقول: **"فكيف يتصور مع قيام هذا المقتضى الذي هو من أقوى المقتضيات أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم!"**، هذا الذي نتوقعه من أدنى الناس في علمه وفي حياته وفي طلبه هذا الذي نتوقعه منهم هل نتوقع أن هذا تخلف عن ذلك الجيل في مجموع عصورهم! كيف هذا أليس هذا تجني على الصَّحَابَة تصوروا هذا؟!

يقول: **"وهذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق، وأشدهم إعراضًا عن الله، وأعظمهم إكبابًا على طلب الدنيا، والغفلة عن ذكر الله، فكيف يقع من أولئك؟!"**، حتى هذا الذي أبلد

الخلق إذا كان أمام رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا يكاد يتصور منه أنه ينقضي عمره ولم يستفد من الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شيئًا يتعلق بالتوحيد هذا بعيد جدًا.

هذه الفقرة الأولى: أنهم كانوا غير عالمين به هذا بعيد جدًا لأنهم أمام النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فمن البعيد جدًا أن يكونوا تعلموا منه كل شيء إلا التوحيد أو لم يتعلموا منه شيء بعيد هذا.

يقول: **"وأما كونهم كانوا معتقدين فيه غير الحق مع علمهم به أو قائليه مع علمهم به، فهذا لا يعتقده مسلمٌ ولا عاقلٌ عرف حال القوم"**، طَبْعًا لم يطول هنا كما قلت وأطال حتى يوضح المنظومة.

وإلا هذه الأسئلة التي طرحها شيخ الإِسْلَام وهذا التدرج في بيان هذا ليصل في النهاية أن الخلل منكم وليس الخلل في الأدلة ولا في من أوصلها لنا إنما الخلل فيكم، هذا التدرج كله لبيان هذا الباب ولبيان أن هذا الباب واضح جدًا إلى الآن واضح جدًا لِمَاذَا؟!

لأن الكتاب والسنة موجودون الكتاب موجود والسنة موجودة، السنة نُقلت إلينا بحروفها ولا أقول: بكلماتها بحروفها تجد الأئمة يختلفون في الحرف قال: وو أو قال: أو ثم أو كذا يختلفون في هذا، السنة وصلت إلينا بحفظ مصادر العقيدة مصادر العقيدة محفوظة وواضحة وجلية.

نكتفي بهذا القدر وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الطالب: ...؟!

الشيخ: إي نعم بيان المعبود، والثاني: كيف تصل إليه، والثالث: ما للواصلين إليه من النعيم ولغير الواصلين إليه من العذاب، يَعْنِي ما الذي ينتظر الصنفين هناك نعم.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

للإمام الشيخ

شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني

- رحمه الله -

(المجلس الثالث)

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد محمدي النورستاني

- حفظه الله -

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين اللّهم اغفر لنا ولشيخنا آمين، قال شَيْخُ الإِسْلَام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:

(المتن)

ثم الكلام عنهم في هذا الباب أكثر من أن يمكن سطره في هذه الفتوى أو أضعافها، يعرف ذلك من طلبه وتتبعه.

(الشرح)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، نحمد ونصلي على رسوله الكريم أما بعد:-

لازال شَيْخُ الإِسْلَام -رَحِمَهُ الله- يتحدث عن الصَّحَابَة، وأن الصَّحَابَة -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهم- من إساءة الأدب في حقهم أن يظن أنهم لم يحققوا هذا الباب، وأنهم لم يتعلموا من النبي -صَلى اللهُ عليهِ وسَلم- ما يكفي لتحقيق هذا الباب.

يقول: "**ثم الكلام عنهم في هذا الباب**"، أي عن الصَّحَابَة في هذا الباب أي فيما يدل على إحكامهم لهذا الباب، وفيما يدل على كونهم أتقنوه على التمام والكمال، يقول: الحديث في هذا: "**أكثر من أن يمكن سطره في هذه الفتوى أو أضعافها**"، الحديث عن الصَّحَابَة لا تتحمله هذه الرسالة وأضعافها.

يقول: "**يعرف ذلك من طلبه وتتبعه**"، من الذي سيطلبه؟ من كان في قلبه تعظيم لأولئك الصَّحَابَة ولمكانتهم ولمكانة شيخهم وهو النبي -صَلى اللهُ عليهِ وسَلم-، فرأي الصَّحَابَة ورأي السلف الصالح يتتبعه ويتطلبه من كان على منهجهم، ومن كان عنده تعظيم لهم.

أما من لم يكن كذلك فسيحيدهم بمقولة جائرة ستأتي ويظن أنه حيدهم كلهم بهذه المقولة، ولا تهمه أقوال الصَّحَابَة أبدًا لأن ما ورد في القُرْآن وما ورد في السنة وما أكده الصَّحَابَة بالنسبة له جزءٌ من الإشكال لذلك يقول: "**يعرف ذلك من طلبه وتتبعه**" نعم.

(المتن)

ولا يجوز أيضًا أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما يقوله بعض الأغبياء ممن لم يقدر قدر السلف، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها من أن: «طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم».

فإن هؤلاء المبتدعة الذين يفضّلون طريقة الخلف على طريقة السلف إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقهٍ لذلك، بمنزلة الأميين الذين قال فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾[البقرة:78].

وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات.

فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر، وقد كذبوا على طريقة السلف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف.

وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص للشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين، فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنًى بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى وهي التي يسمونها طريقة السلف.

وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع تكلف وهي التي يسمونها طريقة الخلف فصار هذا الباطل مركبًا من فساد العقل والكفر بالسمع، فإن النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنوها بينات وهي شبهات، والسمع حرفوا فيه الكلام عن مواضعه.

فلما انبنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكفريتين كانت النتيجة: استجهال السابقين الأولين، واستبلاههم، واعتقاد أنهم كانوا قومًا أميين، بمنزلة الصالحين من العامة، لم يتبحروا في حقائق العلم بالله، ولم يتفطنوا لدقائق العلم الإلهي، وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله.

ثم هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة، بل في غاية الضلالة كيف يكون هؤلاء المتأخرون لاسيما والإشارة بالخلف إلى دربٍ من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم، وغلظ عن معرفة الله حجابهم، وأخبر الواقف على نهايات إقدامهم بما انتهى إليه من مرامهم حيث يقول:

لعمري لقد طفتُ المعاهدَ كلَّها	وسَيَّرتُ طَرْفي بين تلك المعالِمِ
فلم أرَ إلا واضعًا كفَّ حائرٍ	على ذقَنٍ أو قارعًا سِنَّ نادمِ

وأقروا على نفوسهم بما قالوه متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم؛ كقول بعض رؤسائهم:

نهاية إقدام العقول عقالُ	وأكثر سعي العالمين ضلالُ
وأرواحنا في وحشة من جسومنا	وغاية دنيانا أذى ووبالُ
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا	سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن. أقرأُ في الإثبات ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:5]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[فاطر:10]، وأقرأُ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:11]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[طه:110]، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي.

ويقول الآخر منهم: **«لقد خضت البحر الخضم، وتركت أهل الإسلام وعلومهم، وخضت في الذي نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمةٍ منه فالويل لفلان، وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي»**.

ويقول الآخر منهم: **«أكثر الناس شكًا عند الموت أصحاب الكلام»**.

ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف إذا حقق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر، ولم يقفوا من ذلك على عين ولا أثر، كيف يكون هؤلاء المحجوبون المنقوصون المسبوقون الحيارى المتهوكون: أعلم بالله وأسمائه وصفاته،

وأحكم في باب آياته وذاته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل، وأعلام الهدى ومصابيح الدجى، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء، فضلًا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم، وأحاطوا من حقائق المعارف، وبواطن الحقائق، بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة.

ثم كيف يكون خير قرون الأمة، أنقص في العلم والحكمة لاسيما العلم بالله وأحكام آياته وأسمائه من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم؟ أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان، وورثة المجوس والمشركين، وضلال اليهود والنصارى والصابئين وأشكالهم وأشباههم؛ أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان؟!.

(الشرح)

ثم يقول شَيْخُ الإِسْلَام -رَحِمَهُ الله- هنا وهو بصدد بيان أن الحق واضح وأنه واضحٌ في كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- وفي سنة نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وأن الصحابة -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَ- حققوا هذا الباب وتعلموه جيدًا ثم علموا من بعدهم، وأن القرون الفاضلة أَيْضًا على هذا النمط في الإحكام.

بعد ذلك لازلنا نرى أن كثيرًا من الناس يرى أنهم لم يحققوا هذا الباب، فشيخ الإِسْلَام هنا يطرح سؤالًا وهذا السؤال طَبْعًا طرحه غريب ولكن كما يقولون: **"مكرهٌ أخاك لا بطل"**؛ وإلا هذا السؤال المفروض ما يطرح.

قد يقول قائل: مع ما عليه الصَّحَابَة من الفضل والجد والاجتهاد وصحبتهم للنبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ومع ذلك كله قد يكون المتأخرين فاقوهم في تحقيق العلم والمعرفة وفي الوصول إلى حقائق العلم كما يقولون؟ قد يكونون فاقوهم هذا سؤال وارد وإلا أنا أقول على لسان حالهم: وإلا فمن أين جاءنا العلم والإحكام؟ هذا الذي فات السلف قد يكون.

شَيْخ الإِسْلَام هنا يقف وقفةً طويلة وعميقة جدًا مع هذا التساؤل، لأن هذا التساؤل يتجاهل أبسط المبادئ العامة بين لك حال الصَّحَابَة وحالهم مع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وما ورد في الكتاب والسنة، وما كان عليه من كانوا في القرون الفاضلة ومع ذلك تتساءل لم يتبين لك الحق إلى الآن؟ فهذا التساؤل يتجاهلكما قلت أبسط البدهيات.

يقال له: طيب من أخذوا الحق الذي فات السلف؟ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مع صحابته يكون منظومة هذا الحق الذي وصل المريسي من أين ذاك! كيف وصله ومن أين جاءه ما هي تلك المصادر التي كان الحق فيها ولم يطلع عليه السلف؟!

في هذه السلسلة أَيْضًا يقف شيخ الإِسْلَام مع هذه المقولة، هذا المقولة التي يعتبرها مقولةً كفرية ويذكر الأسباب التي تكفي لكونها كفرية وكاذبة: "**أن مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم**".

في هذه المقولة سيقارن شيخ الإِسْلَام أولًا سيحدد طرفي النزاع هذا مهم، الخلاف هن بين من ومن؟ هل كما يقول هؤلاء: السلف معهم حازوا على السلامة والخلف زادوا عليهم بتحديد المعاني وكان لهم نصيبهم من العلم والإحكام، وأن من يثبت الصفات وأن من على منهج الكتاب والسنة ليس في العير ولا في النفير؟!

لأن الخلف والسلف اتفقوا هنا الخلف هؤلاء قَالُوا: السلف معنا ومعهم السلامة، طيب أين الذين تسمونهم مشبهة؟ أين الذين تسمونهم مجسمة أين هم؟ أنتم والسلف كلكم ما شاء الله طيب أين هم؟ أين أولئك الذين ملئتم كتبكم في الرد عليهم؟!

فماذا يفعل شيخ الإِسْلَام هنا؟!

أولًا: يحدد طرفي النزاع ترى الحرب بينكم وبين السلف ولا تكذبوا على السلف، الحرب بينكم وبين السلف هذا أولًا.

ثانيًا: حالكم وحال السلف من منكم على الحق.

ثالثًا: مصادركم ومصادر السلف إذا نظرنا في هذه الأمور كلها سنعذر شيخ الإِسْلَام فيما قد يظن أنه احتد في هذه المقالة، لأنه سيقول سيصف هذه المقولة بأنها كفرية قد يظن

أنه احتد فيها أنت لما تنظر إلى هذه المعطيات كلها لني كون منك إلا الاستسلام لما يذكره شيخ الإِسْلَام.

فعلًا المقارنة بين الجهم بن صفوان وبين أبي بكر أعوذ بالله؛ ولاشك أن هناك فسادٌ في العقد ولا أقول: كفرٌ بالنقل كما قاله شيخ الإِسْلَام ولكن أقول: التنكر للنقل، وإلا لا يمكن أن تبسط هذا الموضوع بهذا مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم لا أبدًا ليست القضية هكذا.

أنا لم أطلع في كتب شيخ الإِسْلَام أنه وقف مع هذه المقولة بهذا التفصيل وبهذه الدقة، ولذلك أرجوا أن تكونوا معي في الشرح حتى أقل شيء نعذره وحتى أَيْضًا نفهم ماذا يقول؛ كما قلت: هذا تساؤل أن المتأخرين قد يكونوا وصلوا إلى ما لم يصل إليه.

يقول: "**ولا يجوز أيضًا أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما يقوله بعض الأغبياء**"؛ هذا المنطق الذي يستعمله شيخ الإِسْلَام هنا هذا نادر في كتب نادر جدًا في كتبه، لذلك هذه الرسالة ليس فيها إساءة أدب لأحد بل لو أن بدل شيخ الإِسْلَام أو واحد مثلي فعبارته ستكون من، فلازال شيخ الإِسْلَام متأدبًا وهادئًا معهم.

أحد العلماء كتب ردًا على ابن عربي أظن البقاعي وسمى كتابه "**تنبيه الغبي في تكفير ابن عربي**"، أظنه البقاعي أنا كنت أظن أن البقاعي -رَحِمَهُ الله- يستخف بقرائه الآن الذي يقرأك كتابك لا تصفه بالغبي تنبيه الغبي وأنا سأتنبه لكلامك وسأقرأ كلامك أليس كذلك؟ هذا فيه استفزاز لمن يقرأ كتابك أحسن من هذا أن لا نقرأ كتابك حتى لا نكون من الأغبياء.

وسبحان الله تبين لي أن الرجل يقصد شيء الذي يرى أن فرعون من أهل الجنة ويقارن بين فرعون وبين نبي الله موسى ويصل إلى نتيجة فيها تفضيلٌ لفرعون أنت إلى الآن لم تصل إلى هذه النتيجة فعلًا أنت غبي سبحان الله، فعبارات شيخ الإِسْلَام هنا ترى دقيقة وكما قلت: ليس فيها شتم وسب هذا هو وصف الحال.

يقول: "**كما يقوله بعض الأغبياء ممن لم يقدر قدر السلف**"، لِمَاذَا لم يقدر قدر السلف؟ لأنه لا يهتم ببضاعته، نحن لِمَاذَا نحب السلف؟ هم قدوتنا ومنهم أخذنا وإليهم نرجع في فهم الكتاب والسنة؛ أما الذي على خطٍ معارض للسلف كيف يقدره؟ عنده قال الحكيم فقال فلان وعنده هم سلفه.

يقول: "**بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها**"، يَعْنِي كما يقوله بعض الأغبياء مَاذَا يقولون؟ «**من أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم**».

المحقق هنا نبه مشكورًا إلى خطأٍ ورد في بعض النسخ المطبوعة وذكر في الهامش أن هذه الزيادة لم ترد في النسخ المخطوطة كلها، طَبْعًا هذه الزيادة وردت حتى في نسخة الفتاوى، يقول: العبارة هنا تقول: "**وإن كانت هذه العبارة إذا صدرت من بعض العُلَمَاء قد يَعْنِي بها معنىً صحيحًا**".

طَبْعًا هذا ذكروه في المتن كيف غبي وعالم؟ ما يصير العبارة ليست لشيخ الإِسْلَام؛ إِذًا هذه المقولة: «**مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم**»، ما هو مذهب السلف الذي حاز على السلامة وما هو مذهب الخلف الذي حاز على العلم والإحكام؟!

فلابد أن نعرفه: لأن مذهب السلف إذا قلت هكذا: مذهب السلف الجميع يريده، ولا أحد يريد مصادمة السلف هكذا في الظاهر، فلذلك في هذه المقولة هذه المقولة ترمي إلى شيءٍ مهم وهو تحييد أَهْلِ السُّنَّة وَالجَمَاعَة كما يقولون: من حلية الصراع ليسوا في العير ولا في النفير لأن السلف معنا.

طيب أنتم السلف معكم وكردٍ للاعتبار للسلف نقول: مذهب السلف أسلم تريد السلامة كن مع السلف ما هو مذهبهم؟ مذهبهم التفويض، طيب ما هو التفويض؟ الخطوة الأولى في التفويض أن ظواهر هذه النصوص غير مرادة هذه الخطوة الأولى، وهذه الخطوة يتفق عليها المؤولة والمفوضة وهذه هي الخطوة المهمة، وهذه الخطوة هي المنطلق وهي الأساس لما بعده.

طَبْعًا سيذكر شيخ الإِسْلَام أنهم كذبوا على السلف ليس هذا مذهب السلف، طَبْعًا بعضهم قَالُوا: أنه ليس هناك خلاف جوهري حقيقي بين مذهب وبين مذهب الخلف لِمَاذَا؟ لأن الجميع اتفقوا على أن الظاهر غير مراد، بعد ذلك السلف قَالُوا: الله أعلم والخلف قَالُوا: لا.

إذا نحن قلنا: الله أعلم هذه النصوص ظواهر التشبيه توقع الناس في الكفر، ولذلك لابد نحدد المعنى ونقول لهم: ترى المراد من الاستواء والاستيلاء وهذا التحديد فيه العلم والإحكام، لأنهم بهذا التحديد أنقذوا الناس من الكفر الذي يخشونه من النصوص ظواهر التشبيه ظواهر التشبيه.

وكما قال أحدهم وهو السنوسي: أن أصول الكفر ستة منها: الأخذ بظواهر الكتاب والسنة هكذا بهذه الصراحة أصول الكفر ستة.

يقول: ذكر هذا الذي أشرت إليه ذكره ابن جماعة: أنه ليس هناك بين السلف والخلف، ابن جماعة معاصر لشيخ الإِسْلَام وكتابه يبدوا أنه ألفه للرد على شيخ الإِسْلَام ما اسم كتابه؟ "**التعطيل**" يريد على المعطلة وما أدري من هم اسمه "**في قطع حجج أهل التعطيل**" نسيت الجزئية الأولى.

أَيْضًا ذكره القضاعي والبيجوري والكوثري والبوطي وغيرهم قَالُوا: ليس هناك خلاف حقيقي بين الخلف والسلف وإنما الخلاف مع التيميين، طيب الإِمَام أحمد وشيخه الإِمَام الشافعي وشيخه الإِمَام مالك أين تضعونهم أَيْضًا تيميين؟ السلف قاطبة والصحابة أين تضعونهم؟ تيميين.

طَبْعًا شيخ الإِسْلَام سيبين فساد هذه المقالة بالتفصيل؛ ولكن مما يدل على فساد هذه المقالة قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»، والحديث متفقٌ عليه من حديث ابن مسعود -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه- الخيرية هنا في ماذا؟ خيرية عامة وأهمها في الاعتقاد.

يقول: **"فإن هؤلاء المبتدعة الذين يفضّلون طريقة الخلف على طريقة السلف"**، طَبْعًا هم ما قَالُوا: نحن نفضل هم قَالُوا: طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم لِمَاذَا أسلم؟!

لأنهم بعد ما قَالُوا: أن الظواهر غير مرادة طيب ما هو المراد؟ الله أعلم، طيب لِمَاذَا طريقة السلف أعلم؟ لأنه لولا العلم والإحكام ما كان يمكنهم أن يحددوا المعنى المراد، طريقة السلف التي هي التفويض موقفهم من التفويض متأرجح وموقفهم من التفويض قصته طويلة.

يبدوا أن شيخ الإِسْلَام سيتطرق إلى هذا الموضوع فنبين هناك أن موقف المتكلمين من التفويض اختلف باختلاف الأعصار والأمصار؛ ولكن المتأخرين من بعد الرازي أو من بعد الشهرستاني بدءوا يقولون: أن طريقة السلف التفويض وطريقة الخلف التأويل ولك أن تسلك أي طريقٍ منهما.

يقول: الذين يفضلون طَبْعًا التفضيل واضح من عنده العلم والإحكام أليس هذا هو المفضل؟ من عنده العلم والإحكام نتيجته ماذا ستكون؟ السلامة إِذًا هم لم يعطوا شيء للسلف، وفعلًا إذا كانت السلامة مع السلف فلأجل العلم والإحكام، المقولة هذه متناقضة متضاربة.

يقول: **"إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقهٍ لذلك بمنزلة الأميين الذين قال فيهم"**، ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾[البقرة:78].

إِذًا طريقتهم التفويض في المعنى وليس التفويض في الكيف، التفويض في الكيف مذهب السلف أَيْضًا ولكن التفويض في المعنى معناه: أن هذه النصوص غير مفهومة، طيب ما يتبادر منها غير مقصودة ما يتبادر مها ظواهرها غير مقصودة ما هو المقصود؟ الله أعلم.

يقول: "**وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها**"، كيف تستخرجها؟ يقول: "**بأنواع المجازات وغرائب اللغات**"، شيخ الإِسْلَام هنا يشير إشارةً مختصرة جدًا إلى منهجهم.

إذا رأيت كيف أنهم يؤولون وكيف أنهم يسومون النصوص تحريفًا وتأويلًا والله ترى العجب، هذا مجازٌ عن كذا وهذا مجازٌ عن كذا وهذا مراده كذا وكذا شيء غرائب اللغات، هذا ما تعرفه إلا إذا قرأت الأول أنا لا أشجعكم على قراءة كتبِهم كتبُهم السُم؛ ولكن شيخ الإِسْلَام يشير إلى واقع وغرائب اللغات.

إِذًا طريقة السلف التفويض والتفويض المراد به هنا المراد من التفويض هنا: أن هذه الألفاظ لا تدل على شيء، وأن ما تدل عليه وأن ما يظهر منها غير مراد ما هو المراد؟ الله أعلم.

وطريقة السلف الظاهر غير مراد هنا مع الخلف، السلف مع الخلف هنا والعكس الظاهر غير مراد طيب ما هو المراد؟ المراد منها كذا وكذا لِمَاذَا؟ لأن عندهم مزيد العلم والإحكام وهذا العلم والإحكام ألجأتهم إليه الظروف لأنه قَالُوا طَبْعًا ذكروا: لو لم نحدد المعاني لاغتر الناس بهذه الظواهر ووقعوا في التشبيه والتشبيه كفر.

يقول: "**فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر**"، الإِسْلَام من أين تأخذه؟ من هذه النصوص وهذه النصوص ألفاظ تدل على معاني وأنت أفرغتها من معانيها من أين تأخذ الإِسْلَام؟ أنت أفرغتها من معانيها نبذ الإِسْلَام وراء الظهر مضمونها هذه المقالة تؤدي إلى هذا.

طيب الآن بدأ يحلل المقولة يقول: "**وقد كذبوا على طريقة السلف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف**"، طريقة السلف أسلم ما هي طريقة السلف؟ التفويض يقول شيخ الإِسْلَام: وقد كذبوا لم يقول: وقد أخطئوا لاشك أنهم أخطئوا ولكن درجة الخطأ كذب.

من ينسب إلى السلف وعلى رأسهم الصَّحَابَة والتابعون وأئمة التابعين وأئمة السلف الذين ينسب إليهم أنهم كانوا مفوضة هذا يكذب على السلف، وفي ظاهره متأدبٌ معهم: طريقة السلف أسلم كأنه يحترمهم.

يقول: **"وقد كذبوا على طريقة السلف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف"**، كيف صوب طريقة الخلف؟ لأنه جهل وكذب على السلف لو عرف طريقة السلف لم يتعداها كانت طريقة السلف تسعه، كذب عليهم وأخطأ وضل في تصويب طريقة الخلف، فطريقة الخلف الظواهر غير مراده والمراد منها كيت وكيت.

الاستواء المراد به العلو والارتفاع! قَالُوا: لا ليس هذا هو المراد المرادُ به الاستيلاء هكذا، يقول:**"فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف"**.

يقول: **"وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفةٌ دلت عليها هذه النصوص"**، طَبْعًا هذه الجملة تنطبق على الاثنين ليس في نفس الأمر صفةٌ دلت عليها هذه النصوص.

الآن كمثال نقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه: 5]، كلتا الطائفتين يعتقدون أن هذا النص لا يدل على العلو والارتفاع، ليست هناك صفة صفةْ العلو ثابتة من النصوص حتى هذا النص لا يدل على هذه الصفة.

اتفق عليه الفريقان وأن هذه الصفة لا تدل عليها النصوص، طَبْعًا الخطوة الأولى تميع الخلاف بين الفريقين المفوض لو كان منسجمًا مع نفسه لو كان مفوضًا صحيحًا لاحترمناه لو قال من البدع: الله أعلم، قلنا: هذا جاهل وعذره معه أليس كذلك؟ عذره معه لِمَاذَا تناقشه؟ هو يقول: الله أعلم ولكن توافق المعطلة في التعطيل ثم تقول: الله أعلم؟!

يقول: **"ليس في نفس الأمر صفةٌ دلت عليها هذه النصوص"** لِمَاذَا؟ يقول: **"للشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين"**، طَبْعًا هذا سيشرحه شيخ الإِسْلَام لأن

الشبه التي سنستعرض بعضها هذه الشبه كلها من الكفار سنستعرض بعضها وسيشير إليها شيخ الإِسْلَام هذه الشبه من الكفار.

أنت لما تسأل المفوض وتقول له يا أخي: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه: 5]، واضح لِمَاذَا تقول: أن الظاهر غير مراد ثم ترفع لافتة لِمَاذَا؟ عنده شبه تمنعه من القول بالظاهر وإلا لِمَاذَا صار مفوضًا؟ هذه الشبه هي التي تحكمت فيه.

المؤول لما تسأله يا أخي الله -عَزَّ وَجَلَّ- يثبت العلو والارتفاع الاستواء وأنت تقول: الاستيلاء ما الذي أوصلك إلى هناك؟ هناك شبه لعبت به وهذه الشبه التي تمنعه من الإيمان بما ورد في الكتاب والسنة هل تتوقع أن هذه الشبه تكون من الكتاب والسنة من السلف؟ مستحيل لأن هذه الشبه تتصادم مع النصوص.

ولذلك من أين أخذها من أين جاءته؟ يقول: **"شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين"**، طَبْعًا بعض العبارات أَحْيَانًا لا تفهم جيدًا فبعض الناس يقول: شيخ الإِسْلَام يكفر فلانًا ويكفر علانًا ويضيف إشكال لابد أن نفهم ما يقوله شيخ الإِسْلَام؛ هذه الشبه مصادرها ليست إسلامية وسنشير إليه إلى بعضها لما يشير إليها شيخ الإِسْلَام وسنذكر بالأمثلة وخاصةً مقالة التعطيل.

طَبْعًا مقالة التفويض جزء من مقالة التعطيل، التفويض تعطيل المفوض هذا معطل لأنه قبل أن يقول: الله أعلم عطل النص وقال: هذا النص لا يدل على شيء، المفوض والمؤول كلاهما من المعطلة.

يقول: **"فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى"**، الذي ينظر في النصوص ولم يتعلم على أرسطو لم يتعلم عنده لم يدرس عنده هذا سيتوقع أن هذه النصوص تدل على معنى، وهذه النصوص كما يقولون: سيغتر بها هم يقولون هذه عبارة الآمدي: "وإن وقع الاغترار بها".

قَالُوا: حتى نقطع الطريق على النصوص وعلى المشبه وعلى التشبيه يقول: "**بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى وهي التي يسمونها طريقة السلف، وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع تكلف وهي التي يسمونها طريقة الخلف**".

يَعْنِي هذه النصوص هي ألفاظ وهذه الألفاظ تدل على معاني والمعاني واضحة وهم يريدون أن يعطلوا هذه المعاني فما هي الطريقة؟ طريقة التعطيل إما أن تقول: الظواهر غير مرادة والواجب هو التفويض، وإما أن تقول: الظواهر غير مرادة والمراد منها كيت وكيت، الأول نسبوه إلى السلف والثاني الذي فيه العلم والإحكام نسبوه إلى أنفسهم.

يقول: "**فصار هذا الباطل مركبًا من فساد العقل والكفر بالسمع**"، الكفر بالسمع هنا هو التنكر للسمع عدم الأخذ به لأن لما تؤمن بالسمع أصلًا لا تقع في هذه الإشكالات ليس هناك إشكال، الله -عَزَّ وَجَلَّ- أعلم بنفسه أليس كذلك؟ هو يسمي نفسه بأسماء ويصفه بصفات وهذه الصفة لن تكون إلا لائقةً بكماله وجلاله أثبتها وانتهينا ما هو الإشكال في هذا؟ فلاشك أن هناك تنكر للسمع.

يقول: "**مركبًا من فساد العقل والكفر بالسمع**"، فساد العقل كيف؟ شرحه شيخ الإِسْلَام بنفسه يقول: "**فإن النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنوها بينات وهي شبهات**"، وهذا فساد العقل.

الشبهات لِمَاذَا نسميها شبهات؟ لأن تشبه الدليل الشبهة لما تكون قوية فعلًا توقع الناس في الخلط في اللبس، أما هنا هي شبهات وهذه الشبهات في الحقيقة لا يَنبغْي أن تسمى حتى شبهات لأنه ليس فيها شيء يشبه الدليل.

الدليل هو الذي يوصلك إلى المطلوب يدلك إلى المطلوب، هذا الذي جاءك من أرسطو ليس فيه شيء يدل، أنت الآن هناك تريد تتعلم وتصل إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- تريد تتعبده وأمامك شيخ تعرفه بعلمه وشخص آخر بنفسه يقول: أنا درست على ابن سينا أي عقلٍ يؤديك إلى هذا؟ أليس فيه فساد العقل؟!

فيقول شيخ الإِسْلَام هنا: "**هذا الباطل مركب من فساد العقل**" وهم يقولون: العقل العقل العقل هذا حالهم.

والكفر بالسمع أما السمع فحرفوا فيه الكلام عن مواضعه، وهم يصرحون أن ظواهر التشبيه كثيرة وأنها كلها تدل على التشبيه هم يصرحون بهذا، طَبْعًا هناك الآن توجه لبعض المعاصرين من الأشاعرة الذين امتطوا الكذب سبحان الله ترى من الصعب أن تصف فلانًا بالكذب، ولكن لما تجد القرائن والأدلة كلها تدل على كذبه تصفه بالكذب.

هذا المتطفل يقول: أن النصوص هي التي تدل على التعطيل، إِذًا أولًا: أنت تصالح مع مدرستك إما أنت على الضلال وإما أئمتك الذين تتابعوا جيلًا بعد جيل على وصف هذه النصوص أنها ظواهر التشبيه وأنها تؤدي إلى التشبيه، وأحد أئمتك وصفها بأنها تؤدي إلى الكفر تصالح مع مدرستك وكن جريئًا معها قبل أن تدس أنفك في هذا، هم صريحين صرحاء في كون هذه النصوص تخالفهم وأنها تدل على التشبيه.

يقول: "**فلما انبنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكفريتين**"، وفي بعض النسخ: الكاذبتين؛ يقول: "**فلما انبنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكفريتين الكاذبتين كانت النتيجة: استجهال السابقين الأولين**".

يَعْنِي وصفهم بالجهل النتيجة ما دام أن السلف مفوضة والتفويض الذي تفسره بأن الظاهر غير مراد والمراد لا أعلمه! إِذًا النتيجة أن السابقين الأولين هم جُهال واستبلاههم، البله الأبله هو الذي لا عقل له نفس النتجية وصفهم بأنهم مجانين.

يقول: "**واعتقاد أنهم كانوا قومًا أميين**"، هذا في أحسن الأحوال إذا أردت أن تتأدب معهم يقولون: هم كانوا قومًا أميين، طَبْعًا هو هذا المعنى يدندنون حوله بأساليب كثيرة منها: أنهم لم يجدوا فرصة كانوا مشغولين بالجهاد ولم يجدوا فرصة لتمحيص الأدلة والنتيجة واحدة يَعْنِي أن هذا العلم أُدخر لكم هذا العلم والإحكام أُدخر لكم.

يقول: " **واعتقاد أنهم كانوا قومًا أميين بمنزلة الصالحين من العامة، لم يتبحروا في حقائق العلم بالله، ولم يتفطنوا لدقائق العلم الإلهي، وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله**".

طَبْعًا هذه الحقائق التي توصلوا إليها كل من خرج عن طريقة السلف يصف نفسه فيما خرج بالتحقيق، انتبهوا لهذا كل من خرج عن طريقة السلف يصف نفسه فيما خرج بالتحقيق والمعرفة، أقرب الناس إلى أَهْلِ السُّنَّة هم الأشاعرة يصفون فيما خالفوا فيه السلف يصفون أنفسهم بأنهم توصلوا إلى الحقائق.

اذهب إلى المعتزلة يصفون طَبْعًا الأشاعرة يصفوننا بأننا أهل الظاهر لأننا ما وصلنا إلى هذا، طيب المعتزلة يصفون الأشاعرة بأنهم أهل الظاهر وأنهم هم أهل الحقائق، الجهمية يصفون المعتزلة بأنهم أهل الظاهر وأنهم هم أهل الحقائق، القرامطة أصلًا هم القرامطة احتكروا العلم والإحكام أصلًا هم لا يعترفون لغيرهم بشيءٍ من العلم فضلًا عن المعرفة والتحقيق.

كما تعرفون بالنسبة للمجاز هذا مذهب المتكلمين عمومًا أليس كذلك؟ هناك مذهب أن القول بالمجاز هذا بضاعة أهل الظاهر، طَبْعًا هذا المذهب ذهب إليه الزمخشري الزمخشري يرى: أن القول بالمجاز هذا يذهب إليه يقول هو: "**من ليس في العير والنفير في العلم**"، هو يقول هذا في "**الكشاف**".

وذكر عن أصحابه أنهم هم أهل الظاهر من المفسرين، هذا كله يدلنا على أن هذا التحقيق الذي جاءهم من تلك المصادر يؤدي إلى وأن كل من خرج عن السنة اعتبر خروجه واعتبر بدعته وخرافته تحقيقًا.

ولما تقرأ للقرامطة عندي كتاب لأحد القرامطة السجستاني هو من القرن الرابع يَعْنِي يصف الجهمية، طَبْعًا نحن عنده كما يقول أحدهم: "**الحنابلة ليسوا من زُمرة العقلاء**"، يقصد أَهْلِ السُّنَّة.

الجهمية والمعتزلة يصفهم مع أنهم على شيءٍ من العلم والمعرفة أليس كذلك؟ ومع ذلك يصفهم بأوصاف مما يدل على أن هذه السلسلة كما يقول شيخ الإِسْلَام: (مقدمات كفرية فعلًا).

أما من اغتر به ولا أقول: اغتر بالنصوص أما من اغتر بها فحاله يشفع له، وكما يقول ابن القيم: "**الجهل أَحْيَانًا ينجي من الكفران**" يقول: "**الجهل أَحْيَانًا ينجي من الكفران في النونية**"؛ المقدمات هذه مؤداها إلى كلما اقترب منهم أحدهم كلما اقترب إلى التعطيل المحض وصف نفسه بالتحقيق.

يقول: "**لم يتبحروا في حقائق العلم بالله، ولم يتفطنوا لدقائق العلم الإلهي، وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله**"، هنا تبدأ المقارنة الآن والمقارنة كما قلت: في ثلاثة أشياء يقارن شيخ الإِسْلَام بين الفريقين أولًا يحدد تحديد الفريقين، المقارنة هنا الخلاف هنا بين من ومن؟!

ثانيًا: تحديد حال الفريقين الصَّحَابَة على مَاذَا ومخالفوهم على مَاذَا؟!

ثالثًا: المقارنة بين مصادر الفريقين.

يقول: "**ثم هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة بل في غاية الضلالة؛ كيف يكون هؤلاء المتأخرون لاسيما والإشارة بالخلف إلى دربٍ من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم**"، طَبْعًا شيخ الإِسْلَام هنا يشير ويمشي إذا أردت أن تعرف اضطرابهم اذهب إلى الرازي فقط يكفيك.

هناك كتاب ألفه الدكتور/ محمد صالح الرزقان وهو أشعري، هذا الكتاب طُبع قديمًا يَعْنِي في السبعينات "آراء الرازي الكلامية والفلسفية"، والرجل دقيق في العرض طَبْعًا يستعرض آراء الرازي أولًا في كتبه المتقدمة ثم في كتبه المتوسطة ثم في كتبه المتأخرة، وهذا عبءٌ ترى ثقيل الذي يقرأ في كتب الرازي يعرف.

كنت أكتب في مسألة وذكرت فيها شبه الرازي وذكرت الرد على هذه الشبه وكذا، فلما جئت طَبْعًا أولًا القائلون بهذا وعلى رأسهم الرازي جئت إلى الرد على هذه الشبه، وجدت أن أول من يرد على هذه المقالة هو الرازي.

سبحان الله هناك لأجل هذه الشبهة كفر بعض الناس، وهنا يقول: من قال لكم؟ تستغرب أَحْيَانًا تشك في نسبة هذا الكتاب أو هذا الكتاب إليه، نعم الآن نحن ضعنا ي عقلك عقلُك هنا ولا هناك؟ أو يقول النظام في الطُفرة "**طُفْرة النظام**" يقول: "**بإمكان الشيء أن يمر من هنا إلى هنا دون أن يمر على هنا فعقلك أين هنا أو هنا؟**".

يقول: "**الذي كثر في باب الدين اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله حجابهم**"، حجابهم والله كثيف ما إن اخترقوا بعض إلا وقعوا في بعض الشبه حجابهم كثيف فعلًا ثقيل.

يقول: " **وأخبر الواقف على نهايات إقدامهم بما انتهى إليه من مرامهم حيث يقول**"، هنا شيخ الإِسْلَام -رَحِمَهُ الله- يذكر بعض ما ذكره أولئك حتى نتبين من أقوالهم أنهم ليسوا من أهل العلم وليسوا من أهل المعرفة والتحقيق باعترافهم هم.

يقول أحدهم:

لعمــري لقــد طفــتُ المعاهــدَ كلَّهــا ... وسَــيَّرتُ طَــرْفي بــين تلــك المعــالِمِ
فلــم أرَ إلا واضــعًا كــفَّ حــائرٍ ... عــلى ذقَــنٍ أو قارعًــا سِــنَّ نــادمِ

انظر كيف تعب هذا لقد طفت المعاهد كلها مما يدل على أن الرجل فعلًا تعب أليس كذلك؟ هكذا على ذقنٍ هذا حاله حالهُ طَبْعًا عارضه الأمير الصنعاني -رَحِمَهُ الله- بقوله:

لعلــك أهملــت الطــواف بمعهــدٍ ... لخــير الهــداة المرســلين الأكــارم
وطوفــت في أميــاءٍ بــادٍ ضــلالها ... بناهــا ذوي الإشراك مــن كــل ظــالم

أنت لم تذهب إلى تلك المعاهد:

فلاســـفةٌ لا يعرفـــون إلههـــم ... ومعبــودهم فأعجــب لهــذه العظــائم
فلــو كنــت أكثــرت الطــواف بمعهــد ... الرســول ومــن لاقــاه مــن كــل عــالمٍ
لمــا كنــت حيرانًــا كمــن تبــع الخطــى ... مــع الجهــل بالتنزيــل مثــل البهــائم
فــما ضــل مــن يمشيــ عــلى إثــر أحمــدَّ ... ولســت تــراه قارعًــا ســنْ العــدم

هذا الأمير الصنعاني نقل هذه الأبيات أنا أخذتها من الدكتور/محمد رشاد سالم -رَحِمَهُ اللهُ-، لا نقلها في تحقيقه "**لمنهاج السنة**" -رَحِمَهُ اللهُ-.

وأقروا على نفوسهم يهمنا هنا أن هذا الرجل فعلًا يَعْنِي كما يقول:

لعمري لقد طفتُ المعاهدَ كلَّها وسَيَّرتُ طَرْفي بين تلك المعالِمِ

يقول هنا: "**وأقروا على نفوسهم بما قالوه**"، طَبْعًا ما قَالُوه قد يكون قول غيرهم وقد يكون قوله هو لذلك يقول شيخ الإِسْلَام: "**متمثلين به**" قد يكون القول لغيره: "**أو منشئين له**" أو قد يكون القول له: "**فيما صنفوه من كتبهم كقول بعض رؤسائهم**"، نستمر -إِنْ شَاءَ اللهُ- بعد الأذان.

يقول شيخ الإِسْلَام:

"**وأقروا على نفوسهم بما قالوه متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم كقول بعض رؤسائهم**"، طَبْعًا هذا القيد هذا التنويع من باب الاحتياط هل هذا القول له أو القول لغيره وهو يتمثل به؟ المهم هو الذي كتبه في كتابه.

طَبْعًا هذا الذي نقله شيخ الإِسْلَام نقله الشهرستاني في بداية كتابه الذي ألفه في علم الكلام "**نهاية الإقدام أو نهاية الأقدام**" وذكر فيه هذا البيت؛ أَيْضًا ذكره الرازي في كتابه الذي ألفه في أواخر حياته وهو "**كتاب اللذات**".

طَبْعًا الشهرستاني ذكر هذا في بداية كتابه، وعادةً من يؤلف يَعْنِي يكون مطمئنًا لما يُقدم عليه ويكون فيه شيء من هذا، فالذي يبدأ كتابه بهذه الحيرة ما الذي تتوقع منه؟!

يقول:

نهاية إقدام العقول عقالُ وأكثر سعي العالمين ضلالُ

إما إقدام أو أقدام نهاية أقدام العقول هو العقال أي أنها تصل إلى بابٍ مسدود، وأكثر سعي العالمين ضلالُ إذا كان سعيك في تأليف هذا الكتاب كما تصفه هنا:

وأرواحنا في وحشةٍ من جسومنا وغايةً دنيانا أذىً ووبالُ

هذا يقوله إمام من أئمتهم الشهرستاني والرازي، أما من يقرأ كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- ويتمثل به ويقرأ أَحَادِيْث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيستحيل أن يكون مثل هذا.

وأرواحنا في وحشةٍ من جسومنا وغاية دنيانا أذىً ووبالُ

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

ثم يقول هذا من هنا كلام الرازي: "**لقد تأملت الطرق الكلامية**"، طَبْعًا هذا نقله أَيْضًا تلميذه ابن أبي أصيبعة في كتابه "**تاريخ الأطباء**" هو تلميذه نقل هذه الوصية مما يدل على أن هذا كلام الرازي وها ذاك نقله وهو ليسمن أتباع مذهب السلف هو تلميذ الرازي.

وأَيْضًا الرازي ذكره في كتابه الذي هو "**أقسام اللذات**" والكتاب مطبوع في أمريكا من زمان وأنا كنت أظن أنه مفقود، فأحد الإخوة أطلعني على الكتاب وأنه مطبوع هناك في أمريكا من زمان.

يقول: "**لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية**"، إذا أردت أن تتأمل في هذه الطرق مثل الرازي فأنت تحتاج إلى عمرٍ آخر ويكفيك في تأمله المفروض تعتبر هذا الذي نقوله للأشاعرة: المفروض تستفيدون من هذا.

يقول: "**فما رأيتها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن**"، وطريقة القُرْآن فيها إثبات ونفي أقرأُ في الإثبات: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:5]، انظر المثال ذكر المثال الذي يعتبر المحك بين السلف والخلف.

إذا أردت أن تعرف أن هذا من السلف أو الخلف أول ما تنظر فيه إذا كان مفسرًا أو كذا اذهب إلى هذه الآية: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:5]، فتمثيله ترى دقيق واختيار يعبر عما يعانيه هو في نفسه، طول عمره يكتب حول هذه الآية وأن المراد بها الاستيلاء وأن كذا وأن كذا؛ ملأ كتبه بتأويل هذه الآية والآن يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:5].

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[فاطر:10]، كلتا الآيتين في إثبات العلو وهذه الصفة من أبرز الصفات التي ينفيها المعطلة، شيخ الإِسْلَام لما ألف كتابه "**درأ تعارض العقل والنقل**" والكتاب كما تعرفون مطبوع في عشر مجلدات مع الفهرس.

رد عليهم من أربعة وأربعين وجهًا الذين يقدمون العقل على النقل رد عليهم من أربعة وأربعين وجهًا، وفي النهاية تقريبًا مجلد ونصف طبق فيه ما ذكره هو فاختار صفة العلو لأن الخلاف في هذه الصفة كما تعرفون فانظر اختيار الرازي هنا ذكر آيتين فيها إثبات العلو بل فيها إثبات الصفات الفعلية.

يقول: وأقرأُ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:11]، ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[طه:110]، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي، الواحد لما يجرب و يتعب في هذه التجربة يكون تعبيره دقيقًا جدًا أليس كذلك ما هو مثل الذي يسمع ثم يقول: ومن جرب مثل تجربتي ما هذه التجربة التي جربت؟!

الرازي ألف عشرات الكتب في هذه الطريقة وكتبه لازالت "**المطالب العالية في العلم الإلهي**" مطبوع؛ "**نهاية العقول في دراية الأصول**" مطبوع؛ "**الأربعين**" مطبوع؛ "**الخمسين**" مطبوع؛ "**ملخص آراء الحكماء**" مطبوع؛ هذه التجربة التي خاضها الرازي.

يقول: ويقول الآخر منهم وهذا الآخر هو الجويني، الجويني إمام المتكلمين في وقته بل هو يمثل المدرسة الأشعرية الاعتزالية هو يمثل المرحلة الثانية من مراحل الأشاعرة، والرازي يمثل المرحلة الأخيرة من مراحل الأشعرية.

يقول: "**لقد خضت البحر الخضم**"، الخضم هو البحر الواسع الذي يخوض البحر ولو لم يكن خضمًا وليست عنده أدوات النجاة ما الذي تتوقع منه؟ يخبر عن حاله؛ يقول: "**وتركت أهل الإسلام وعلومهم**"، طَبْعًا هذا الكلام لو قَال شيخ الإِسْلَام ستقولون: ها.

هذا الجويني في كتابٍ مطبوعٍ له يقول: "**وخضت في الذي نهوني عنه**"، عفوًا هذا ليس في الكتاب المطبوع له الكتاب المطبوع له "**العقيدة النظامية**" فيها رد على المتكلمين ورد موسع ولكن لا أذكر أن فيه هذا.

يقول: "**وخضت في الذي نهوني عنه والآن إن لم يتداركني ربي برحمةٍ منه فالويل للجويني، وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي**"، هذا مذهب هذا قول الجويني.

ويقول الآخر منهم وهو تلميذ الجويني وهو الغزالي، الغزالي توفي سنة خمسمائة وخمسة والجويني توفي سنة أربعمائة وأظن ثمانية وسبعين أو أربعة وسبعين، يقول: "**أكثر الناس شكًا عند الموت أصحاب الكلام**" هذا يقوله الغزالي.

ويقول الغزالي أَيْضًا يقول: "**عقيدة المتكلم كالخيط المرسل في الهواء**"، الخيط المرسل ما هو أسمنت ولا هو حديد الخيط المرسل في الهواء هذا يقوله وهؤلاء أئمتهم هذه أقوالهم وفي هذه الأقوال بيان حالهم منهم هم يصفون حالهم.

الآن شيخ الإِسْلَام في الحديث عن المتكلمين-وإِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى- نكمل بعد الصلاة؛ وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

للإمام الشيخ

شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني

- رحمه الله -

(المجلس الرابع)

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد محمدي النورستاني

- حفظه الله -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمده ونصلي على رسوله الكريم أما بعد:-

لازال شيخ الإِسْلَام -رَحِمَهُ الله- في المقارنة بين طرفي النزاع هنا، ويبين أن طرفي النزاع هم السلف وعلى رأسهم الصَّحَابَة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَ- السابقون الأولون، وبين أتباع المتفلسفة وأفراخهم على تعبير شيخ الإِسْلَام.

أَيْضًا لا ننسى ما بدأه شيخ الإِسْلَام بعد التساؤل الذي طرحناه: هل يمكن أن يكون العلم بحقائق هذا الباب قد أُدخر للمتأخرين؟ لا زال أَيْضًا يوضح هذا السؤال.

يقول: "**ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف إذا حُقق عليهم الأمر**"، طَيب في نسخ غير هذه نسخة من ! كيف هنا إذا حُقق عليهم فيه نسخة أخرى؟ انظر إذا حُقق عليهم أو معهم؟!

الطالب: عليهم نسخة الغامدي.

الشيخ: إذا حُقق عليهم الأمر أنت الآن هنا مع من يدعي أن العلم والإحكام معه فلابد أن تجلس معه وتنظر ما الذي عنده تحقق، يقول شيخ الإِسْلَام لما تقوم بهذا: "**لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله**"، نحن هنا في العلم بالله -عَزَّ وَجَلَّ-.

يقول: "**لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبرٌ**"، كأن القوم لم يسمعوا بهذا الباب أصلًا ليس عندهم من حقيقة العلم وخالص المعرفة به خبرٌ، لو كان عندهم شيءٌ من هذا لم يتنكروا له بهذا الشكل؛ يقول: "**ولم يقفوا من ذلك على عينٍ ولا أثر**"، هذه حقيقتهم.

كيف يكون هؤلاء؟ هنا شيخ الإِسْلَام يوضح طرفي الموازنة كما قلت، أَيْضًا يبين أنه يستحيل أن يكون هؤلاء الخلف أعلم من السلف يستحيل، ركزوا مع وصف شيخ الإِسْلَام هنا يقول: "**كيف يكون هؤلاء المحجوبون المنقوصون المسبوقون الحيارى المتهوكون؟**"، ترى هذا ليس من باب السب والشتم هذا من باب بيان العالم.

المحجوبون لِمَاذَا؟ بينهم وبين النصوص التي تبين هذا الباب حجابٌ كثيف كما قلنا، المنقوصون لأنهم لم يكملوا أنفسهم بعلم الكتاب والسنة، إذا أردنا أن نحسن الحديث فيهم ونتأدب معهم نقول: منقوصون وإلا هو معدومون.

المسبوقون هم مسبوقون لاشك أن من اعتمد على الكتاب والسنة سبقهم في العلم والإحكام، الحيارى المتهوكون بمعنى واحد هذا تأكيد، التهوك هو الوقوع في كل شيء وهذا لا يكون إلا من الحيرة.

هؤلاء الحيارى المتهوكون كيف يكونون: **"أعلم بالله وأسمائه وصفاته، وأحكم في باب آياته وذاته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار؟"**، ألا تلاحظون أن شيخ الإِسْلَام هنا يبين طرفي المقارنة والموازنة ترى هنا ي جانب هؤلاء وفي جانب السابقون الأولون.

يقول: **"من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل، وأعلام الهدى ومصابيح الدجى، الذين بهم قام الكتاب"** كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- من الذي اهتم به؟!

هؤلاء بهم قام الكتاب وبه قاموا هذا الذي يشغلهم قال الله قال رسول الله، صلتهم بالكتاب وصلة الكتاب بهم وثيقة هذه بضاعتهم، بهم قام الكتاب لولاهم لاختفى علم الكتاب والسنة وبه قاموا هذه بضاعتهم.

يقول: **"وبهم نطق الكتاب"** الكتاب لما يحكي لنا عن المهتدين وعن المتقين وعن كذا هم هؤلاء؛ وليست الإشارة إلى المريسي وشيوخه وفروعه لا؛ يقول: **"وبه نطقوا"**، إذا أرادوا أن يستدلوا على شيء الكتاب والسنة وبه نطقوا.

يقول: **"وبه نطقوا الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء"**، العلم والحكمة من أين تأتي؟ من الكتاب والسنة: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ﴾[سبأ: 6]، هذه علامة أهل العلم علامة أهل العلم العلمُ الصحيح أن يصدق بكل ما جاء في الكتاب والسنة.

أما من ليس عنده كلها دعاوى عنده هذا يعارض العقل وهذا يعارض العقل هو سبحان الله نزاعه دائمًا مع النصوص، يَعْنِي شيخ الإِسْلَام هنا يبين صلة أهل العلم بالكتاب والسنة وأن هذا العلم بهم انتشر بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا.

يقول: "**الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء فضلًا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم**"، طَبْعًا شيخ الإِسْلَام هنا يعرض بالمخالفين كلهم وخاصةً بابن سينا الذي وصف الصَّحَابَة بوصفٍ غريب في كتابه "**الأضحوية**".

لا نطيل بذكره نقول: يقول: "**فضلًا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم**"، له كلامٌ طويل سيء جدًا في الصَّحَابَة وتعقبه شيخ الإِسْلَام نقل كلامه كله وبين ما في كلامه من الجهل وأنك أنت وأصحابك حالهم كيت وكيت ذكر هذا في "**الدرأ**".

يقول: "**وأحاطوا من حقائق المعارف**"، هذه هي المعرفة الصحيحة وهذه هي حقائقها؛ يقول: "**وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق، بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة**"؛ أنت الآن تقابل هنا بين ابن سينا والفارابي وبين الصَّحَابَة، يقول: "**لاستحيا من يطلب المقابلة**".

في هذه الفقرة بين شيخ الإِسْلَام أمرين:

- تحديد طرفي النزاع كما قلت وهذا يركز عليه شيخ الإِسْلَام أن النزاع هنا بين السابقين الأولين بين الصَّحَابَة وأتباعهم وبين أفراخ المتفلسفة هذا أول شيء، حتى لا تظن أن الخلف والسلف في وادٍ لا.
- الشيء الآخر: حال هؤلاء وحال هؤلاء، الآن المقارنة في مصادر الطرفين الفقرة هذه.

يقول: "**ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة؟**"، لأنهم قَالُوا: "مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم"، يقول: "**ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة لاسيما العلم بالله وأحكام آياته وأسمائه؟**".

الجملة المعترضة هذه فيها بيان أَيْضًا لخطورة الموضوع نحن في باب الإيمان بالله -عَزَّ وَجَلَّ- وليس في بابٍ فرعيٍ آخر، لاسيما العلم بالله وأحكام آياته وأسمائه هذا فيه خطورة هذا الباب، لاحظوا هذا كله حتى تعذروا شيخ الإِسْلَام في النهاية.

يقول: **"كيف يكون هؤلاء أنقص في العلم من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم؟ أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة"**، هذا هنا شيخ الإِسْلَام يبين المصادر مصادر أولئك بينها الكتاب والسنة طيب مصادر هؤلاء! يقول: **"أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان، وورثة المجوس والمشركين، وضلال اليهود والنصارى والصابئين وأشكالهم وأشباههم؛ كيف يكونون أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان؟"**.

إذا أردت أن تقف وقفة بسيطة جدًا في مصادرهم قلت لكم: سأذكر مثالًا واضحًا: هذا الدليل الذي يعتمدون عليه في إثبات وجود الله -عَزَّ وَجَلَّ- دليل حدوث الأجسام هذا الدليل يرتكز على مسألة الجوهر الفرد التي يسمونها الجوهر الذي لا ينقسم، هذا الدليل مبناه على هذه المسألة.

ونظرية الجوهر الفرد هم اختلفوا هم أنفسهم اختلفوا هل هي فلسفية يونانية أو فلسفية هندية أو هي إسلامية بحتة؟ طَبْعًا أو من قال بها العلاف مما يدل على أن النظرية لا يمكن أن تكون إسلامية بحتة، ما هي تلك النظرية الإِسْلَامية البحتة التي فاتت الأمة كلها والتقطها العلاف؟!

أول من قال بها العلاف والعلاف أول متكلمٍ متفلسف، بمعنى يَعْنِي دخل في الفلسفة وهناك رسالة للدكتور علي أظن المغربي أو الغرابي بهذا العنوان **"أبو الهُذيل العلاف أول متكلمٍ فيلسوف"** أو قريب من هذا.

هذه النظرية قال بها العلاف ثم قال بها الأشاعرة وأجمعوا على هذه النظرية، يهمنا هنا مصدر هذه النظرية هذه النظرية بعضهم قَالُوا: فلسفية يونانية وأول من قال بها ديمقراطيس، وبعضهم قَالُوا: أصولها ترجع إلى الفلاسفة الهنود وهذا القول أَيْضًا قول قوي جدًا، وهناك وجوه التشابه بين هذه النظرية وبين المذهب الذري عند الهنود.

وبعضهم قَالُوا: لا هذه النظرية أصلها مجوسية والشيء المؤكد أن هذه النظرية ليست إسلامية، مأخوذة إما من اليونان أو من الهند أو من المجوس بقي اليهود والنصارى، بالنسبة للنصارى هذا التعطيل الموجود عند جهم هو مأخوذ موجود ترى سُبق الجهم به، هذا التعطيل موجود عند النصارى.

وكما تعرفون النصرانية اختلطت بالفلسفة بعد النصراني ها ذاك الأكويني الفيلسوف طوما أظن الأكويني هو، هذا قام بدمج الفلسفة بالنصرانية وصارت الكنيسة تتبنى نظريات أرسطو حتى نظرياته في الطبيعيات صارت الكنيسة تتبناها.

من يؤمن بالله -عَزَّ وَجَلَّ- لابد أن يؤمن بأن الكرة الأرضية هذه مركز الكون، ومن يخرج على هذه النظرية يعتبر خارجًا من الملة، نفس النظريات جاءت إلى هؤلاء المتأثرين بهم عن طريق أولئك الفلاسفة.

نظرية التوحيد التي نجدها عند أفلاطون المصري وهو نصراني من القرن الثاني الميلادي نفس النظرية عند الجهمية بحروفها، ولذلك من الغريب أن علم الكلام الموجود هذا يتفق عليه اليهود والنصارى والرافضة متفقون على هذا.

بالنسبة للرافضة طَبْعًا الطوسي حتى أن كتاب الطوسي شرحه كثيرٌ من المتكلمين الأشاعرة، بالنسبة لليهود ابن ميمون اليهودي هو تلميذ ابن رشد ، لا ها ذاك من تقصده أنت محدث ميمون بن مهران.

هذا على كل حال هو ابن ميمون اليهودي من القرن السادس من أشهر تلاميذ ابن رشد؛ مع إنه تلميذ ابن رشد وبقي يهوديًا يقال: أنه جاء إلى مصر. طَبْعًا هو جاء إلى مصر. وتفي في مصر وهو قرطبي يقال: أنه أسلم.

على كل حال هذا الكتاب الذي بين أيدينا الآن وهو كتاب أكبر من هذا في علم الكلام سبحان الله، ذكر أن التقديس له خمسة عشر. أصلًا خلاصة علم الكلام نفس، طُبع كتاب لأحد المعتزلة طَبْعًا شيخ الإِسْلَام سيذكر سلسلة هذه المقالة مقالة التعطيل سيذكر أن هذه السلسلة تصل إلى اليهود في هذا الكتاب.

والأشاعرة يقولون: اليهود مشبهة كيف سلسلة مقالة التعطيل تصل إلى اليهود مما يدل على كذب ابن تيمية؟ هكذا يقولون؛ طُبع كتاب من كتب المعتزلة حققه أحد المستشرقين والكتاب عندي ذكر فيه شيء أنا استغربته: "**المدرسة الاعتزالية اليهودية**" مدرسة معروفة في اليهود مدرسة اعتزالية تأثروا بالمعتزلة.

"**المدرسة الاعتزالية اليهودية**" مدرسة معروفة بأعلامها وبكتبها وإذا أردتم الاستفصال فعندي الكتاب، مما يدل على أن هذه المقالة مقالة التعطيل فعلًا تصل إليهم، أما أنهم كانوا مشبهة مثل بعض الفرقة كانوا مشبهة ثم صاروا معطلة.

إِذًا الهند اليونان المجوس ضُلال اليهود والنصارى والصابئين الذين هم عبدة الكواكب، هذه هي مصادرهم وشيخ الإِسْلَام هنا سبحان الله دقيق في عرض مصادره الذين هذه مصادرهم كيف يكونون أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القُرْآن والإيمان كيف يكون هذا؟!

هذه المقارنة دقيقة بعد هذه المقارنة أين يحكم شيخ الإِسْلَام؟ طَبْعًا سبق أن حكم على هذه المقالة أنها مقالة كفرية وأن هذه المقدمات مقدمات كفرية وأنهم كذبوا على السلف وأخطئوا في تصويب طريقة الخلف، وأن حالهم بين التهوك والحيرة وكذا وكذا، لاحظوا وأن مضمون هذه المقالة نبذ الإِسْلَام وراء الظهر.

أنتم لما تستعرضون هذه المعطيات كلها ستوافقون شيخ الإِسْلَام في كل ما ذكره، الذي يأخذ دينه من أولئك ما الذي تتوقع منه؟ «**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القُذة بالقُذة**».

القُذة هي ريش السهم والريش هذه تكون متساوية مثل الرصاصات الآن بالنسبة للبنادق تجدون اختلاف فيها؟ نفس المقاس هذا تأكيد من النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن هذا سيكون، وهذا واضح وحاصل وواقع في المتكلمين للأسف، ومن أسباب هذا انحرافهم في مصادر التلقي تفضل.

(المتن)

قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:

وإنما قدمت هذه المقدمة لأن من استقرت هذه المقدمة عنده علم طريق الهدى أين هو في هذا الباب وغيره؛ وعلم أن الضلال والتهوّك إنما استولى على كثيرٍ من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم، وإعراضهم عما بعث الله به محمدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من البيّنات والهدى، وتركهم البحث عن طريق السابقين والتابعين، والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله بإقراره على نفسه، ولشهادة الأمة على ذلك، وبدلالاتٍ كثيرة، وليس غرضي واحدًا، وإنما أصف نوع هؤلاء، ونوع هؤلاء.

(الشرح)

هذه الفقرة يضيف فيها شيخ الإِسْلَام ويفضل فيما يتعلق بالمصادر، أَيْضًا يبين لِمَاذَا أطال في المقدمة؟ والسائل لازال ينتظر الجواب والجواب هو كما قلت: في صفحة مائتين وكذا وخمسين.

يقول: "**وإنما قدمت هذه المقدمة لأن من استقرت هذه المقدمة عنده علم طريق الهدى أين هو في هذا الباب وغيره!**" علم من أين يأخذ باب الإيمان من الكتاب والسنة أو من الهند واليونان؟!

يقول: "**وعلم أن الضلال والتهوّك الحيرة إنما استولى على كثيرٍ من المتأخرين**" لِمَاذَا؟ هل لأن هناك غموض في الكتاب والسنة؟ لا: "**بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم**"، أنت لما تقرأ في كتب المتكلمين من النادر أن تجد قال الله قال رسول الله إي لأنهم يرون أن أصول الإلهيات لا يجوز الاستدلال فيها بالكتاب والسنة أصلًا أصول الإلهيات.

يقولون: المطالب العقدية تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

- قسم لا يجوز الاستدلال فيه بالكتاب والسنة.
- وقسم لا يجوز الاستدلال فيه بالعقل.
- وقسم يجوز الاستدلال في بهذا وهذا.

القسم الذي لا يجوز الاستدلال فيه بالكتاب والسنة أصول الإلهيات؛ إثبات وجود الله -عَزَّ وَجَلَّ- إثبات أسمائه وصفاته إلى إثبات صفة الكلام كيف يهتدي عنده لا يجوز؟!

يقول: "**بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم وإعراضهم عما بعث الله به محمدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من البيّنات والهدى**"، قرأت عليكم أمس ما كتبه السروجي السروجي رد على شيخ الإِسْلَام ورد على الأَحَادِيْث التي سيذكرها شيخ الإِسْلَام رد عليها بتلك الجملة التي قرأتها عليكم.

كل الأَحَادِيْث التي ذكرها شيخ الإِسْلَام رد عليها بهذه الجملة من هنا إلى هنا، هذه الجملة من هنا إلى هنا فيها رد لجميع الأَحَادِيْث أنها:

أولًا: أخبار آحاد.

ثانيًا: ليست نصوصًا بل هي ظاهرة.

ثالثًا: السلف أولوا.

رابعًا: عارضتها الأدلة العقلية.

يقول في الأخير: "**فإذا ثبت أن الإمساك الحسي غير مراد إجماعًا**"؛ لأنه يرى أن السلف مع الخلف على مذهب واحد: "**فكذلك الإصبع والإصبعان التي وردت فإن صمموا وادعوا التعميم فقد جسموا**"، إما أن تستسلم وإما أنت مجسم ليس هناك حتى تأدب في الرد.

يَعْنِي لو أرادوا الرد وفيها طَبْعًا الرد ليس فيه تأدب؛ ولكن أن ترد على هذه الأَحَادِيْث التي كلها في إما في الصَّحِيْحَيْنِ وترد عليها كلها بهذه الجملة الخرقاء أي أدب هذا؟ ويظن أنه استراح منها بهذه الجملة.

يقول: "**وتركهم البحث عن طريق السابقين والتابعين، والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله بإقراره هو على نفسه**"، كما سبقت الشهادات هو يقر على نفسه.

يقول: "**ولشهادة الأمة على ذلك**"، ما علينا من إقراره حتى ولو لم يقر الأمة تقر عليه، يقول: "**وبدلالاتٍ كثيرة**"، كلها تدل على أنه لم يعرف الله -عَزَّ وَجَلَّ- حق المعرفة لأنه

معرفة الله -عَزَّ وَجَلَّ- تكون بمعرفة أسمائه وصفاته توحيد الأسماء والصفات يسمى توحيد المعرفة لأنه به تعرف الله -عَزَّ وَجَلَّ- توحيد المعرفة.

يقول: "**وليس غرضي واحدًا، وإنما أصف نوع هؤلاء ونوع هؤلاء**"، أي هؤلاء المهتدون ونوع هؤلاء؛ إذًا هذه المقارنة والموازنة بين الفريقين وتحديد طرفي النزاع بكل هذا التفصيل هذا يدل على أن هذه المقولة فعلًا فيها نبذ الإِسْلَام وراء الظهر، هذه المقولة كما قلت لكم: متناقضة لا تستقيم في نفسها.

هناك شخصان يختلفان في مسألة وأنت تحكم بينهم وتقول: يا فلان السلامة معك، ويا فلان العلم والإحكام معك هذا سيقول: أنت أعطيتني السلامة ثم سلبتها أليس كذلك؟ إذا كان العلم والإحكام هناك فكيف السلامة عندي أليس كذلك هو سيقول؟ وهذا الذي أعطاه العلم والإحكام سيقول: كيف العلم والإحكام معي والسلامة هناك كيف؟ متناقضة.

-ورَحِمَ الله شيخ الإِسْلَام رَحِمَهُ الله شيخ الإِسْلَام- لابد أن ندعوا لهذا الرجل العظيم ندعوا له دائمًا؛ جبل من جبال هذه الأمة يلاحقهم حيًا وميتًا -رَحِمَهُ الله رحمةً واسعة-، نكتفي بهذا القدر وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الطالب: أحسن الله إليكم بعض الأسئلة يقول: لِمَاذَا سميت الفتوى الحموية بالكبرى؟!

الشيخ: أنا ما أردت أن أدخل في هذه الجزئية لأني أنا ما وصلت إلى نتيجة، أعطني طابعة الغاندي التي عندك، طَبْعًا المحقق هنا يقول: أنه لم يصل إلى حل هذا اللغز هذا الدكتور/ حمد التويجري.

يقول: ابن عبد الهادي ذكر كتابين لشيخ الإِسْلَام "**الفتوى الحموية الكبر والصغرى**"؛ وذكر بداية الكبرى وهي هذه ولم يذكر عن الثانية شيئًا؛ الدكتور عبد القادر الغامدي ذكر في مقدمة هذه الطبعة أنه وصل إلى حل لهذا وأن شيخ الإِسْلَام ألف هذا الكتاب ثم أضاف بعض الجمل وأسماها بعد الإضافة الحموية الكبرى.

وذكر ما أضاف وتلك الإضافات يَعْنِي هي ضئيلة جدًا قليلة، ليست من الإضافات التي يَعْنِي ممكن تغير الاسم، من الإضافات مثْلًا كلمة قد مرت علينا قد هو ذكرها في طَبْعًا على كل حال هذا جهد مشكور.

ولكن ما ذكره ليس مقنعًا لأن هذه الإضافات من الإضافات التي لا تخلوا أنت لما تؤلف لا تزال تضيف فيه وخاصةً إذا كان كتاب أُثير حوله ما أُثير؛ ولكن هذه الإضافات ضئيلة جدًا فأقول والله أعلم.

الطالب: أحسن الله إليكم يقول السائل: هل ينكر الأشاعرة الأبيات المنسوبة إليهم التي تبين بطلان ما كانوا عليه أبيات الرازي وغيره؟!

الشيخ: نعم هم يقولون: أحدهم كتب ونسيت من هذا أظن إما سعيد فوده أو أحد المعاصرين أو السقاف، يقول: هذه النصوص هي من قبيل ما يكون من الإنسان في آخر لحظات حياته، كل واحد لما يصل إلى هذه الدرجة يندم على ما ويود لو أنه أضاف في عمره كذا وكذا ويود لو أنه عمل.

طَبْعًا هذا في آخر عمرك ما الذي يؤملك في رحمة الله -عَزَّ وَجَلَّ-؟ تلك الصلة التي كانت بينك وبين كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- هذه أقوى ما تجعلك تؤمل في رحمة الله -عَزَّ وَجَلَّ-؛ هل ستأتي تلك اللحظة ونعوذ بالله إن جاءت فهذه نكسة التي تجعلك تندم على هذه الصلة؟ مستحيل.

نعم في آخر حياة الإنسان يندم على ما سلف منه من التقصير؛ ولكن يندم على صُلب ما عنده من كيف؟ كما يقولون: العذر أقبح من الفعل ما دام هو وضح وندم يا أخي أنت أَيْضًا كن مثله وكما يقول الرازي: "**ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي**" هكذا يقولون نعم.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

للإمام الشيخ

شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني

- رحمه الله -

(المجلس الخامس)

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد محمدي النورستاني

- حفظه الله -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين اللَّهم أغفر لنا ولشيخنا آمين، قال شَيْخ الإِسْلَام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:

(المتن)

وإذا كان كذلك: فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة مملوءٌ بما هو إما نصٌ وإما ظاهر في أن الله سبحانه فوق كل شيء، وعليٌّ على كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء.

مثل قوله تعالى:

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[فاطر:10].

﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[آل عمران:55].

﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (16) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾[الملك: 16، 17].

﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾[النساء:158].

﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[المعارج:4].

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾[السجدة:5].

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[النحل:50].

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[يونس:3].

في ستة مواضع:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:5].

﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (36) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾[غافر: 36، 37].

﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت:42].

﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾[الأنعام:114].

إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى إلا بكلفة.

مثل قصة معراج رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى ربه، ونزول الملائكة من عند الله وصعودها إليه، وقول الملائكة الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار، فيعرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم.

وفي الصحيح في حديث الخوارج: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً؟».

وفي حديث الرقية الذي رواه أبو داود وغيره: «ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء، اجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك، وشفاءً من شفائك على هذا الوجع».

قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إذا اشتكى أحدٌ منكم، أو اشتكى أخٌ له، فليقل: ربنا الله الذي في السماء ...» وذكره.

وقوله في حديث الأوعال: «والعرش فوق ذلك، والله فوق عرشه، وهو يعلم ما أنتم عليه» رواه أبو داود.

وهذا الحديث مع أنه قد رواه أهل السنن كأبي داود، وابن ماجه، والترمذي، وغيرهم، فهو مروي من طريقين مشهورين، فالقدح في أحدهما لا يقدح في الآخر، وقد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة في كتاب «التوحيد» الذي اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بما نقله العدل عن موصولًا إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وقوله في الحديث الصحيح للجارية: «أين الله؟» قالت: في السماء قال: «من أنا؟»، قالت: أنت رسول الله قال: «أعتقها، فإنها مؤمنة».

وقوله في الحديث الصحيح: «إن الله لما خلق الخلق كتب في كتاب موضوع عنده فوق العرش، إن رحمتي سبقت غضبي».

وقوله في حديث قبض الروح: «حتى يعرج بها إلى السماء التي فيها الله».

إسناده على شرط الصحيحين.

وقول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه الذي أنشده النبيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأقره عليه:

شهدتُ بأن وعدَ الله حقٌّ وأنَّ النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طافٍ وفوق العرش رب العالمينا

وقول أمية بن أبي الصلت الثقفي الذي أنشد للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هو وغيره من شعره فاستحسنه، وقال: «**آمن شعره وكفر قلبه**»:

مجدوا الله فهو للمجد أهلٌ ربنا في السماء أمسى كبيرًا

بالبنا الأعلى الذي سبق الناس وسوى فوق السماء سريرًا

شرجعًا ما يناله بصر العين يرى دونه الملائكة صورًا

وقوله في الحديث الذي في السنن: «**إن الله حييٌ كريمٌ يستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهم صفرًا**»، وقوله: «**يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب..**»، إلى أمثال ذلك مما لا يحصيه إلا الله، مما هو أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية، التي تورث علمًا يقينيًا من أبلغ العلوم الضرورية: أن الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المبلِّغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوين أن الله سبحانه فوق العرش، وأنه فوق السماء، كما فطر الله على ذلك جميع الأمم عربهم وعجمهم، في الجاهلية الإسلام، إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته.

ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ مئات، أو ألوفًا.

(الشرح)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أما بعد:-

فَإِن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وشر الأمور محدثاتها وكل محدثةٍ بدعة وكل بدعةٍ ضلالة وكل ضلالةٍ في النار.

لازال شيخ الإِسْلَام في موضوع الأسماء والصفات التي أثبتها الله -عَزَّ وَجَلَّ- لنفسه، وبعد أن بين حال المتكلمين وأنهم ليسوا أهلًا لأن يكون عندهم الحق فذكر الأمور التي تدل على حالهم وعلى جهلهم وعلى بعدهم عن الحق.

بعد هذا يشير إلى أن كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- أو عمومًا يشير إلى الأدلة عمومًا أشار إليها هنا، الأدلة كلها متواتر متضافرة على إثبات الصفات، وأشار هنا إلى أربعة أنواع من الأدلة.

يقول: "**وإذا كان كذلك: فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره**"، هذا النوع الأول.

يقول: "**وسنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من أولها إلى آخرها**"، هذا النوع الثاني.

يقول: "**ثم عامة كلام الصحابة والتابعين**"، النوع الثالث.

يقول: "**ثم كلام سائر الأئمة**"، الرابع.

إذا أردت أن تستدل في أي مسألة فهذه هي الأدلة: أولًا: كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ثم سنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ثم كلام الصَّحَابَة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة.

سيذكر هنا قبل الجواب الذي لازلنا ننتظره سيذكر الأنواع الثلاثة الأولى كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- سنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وسيشير إلى كلام الصَّحَابَة دون أن يذكر نصوصهم وكلامهم، هذا كله تمهيد للجواب الذي سيقرر فيه مذهب أَهْلِ السُّنَّة وَالجَمَاعَة في هذا الباب.

يقول: "**فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره**"، كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- ما منعكم أحد منه افتح من أوله إلى آخره، يقول: "**وسنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من أولها إلى آخرها**"، ليس هناك استثناء لا استثناء في الكتاب ولا استثناء في السنة، لأن كلام الله -عَزَّ وَجَلَّ- وكلام رسوله كله في إثبات الصفات لله -عَزَّ وَجَلَّ- وفي إثبات أسماء الله -عَزَّ وَجَلَّ- ليس فيه شيءٌ يدل على نقيض ذلك.

وكلام الصَّحَابَة أَيْضًا كلامهم في هذا الباب كثير، طَبْعًا شيخ الإِسْلَام هنا يشير إشارات وهناك كتب ألفت في هذا الباب طَبْعًا هذا مثال، صفات العلو هذه يذكره كمثال

وهناك كتب ألفت في صفة العلو مثل كتاب العلو للإمام الذهبي طُبع في مجلدين، "**واجتماع الجيوش الإِسْلَامية**" لابن القيم -رَحِمَهُ الله-.

والمجلد الأخير من درأ التعارض بل المجلدين الأخيرين المجلد الأخير كله والذي قبله أكثره، وكتب كثيرة ألفت في هذه المسألة مسألة العلو، وشيخ الإِسْلَام هنا يشير إشارات إلى بعض ما ورد في بعض الأدلة الواردة في هذه المسألة.

يقول: "**ثم كلام سائر الأئمة**"، وهذا سيفصل فيه شَيْخ الإِسْلَام في الجزء الأخير من الكتاب سيذكر أقوال الأئمة، سيبدأ من المتقدمين إلى القرن الخامس سيذكر أقوالهم وسيذكر فيمن سيذكر كثيرًا من المتكلمين الذين يثبتون أَيْضًا بعض الصفات.

يقول: "**مملوءٌ بما هو إما نصٌ وإما ظاهرٌ**"، النص هو الذي لا يحتمل غيره والظاهر هو الذي تكون دلالته دلالةً ظاهرةً على معنى مع احتمال غيره من المعاني، بالنسبة للظاهر يحتمل غيره مع أن المتبادر إلى الذهب معنى معين ولكنه يحتمل غيره النص لا يحتمل إلا معنىً واحدًا.

كيف يكون نصًا؟ قد يكون بلفظه وقد يكون بتركيبه قد يكون بالسياق والسباق هذا كله يجعله نصًا لا يحتمل غيره، قد تكون هناك آية ظاهرة في القُرْآن يأتي الحديث فيجعله نصًا؛ ما يكون ظاهرًا في نص قد يكون نصًا بالنظر إلى النصوص الأخرى لأن النصوص تفسر بعضها بعضًا.

هذا كله إذا أردت أن تعرف مراد الله -عَزَّ وَجَلَّ- القضية سهلة جدًا، إذا كنت حريصًا على معرفة مراد الله -عَزَّ وَجَلَّ- ومراد رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أما إذا أردت أن تسوغ مرادك من خلال كلام الله -عَزَّ وَجَلَّ- ومن خلال كلام رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهنا البلية وهذا واقع علم الكلام.

يقول: "**إما نصٌ وإما ظاهرٌ في أن الله سبحانه فوق كل شيء، وعليٌّ على كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء**".

مثل هذه أمثلة قوله تعالى:

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[فاطر:10]، إِلَيْهِ يَصْعَدُ هذا يدل على أنه فوق.

﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[آل عمران:55].

﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (16) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾[الملك: 16، 17]، مَنْ فِي السَّمَاءِ في هنا بمعنى على.

إذا كان المراد من السَّمَاءِ الأجرام المبنية السموات السبع والأجرام التي فيها الملائكة إذا كان المراد بالسماء تلك الأجرام ففي هنا معنى على، والسماء يأتي أَيْضًا بمعنى العلو.

﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾[النساء:158].

﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[المعارج:4].

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾[السجدة:5].

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[النحل:50]، لا فوق ولا تحت ولا يمين سبحان الله أين هذه النصوص؟ حلها سهل سنشير إليه، وكما يقول الغزالي: "أمر النصوص هينٌ" في مسألة المعاد ذكر هذه المسألة ثم أشار إلى النصوص فقال: "أمر النصوص هينٌ".

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[يونس:3].

في ستة مواضع: استوى الاستواء إذا كان معدًا بـ على فهو نصٌ في العلو والارتفاع في اللغة عمومًا، أما إذا كان معدًا بـ إلى فهو ظاهرٌ في العلو قد يكون المراد به العلو وقد يكون المراد به القصد إلى ذلك الشيء هذا عمومًا.

الاستواء إذا كان معدًا بـ إلى فهو ظاهرٌ في العلو؛ ولكن في قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾[فصلت: 11]، هل المراد بالاستواء هنا القصد أو العلو؟ ذكر ابن القيم –رَحِمَهُ الله–: أن الأئمة أجمعوا على أن المراد بالاستواء هنا أَيْضًا العلو والارتفاع.

أما تلميذه ابن كثير –رَحِمَهُ الله– ذكر: أن الاستواء بما أنه معدى هنا بـ إلى فالمراد به القصد، وهذا خطأٌ في التفسير وليس خطئًا منهجيًا هو ليس مؤولًا لا يؤول ليس هناك ما

يلجئه إلى التأويل والتحريف؛ ولكنه ظن -رَحِمَهُ الله- أن المراد بالاستواء هنا بها أنه معدى بـ إلى المراد به هو القصد؛ ولكن شيخه نقل الإجماع على أن الاستواء حتى هنا المراد به العلو والارتفاع.

قلت: الاستواء إذا كان معدًا بـ إلى يكون ظاهرًا، بالنظر إلى النصوص الأخرى يكون نصًا: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَـرْشِ﴾[يونس:3]، بالنظر إليها يكون نصًا الظاهر قد ينقلب نصًا بالسياق والسباق وبالنصوص الأخرى.

ثم يقول:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:5].

﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (36) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾[غافر: 36، 37].

هنا ابن جهبل -رَحِمَهُ الله- الذي رد على شيخ الإِسْلَام يَعْنِي استهزأ بشيخ الإِسْلَام كيف تستدل بكلام فرعون؟ سبحان الله تجاهل غريب فرعون لِمَاذَا بدأ يبحث هنا؟ لأن موسى أخبره بأن إلهه هناك أليس هذا واضح! يقول: كيف تستدل بكلام فرعون؟!

يقول: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت:42]، والتنزيل يكون من علو.

يقول: ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾[الأنعام:114]، إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى إلا بكلفة.

يقول: **"وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصى"**، طَبْعًا الحديث الصحيح والحسن كلاهما من المقبول ولكن الحديث الحسن يكون ضبط صاحبه أخف من ضبط صاحب الصحيح.

ما لا يحصى أي كثير ذكر بعض الأمثلة: **"مثل قصة معراج رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى ربه"**، هل معراجه كان إلى أسفل المعراج؟ والقصة طويلة يقول: **"ونزول الملائكة من عند الله وصعودها إليه"**.

مثل ما ذكره المحقق هنا: **«إن لله ملائكةً سيارةً فضلاء يتبعون مجالس الذكر فَإِذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر الله قعدوا معهم وحف بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتى يملئوا ما بينهم**

وما بين السماء الدنيا فَإِذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء وقال: فيسألهم الله -عَزَّ وَجَلَّ- »، نسأل الله أن يجعل مجلسنا من مجالس الذكر.

يقول: "**وقوله في الملائكة الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار**"، يقول: فيكم طَبْعًا هذه زيادة من بعض النسخ وعدمها أولى لأنه من كلام شيخ الإِسْلَام وليس نصًا هو مأخوذ مقتبس من الحديث ولكن هنا.

يقول: "**فيعرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم**"، فيعرج والعروج يكون إلى العلو والحديث في الصَّحِيْحَيْنِ.

يقول: وفي الصحيح في حديث الخوارج: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً؟**»، أثبت فيه أَيْضًا أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- عالٍ على عرشه طَبْعًا لأن العرش فوق السموات.

وفي هنا في فيما سبق كما قلت: بمعنى على، والسماء قد يكون بمعنى العلو وقد يكون بمعنى الأجرام، وهنا: «**يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً؟**»، وأَيْضًا كلمة في هنا: «**وأنا أمين من في السماء**»، مثلما ذكرت هناك.

يقول: وفي حديث الرقية الذي رواه أبو داود وغيره: «**ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء**»، تقدس اسمك الله -عَزَّ وَجَلَّ- من أسمائه القدوس والله -عَزَّ وَجَلَّ- يسبح وينزه أسمائه كما يسبح نفسه: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾[الأعلى: 1]، فنحن ننزه أسمائه كما ننزهه سبحانه.

تقدس اسمك الذين يقولون: أن الاسم هو المسمى يستدلون بمثل هذه الأدلة تقدس اسمك أي تقدس ذاتك، نحن نقول: الله -عَزَّ وَجَلَّ- يقدس وتقدس أسمائه أَيْضًا.

يقول: «**أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء، اجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمةً من رحمتك، وشفاءً من شفائك على هذا الوجع**».

يقول: قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إذا اشتكى أحدٌ منكم، أو اشتكى أخٌ له، فليقل: ربنا الله الذي في السماء ...**»، هذا هو الشاهد والحديث أخرجه أبو داود وغيره وهو مختلفٌ في صحته ويحسنه شيخ الإِسْلَام وذكره في أكثر من موضع.

وقوله في حديث الأوعال هذا الحديث اشتهر بحديث الأوعال لأن فيه ذكر الأوعال، والأوعال جمع وعل وهو تيس الجبل أراد بالأوعال هنا الأشراف والرءوس، والمحقق -رَحِمَهُ الله- هنا جزاه الله خيرًا ذكر هنا نص الحديث وهو طويل.

والشاهد في هذا الحديث: «**والعرش فوق ذلك، والله فوق عرشه، وهو يعلم ما أنتم عليه**»، وهذا الحديث أخرجه أبو داود وغيره هذا الحديث لما صارت المناظرة ذكروا أن هذا الحديث ضعيف وأنت استدللت به؛ بعد المناظرة زاد هذا من قوله: وهذا الحديث إلى قوله: «**إن رحمتي سبقت غضبي**»، هذا من المزيد؛ وكما يقول الدكتور الغامدي: "**هذا من المزيد على الصغرى**".

هنا: «**والعرش فوق ذلك، والله فوق عرشه، وهو يعلم ما أنتم عليه**»، هذا الحديث حديث الأوعال رأي شَيْخ الإِسْلَام فيه واضح وابن القيم أَيْضًا على رأي شيخه ويرون أن هذا الحديث حسن، أخرجه من أصحاب الصحيح ابن خزيمة.

يقول: "**وهذا الحديث مع أنه قد رواه أهل السنن كأبي داود، وابن ماجه، والترمذي، وغيرهم، فهو مرويٌّ من طريقين مشهورين، فالقدح في أحدهما لا يقدح في الآخر، وقد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة في (كتاب التوحيد) الذي اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بما نقله العدل عن العدل موصولًا إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-**".

هذا كلام شَيْخ الإِسْلَام والحديث بالنظر إلى الصنعة الحديثية يبدوا أن الراجح أنه لا يثبت؛ له طرق وهذه الطرق كنا استقصيناها لما درسنا (كتاب التوحيد) لابن خزيمة، بالنظر إلى الصنعة الحديثية لا يثبت وهذا رأي الشيخ الألباني وشيخ الإِسْلَام يحسنه بالنظر إلى شواهده، حتى طريقه يمشيه هذا رأي شَيْخ الإِسْلَام.

وما ذكره هنا من إخراج ابن خزيمة له هذا أَيْضًا صحيحٌ من حيث الجملة؛ ولكن يعترض عليه أن صحيح ابن حزيمة هذا شرطه؛ ولكن هل وفى بشرطه؟ نعم وفى بشرطه في رأيه ولكن هل يوافقه الجميع؟ هنا الحديث هناك أَحَادِيْث أوردها في صحيحه مستدلًا بها ولم يسلم له تصحيحها.

نعم هو أَحْيَانًا يورد الحديث ويشير إلى ضعفه فبعض الناس يستدرك عليه؛ يقول: أورده في صحيحه مع أنه فيه كذا وكذا، ابن خزيمة -رَحِمَهُ الله- يشير إلى الضعف إما في السند أو في المتن يشير إليها وطريقته في الإشارة طرق.

ولكن إذا استدل بحديث هل وفى بشرطه؟ نعم وفى بشرطه حسب مُكنته وحسب علمه وهو إمامٌ من الأئمة؛ بل هو لُقب بإمام الأئمة، لِمَاذَا لُقب بإمام الأئمة؟ لأن أربعةً من تلاميذه لقبوا بالإمام في حياة ابن خزيمة فلُقب بإمام الأئمة.

وهو من أشهر تلاميذ الإِمَام البُخَارِيّ ورجل عظيم جدًا في العقيدة مثل شيخه الإِمَام أيها الأخوة، بخلاف تلميذ تلميذ ابن خزيمة ابن حبان الذي وقع في كثيرٍ من التأويلات، فنعم هو أورده ولكن مع ذلك العُلَمَاء لم يسلموا له أو بعض العُلَمَاء لم يسلموا له ويبدوا أن هذا هو الراجح والله أعلم.

يقول: وقوله في الحديث الصحيح للجارية: **«أين الله؟»** قالت: في السماء قال: **«من أنا؟»**، قالت: أنت رسول الله قال: **«أعتقها، فإنها مؤمنة»**.

هذا الحديث فيه إشكالان كما ذكر الإِمَام الذهبي فيه إشكالان عند المتكلمين:

- إشكال في السؤال.
- وإشكال في الجواب.

لأن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول هنا: **«أين الله؟»**، وهذا السؤال كفر عند المتكلمين، الشيرازي -رَحِمَهُ الله- الشيرازي الفقيه المعروف له كتاب في علم الكلام يقول: **"فإن قيل أين الله؟ يقال: أول كفركم أنكم قلتم: أين الله؟"**.

هذا الحكم يتجه إلى من؟ إلى من علمنا يا سبحان الله هل اطلع على الحديث ومع ذلك تجاهله وهو من الأئمة! وهل والله أعلم على جميع الاحتمالات غريب، يقول: "أول كفركم أنكم قلتم: **أين الله؟** وهذا كفر".

«**أين الله؟**» هذا السؤال يقولون: لا يجوز طَبْعًا اتفاقًا عندهم لا يجوز مع أن الحديث في صحيح مسلم، لِمَاذَا لا يجوز؟ لأن فيه أينية أين الله معناه حدد مكانه والأينية كفر، إِذًا هناك إشكال في السؤال.

وإشكال في الجواب: قالت: في السماء؛ وتمام هذين الإشكالين قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**أعتقها فَإِنها مؤمنة**»، لذلك كلام المتكلمين في هذا الحديث كثير جدًا ويثير الاستغراب.

مثْلًا أحدهم يقول: «**أين الله؟**» معناه أين موقن الله -عَزَّ وَجَلَّ- في قلبك؟ هل تحترمينه ما تحترمينه! كما نقول: أين فلانٌ أو ماذا تعتقد في فلان؟!

وبعضهم قَالُوا: هذا الحديث طَبْعًا هذا البعض أشهرهم هو الكوثري يقول: هذا الحديث ضعيف وفيه تسع علل؛ رد عليه المعلمي -رَحِمَهُ الله- ولكن الذي رد عليه بأسلوبه هو شيخنا الشيخ شمس، شيخنا الشيخ شمس كان من الجهابذة في الحديث في علومه، فرد عليه ردًا في كتابه "**الماتريدية**" بالتفصيل رد عليه.

وكما يقول الذهبي: هذا الحديث يعلمنا أمرين:

⮝ **الأمر الأول**: جواز السؤال بأين الله! النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هو المختبر واختبر جارية من الجواري ليس من الملازمين له جارية من الجواري اختبرها بهذا الاختبار.

⮝ **الأمر الثاني**: جواز الإجابة بأنه في السماء وهذا هو الإيمان كما يقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، طَبْعًا أين الله! هذا اختبارٌ في لَا إِلَهَ إِلَّا الله، ومن أنا! هذا اختبارٌ في محمدٌ رسول الله.

يقول: وقوله في الحديث الصحيح: «**إن الله لما خلق الخلق كتب في كتابٍ موضوعٍ عنده فوق العرش، إن رحمتي سبقت غضبي**»؛ هذا هو الشاهد: فوق العرش مع أن الحديث فيه إثبات صفة الرحمة وفيه إثبات صفة الغضب وهي من الصفات الفعلية.

وقوله في حديث قبض الروح: «**حتى يعرج بها إلى السماء التي فيها الله**»، في هنا بمعنى على والسماء هذه هي السماء السابعة، وإسناده كما يقول شيخ الإِسْلَام: "**على شرط الشيخين**".

يقول: وقول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه الذي أنشده النبيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأقره عليه:

شهدتُ بأن وعدَ الله حقٌ ... وأنَّ النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طافٍ ... وفوق العرش رب العالمينا

وقصة هذا الحديث لا تخفى عليكم ذكره المحقق مشكورًا يقول: كان لعبد الله ابن رواحة -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه- جارية، فأبصرته يومًا زوجته وقد خلى بالجارية فقالت: لقد اخترت أمتك على حرتك فأنكر ذلك قال: لا ما خلوت بها، قالت: إن كنت صادقًا فاقرأ آيةً من القُرْآن وكانت تعلم أن الجُنب لا يقرأ القُرْآن، قال: فأسمعها البيت الأول يقول:

شهدتُ بأن وعدَ الله حقٌ ... وأنَّ النار مثوى الكافرينا

آية هذه فقالت زدني آية، قال:

وأن العرش فوق الماء طافٍ ... وفوق العرش رب العالمينا

وتحمله ملائكةٌ كرامٌ ... ملائكة الإله مقربينا

قالت: آمنت بالله وكذبت بصري، فأخبر الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فضحك من صنيعه، الشاهد هنا قوله:

شهدتُ بأن وعدَ الله حقٌ ... وأنَّ النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طافٍ ... وفوق العرش رب العالمينا

النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أقره وهذا هو الشاهد.

وقول أمية بن أبي الصلت الثقفي، هذا من شعراء الجَاهِلِيَّة وقد أدرك الإِسْلَام ولكن سبحان لم يكتب له الإِسْلَام؛ الذي أنشد للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هو وغيره من شعره فاستحسنه، وقال: «**آمن شعره وكفر قلبه**» يقول:

مجدوا الله فهو للمجد أهلٌ ... ربنا في السماء أمسى كبيرًا

بالبناء الأعلى الذي سبق الناس ... وسوى فوق السماء سريرًا

يقصد العرش بالبناء هذه السموات ثم يقول:

شرجعًا ما يناله بصر العين ... يرى دونه الملائكة صورًا

شرجعًا أي بناءٌ عالي ما يناله بصر العين يَعْنِي ما تستطيع أن تدركه ببصرك، ترى دونه الملائكة أي الملائكةً صورًا أي المائلي العنق صورًا جمع أصور الأصور المائل العنق هكذا في النظر هكذا.

وقوله في الحديث الذي في السنن: «**إن الله حييٌ كريمٌ يستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهم صفرًا**»، الشاهد هنا: «**إذا رفع إليه يديه أن يردهم صفرًا**»، والحديث فيه أَيْضًا إثبات صفة الحياء لله -عَزَّ وَجَلَّ-.

وأَيْضًا وقوله: «**يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب..**»، "**يدعوا هكذا إلى أمثال ذلك مما لا يحصيه إلا الله، مما هو أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية، التي تورث علمًا يقينيًا من أبلغ العلوم الضرورية**" كيف هذا؟!

يقول: "**أن الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المبلِّغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوين أن الله سبحانه فوق العرش، وأنه فوق السماء، كما فطر الله على ذلك جميع الأمم عربهم وعجمهم، في الجاهلية الإسلام، إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته**".

هذا المقطع الذي فيه ذكر الأَحَادِيْث استمعنا إلى جواب السروجي القاضي ها ذاك الذي كتب عليه شيخ الإِسْلَام "**جواب الاعتراضات المصرية**"، هذا المقطع كله أجاب عليه بهذه الأجوبة التي كنا قرأناها وأعيدها يقول: وأما الجواب عن الأَحَادِيْث بعد المطالبة بصحتها فمن وجوه:

❍ أولًا: أحدها: أنها أخبار آحادٍ لا تفيد العلم بل تفيد الظن لما عُرف في الأصول هذا في الثبوت إذًا هي ظنية الثبوت.

❍ والثاني: أنها ليست نصوصًا في ذلك بل هي ظاهرة، وما دام ظاهرة فهي قابلة للتأويل هذا في الدلالة، في الفقرة الأولى ظنية الثبوت في الفقرة الثانية ظنية الدلالة.

❍ الوجه الثالث: قد تؤول السلف كثيرًا منهم ثم ذكر ابن عباس أنه يقول: **"وأذن لنا في التأويل ابن عباس في غير ما آية "**، ذكر شيخ الإِسْلَام في الرد يقول: ما أدري من تقصد من السلف لم يثبت هذا من السلف وبالذات عن ابن عباس لم يثبت شيءٌ من هذا.

❍ الوجه الرابع: عارضتها الأدلة العقلية فيجب تأويلها هذه هي العمدة عندهم.

بالنسبة لكون الأخبار أخبار الآحاد ظنية طَبْعًا هذه المسألة رد عليها شَيْخ الإِسْلَام هناك ثلاثة أوجه:

❍ الوجه الأول: أن هذه الأَحَادِيْث هي بيانٌ لما في القُرْآن، ما أثبته النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هنا هذا بيانٌ لما أثبته الله -عَزَّ وَجَلَّ- في كتابه، وكتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- من يبينه؟ ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل: 44]؛ ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران: 138]، فمن الذي يبين كلام الله -عَزَّ وَجَلَّ-؟ هو النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والأَحَادِيْث بيانٌ لكلام الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

طَبْعًا استطرد فيه شيخ الإِسْلَام كثيرًا لأن القضية هذه منهجية وخطيرة، يقول شيخ الإِسْلَام: إذا استبعدت بيان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لتلك الآيات ستلجأ إلى مثل هذه الخرافات التي ذكرها هنا.

يقول هنا: **"أما سمعتم قول العرب: قامت الحرب بنا على صور؟"**، وأَيْضًا: **"إن الكلام لفي الفؤاد وإنما"**، ذكر شيخ الإِسْلَام هذه الأبيات: **"قد استوى بشرٌ على العراق من غير كذا ودمٍ مهراقِ"**.

إذا استعبدت بيان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ستلجأ إلى تلك الخرافة، وهذه خطوة مقصودة لأن دلالة الآيات سيرجع إليها، الأَحَادِيْث هذه هو حيدها بحجة أنها أخبار آحاد انتهينا منها نأتي إلى دلالة الآيات والتأويل مفتوح باب التأويل مفتوح.

طَبْعًا الرازي ريحهم الرازي يقول: "**أن الأدلة النقلية كلها ظنية الدلالة ليس هناك نصٌ في الكتاب والسنة كله ظني الدلالة**"، يقول: أي دليل نقلي حتى يكون نصًا يقينيًا لابد من توفر عشرة شروط، ثم يقول: وذكر هذه الشروط ذكرها في المحصول وفي مقدمة التفسير وذكرها في خمسًا من كتبه في علم الكلام حسب إطلاعي، ممكن ذكرها في كتب أخرى أَيْضًا لم تطبع له.

ثم قال: "**ويستحيل أن تجتمع هذه الشروط العشرة**" وبالتالي الأدلة النقلية بأسرها ظنية، أولًا: البيان هذا استبعدناه ثم رجعنا إلى ما هو ظنيٌ دلالةً أصلًا فاللعب به من أسهل ما يكون أليس كذلك! ما الذي يمنعه أصلًا هنا؟ خلى لك الجو فبيضي واصفري هذا أولًا.

شيخ الإِسْلَام يقول: الأَحَادِيْث هذه بيانٌ للقرآن، وأنت إذا استبعدت بيان النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لنصوص القُرْآن ستلجأ طَبْعًا هذه خطوة مقصودة ستلجأ إلى بيان غيره من المتكلمين، الجهم سيكون مبينًا العلاف سيكون مبينًا هذه ذكرها شيخ الإِسْلَام كأمثلة؛ في أحسن الأحوال ستلجأ إلى كلام العرب الذي هو من غرائب اللغات ستفسر به القُرْآن المنزل هذا أولًا.

❍ ثانيًا: الأَحَادِيْث في باب الصفات وفي باب الأسماء وفي باب الأخبار عمومًا يقول شيخ الإِسْلَام: ثلاثة أنواع:

- النوع الأول: متواترٌ لفظًا ومعنىً أو متواترٌ معنى هذا النوع الأول.
- النوع الثاني: خبر الواحد المتلقى بالقبول.
- النوع الثالث: خبر الواحد العدل الضابط الذي لم يتلقى بالقبول، بمعنى ليست هناك قرائن احتفت به الحديث.

يقول: بالنسبة للنوعين الأولين يحصل بهما العلم، النوع الثالث يحصل به العلم حسب علم الناظر إلى هذا الحديث، قد يكون الحديث ندك متأرجحًا بين الصحيح والحسن أو بين الحسن والضعيف فعلمك به حسب درجته عندك.

أما النوع الأول المتواتر لفظًا ومعنىً أو المتواتر معنىً فهذا يفيد العلم اليقيني يفيد العلم الضروري، أما النوع الثاني خبر الواحد المحتف بالقرائن كأَحَادِيْث الصَّحِيْحَيْنِ كلها محتفة بالقرائن.

من القرائن التي احتفت بها أن الشيخين أخرج هذه الأَحَادِيْث والأمة تلقت هذين الكتابين بالقبول، وهناك بعض الأَحَادِيْث تحفظ فيها بعض العُلَمَاء ومن بعدهم نظروا في هذه الأمور ورأوا أن قول الشيخين أرجح فيها من قول من استدرك عليهم.

النوع الأخير كما قلت: هو خبر الواحد هذا إذا صحْ يفيد العلم والعلم يكون بحسب درجته عندك هذا تفصيل شَيْخ الإِسْلَام.

بالنسبة للتواتر يقول شيخ الإِسْلَام: التواتر قد يكون بالعدد وقد يكون بوصف المخبرين، التواتر واليقين قد يحصل بالعدد وقد يحصل بوصف المخبرين، اليقين في التواتر ليس محصورًا في العدد العددْ قرينة من القرائن.

ومن الخطأ الذي انتشر حتى في عند بعض من يكتب في المصطلح: ربط التواتر بالعدد هذا من أفسد الأقوال، بعضهم قَالُوا: أقل العدد أربعة بعضهم قَالُوا: عشرة بعضهم قَالُوا: كذا بعضهم قَالُوا: ثمانين من أفسد الأقوال العدد قرينة من القرائن.

كيف يحصل العلم بالمتواتر؟ هل التواتر دليلٌ على العلم أو العلم دليلٌ على التواتر؟ بمعنى أنت الآن تأكل مثْلًا إذا أخذت ثمانين لقمة لابد أن تقول: شبعت لأني أخذت ثمانين لقمة أو إذا شبعت تعرف أنك شبعت؟!

العلم دليل على التواتر أو العدد دليل على العلم؟ الصحيح: أن العلم دليل على التواتر، وهذا العلم وهذا اليقين مصادره كثيرة منها العدد ومنها وصف المخبرين، ومع ذلك هذا سمي متواترًا لأن الغالب أنه يحصل بالعدد، ليس معناه حصره في العدد أبدًا.

إِذًا قد يحصل العلم لك بواحد عن واحد إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وقد يحصل العلم عندك باثنين عن اثنين إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وقد يحصل بثلاثة عن ثلاثة إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وقد لا يحصل بمليون عن مليون إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

يروي مثْلًا الحكيم التِّرْمِذِيّ الحكيم التِّرْمِذِيّ الصوفي المعروف ومعه مائة من أمثاله عن ألف مثله من شيوخه؛ كلما زاد العدد يجعلني أشك في هذا الباب أين ذهب العدد؟!

أما هذا المثال أنا دائمًا أذكره: أما إذا سمعت الحديث من ابن خزيمة يرويه عن البُخَارِيّ، يرويه عن الإِمَام أحمد، يرويه عن الشافعي، يرويه عن الإِمَام مالك يرويه عن نافع، يرويه عن ابن عمر عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما هو رأيكم؟!

يحصل العلم اليقيني وأكثر؛ ولكن عند من يعرف ابن خزيمة أما من أشغل نفسه بالعلاف وبالنظام وبهشام ماذا دراه عن ابن خزيمة وماذا دراه عن البُخَارِيّ؟ أبدًا، هو يقول: بعضهم يقولون: أن كثيرًا من أَحَادِيْث الصَّحِيْحَيْنِ موضوعة لأنه ما يدري عن الصَّحِيْحَيْنِ.

أشار إلى هذا الرازي وأشار إلى هذا للأسف ابن جماعة يبدوا أنه نقل هذا عن الرازي، يرجح أن في الصَّحِيْحَيْنِ أحاديث ليست ضعيفة موضوعة، إِذًا قضية التواتر التي لأجلها استبعدوا الأَحَادِيْث كلها وجعلوها أخبار آحاد هي من أساطيرهم للأسف التي تسربت إلينا.

قَالُوا: الحديث باعتبار وصوله إلينا ينقسم إلى قسمين:

- متواتر يفيد العلم.
- وآحاد يفيد الظن.

طيب إلى هنا سلمنا لهم! طيب ما هو الحديث المتواتر والشروط هم وضعوها؟ إِذًا نحن سنكون يوصلننا إلى ما يريدون، لأن هذا التفصيل الذي ذكره شيخ الإِسْلَام هذا هو الصحيح.

بالتالي قول هذا المعترض أنها أخبار آحاد لا تفيد العلم بل تفيد الظن لِمَا عُرف في الأصول هذه خرافاتهم هنا وهناك، سبحان الله هذه الأَحَادِيْث ترد هكذا بهذا الأسلوب الفج.

فأولًا نقول: أكثرها متواتر إما لفظًا ومعنىً فقط، ثم ما ليس متواترًا من الصحيح الذي تلقته الأمة بالقبول، ثم الصحيح الذي ليس من هذا القبيل ينظر فيه إلى المتخصص وليس إلى ذلك ينظر فيه إلى المتخصص.

مثْلًا الشيخ الألباني حكم عليه بأنه صحيح إذا لم أكن أهلًا بالنظر فيه أعتمد رأيه، أما إذا كان يَعْنِي إذا كنت تُلم بها تنظر فيها لا مانع أن تنظر فيها وإلا نأخذ كلام المتخصصين في كل طبقة؛ إذا ما وجدنا عند المتقدمين نلجأ إلى المتأخرين؛ طَبْعًا هذا السروجي ترى ليس أنا للأسف أطلت معه لأنه نموذج، هذا هو منطقهم في كل كتاب لا يزيدون على هذا نعم تفضل.

بالنسبة عن الفقرة هذه: **"ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ مئاتٍ أو ألوفًا"**، اكتفى بهذا لم يفصل فيه أما بالنسبة لأقوال العُلَمَاء عمومًا سيذكرها في الأخير نعم.

(المتن)

قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:

ثم ليس في كتاب الله، ولا في سنة رسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولا عن أحدٍ من سلف الأمة لا من الصحابة والتابعين، ولا عن أئمة الدين الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرفٌ واحدٌ يخالف ذلك، لا نصًا ولا ظاهرًا.

ولم يقل أحدٌ منهم قط: إن الله ليس في السماء، ولا أنه ليس على العرش، ولا أنه بذاته في كل مكان، ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصلٌ ولا منفصل، ولا أنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصبع، ونحوها.

بل قد ثبت في الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات، في أعظم مجمعٍ حضره رسول الله -صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جعل يقول: «ألا هل بلغت؟»، فيقولون: نعم فيرفع أصبعه إلى السماء وينكبها إليهم ويقول: «اللّٰهم اشهد» غير مرةٍ وأمثال ذلك كثير.

الطالب: ...؟!

الشيخ: لا لاشك في هذا أَيْضًا ما تذكره هذا أَيْضًا لاشك فيه، حتى ولو لم يخبره موسى -عَلَيْهِ السَّلَام- لأن هذا الأمر معلومٌ بالفطرة؛ ولكن مما يؤكد هذا أن فرعون بدأ يبحث هناك لأنه هو أخبره أن إلٰهه هناك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، يقول شَيْخ الإِسْلَام: "ثم ليس في كتاب الله، ولا في سنة رسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولا عن أحدٍ من سلف الأمة لا من الصحابة والتابعين، ولا عن أئمة الدين الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرفٌ واحدٌ يخالف ذلك، لا نصًا ولا ظاهرًا".

هذه الجملة في الحقيقة إذا تعمقنا في الفقرة الماضية لا داعي لها الفقرة الماضية واضحة السابقة؛ ولكنه يقوله من باب التأكيد أثبت هناك أن الكتاب والسنة مليئان بإثبات الصفات والأسماء وأن الصَّحَابَة أَيْضًا كلامهم في هذا كثير؛ ثم هنا يقول: وليس هناك ما يخالف ذلك لا في آية ولا في حديث ولا في كلام أحدٍ من الأئمة؛ وهذا تحدي من يثبت غير هذا فنطالبه بالإثبات.

يقول: "**ولا عن أئمة الدين الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف**"، هذا القيد أَيْضًا مهم قد يقال: أن الأئمة ما تكلموا في مثل هذه الأمور لأنهم كانوا مشغولين مثلما يقولون في الصَّحَابَة، كانوا مشغولين في الجهاد وكذا وكذا ولم يدركوا زمن الأهواء؟!

يقول شيخ الإِسْلَام: "**لا الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف ليس عندهم حرفٌ واحدٌ يخالف ذلك لا نصًا ولا ظاهرًا**".

ثم يقول: "**ولم يقل أحدٌ منهم قط**"، هذا تمثيل مثال: "**إن الله ليس في السماء، ولا أنه ليس على العرش**"، لا أحد منهم قالها: "**ولا أنه بذاته في كل مكان**"، طَبْعًا هذا قول المتكلمين الله -عَزَّ وَجَلَّ- بذاته في كل مكان هذا قول المتكلمين الأوائل هذا قولهم.

وللأسف هذا موجود أَيْضًا في بعض من يقول: الله في كل مكان هذا قول الجهمية، الله -عَزَّ وَجَلَّ- أخبر بنفسه: أنه على العرش وأنت تقول: في كل مكان من الذي أخبرك أنه في كل مكان وكيف يكون الإيمان بالله -عَزَّ وَجَلَّ-؟ نؤمن بالله على ما أخبرنا وليس من.

لم يقل أحد: **"أنه بذاته في كل مكان، ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء"**، لأنهم يقولون: كان ولا مكان وهو الآن على ما كان عليه كل هذه الخرافات مقابلة نصوص في الكتاب والسنة واضحة كان ولا مكان فيه.

يقول: **"ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه"**، هذا القول الأخير الذي تبناه الأشاعرة في طورهم الأخير الأشعرية المتفلسفة هذا قولهم: لا داخل العالم ولا خارج العالم ولا متصل ولا منفصل هذا جنون، إذا أردت أن تصف المعدوم لن يكون وصفك أبلغ من هذا.

إذا سألتك ما هو المعدوم ماذا تقول؟ ذلك الذي لا داخل العالم ولا خارج العالم ولا متصلٌ به ولا منفصلٌ عنه ولا مداخلٌ له ولا محايدٌ له ولا مباينٌ أليس كذلك هذا هو المعدوم؟ كيف تقول عن الله -عَزَّ وَجَلَّ- أنه كذا وكذا؟ طيب ما هو الدليل؟ قَالُوا: لأنه ليس بمتحيز، طيب ما هو الدليل على أنه ليس بمتحيز؟ كذا خرافة دليلها خرافة.

يقول: **"ولا أنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصبع ونحوها"**، ليس هناك من يقول هذا؛ يقول: **"بل قد ثبت في الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات، في أعظم مجمعٍ حضره رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-"**، يَعْنِي في حياته جعل يقول: **«ألا هل بلغت؟»**، فيقولون: نعم فيرفع أصبعه إلى السماء وينكبها إليهم؛ ويقول: **«اللّٰهم اشهد»** غير مرةٍ وأمثال ذلك كثير.

النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- علمنا أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- فوق العرش علمنا هذا بالإشارة، وعلمنا هذا أَيْضًا بالنصوص وقبل ذلك هذا في كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ-؛ والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

للإمام الشيخ

شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني

- رحمه الله -

(المجلس السادس)

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد محمدي النورستاني

- حفظه الله -

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(المتن)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، اللّٰهم اغفر لنا ولشيخنا، آمين.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

فإن كان الحق فيما يقوله هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة في كتاب الله وسنة رسوله من هذه العبارات ونحوها دون ما يفهم من الكتاب والسنة إما نصًا وإما ظاهرًا، فكيف يجوز على الله، ثم على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم على خير الأمة أنهم يتكلمون دائمًا بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق الذي يجب اعتقاده ولا يبوحون به قط، ولا يدلون عليه لا نصًا ولا ظاهرًا، حتى يجيء أنباط الفرس والروم وفروخ اليهود والنصارى والفلاسفة، يبينون للأمة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكلف، أو كل فاضل أن يعتقدها.

لئن كان ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون هو الاعتقاد الواجب، وهم مع ذلك أُحيلوا في معرفته على مجرد عقولهم، وأن يدفعوا بمقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسُنة نصًا أو ظاهرًا، لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير، بل كان وجود الكتاب والسنة ضررًا محضًا في أصل الدين.

فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء أنكم يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله عز وجل وما يستحقه من الصفات نفيًا وإثباتًا، لا من الكتاب ولا من السنة، ولا من طريق سلف الأمة.

ولكن انظروا أنتم، فما وجدتموه مستَحقًا له من الأسماء والصفات فصفوه به، سواءٌ كان موجودًا في الكتاب والسنة أو لم يكن، وما لم تجدوه مستَحقًا له في عقولكم فلا تصفوه به!.

ثم هم هٰهنا فريقان، أكثرهم يقولون: ما لم تثبته عقولكم فانفوه.

ومنهم من يقول: بل توقفوا فيه، وما نفاه قياس عقولكم . الذي أنتم فيه مختلفون مضطربون اختلافًا أكثر من جميع اختلاف على وجه الأرض . فانفوه، وإليه عند التنازع فارجعوا، فإنه الحق الذي تعبدتكم به، وما كان مذكورًا في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا، أو يثبت ما لم تُدركه عقولكم . على طريقة أكثرهم . فاعلموا أني أمتحنكم بتنزيله، لا لتأخذوا الهدى منه، لكن لتجتهدوا في تخريجه على شواذ اللغة، ووحشي الألفاظ، وغرائب الكلام، وأن تسكتوا عنه مفوضين علمه إلى الله مع نفي دلالته على شيء من الصفات، هذا حقيقة الأمر على رأي هؤلاء المتكلمين.

وهذا الكلام قد رأيته صرَّح بمعناه طائفة منهم، وهو لازم لجماعتهم لزومًا لا محيد عنه، ومضمونه أن كتاب الله لا يُهتدى به في معرفة الله، وأن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معزول عن التعليم والإخبار بصفات من أرسله، وأن الناس عند التنازع لا يردُّون ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول، بل إلى مثل ما كانوا عليه في الجاهلية، وإلى مثل ما يتحاكم إليه من لا يؤمن بالأنبياء كالبراهمة والفلاسفة . وهم المشركون . والمجوس، وبعض الصابئين.

(الشرح)

بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم أما بعد:-

بعد هذا البيان بذكر الأدلة على بعض الصفات اللي هي صفة العلو، وبعد هذا التأكيد أن إثبات الصفات والأسماء هو الذي في الكتاب والسُنة وأنه هو الذي عليه الصحابة والسلف وأنه لم يوجد لا في الكتاب ولا في السُنة ولا في كلام السلف ما يخالف هذا، لم يوجد ولا حرف، بعد هذا كله يرجع شيخُ الإسلام إلى البداية التي بدأ منها: أين الحق في هذا الباب.

لأن هذا السؤال، طبعًا هذا بمعنى السؤال، ما رأيكم في الصفات التي وردت في الكتاب والسُنة: نُثبتها أو لا نثبتها؟

الصفات التي وردت في الكتاب والسُنة نثبتها أو لا نثبتها؟ استغفر الله.

ما دام وردت في الكتاب والسُنة ليس لك خيارٌ إلا الإثبات، أليس كذلك، لابد أن تؤمن بها، لا تناقشها، أنت الآن هنا تناقش رب العالمين، وتناقش هذه النصوص وتبدي رأيك، هذا النص يمشي وهذا النص لا يمشي، استغفر الله.

يقول: " **فإن كان الحق فيما يقوله هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة في كتاب الله وسنة رسوله من هذه العبارات ونحوها** " يعني طريقة السلف أسلم وطريق الخلف أعلم وأحكم، فإذًا من السلوب التي عندهم، دون ما يفهم من الكتاب والسُنة إما نصًا وإما ظاهرًا، إذا كان هذا هو الحق، إذا كان ما يقوله هؤلاء هو الحق من نفي صفات الله عز وجل ومن نفي أسمائه.

إذا كان هذا هو الحق فكيف يجوزُ على اللهِ ثم على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم على خير الأُمةِ أنهم يتكلمون دائمًا بما هو نصٌ أو ظاهرٌ في خلاف الحق؟ كيف هذا؟ طبعًا هم أيضًا يعترفون أن نصوص التشبيه كثيرة وأن الكتاب والسُنة فيهما من هذه النصوص الشيءُ الكثير، هم يعترفون أيضًا وسيأتي في كلامٍ من كلام أئمتهم أن الكتاب والسُنة فيها فعلًا نصوص كثيرة جدًا في إثبات الأسماء والصفات، هم يعترفون.

يقول شيخ الإسلام: " **فكيف يجوز على الله، ثم على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم على خير الأمة أنهم يتكلمون دائمًا بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق** "، كيف يبغى؟ يُعقل؟ كلامُ لله عز وجل فيه الهُدى وفيه البيان وفيه الحق، هل نتوقع أن يكون فيه نقيضُ هذا، على كلامهم هذا هو الحاصل، " **في خلاف الحق الذي يجب اعتقاده ولا يبوحون به** " أي بالحق، " **قط** " دائمًا خلاف الحق، أما الحق الذي يجب اعتقاده لا يظهرون به، لا يظهرونه، لا يبوحونَ به أبدًا ولا يدلون عليه لا نصًا ولا ظاهرًا، هل يُعقل هذا؟

هل يُعقل أن يحصل هذا ويستمر الأمر "**حتى يجيء أنباطُ الفرس**"، يعني أخلاط، "**الفرس والروم وفروخ اليهود والنصارى والفلاسفة، يأتون ويبينون للأمة العقيدة الصحيحة التي يجبُ على كل مكلف، أو كل فاضل أن يعتقدها؟**" هل يُعقل هذا؟ أن يبقى الحقُ الواجبُ في توحيد رب العالمين يبقى مخفيًا ويبقى مشارًا إليه بإشارات دقيقة ولا

يتفطنُ لها إلا هؤلاء؟؟ حتى ولو كانت هناك إشاراتٌ دقيقة وغامضة من أولى الناس بالتفطنِ إليها؟ الصحابة. ظلت مستغلقة على الجميع حتى جاء الجهم ومدرسته وتفطنوا إلى تلك الإشارات!.

مع هذا كله الواحد يستغرب لما يقرأ في كتب هؤلاء، يتكلمون وكأن الحق فعلًا عندهم وأن المخالفين، سبحان الله! وصف شيخ الإسلام في هذا الكتاب دقيق جدًا، ولا أملُ من قراءته سبحان الله! أستمتع بقراءة هذا الكتاب، وصف دقيق وجريء.

يقول: "**لئن كان ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون هو الاعتقاد الواجب، وهم مع ذلك أُحيلوا في معرفته على مجرد عقولهم**"، طبعًا هذا الحق من أين جاءهم؟ من عقولهم الملوثة، أليس كذلك؟ هذا هو الحق؟ وقد أحيلوا فيه إلى عقولهم؟

"**وأن يدفعوا بمقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسُنة نصًا أو ظاهرًا؟**".

الحق هو ما استخرجوه من عقولهم، ما تصادمه من النصوص لابد أن يدفعوه، ها؟ يقول: "**لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير، بل كان وجود الكتاب والسنة ضررًا محضًا في أصل الدين**".

الذي ينظر في واقع هؤلاء فعلًا يستشعر أن هذه النصوص تُشكل مشكلة عميقة بالنسبةِ لهم، إي نعم، أنا كُنت أكتب في رسالتي عن "**رد التفتازاني على الأدلة**" كيف يرد عليها، هذا موضوع، يعني ذكرت الأدلة ثم جئت إلى رده موقفه من الأدلة التي تُثبت هذه النصوص، وأنا أكتب انشغلت بموضوع آخر، لأن كلما أكتب عنه في موقفه، أنظر أيضًا في كُتب المتكلمين الآخرين، سُبحان الله هناك شيء مُلفت: اشمئزازهم من هذه النصوص. واللهِ العظيم كأنهم أمام معضلةٍ تحتاجُ إلى حل، هكذا يستشعرون.

قرأت في هذا وقرأت في هذا ثم عنونت قبل أن آتي إلى الموضوع عنونت، "**ظاهرةُ اشمئزازُ المتكلمين من النصوص**" وذكرت فيها بعض أقوالهم التي أنتَ لما هتقرأ تتعب أنتَ تتعب، يا رجل مثل هذه المواقف لا تتوقع من المؤمن من المُسلم؟ فكيف وقعوا فيها؟ هذه الشُبهة التي تحكمت فيهم.

أنا كُنت جئت بالكتاب لأقرأ بعض أوراقه لكن الوقت لا يسمح، شيء في استفزاز حتى تعلموا حقيقة ما يقوله شيخ الإسلام، يقول: **"لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير، بل كان وجود الكتاب والسنة ضررًا محضًا في أصل الدين"**.

هذه النصوص كيف نفتكُ منها؟ قالوا: بهذا وبهذا وبهذا، لهم معاول كثيرة، كلُ هذه المعاول لدفع هذه النصوص.

يقول: **"فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء"**، كأن الله عز وجل يقول لنا **"أنتم يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله عز وجل وما يستحقه من الصفات نفيًا وإثباتًا، لا من الكتاب ولا من السنة، ولا من طريق سلف الأمة ولكن "**.

كأن الله عز وجل يقول هذا، **"ولكن انظروا أنتم، فما وجدتموه مستَحقًا له من الأسماء والصفات فصفوه به، سواءٌ كان موجودًا في الكتاب والسنة أو لم يكن، وما لم تجدوه مستَحقًا له في عقولكم فلا تصفوه به!"**

أبدًا، عندكم حرية كاملة، هذا هو الواقع، المتكلمون لما يذكرون ما يجب على اللهِ وما يستحقه وما يمتنعُ عليه من عقولهم، ليس هذا فقط، قالوا: الاستدلال بالكتاب والسُنة في هذا الباب لا يجوز، الاستدلال بالكتاب والسُنة في أصول الإلهيات لا يجوز، لماذا يقولون؟ حتى لا يتورط واحد منا مثلنا ويقع في شباك هذه النصوص فيقع في التشبيه فقالوا لا يجوز.

"ثم هم هٰهنا فريقان" في ماذا؟ طريقتهم الآن إثباتُ ما أثبتته عقولهم، طيب ما لم تثبته عقولهم؟ هم في ذلك فريقان: عقولهم إما أن تسكت عن شيء معين، أو تنفي هذا الشيء المعين.

إذا نفت عقولهم قولًا واحدًا ينفوا، هذا أخره شيخُ الإسلام، وما نفاه قياس عقولكم فانفوه، قولًا واحدًا.

طيب، إذا توقفت عقولهم؟ هل نتوقف أو ننفي؟ قالوا: المحققون لهم قولان في هذا: أهل التحقيق، " **أكثرهم يقولون: ما لم تثبته عقولكم فانفوه"** لماذا؟ لأن طريق الإثبات هو

العقل، العقل لم يُثبت وبالتالي تجزم بنفيه، ومنهم من يقول: احتياطًا منهم ما شاء الله يقول: "**توقفوا فيه**" هذا من باب الاحتياط، ما دام أن العقل ما أثبته فنحنُ نحتاط في هذه المسألة المهمة ونتوقف.

يا سلام على توقفك هذا؟ سبحان الله! هذا فيما إيش؟ فيما لم تثبته عقولهم، عقولهم توقفت هذا.

إذًا لهم قولان: "**وأما ما نفاه قياس عقولهم**"، جملة معترضة من شيخ الإسلام يقول: "**الذي أنتم فيه مختلفون مضطربون اختلافًا أكثر من جميع اختلاف على وجه الأرض**"، الجملة معترضة فيها بيان لاختلافهم مما يدل على صدق كلام شيخ الإسلام هنا: أن المعتزلة وهم عباقرة العقل، وهم أئمة الأشاعرة في العقل، يُقال عنهم: أنه ما كان يجتمعُ منهم ستة إلا وبعضهم يُكفر بعضًا، ومن المعروف عندهم أن الولد يخالف أباه، والوالد يرد على أبو هاشم وأبناؤه، مذاهبهم معروفة.

طيب، إذا كانت العقول فيها الهداية والدلالة لماذا هذا الاضطراب، هذا أولًا.

ثانيًا: نحنُ إذا أردنا أن نتطفل على عقولكم إلى عقل من نرجع؟ "**فانفوه**"، إذا نفى العقل تنفيه، أما إذا توقف العقل فمن باب الاحتياط فيه قولان.

"**وإليه عند التنازع فارجعوا، فإنه الحق الذي تعبدتكم به**" كأن الله عز وجل يقول هذا.

"**وما كان مذكورًا في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا، أو يثبت ما لم تُدركه عقولكم.على طريقة أكثرهم.فاعلموا أني أمتحنكم بتنزيله**".

سيأتي في كلام شيخ الإسلام مبحث، سيشير شيخ الإسلام أنه اطلع على كلام بعضهم، بما هو مضمونه، وأنا أيضًا كُنت قرأت في ما كتبه الرازي وقبله عبد الجبار المعتزلي صرح بهذا، صرح بهذا الذي يذكره شيخ الإسلام لأنه طرح سؤالًا، هذه الظواهر ما فائدتها مع أنها كلها تدل على خلاف الحق؟

فذكر الرازي أن فائدتها: امتحان الناس، هل يقعون في ظاهرها فيقعون في التجسيم؟ أو يُعملون العقل فيها فيستخرجون منها ما هو الحق بالنظر إلى تلك الإشارة بلغة القوم؟

"**لا لتأخذوا الهدى منه، لكن لتجتهدوا**"، هو قال، الرازي يقول: أن هذا الاجتهاد فيه أجر، الاجتهاد في ماذا؟ في إيش؟ في دفن النصوص يؤجر عليه.

"**لكن لتجتهدوا في تخريجه على شواذ اللغة، ووحشي الألفاظ، وغرائب الكلام، أو تسكتوا عنه**" في نُسختي هنا، "و" وذكر في الهامش أن في بعض النُسخ "أو" وهذا هو الصحيح.

إما التأويل "**أو تسكتوا عنه مفوضين علمه إلى الله عز وجل مع نفي دلالته على شيء من الصفات**".

ذكرت لكم أن الخطوة الأولى، أن هذه الظواهر غير مرادة، هذه الخطوة يتفق فيها المؤولة والمفوضة، مع نفي دلالتها على شيء من الصفات، "**هذا حقيقة الأمر على رأي هؤلاء المتكلمين**".

على كل حال حتى لا نستغرب كلام شيخ الإسلام، قلت لكم هذا الكلام ذكره الرازي ويشير إليه شيخ الإسلام هنا، وهذا الكلام قد رأيته صرح بمعناه طائفةٌ منهم، طبعًا أنا لم أطلع على تصريح شيخ الإسلام بهذا الباب، وأنا شبه متأكد أنه يقصد الرازي وقد يكون غير الرازي أيضًا، أنا قرأت كلام الرازي في كتابه "**أساس التقديس**" عقد مبحثًا في المحكم والمتشابه، وجعل نصوص الصفات من المتشابه.

طبعًا سؤال يطرح نفسه ويفرض نفسه: هذه النصوص الكثيرة لماذا جاءت في الكتاب والسُنة؟ لماذا جاءت؟ كلها متشابهة، لماذا جاءت؟ أليس هذا السؤال يفرض نفسه؟

قال: من حكم الله عز وجل فيه أنه يمتحن الناس، يختبرهم، سبحان الله! يختبرهم بالاستسلام أو يختبرهم بمن الذي يُجيدُ ردها، يختبرهم كيف؟

" **قد رأيته صرَّح بمعناه طائفة منهم، وهو لازم لجماعتهم**" حتى لو لم يُصرح، يلزمهم "**لزومًا لا محيد عنه**"، طبعًا الذي لا يُصرح؟ نحنُ لا نلزمه، لا نحكيه مذهبًا له، ولو أننا نقول: ترى هذا يلزمك، مذهب أهل السُنة في اللوازم هكذا: إذا كان اللازمُ باطلًا وفاسدًا

نذكره ونقول: كلامُ فلان يستلزمُ هذا الباطل، وننبهه أيضًا حتى يرجع إلى الحق ولكن لا نحكيه مذهبًا له، لا نقول: هذا مذهبه، لا.

قد ينطق ويتكلم بما يغفل عن لازمه، قد أتكلم بشيء وأنا أغفل عن لازمه، ولما أُذكر بهذا اللازم أرجع، ما دام هذا الكلام سيء ويؤدي إلى هذا الباطل، لأن فساد اللازم وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم.

ولذلك لازمُ كلام الله عز وجل دائمًا نأخذه، لازمُ كلام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دائمًا حق ونلتزمه بشرط أن يكون لازمًا فعلًا.

"**ومضمونه أن كتاب الله لا يُهتدى به في معرفة الله**" هذا عندهم، ها؟ "**وأن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معزول عن التعليم والإخبار بصفات من أرسله**" بصفاتٍ من؟ من أرسله، هو الذي أرسله، ومع ذلك ليس له الحق في تحديد صفاته وأسمائه، ليس له الحق في تحديد صفات من أرسله، ومن الذي له الحق؟ البرديشي وشيوخه هو.

" **وأن الناس عند التنازع لا يردُّون ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول، بل إلى مثل ما كانوا عليه في الجاهلية**"، لأن هذه العقول هي التي كانت في الجاهلية أيضًا، يصفون الله عز وجل بما يحلوا لهم، "**وإلى مثل ما يتحاكم إليه من لا يؤمن بالأنبياء كالبراهمة والفلاسفة. وهم المشركون. والمجوس، وبعض الصابئين**".

هؤلاء كلهم ترى يقولن بوجودِ علةٍ يرجعون إليها خلق العالم، ليسوا ملحدين هؤلاء، البراهمة ليسوا ملحدين، وكذلك هؤلاء المجوس وكذلك الصابئة، هم يثبتون، يثبتونَ شيئًا يرجعون إليه خلق العالم، ها؟ طيب كيف يصفونه؟ يصفونه بعقولهم.

ومما اهتدى إليه كما يقولون رئيسهم في العقل أرسطوا، يقول: خالقُ العالم لا يدري عن العالم، هذا عقله، يقول: خالقُ العالم لا يدري عن العالم، سُبحان الله!؟

طيب، كيف خلقه؟ يقول لا، لا، ليس هو الذي خلقه، ولكنه علة، هذا عقله، عقله الذي تبعه كثيرٌ من الناس، فكل واحد يصفُ من يُرجع إليه خلق العالم يصفه بما يؤدي إليه عقله، ها؟

وهكذا عند المتكلمين، هذا يصفه بشيء وهذا يصفه بشيء لأن المرجع عندهم العقل، حتى الأشاعرة المذهب الرسمي عندهم، لا أتكلم على الأفراد، المذهب الرسمي عندهم أن هذه الصفات السبع نثبتها لأن العقل يثبتها، ها؟ بعضهم يقول: السمع والبصر والكلام هذا نثبته لأن النصوص أثبتتها وأما الباقي نثبتها بدليل العقل ولكن الأكثر منهم يقولون: نثبتها لأن العقلَ أثبتها، ولا نثبت غيرها لأن العقل لا يثبتها، واضح؟

أليس هذا قلبًا للموازين؟ نحنُ نثبت هذه الأسماء والصفات أولًا لأن الله عز وجل أثبتها، ولأن رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثبتها، بعد ذلك نستدل أيضًا بالأدلة العقلية، أدلة الفطرة، نستدل، ها؟ وهذه الأدلة أرشد إليها القُرآن وكذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

طيب، كما قلت لكم هذا الذي يُشير إليه شيخ الإسلام يبدوا أنه قرأ ما كتبه الرازي وقد يكون غيره من الأشاعرة، لم أطلع، أما من المعتزلة فكلام الرازي ملخص مما كتبه القاضي عبد الجبار في مقدمة كتابه "متشابه القُرآن".

فيقولون: المرجع في موضوع المتشابه هو العقل. هذا ذكره الرازي، طبعًا هو ذكره ونص عليه، غيره، هذا مذهب كما يقول شيخ الإسلام، هذا لازمٌ لجماعتهم لزومًا لا محيد عنه.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

وإن كان هذا الرد لا يزيد الأمر إلا شدة، ولا يرتفع الخلاف به، إذ لكل فريق طواغيت يريدون أن يتحاكموا إليهم، وقد أُمروا أن يكفروا بهم، وما أشبه هؤلاء المتكلفين بقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ● وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ● فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء:62،60] .

فإن هؤلاء إذا دعوا إلى ما أنزل الله من الكتاب وإلى الرسول. والدعاء إليه بعد وفاته هو الدعاء إلى سنته. أعرضوا عن ذلك وهم يقولون: إنا قصدنا الإحسان علمًا وعملًا بهذه الطريق التي سلكناها، والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية.

ثم عامة هذه الشبهات التي يسمونها دلائل إنما تقلدوا أكثرها عن طواغيت من طواغيت المشركين أو الصابئين، أو بعض ورثتهم الذين أُمروا أن يكفروا بهم، مثل فلان وفلان، أو عن من قال كقولهم لتشابه قلوبهم ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:65]، ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ..﴾ [البقرة:213].

ولازم هذه المقالة: أن لا يكون الكتاب هدًى للناس، ولا بيانًا ولا شفاء [لما في الصدور] ولا نورًا، ولا مردًّا عند التنازع، لأنا نعلم بالاضطرار [أن ما يقوله هؤلاء المتكلفون أن الحق الذي يجب اعتقاده لم يدل عليه [الكتاب والسنة] لا نصًا ولا ظاهرًا، وإنما غاية المتحذلق أن يستنتج هذا من قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:4]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:65].

وبالاضطرار يعلم كل عاقل أن من دل الخلق على أن الله ليس على العرش، ولا فوق السماوات، ونحو ذلك بقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ لقد أبعد النجعة وهو إما مُلْغِز، أو مُدَلس، لم يخاطبهم بلسان عربي مبين.

ولازم هذه المقالة أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيرًا لهم في أصل دينهم؛ لأن مَرَدَّهم قبل الرسالة وبعدها واحد، وإنما الرسالة زادتهم عمى وضلالًا.

يا سبحان الله! كيف لم يقل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا من الدهر، ولا أحد من سلف الأمة هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه، لكن اعتقدوا الذي تقتضيه

مقاييسكم، أو اعتقدوا كذا وكذا؛ فإنه الحق، وما خالف ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره، وانظروا فيها فما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه، وما لا فتوقفوا فيه أو انفوه.

(الشرح)

يقول شيخ الإسلام: يقول: لازال حديثه عن الله عز وجل حسب اعتقادهم، كان الله عز وجل يقول لنا أن الناس عند التنازع لا ينبغي أن يردوا أو أن يرجعوا إلى الكتاب والسُنة بل يرجعون إلى ما كانوا عليه في الجاهلية.

طيب، إذا قيل أن ما كانوا عليه في الجاهلية هو تحكيمُ العقل وهذا قد يشتتهم أكثر، يقول: "**وإن كان**" ترجعون إلى ما كنتم ترجعون إليه في الجاهلية، "**وإن كان هذا الرد لا يزيد الأمر إلا شدة**" مع ذلك أنتم مكلفون أن ترجعوا إلى عقولكم، "**وإن كان هذا الأمر لا يزيد الأمر إلا شدةً**"، لا يفسد، سبحان الله! وليس الأمر كما يقول الرازي، يقول: الذي يفسد العقول.

ولماذا كان الاختلاف أصلًا؟ ها؟

الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ألف كتابًا أسماه: "**فضائح الباطنية**" من أجمل الكُتب في الرد على الباطنية، من أجمل الكُتب ومن أوائلها وهذه ميزته أيضًا، من أوائل ما كُتب عن الباطنية، كتاب جميل جدًا في الرد. ولكنه بها أنه ليس مؤصلًا على الكتاب والسُنة شوف كيف ذكر هناك سؤالًا، مؤدى هذا السؤال: ما الذي يفصلُ بيننا وبينكم؟ لماذا أنتم تأولتم وتنكرون علينا التأويل؟ ذكر هذا السؤال بنفسه؟

الجواب: لأن تأويلنا يدل على إيش؟ العقل، هذا جوابهم.

هو في رده جميل ولكن لما جاء إلى تقرير الأصل وإلى التأصيل سقط في نفس الحفرة التي فيها. طبعًا هذا الجواب طبعًا سيقنع القرمطي؟ القرمطي إمامك في مثل هذه الخرافات، هو إمامك، هو الذي علمك، منه أخذتها، كيف تلجمه؟ أما كلام الرازي فصريح، المتشابه يقول: الفيصل هو العقل.

يقول:"ولا يرتفع الخلاف به"، لماذا؟ "إذ لكل فريق طواغيت يريدون أن يتحاكموا إليهم، وقد أُمروا أن يكفروا بتلك الطواغيت، وما أشبه هؤلاء المتكلفين بقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾[النساء: 60]"، ومع ذلك يتحاكمون إليه ومع ذلك يزعمونَ أنهم على العقيدة الصحيحة وأنهم هم أهلُ السُنة والجماعة.

"**فإن هؤلاء إذا دعوا إلى ما أنزل الله من الكتاب وإلى الرسول**" هذه جملة معترضة لبيان حقيقة الدعاء وكيف يكونُ الدعاء إلى الرسول، والدعاءُ إليه بعد وفاته هو الدعاءُ إلى سُنته فأعرضوا عن ذلك وهم يقولون: أعرضوا عن ذلك، وبدل أن يقول أعرضنا ووقعنا في الخطأ قالوا لا، أعرضنا لغرضٍ جميل. ما هو هذا الغرض؟ "**إنا قصدنا الإحسان علمًا وعملًا بهذه الطريق التي سلكناها، والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية**".

يقولون بهذه الطريقة التوقيفية، ليست توفيفية، التلفيقية، بهذه الطريقة جمعنا بين العقل والنقل.

أنتم أيها المجسمة أنتم أيها الحنابلة نصيون، وأولئك عقليون، جئنا نحنُ الكُلابية والأشاعرة والماتورودية ووفقنا وجمعنا بين العقل والنقل، أخذنا ببدهيات العقول بالقطعيات أخذناها ولم نُلغها وما صرنا مثلكم أيها المجسمة، ورددنا عليهم بعض ما عندهم من،، وبهذا نحنُ أخذنا الوسطية.

طبعًا سبحان الله! هذا الشعار تجدونه في كُتب الأشاعرة والماتوردية وقد لا يخلوا كتاب من كُتبهم إلى تحدثوا في هذا الموضوع، من ذلك مقدمة "**المستصفى**" للغزالي، ذكر أن ميزة هذا العلم، أنه به تتوسط بين العقل والنقل، هل يمكن أن تتوسط بين العقل والنقل؟ لا يمكن. إما أن تكون خرافيًا تعتمدُ على عقلك الملوث وإما أن تكونَ مؤمنًا بالكتاب والسُنة.

ومن الأسماء التي يسمونَ بها أهل السُنة أنهم نصيون، يذكرونها كذم لهم، وهذا فخر واللهِ أن تكون نصيًا، أن تكون متمسكًا بالكتاب والسُنة، الاعتصام بالكتاب والسُنة، كما يقول البُخاري في آخر صحيحه: كتابُ الاعتصام، بالكتاب والسُنة.

والاعتصام: أن تلتجئ إلى ما فيه العصمة في اعتقادك، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103]، الاعتصام هو الالتجاء، تلتجئ إلى ماذا؟ إلى ما تعتقد أن فيه العصمة، هذا هو الذي يُنجيك، الاعتصام بالكتاب والسُنة.

ولو سماك نصيًا ولو سماك مجسمًا، هذه الألقاب لا تقدم ولا تؤخر، بل هذه الألقاب تدل على أنك على الحق، لو مدحك وأثنى عليك شُكَ في إيمانك، إذا مدحكَ وأشعري، شُك فيما يمدحكَ فيه.

وكما قُلت هذا المنهج التلفيقي: نأخذ من العقل ونأخذ من النقل.

يقول: **"ثم عامة هذه الشبهات التي يسمونها دلائل إنما تقلدوا أكثرها عن طواغيت من طواغيت المشركين أو الصابئين"**، أبرزُ أدلتهم في هذا الباب: **"دليل خلود الأجسام"**، وهذا الدليل مأخوذ مقدماته مأخوذة من الفلاسفة.

وكما ذكرنا لكم هم مختلفون في أصل هذه النظرية هل ترجع، الأصل هل يرجع إلى الفلسفة اليونانية أو الفلسفة الهندية أو إلى المجوس، المهم هي من هُناك، هذا أشهر أدلتهم.

والدليل الذي بعده هو دليل التركيب، ودليل التركيب هم يصرحون بأنه دليل الفلاسفة.

هذه أدلتهم، تقلدوا أكثرها عن طواغيت من طواغيت المشركين أو الصابئين، **"أو بعض ورثتهم الذين أُمروا أن يكفروا بهم، مثل فلان وفلان، أو عن من قال كقولهم لتشابه قلوبهم"**.

دليل التركيب الذي نجده عند المتأخرين، أوائل المتكلمين ما كانوا يقولونَ به، لأن هذا الدليل يؤدي إلى التعطيل المحض، أما دليل حدوث الأجسام فلهم حُرية في التكيف معه، الجهمي جميلها حوادث، فينفي وأعراضها حوادث.

ويأتي المعتزلي يستثني الأسماء، ويأتي الأشعري ويستثني بعضها.

أما دليل التركيب فلا يتم إلا بالتعطيل المحض.

نجد عند المتأخرين، عند الأشاعرة يقدمون هذا الدليل على دليلهم هم، لا أقول على دليل الكتاب والسُنة، لا، يقدمونه على دليلهم هم، وهكذا.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:65]، ليس الرجوع فقط، تطمئن أنكَ رجعت إلى ما يوصلكَ إلى الحق.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾، لم يكن اختلافهم عن غموضٍ في الأدلة لا، اختلافهم كان عن عمدَ وعن عناد. ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾، البينات هي الأدلة الواضحة.

طيب لماذا اختلفوا؟ ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ..﴾[البقرة:213] .

لازال شيخ الإسلام في هذه المقالة، ولازال يُدندنُ حولها، هنا يقول: "**ولازم هذه المقالة**" بعض ما ذكره هنا ذكره أيضًا فيما سبق، وأُذكر هنا بما ذكرتكم به في لازم المذهب، ها؟ أينما وجدتم في كُتب الأئمة، لازمُ هذا كذا وكذا ليس معناه نسبة هذا القول إليهم مذهبًا أبدًا، ولكن نذكر هذه اللوازم لبيان أن فساد هذه اللوازم يدلُ على فسادِ الملزوم وأن أقوالهم فاسدة، لأن الحق لا يستلزمُ إلا الحق، والباطل لا يستلزم إلا الباطل.

إذا كان هناك قول يستلزمُ بعضَ الفاسد وبعض الباطل ارجع إلى القول سيكون فيه ما يؤدي إلى الفساد.

"**لازمُ هذه المقالة: أن لا يكون الكتاب هدًى للناس، ولا بيانًا ولا شفاء** [لما في الصدور]" طبعًا هذه الأوصاف التي ذكرها هنا هي مأخوذة من القُرآن، القُرآن يصف القُرآن بأنه إيش؟ هدىً للناس: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2]، أيضًا هدىً للناس، للجميع، خُصَ المتقون لأنهم هم المستفيدون، وإلا هو هدىً للناس.

"ولا بيانًا وشفاءً" هذا أيضًا ورد في القُرآن في وصف القرآن، "ولا نورًا"، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: 52].

"ولا مردًّا عند التنازع، لأنا نعلم" لازال الكلام لهم. **"لأنا نعلم بالاضطرار"** لا، الكلام له، **"لأنا نعلمُ بالاضطرار أن ما يقوله هؤلاء المتكلفون أن الحق الذي يجب اعتقاده لم يدل عليه** [الكتاب والسنة] **لا نصًا ولا ظاهرًا"**، الحق الذي هم يدعوننا إليه هذا الذي يعتقدونه ليس في الكتاب والسُنة، مع ذلك هو الحق، إذًا معناه أن القُرآن ليس هُدى، ليس نورًا يوصلنا إليه، إلى الحق.

"وإنما غاية المتحذلق" المتحذلق يعني هو المتكيس، هنا يشير أيضًا إلى ما ذكره الرازي، أنا أقول الرازي لأن أنا قرأت كلامه، قد يكون غيره أيضًا، **"أن يستنتج هذا"** هذا إيش؟ نفي الصفات، من قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:4].

الرازي هنا يقول هذا يدلُ، كونه واحدًا يدلُ على نفس الصفات التي هو ينفيها، لماذا؟ لأن الوحدانية لا تتحققُ إلا بالنفي عندهم، هذا الأصل أصلًا لمن؟ أن الوحدانية لا تتحققُ إلا بالنفي. هذا الأصل للفلاسفة، الوحدانية لا تتحقق إلا بنفي الصفات. لأن عندهم شيء اسمه يسموه تركيبًا، من أغرب أنواع التركيب، يقولون: الذات إذا أثبت لها صفات تكونُ مركبةً من ذاتٍ وصفات.

والمركب بعضه يحتاج إلى غيره، بعضه يحتاج إلى بعضه، وحتى يكون غنيًا واحدًا لا نثبت الصفات، ها؟ الأصل هذا لمن؟ للفلاسفة. طبعًا هذا ليس منه، هم يقولون ومع ذلك اعتمدوه.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1] يدل على التعطيل؟ سبحان الله!؟ ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: 2] يدلُ على ماذا؟ هو أحدٌ في صمديته، الناس يلجئون إليه، جميع الخلائق يلجئون إليه. هو غنيٌ في نفسه يحتاجُ إليه ما سواه، مثل القيوم: قائمٌ بنفسه ليس محتاجًا إلى غيره وغيره محتاجٌ إليه في قيامه.

ولكنه جعلوا هذه الصفات الخمسة جعلوها من الصفات السلبية، الصفات التي وردت في سورة الإخلاص جعلوها من الصفات السلبية، والصفات السلبية هي تصير سلبية ليس فيها إثباتٌ لمعنى، ها؟

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يقول هذا يدل على نفس الصفات.

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:65]، هذا أيضًا يدلُ على نفي الصفات. سبحان الله! الصفات التي أثبتها الله عز وجل ينفيها بهذه الإشارة.

"وبالاضطرار يعلم كل عاقل أن من دل الخلق على أن الله ليس على العرش، ولا فوق السماوات، ونحو ذلك بقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ لقد أبعد النُجعة" النُجعة هي طلب الكلأ ومساقط الغيث. أبعد النُجعة يُقالُ لمن لم يُحسن طلبه، بدل أن يذهب إلى المكان الذي يريده يذهب إلى هناك.

"وهو إما مُلْغِز، أو مُدَلس"، مُلغز: أي يأتي بكلامٍ هو اللغز وهذا الكلام لا يُفهم، ليس لضعفٍ في المتلقي، لا، المتكلم جعله لغزًا، مُلغز، تعمدَ ألا يُفهم كلامه. أو مُدلس: قصده خبيث، "لم يخاطبهم بلسان عربي مبين".

"ولازم هذه المقالة أن يكون تركُ الناس بلا رسالة خيرًا لهم في أصل دينهم؛ لأن مَرَدَّهم قبل الرسالة وبعدها واحد، وإنما الرسالة زادتهم عمى وضلالًا".

ما دام الرجوع إلى العقل فقط وأن المرجع هو العقل وأن العُمدة هو العقل؟ لماذا الكتاب والسُنة؟ لماذا إرسال الرُسل؟ لماذا؟ لأنها زادت فعلًا عمًا وضلالًا، زادت الإشكال.

"يا سبحان الله! كيف لم يقل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا من الدهر، ولا أحد من سلف الأمة" كيف لم يقولوا أن "هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه، لكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم، أو اعتقدوا كذا وكذا؛ فإنه هو الحق، وما خالف ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره، وانظروا فيها فما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه، وما لا فتوقفوا فيه أو انفوه". على القولين السابقين.

ماذا أنتم شيخ الإسلام أو أشغلكم شيئًا ويعنيه، طيب أي سؤال أي استشكال لابد أن نذكره حتى نمشي ونحنُ قد فهمنا لأن أصحاب كلام شيخ الإسلام هذا لما يكونُ المدرس مثلي ضعيف فقد يكون هو في وادٍ وأنا في وادٍ والضحية أنتم، لما كان هناك غموض لابد أن تذكروه حتى نحاول فهمه.

هذا الذي ذكره شيخ الإسلام أنا أختم المجلس أختم هذا الدرس بذكرِ كلام لأحد الأئمة من المتكلمين، هذا النص يدلُ على أن هذا الاستشكال يلاحقهم أيضًا، كيف جميع النصوص في وادٍ ونحن في واد؟ يلاحقهم هذا.

وأنا ذكرت لكم أن ابن سينا ذكر هذا الاستشكال وأجب عنه، ونذكرُ لكم كلام أحد أئمتهم، هذا الكلام أخذه الرازي عن ابن سينا وعن الرازي أخذَه عدد منهم ومنهم التفتازاني، والنص الذي أقرأه منكم هو نص التفتازاني يقول، بعد أن ذكر الأدلة وناقشها يبدوا أنه استشعر هذا الإشكال وذكر هذا السؤال ثم أجاب عليه بما سنستمع إليه، يقول: يقول هذا في صفة العلو فإن قيل: إذا كان الدينُ الحقُ نفي الحيزِ والجهة. هم في تعبيرهم يتعمدون، يقصد نفي العلو، فما بال الكُتب السماويةِ والأحاديث النبويةِ مشعرةً. [في الدين ليست مشعرة هي، هي نص]. في مواضع لا تُحصى بثبوت ذلك من غير أن يقع في موضعٍ منها تصريح بنفي ذلك.

لاحظوا كيف أن السؤال مع محاولته واضح، ها؟ كما قرر الدلالة على وجود الصانع وحكمته ووحدته وعلمه وقدرته وحقيقة المعاد وحشر الأجساد في مواضع وأكدت غاية التأكيد مع أن هذا أيضًا حقيقٌ بغاية التأكيد والتحقيق، يعني إثبات العلو.

تلك الموضوعات وجود الخالق حيث الأجساد حققته، هذا الموضوع أيضًا حقيقٌ بالتحقيق والإثبات، مع ذلك جاءت النصوص عكس، ليش؟

يقول: لما تقرر في فكرة العقلاء مع اختلاف الأديان والآراء من التوجه إلى العلو عند الداء، ورفع الأيدي إلى السماء. أُجيب؟ أليس السؤال واضح؟

أُجيب، الذي أجاب هو ابن سيناء وكلام ابن سينا طويل ما ننشغل به، وليه في الطول كلامُ الرازي هذا ملخص.

أُجيب: بأنه لما كان التنزيه عن الجهةِ مما تقصرُ عنه عقول العامة. لأن هناك عامة وهناك إيش؟ خواص.

حتى يكاد يُجزمُ بنفي ما ليس في الجهة كان الأمثل في خطاباتهم والأقرب إلى اصطلاحهم، والأليق بدعوتهم إلى الحق. أعوذُ بالله، أيُ حق! أيُ حق يعنيه!؟ ها؟

كان الأنسب في خطاباتهم والأقرب إلى اصطلاحهم والأليقَ بدعوتهم إلى الحق ما يكونُ ظاهرًا في التشبيه، وكون الصانع في أشرف الجهات مع تنبيهاتٍ دقيقةٍ على التنزيه المطلق، أما هو من سمات الحدوث، كلامه طويل، واضح؟

يكاد يُصرح بأن جماعة المتكلمين مصادمون مصادمة واضحة للنصوص، وأن اتجاه النصوص يختلف عن اتجاههم، لذلك جاء ما استطاع أن يقول: أن في آيتي كذا وكذا، تصريحًا بما ندعو إليه، استطاع هذا؟ ما استطاع، إي، لذلكَ لما يعرف به بعض المعاصرين أن دلالة النصوص على تعطيلنا نحنُ، هذا كلام إمامهم، وليس هذا فقط، قبله الرازي وبعده آخرون.

واللهُ أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

شيخ أحسن الله إليكم في بعض الأسئلة:

يقول السائل أحسن الله إليكم، اضطراب البيهقي على حديث الجارية بأن نسخته في صحيح مسلم لا يوجد فيها أين الله؟ ما الردُ على هذا؟

الشيخ: لو كانت نسخته هي النُسخ الوحيدة في الدُنيا وأن البيهقي هو الراوي الوحيد قلنا هذا، نسخ صحيح الإمام مسلم عديدة كثيرة، والإمام البيهقي أصلًا لا يُذكر في الرواة المعروفين اللي، هو إمام من الأئمة في الحديث ولكن في رواية الكتاب لا يذكر ممن انفرد بروايته، أو ممن كان مرجعًا في روايته، مثل بعض الأئمة الذين ترع إليهم أسانيد الكتاب، نسختهم أقل فيها، نسخة غيريه فيها، النسخ المعتمدة فيها.

الطالب: يقول السائل: أحسن الله إليكم، ما حالُ ابن جماعة.

الشيخ: ابن جماعة أنا كنت ذكرت لكم، طبعًا ابن جماعة من المتكلمين الذين لهم أيضًا اشتغال ببعض العلوم الحديثة، وهو في هذا الباب مقلدٌ للرازي، وكما يقول الشيخ عبد الوكيل الشيخ صاحب هذه هي الصوفية، الشيخ إيش؟ عبد الرحمن عبد الوكيل، يقول: هؤلاء مؤمنون بالرازي وليسوا مؤمنين بالكتاب والسُنة.

قلده هذا الذي استغربت، بقية التعطيل موجود، هذا دينهم، قلده حتى في القول بأن في الصحيحين أحاديث موضوعة، في هذا الكتاب (إيضاح الدليل في كذا كذا على حجج التعطيل)، مقلد له.

الطالب: يقول السائل: أحسن الله إليكم، ما الأسباب التي أدت إلى نبوغ شيخ الإسلام ابن تيمية؟

الشيخ: نبوغه؟ هي الأسباب كثيرة سبحان الله. طبعًا أولًا فضل الله عز وجل يُعطيه من يشاء. الرجل كان نابغة وكان فريد عصره في حفظه وفي اجتهاده وفي قراءته وفي يعني أي جانب تأخذ منه تجد العجب.

يعني لما وصل إلى السابع عشر من عمره بدأ يدرس وبدأ يؤلف وبدأ يُرجع إليه وهو في هذا العمر، وكان جريئًا جدًا في الحق مع ما كان عليه من الحكمة.

أحد الأخوة ألف كتابًا في هذا الموضوع: "**عوامل النبوغ في شيخ الإسلام**"، وهناك رسالة دكتوراه: "**أسباب التأثر بشيخ الإسلام في هذا العصر**". أنا كنت أحصيت، لا، لست أنا الذي أحصيت، هُناك رسالة ألفها أحد الأخوة في ألف وأربعمائة وخمسة عشر، يعني قبل كم من الآن، وصلت الرسائل العلمية فيه والله نسيتها يعني قريب المائتين، لم يتركوا جانبًا من جوانبه إلا وكتب فيه، فعوامل النبوغ فيه كثيرة، كثيرة جدًا، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

الطالب: يقول السائل: أحسن الله إليكم، ما معنى صفة التكوين عند الماتورودية؟

الشيخ: صفة التكوين يرجعون إليها جميع الصفات الفعلية التي تتعلق بالإيجاد الخلق، الرزق وما في معناه، الصفات الفعلية التي فيها معنى الإيجاد، كل هذه الصفات يدرجونها

تحت صفة التكوين ويجعلونها أزلية، وهذه هي الصفة الثامنة التي ينفرد بإثباتها الماتورودية، وعلى ما في قولهم من الخلط إلى أنهم أقربُ إلى أهل السُنة في هذه المسألة.

الطالب: يقول السائل: أحسن الله إليكم، ما يقصد الأشاعرة بالأحوال؟

الشيخ: نظرية الأحوال ليست للأشاعرة إنما هم مقلدون فيها للمعتزلة، وأبو هاشم لما اخترع هذه النظرية كان عرفها، عرف الحال بأنه واسطة بين الوجودِ والعدم، لا هو معدوم ولا هو موجود، وهي نظرية غريبة وتعد محارات علم القراءة، ولكن الأشاعرة اختلفوا فيها في البداية، الباقلاني كان يرد هذه النظرية، والجويني أخذ هذه النظرية وجعلها أصلًا ثم المتأخرون أيضًا أختلفوا.

من الأقوال الجيدة في الحال قول صاحب الجوهرة، يقول: القول بالحال محال. يُنكر، ولكن المدرسة المغربية من الأشاعرة قولًا واحدًا يقولون بها وتقسيم الصفات عندهم مبنيٌ على هذه النظرية، ولذلك يجعلون من السبع واحدًا وعشرين.

الطالب: ....

الشيخ: لا الحال ما هي، هم لا يثبتون الصفات، يُقالُ لهم: أليس العالم يتميز عن الجاهل بشيء؟ يتميز؟ طيب ما هو هذا الذي يتميز به؟ في شيء يتميز به، أليس كذلك؟ هو لا يستطيع أن يقول أن هذه الصفة لأن عنده حساسية لأن عنده حساسية من كلمة صفة، فقال: يتميز بحالٍ ليس عليها الجاهل، العالم يتميز بحالٍ ليس عليها الجاهل. هذه النظرية لأبي هاشم المعتزلي.

الباقلاني ناقش هذه النظرية، الباقلاني يقول: هذه الحال إذا كانت موجودة هي الصفة التي نثبتها، وإذا كانت معدومة ما وجد به شيء.

أبو هاشم نفسه كان مضطربًا في تعريفه الحال، هو ثبتُ شيئًا ولكن إذا قال هذا الشيء موجود هذه هي الصفة، فلذلك ما كان يقول هذه موجودة وما كان يقول هذه معدومة لأنه إذا قال معدومة تتحدث عن ماذا أنت؟ فكان يقول: هي واسطة بين الوجود والعدم.

طبعًا نظريات هي سخيفة من بدايتها فما نستطيع، نحنُ أحيانًا نحاول أن نجعلها نظرية محترمة، هي هكذا في الأصل.

الطالب: أحسن الله إليكم، يقول السائل: ما معنى التركيب عند المتأخرين وحدوث الأجسام عند المتأخرين؟

الشيخ: ممكن نؤجلها لأن هذه طويلة. يعني احتفظ بها.

الطالب: جزاءك الله خير يا شيخ.

الشيخ: وإياكم.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

للإمام الشيخ

شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني

- رحمه الله -

(المجلس السابع)

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد محمدي النورستاني

- حفظه الله -

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، اللّهم اغفر لنا ولشيخنا آمين.

(المتن)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: "ثُمَّ اَلرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَخْبَرَ بِأَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَقَدْ عَلِمَ مَا سَيَكُونُ، ثُمَّ قَالَ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا، كِتَابَ اَللَّهِ».

وَرُوِيَ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِي صِفَةِ اَلْفِرْقَةِ اَلنَّاجِيَةِ: «هُوَ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ اَلْيَوْمَ وَأَصْحَابِي».

فَهلا قال مَنْ تَمَسَّكَ بِظَاهِرِ اَلْقُرْآنِ فِي بَابِ اَلِاعْتِقَادِ فَهُوَ ضَالٌّ، وَإِنَّمَا اَلْهُدَى رُجُوعُكُمْ إِلَى مَقَايِيسِ عُقُولِكُمْ، وَمَا يُحْدِثُهُ اَلْمُتَكَلِّمُونَ مِنْكُمْ بَعْدَ اَلْقُرُونِ اَلثَّلَاثَةِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ نَبَغَ أَصْلُهَا فِي أَوَاخِرِ عَصْرِ اَلتَّابِعِينَ".

(الشرح)

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالة في النار.

لازال الحديث في الرد على المتكلمين في زعمهم أن المرجع في هذا الباب هو العقل، وقد ذكر وبيَّن شيخ الإسلام أن الوحي "**الكتاب والسنة**" إذا كانا دورهما هو في أحسن الأحوال الاعتضاض وليس الاعتماد، وإذا كان العقل هو المرجع في هذا الباب فكان ترك الأمة بغير الكتاب والسنة كان أحسن؛ لأن وجود هذه النصوص عندهم هي جزء من الإشكال وليس فيها حل، لا زال الحديث في هذا الموضوع.

يقول: "ثُمَّ اَلرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَخْبَرَ بِأَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ فِرْقَةً" هذا حديث الافتراق المعروف، وقد رُوي عن ثمانية عشر صحابيًّا، هذا الحديث، وقد ألف أحد الإخوة إشارة علمية حول هذا الحديث -حديث الافتراق- وهذه الرسالة أظن في مجلدين، وذكر أن الحديث رُوي من ثمانية عشر طريقًا، وأنه يصح من ستة طرق، من ستة وجوه، وذكر متون جميع الأحاديث، جميع الطرق، وذكر أيضًا ما يصح من تلك الألفاظ وما لا يصح، وكتابه جميل جدًّا في حديث الافتراق، الدكتور/ أحمد سردار.

وأنا كنت لخصت ما ذكره من جميع الطرق، ولخصتها لمذكرة لي أنا، ومن غريب ما رأيت وأنا ألخص أن أغلب الفرق المنحرفة استدلوا بهذا الحديث وزادوا فيه ما يؤيد مذهبهم، مع أن هذا الحديث من حيث الإجمال هم يبطلونه، ممن ذكر أن هذا الحديث ضعيف: أحد المعاصرين، له كتب في الفرق، وهو أصلاً متخصص في الكتاب عن الفلاسفة المعاصرين والقدماء، الدكتور/ عبد الرحمن بدوي.

ذكر في كتاب له: أن هذا الحديث، ومما يدل على أنه لا يصح: أن فيه تنبؤ بما لم يحصل، ولا يمكن للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتنبأ بما لم يحصل، لا يعلم الغيب، انظر كيف يصل الجهل به إلى! النبي لماذا سُمي نبيًّا:

- إما من النَبوة وهو العلو، وشأنه أعلى.
- وإما من النبأ وهو يتنبأ لأنه يُنبَّأ، ﴿مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾[التحريم: 3].

يقول النبي هكذا، ولو قال الرسول؛ لقلنا: لعله نسي كونه نبيًّا، يقول: النبي لا يمكنه أن يتنبأ بما لم يأتِ، وبالتالي هذا الحديث موضوع.

من غريب ما رأيت: ما ذكره أمير المؤمنين في الحديث، شيخ المحدثين: عبد الجبار الهمداني المعتزلي، يقول: "روى محمد بن يزداد"، ما أدري من هو؟ بهتان وما عرفته، وهذا الحديث لم أجده حتى في كتب الموضوعات، يعني بعض الأحاديث الموضوعة إذا وجدتها في كتب الموضوعات فهذا يعتبر أن هذا يعني ها، لم أجده حتى في كتب الموضوعات هذا الحديث.

«ستفترق أمتي ..» كذا وكذا في آخرها: **«أبرها وأفضلها المعتزلة»** سبحان الله! وذكرت بعض الفرق أن المراد بتلك الفرقة الاثني عشرية، زادوا أيضًا كلمة، وذكروا أنها هي الفرقة الناجية.

نحن رأينا كيف أنهم يردون الأحاديث الصحيحة بحجة أنها أخبار آحاد، وإذا أرادوا يستدلون بما هو لا أدري إذا قلنا حديث موضوع، يعني أبعد من الموضوع، هكذا حالهم.

وهذا الحديث حديث عظيم جدًّا، فيه بيان الافتراق وأنه سيقع، والافتراق الذي أُشير إليه هنا هو ما يكون في أصلٍ من الأصول، ومجرد الاختلاف لا يطلق عليه افتراق، هناك فرق بين الاختلاف والافتراق:

- الاختلاف يحصل حتى بين أهل السنة.
- ولكن الاختلاف إذا وصل إلى حدٍّ لا يمكن أن تستوعبه منظومة أهل السنة أو منظومة السنة فهذا هو الافتراق.

بعبارة أخرى: إذا كان خلاف الدليل، وإذا كان في أصل من الأصول فهذا افتراق.

وسُميت الفرق فِرَقًا لما فيها من الافتراق، والافتراق فيه خلاف، وهذا الخلاف يصل إلى حد الفُرقة، أي: يخرج على منه أهل السنة في أصل من الأصول، مجرد الاختلاف ليس افتراقًا، بعض الإخوة يغلو في هذا الباب فيجعل كل اختلافٍ افتراقًا، وبعض الإخوة يريد أن يبين هذا الباب ويستدل للسكوت عن البدع بوجود الافتراق، وأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر عن أن الافتراق سيكون، وهذا يمشي وهذا يمشي، وكل هذا خطأ.

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرنا عن الافتراق ليحذرنا من أن نقع في الافتراق، ويكف تتجنب الافتراق؟ بالاعتصام بالكتاب والسنة.

"فَقَدْ عَلِمَ مَا سَيَكُونُ" علم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالوحي ما سيكون.

ثُمَّ قَالَ -طبعًا هذا ليس في هذا الحديث-: **«إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا، كِتَابَ اللَّهِ»** هذا حديث جابر الطويل، جزء من حديث جابر في صحيح مسلم؛ إذًا أخبر عن الافتراق في حديث الافتراق.

وأخبر عن سبب الافتراق وأخبر عمن يبقى في دائرة أهل السنة، وما هي علاماتهم، ذكرها في هذا الحديث، وإذًا في هذا الحديث حديث جابر، أخبر بقوله: «**إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا، كِتَابَ اَللَّهِ**» وليس عقل فلان أو علان.

"**وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِي صِفَةِ اَلْفِرْقَةِ اَلنَّاجِيَةِ**" هذا لفظ من ألفاظ الحديث، حديث الافتراق: «**هُوَ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ اَلْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**» هذا لفظ من الألفاظ، والألفاظ الصحيحة جمعها الدكتور أحمد، وأنا أيضًا لخصتها من كتابه.

إذًا هنا «**هُوَ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ اَلْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**» وليس على ما كان عليه عقل فلان وعلان.

"**فهلا قال**" إذا كان الأمر هكذا، "**فَهلا قال**" يعني فهلا قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه أخبرنا بوقوع الافتراق، وكان المفروض أن يقول: "**مَنْ تَمَسَّكَ بِظَاهِرِ اَلْقُرْآنِ فِي بَابِ اَلِاعْتِقَادِ فَهُوَ ضَالٌّ**" المفروض يقول هكذا ويريحنا؛ لأنه أخبرنا أيضًا عن وجود الافتراق، أليس كذلك؟ فكان ينبغي أن يقول: "**مَنْ تَمَسَّكَ بِظَاهِرِ اَلْقُرْآنِ فِي بَابِ اَلِاعْتِقَادِ فَهُوَ ضَالٌّ**" وحاشاه أن يقوله.

وبعض هؤلاء قد قالوا، قلت لكم: السنوسي أحد علمائهم في المغرب، توفي سنة ثمانمائة وثمانين أو تسعين، يقول: أصول الكفر ستة: منها الاستدلال بظاهر النصوص، هذا من أصول الكفر، أعوذ بالله.

وكان ينبغي أن يقول: "**وَإِنَّمَا اَلْهُدَى رُجُوعُكُمْ إِلَى مَقَايِيسِ عُقُولِكُمْ، وَمَا يُحْدِثُهُ اَلْمُتَكَلِّمُونَ مِنْكُمْ بَعْدَ اَلْقُرُونِ اَلثَّلَاثَةِ**" كان ينبغي أن يخبرنا أن القرون الثلاثة لا تستدل بما هم عليه، ما سيحدثه المتكلمون أولئك الطواغيت بعد القرون الثلاثة هناك سكون الحك، كان ينبغي أن يقول هكذا.

"**وَإِنْ كَانَ قَدْ نَبَغَ**" طبعًا هذا استدراك من شيخ الإسلام ليُبيِّن أن هذا هو الغالب، "**وَإِنْ كَانَ قَدْ نَبَغَ أَصْلُهَا فِي أَوَاخِرِ عَصْرِ اَلتَّابِعِينَ**".

هكذا كان ينبغي أن يحسم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مادة الخلاف، وأن يحسم في هذا الموضوع الذي أشغل المتكلمين، ظواهر التشبيه، ظواهر التشبيه، قال: المفروض أن يحسمه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وبالرغم ما هم عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرنا بوقوع الافتراق وحسَّنا على التمسك بالكتاب والسنة حتى لا نكون مثلهم في الافتراق.

الآن يذكر السند هذه المقالة، مقالة التعطيل.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: "ثُمَّ أَصْلُ هَذِهِ الْمَقَالَةِ- مَقَالَةِ التَّعْطِيلِ لِلصِّفَاتِ- إِنَّمَا هُوَ مَأْخُوذٌ عَنْ تَلَامِذَةِ الْيَهُودِ وَالْمُشْرِكِينَ، وَضُلَّالِ الصَّابِئِينَ؛ لِأَنَّ أَوَّلَ مَنْ حُفِظَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ فِي الْإِسْلَامِ هُوَ الْجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ، وَأَخَذَهَا عَنْهُ الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ، وَأَظْهَرَهَا فَنُسِبَتْ مَقَالَةُ الْجَهْمِيَّةِ إِلَيْهِ، وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الْجَعْدَ أَخَذَ مَقَالَتَهُ عَنْ أَبَانَ بْنِ سَمْعَانَ، وَأَخَذَهَا أَبَانُ عَنْ طَالُوتَ بْنِ أُخْتِ لَبِيدِ بْنِ الْأَعْصَمِ، وَأَخَذَهَا طَالُوتُ مِنْ لَبِيدِ بْنِ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِيِّ السَّاحِرِ الَّذِي سَحَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَكَانَ الْجَعْدُ -هَذَا فِيمَا قِيلَ- مِنْ أَهْلِ حَرَّانَ وَكَانَ فِيهِمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الصَّابِئَةِ وَالْفَلَاسِفَةِ، بَقَايَا أَهْلِ دِينِ النَّمْرُودِ، وَالْكَنْعَانِيِّينَ الَّذِينَ صَنَّفَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي سِحْرِهِمْ، وَالنَّمْرُودُ هُوَ: مَلِكُ الصَّابِئَةِ الْكَنْعَانِيِّينَ الْمُشْرِكِينَ، كَمَا أَنَّ كِسْرَى مَلِكُ الْفُرْسِ وَالْمَجُوسِ وَفِرْعَوْنَ مَلِكُ الْقِبْطِ وَالْكُفَّارِ، وَالنَّجَاشِيّ مَلِكُ الْحَبَشَةِ النَّصَارَى، فَهُوَ اِسْمُ جِنْسٍ لَا اِسْمُ عَلَمٍ.

كَانَتْ الصَّابِئَةُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ إِذْ ذَاكَ عَلَى الشِّرْكِ وَعُلَمَاؤُهُمْ الْفَلَاسِفَةُ، وَإِنْ كَانَ الصَّابِئُ قَدْ لَا يَكُونُ مُشْرِكًا، بَلْ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[الْبَقَرَة:62]، وَقَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[الْمَائِدَة:69]، لَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ، أَوْ أَكْثَرَهُمْ كَانُوا كُفَّارًا أَوْ مُشْرِكِينَ، كَمَا أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بَدَّلُوا وَحَرَّفُوا وَصَارُوا كُفَّارًا أَوْ مُشْرِكِينَ، فَأُولَئِكَ الصَّابِئُونَ الَّذِينَ كَانُوا إِذْ ذَاكَ كَانُوا كُفَّارًا مُشْرِكِينَ وَكَانُوا يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ وَيَبْنُونَ لَهَا الْهَيَاكِلَ.

وَمَذْهَبُ النُّفَاةِ مِنْ هَؤُلَاءِ فِي الرَّبِّ: أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ إِلَّا صِفَاتٌ سَلْبِيَّةٌ، أَوْ إِضَافِيَّةٌ أَوْ مُرَكَّبَةٌ مِنْهُمَا، وَهُمْ الَّذِينَ بُعِثَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ إِلَيْهِمْ، فَيَكُونُ الْجَعْدُ أَخَذَهَا عَنْ الصَّابِئَةِ الْفَلَاسِفَةِ، وَكَذَلِكَ أَبُو نَصْرٍ الْفَارَابِيُّ دَخَلَ حَرَّانَ وَأَخَذَ عَنْ الْفَلَاسِفَةِ الصَّابِئِينَ تَمَامَ فَلْسَفَتِهِ، وَأَخَذَهَا الْجَهْمُ أَيْضًا- فِيمَا ذَكَرَهُ الْإِمَامُ

أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ- لَمَّا نَاظَرَ اَلسّمْنِيَّةَ بَعْضَ فَلَاسِفَةِ الْهِنْدِ- وَهُمْ اَلَّذِينَ يَجْحَدُونَ مِنْ اَلْعُلُومِ مَايُسَمُّونَهُ اَلْحِسِّيَّاتِ-، فَهَذِهِ أَسَانِيدُ جَهْمٍ تَرْجِعُ إِلَى اَلْيَهُودِ وَالصَّابِئِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَالْفَلَاسِفَةِ اَلضَّالِّينَ إِمَّا مِنْ اَلصَّابِئِينَ، وَإِمَّا مِنْ اَلْمُشْرِكِينَ.

ثُمَّ لَمَّا عُرِّبَتْ اَلْكُتُبُ اَلرُّومِيَّةُ فِي حُدُودِ اَلْمِائَةِ اَلثَّانِيَةِ زَادَ اَلْبَلَاءُ مَعَ مَا أَلْقَى اَلشَّيْطَانُ فِي قُلُوبِ اَلضُّلَّالِ اِبْتِدَاءً، مِنْ جِنْسِ مَا أَلْقَاهُ فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ.

وَلَمَّا كَانَ فِي حُدُودِ اَلْمِائَةِ اَلثَّانِيَةِ اِنْتَشَرَتْ هَذِهِ اَلْمَقَالَةُ اَلَّتِي كَانَ اَلسَّلَفُ يُسَمُّونَهَا مَقَالَةَ اَلْجَهْمِيَّةِ بِسَبَبِ بِشْرِ بْنِ غِيَاثٍ اَلْمرِّيسِيِّ وَطَبَقَتِهِ، وَكَلَامُ اَلْأَئِمَّةِ مِثْلُ: مَالِكٍ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَابْنِ اَلْمُبَارَكِ، وَأَبِي يُوسُفَ، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ، وَالْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ، وَبِشْرٍ اَلْحَافِي، وَغَيْرِهِمْ، فِي هَؤُلَاءِ كَثِيرٌ، فِي ذَمِّهِمْ وَتَضْلِيلِهِمْ".

(الشرح)

هنا يبين شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ أصل مقالة التعطيل ومن أين جاءت، ويبين هنا أن **"هَذِهِ اَلْمَقَالَةِ- مَقَالَةِ اَلتَّعْطِيلِ - إِنَّمَا هُوَ مَأْخُوذٌ عَنْ تَلَامِذَةِ اَلْيَهُودِ وَالْمُشْرِكِينَ، وَضُلَّالِ اَلصَّابِئِينَ"** كيف؟

يقول: **"فإِنَّ أَوَّلَ مَنْ حُفِظَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ هَذِهِ اَلْمَقَالَةَ فِي اَلْإِسْلَامِ هُوَ اَلْجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ"** الجعد بن درهم من مؤدبي بعض خلفاء بني أمية، مؤدب مروان الذي كان آخر خليفة لهم، ولذلك هو نُسب إليه، يقال له: مروان الجعدي، وبما أنه كان مؤدب الخليفة انتشر خبره وإذًا صار يؤثر بسبب مكانته.

وكان الجعد في الصفات معطلاً وفي القدر قدريًا، الجعد هذا، والجعد هذا ذبح خالد القَسْري سنة أربعٍ وعشرين ومائة، وذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ سجل هذه الواقعة في النونية بقوله:

ولأجل ذا ضحى بجعد خالد الـ ... ـقسري يوم ذبائح القربان
إذ قال إبراهيم ليس خليله ... كلا ولا موسى الكليم الداني

وهذا الرجل المتكلمون إلى الآن يعتبرون قتله قتلاً سياسيًا، مثل ما يكون منهم في سبحان الله؛ لأن البدع التي جاء بها الجعد عندهم ليست بذي خطورة، لذلك يعتبرون قتله

قتلاً سياسيًّا، أي سياسة يعني في..؟ مع أنه إمام المعطلة، إلا أن هذه المقالة لم تشتهر منسوبةً إليه، إنما اشتهرت بالنسبة إلى تلميذه.

"**وَأَخَذَهَا عَنْهُ اَلْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ**" الجهم بن صفوان السمرقندي، قُتل سنة ثمانٍ وعشرين ومائة في مرو، وهو الذي أظهرها، والجهم كان إمامًا في ثلاثة شرور:

- في القدر: جبري.
- وفي الصفات معطِّل.
- وفي الإيمان: مرجئ.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

جـيم وجـيم ثـم جـيم معهـا ... مقرونـة مـع أحـرف بـوزانِ

جـبر وإرجـاء وجـيم تجهـم ... فتأمـل المجمـوع في الميـزانِ

ثم ذكر أيضًا أن هذه الشرور وزعها في ..، فمن آخذٍ للجبر، ومن آخذٍ للتعطيل، ومن آخذٍ للإرجاء، وهو إمام المبتدعة في هذه الأمور الثلاثة.

في الجبرية: إمام الجبرية الخالص هو، في المرجئة كذلك وفي التعطيل كذلك، ولكنه اشتهر بمقالة التعطيل أكثر.

ورأيه في التوحيد مبني على السلب كما سيأتي، ولاشتهار النفي والسلوب عنه قال أبو تمام الشاعر المعروف، توفي سنة مائتين وواحد وثلاثين، يقول:

جهميـة الْأَوْصَـافِ إِلَّا أَنَّهَـا ... قَـدْ حُلِّيَـتْ بِمَحَاسِـنِ الْأَشْـيَاءِ

يمدح الـ...

يقول: إذا أردت الأوصاف الذي ليس فيها أي وصف يسيء إليها، في هذا جهمية، أما الأوصاف الجيدة "**حُلِّيَتْ بِمَحَاسِنِ الْأَشْيَاءِ**" لأنه اشتهر بالنفي والسلب والتعطيل.

"**وَأَظْهَرَهَا فَنُسِبَتْ مَقَالَةُ اَلْجَهْمِيَّةِ إِلَيْهِ**" وسيذكر شيخ الإسلام فيما سيأتي في الفقرة القادمة أن من أشهرها بعد جهم، أولاً الجعد، ثم الجهم، والشخص الذي أشهرها بعد الجهم هو المريسي وسيأتي.

"وَقَدْ قِيلَ إِنَّ اَلْجَعْدَ أَخَذَ مَقَالَتَهُ عَنْ أَبَانَ بْنِ سَمْعَانَ" المحقق يقول: لعله بيان لابن سمعان، أبان بن سمعان أخذها عن طالوت، "وطالوت بْنِ أُخْتِ لَبِيدِ بْنِ اَلْأَعْصَمِ" اليهودي "وَأَخَذَهَا طَالُوتُ مِنْ" خاله "لَبِيدِ بْنِ اَلْأَعْصَمِ اَلْيَهُودِيّ اَلسَّاحِرِ اَلَّذِي سَحَرَ اَلنَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

من أشهر الاعتراضات على هذه السلسلة على هذا السند -أنا ذكرت هذا، أريده- أن اليهود مشبهة، وهذه المقالة مقالة التعطيل، كيف يكون اليهود رأسًا وأساسًا وأصلاً لهذه المقالة؟

هذا الكتاب أرأيتم؟ ما اسمه؟

الطالب: ...

الشيخ: لمن؟ أمير المؤمن في الحديث عبد الجبار الهمداني، صاحب كتاب [المغني]، و[المغني] طُبع في خمسٍ وعشرين مجلدًا، و هذا الكتاب أكبر كتاب أُلف أو طبع بين كتب المعتزلة، يقال: أن له تفسيرًا في مائة مجلد، ولله الحمد إلى الآن مفقود، وأنا أخشى في هذه الفتن التي لازالت في اليمن أخشى أن..؛ لأن كتب المعتزلة نبشت من هناك، هذه البلايا كلها نُبشت من هناك؛ لأن هناك تلاقح بين الزيدية وبين المعتزلة، بل بين أصل الفرقة وبينهم.

هذا الكتاب حققه -حتى الاسم غريب، يبدو مسشترقين-، ذكروا هنا أن هناك مدرسة في اليهود، المدرس الاعتزالية في اليهود، ذكر هنا اهتمام اليهود بعلم الكلام المعتزلي، وذكروا عن اليهودية المعتزلة، وذكروا أن اليهود احتفظوا بمؤلفات قدماء المعتزلة، وما عندهم من تراث المعتزلة أكثر مما هو في اليمن، يعني اليهود ما عندهم من تراث المعتزلة في -نسأل الله أن يدمرهم-، يقول: أن ما عندهم هناك أكثر مما هو في اليمن.

يقول المغني للقاضي عبد الجبار كان معروفًا عند معتزلة اليهود، طبعًا كلامه طويل، يقول: احتفظ اليهود بطبقة متقدمة من أعمال المعتزلة، تحتوي المجاميع اليهودية على قطع عديدة من مؤلفات عبد الجبار غير محفوظة في اليمن، وكذلك من أموال المفكرين من

أوائل المعتزلة كأبي هاشم الجبائي، هذا الكتاب والحمد لله ليس عندنا، هو موجود عندهم، هذه الكتب موجودة عندهم.

مما يدل على أن اليهود معتزلة، وهم على هذه المقالة التي يحكيها شيخ الإسلام، أما أن أوائلهم كانوا مشبهة مثل الرافضة كان أوائلهم مشبهة الآن هم مع المعتزلة، بعض الكتب التي أُلفت في علم الكلام والاعتزالي مكتوبة لهم، يحيى كذا العمراني الزيدي، فلان الزيدي، معتزلة.

مما يدل على أن ما ذكره شيخ الإسلام ليس اعتباطًا ولا عبثًا وأنك تأتي وتنقضه بهذا الاحتمال.

يقول: "**وَكَانَ اَلْجَعْدُ –هَذَا فِيمَا قِيلَ–**" شيخ الإسلام لمَّا يقول: "**فِيمَا قِيلَ**" هو دقيق في النقل، إذا كان جازمًا في شيء يذكره بصيغة تدل عليه، "**فِيمَا قِيلَ**" يبدو أنه يعني فيما قيل، "**وَكَانَ اَلْجَعْدُ –هَذَا فِيمَا قِيلَ– مِنْ أَهْلِ حَرَّان**" حرَّان هي مدينته، مدينة شيخ الإسلام ومنطقته، وحرَّان التي كان منها شيخ الإسلام أين تقع؟ هل هي في تركيا؟ أو هل هي في مدينة قريبة من دمشق؟ هناك مدينتان في دمشق باسم حران، ومدينة أخرى في جنوب تركيا حران، أحد الإخوة من الكويت كتب بحثًا جميلاً في هذا، وذكر أن حران هذه هي في جنوب تركيا، وأن آل ابن تيمية لهم بيوتات إلى الآن هناك، وكما تعرفون شيخ الإسلام هاجر من هناك وهو صغير وعمره سبع سنوات، هاجر من هناك وجاء إلى دمشق مع والده.

"**وَكَانَ اَلْجَعْدُ –هَذَا فِيمَا قِيلَ– مِنْ أَهْلِ حَرَّان وَكَانَ فِيهِمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ اَلصَّابِئَةِ وَالْفَلَاسِفَةِ، بَقَايَا أَهْلِ دِينِ اَلنَّمْرُودِ، وَالْكَنْعَانِيِّينَ**" الكنعانيين الذين يسميهم الغرب الفينيقيون، كانوا هناك "**اَلَّذِينَ صَنَّفَ بَعْضُ اَلْمُتَأَخِّرِينَ فِي سِحْرِهِمْ**" يشير إلى الرازي، الرازي له كتاب سماه [السر المكتوم في مخاطبة النجوم]، وهذا الكتاب صار حوله جدل كبير: هل هو للرازي أو ليس للرازي؟ طبعًا الكتاب فيه شرك صريح، ولذلك استبعده بعض الباحثين، وخاصةً من الأشاعرة، استبعدوا أن يكون هذا للرازي.

الآن عندنا هناك أدلة قاطعة تدل على أنه للرازي فعلاً، من تلك الأدلة: كتاب للرازي طُبع مؤخرًا اسمه [المطالب العالية في العلم الإلهي]، ألفه قبل موته بخمس سنوات، هل ألفه كله أو بعضه، المهم في بعض الأجزاء سجلتها عندي، يقول: هذا كتبته سنة ستمائة وواحد، وهو توفي سنة ستمائة وستة، ذكر في هذا الكتاب أنه سأله بعض الرؤساء عن السحر، وأنه ألف فيه في السحر، وهذه خلاصته، ذكر الخلاصة في هذا الباب، وذكر فيها سبحان الله: إذا أردت أن يؤثر سحرك، كيف أنك تستغيث بالنجوم هذه وتذبح وتختار الذبيحة على لون ذلك النجم حتى يساعدك؟ كيف تريق الدماء؟ كيف تتقرب إليها؟ فشيخ الإسلام يشير إلى ذلك.

حتى الدكتور/ محمد صالح الزرقان، وقلت لكم هو من الأشاعرة، له كتاب جميل عن الرازي، كتاب كبير، وهو يلخص آراء الرازي، يعطيك آراءه من الكتب القديمة والمتوسطة والمتأخرة، بعد ذلك تعليقه لا يهمك، يعطيك بأمانة ودقة رأي الرازي، أثبت أن هذا الكتاب له.

الدكتور/ سعيد فودة، نسأل الله أن يهديه، طبع كتاب الرازي الذي هو [نهاية العقول في دراية الأصول]، وذكر في مقدمته كلامًا طويلاً أن التأميين ينسبون إليه هذا الكتاب، سبحان الله! أين نحن في ... هل تظن أن الناس لازالوا وأنهم لم يذهبوا إلى المكتبات ولم يطلعوا على كتب؟ أصحابكم يثبتون أن هذا الكتاب عند الرازي، والرازي بنفسه يلخص هذا الكتاب في كتاب له، والكتاب مطبوع، ذكر كلامًا طويلاً في مقدمته، طويل جدًّا.

على كل حال: مثل هؤلاء الذين لا تجد عندهم الأمانة العلمية والدقة، يعني للأسف يضيع وقتك في قراءة كتبهم، هذا الذي تتأسف عليه، تقرأ وتظن أنه تجده يملأ كتابه بالكذب والدس، هذا منتهى ما عندهم من الأمانة العلمية.

بعد أن ذكر شيخ الإسلام هذه الأمور بمناسبة ذكره للنمرود والكنعانيين، ذكر هذه الفقرة بيَّن فيها أن النمرود ليس اسم علم، وإنما اسم جنس، "**وَالنَّمْرُودُ هُوَ: مَلِكُ الصَّابِئَةِ الْكَنْعَانِيِّينَ الْمُشْرِكِينَ، كَمَا أَنَّ كِسْرَى مَلِكُ الْفُرْسِ وَالْمَجُوسِ وَفِرْعَوْن مَلِكُ الْقِبْطِ وَالْكُفَّارِ،**

وَالنَّجَاشِيّ مَلِكُ اَلْحَبَشَةِ اَلنَّصَارَى، فَهُوَ" عندي فهم، هذا خطأ، كيف عندكم طبعة الدكتور الغامدي؟ فهو، هذا الذي توقعته؛ لأن فهم لا يستقيم معه، "فَهُوَ اِسْمُ جِنْسٍ لَا اِسْمُ عَلَمٍ" هذا ذكره بمناسبة ذكره للنمرود.

يقول: "كَانَتْ اَلصَّابِئَةُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ إِذْ ذَاكَ عَلَى اَلشِّرْكِ وَعُلَمَاؤُهُمْ" في ذلك الوقت هم "اَلْفَلَاسِفَةُ" يقول شيخ الإسلام أولئك هم مصادر هؤلاء، ثم استدرك هنا حتى لا يقال إن شيخ الإسلام يكفِّر جميع الصابئة، لا، هناك صنف من الصابئة ليس مشركًا، "وَإِنْ كَانَ اَلصَّابِئُ قَدْ لاَ يَكُونُ مُشْرِكًا، بَلْ مُؤْمِنًا بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ اَلْآخِرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾" قال بعد ذلك ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ هذا يدل على أن صنفًا من الصابئة مؤمنون.

"وَقَالَ سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، لَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ، أَوْ أَكْثَرَهُمْ كَانُوا كُفَّارًا أَوْ مُشْرِكِينَ، كَمَا أَنَّ كَثِيرًا مِنْ اَلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بَدَّلُوا وَحَرَّفُوا وَصَارُوا كُفَّارًا أَوْ مُشْرِكِينَ، فَأُولَئِكَ اَلصَّابِئُونَ اَلَّذِينَ كَانُوا إِذْ ذَاكَ كَانُوا كُفَّارًا مُشْرِكِينَ وَكَانُوا يَعْبُدُونَ اَلْكَوَاكِبَ وَيَبْنُونَ لَهَا اَلْهَيَاكِلَ" لازال شيخ الإسلام يبين مصادرهم، أولئك مصادرهم، وهذه أسانيدهم التي تنتهي إلى اليهود، هذه أسانيدهم، مقالة التعطيل، وهؤلاء هم مصادرهم.

يقول: "وَمَذْهَبُ اَلنُّفَاةِ مِنْ هَؤُلَاءِ فِي اَلرَّبِّ" هؤلاء الذين ذكرهم الصابئة والمعطلة من اليهود والنصارى، يقول: "وَمَذْهَبُ اَلنُّفَاةِ مِنْ هَؤُلَاءِ فِي اَلرَّبِّ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ إِلَّا صِفَاتٌ سَلْبِيَّةٌ، أَوْ إِضَافِيَّةٌ، أَوْ مُرَكَّبَةٌ مِنْهُمَا" الصفات السلبية واضحة؛ لأنهم لا يريدون أن يثبتوا شيئًا، أنت كيف تميز بين موجود وموجود؟ بذكر الصفات التي تميزه عن غيره، أليس كذلك؟ إذا أردت أن تميز هذا الكتاب عن هذا الكتاب ستذكر من الصفات الوجودية ما تميزه عن هذا، أليس كذلك؟ والله عَزَّ وَجَلَّ إذا أردت أن تثبته وتثبت وجوده لابد أن تثبت تلك الصفات التي يختص بها، بما أنهم إما بعضهم يعني إثباته لوجود الله عَزَّ وَجَلَّ مجاملة للمسلمين، وبعضهم متأثر بهم ولا يريد أن يثبت شيئًا، فيقول: لا نثبت له إلا الصفات السلبية.

الصفات السلبية من الخطأ أن تسميها صفات، إلا أننا نجاريهم، الصفات السلبية ليس بكذا، ليس بكذا، ليس بكذا، إذا أردت أن تصف هذه الطاولة وذكرت لها ألف صفة سلبية، هل ستتميز هذه؟ ليس بكذا ليس بكذا ليس بكذا؟ ها؟ لابد أن تذكر الصفات الوجودية حتى يتميز من غيره.

من يقتصر على الصفات السلبية لا يثبت وجودًا يتميز بصفات تميزه عن غيره أبدًا، بعد ذلك هو ملحد ليس ملحدًا، هذا شيء آخر.

أحد الإخوة كتب كتابًا أسماه [الفيزياء ووجود الخالق]، أنا ذكرت هذا في محاضرة كانت عن تراث شيخ الإسلام، [الفيزياء ووجود الخالق] ذكر فيه أن مقالة الجهمية التعطيلية هي مقالة إلحادية، أنت لمَّا تثبت وجود الله عَزَّ وَجَلَّ ثم تنفي جميع صفاته، ما الذي تقصد؟ وتقول أيضًا: لا يجوز أن تحبه، العبادة مبناها على المحبة، تحبه، تؤلهه تعظمه، ثم تحب رسوله وصحابة رسوله، هذا كله تابع للذي يُحب لذاته هو الله عَزَّ وَجَلَّ، تقول: لا يجوز أن تحبه وهو لا يحب أحدًا، ولا يتصف بأي صفة، وليست له أسماء، حتى ولو كان مؤمنًا ليس لنا هل هو مؤمن أو لا، ولكن هذه مقالة الإلحاد.

مثل هذه المقالات تجرئ كثيرًا من الناس على الإسلام، إذا كان هو الدين الإسلامي، إلهك هذا أنت تقول: هناك إله ثم تبين أنه عدم محض، هذه الصفات السلبية وهي الأصل عندهم، لماذا هي الأصل عندهم؟ يقولون: التوحيد لا يتحقق إلا بالصفات السلبية؛ لأن أي صفة وجودية تجعله مشابهًا للمخلوقات، انظر كيف؟ أي صفة وجودية تجعله مشابهًا للمخلوقات، وبالتالي لا نثبت له صفاتٍ وجودية، بل نكتفي بالصفات، ونحن عندنا أن هناك صفات وجودية، وهناك صفات سلبية، وكما ذكر شيخ الإسلام في مقدمة التدمرية: الأصل هي الصفات الوجودية، الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه يكثر من الصفات الوجودية، ويحددها ويعينها: القدرة، والكلام، السمع، البصر، الغضب، المحبة، كلها، الأصل في الصفات الصفات الوجودية؛ لأن الصفات الوجودية مهما كثرت تدل على كمال المتصف بها.

أيضًا هناك صفات سلبية، والصفات السلبية تُذكر في النصوص لمناسبات لا تتعدى الأربعة أو الخمسة، ليست هي الأصل، مثل قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: 38]؛ لأن اليهود يزعمون أن الله عَزَّ وَجَلَّ تعب بعد خلق السموات واستراح يوم السبت وأصابه التعب، اللغوب هو التعب، الله عَزَّ وَجَلَّ ردَّ عليهم.

وهناك صفات سلبية وهناك صفات وجودية، والأصل هو الصفات الوجودية الثبوتية، وهناك إثبات مجمل، وهناك نفي مجمل، وهناك إثبات مفصل، والنفي عمومًا يكون مجملاً، على طريقة أهل السنة: الإثبات المفصَّل والنفي المجمل، هذا من حيث العموم، إلا لمناسبات خاصة، أما عندهم: الصفات السلبية هي الأساس، عند هؤلاء الذين تأثرت بهم المعتزلة وغيرهم.

أبو الحسن الأشعري نقل مذهب المعتزلة في كتابه [مقالات الإسلاميين] صفحة كاملة ليس بكذا ليس بكذا، صفحة كاملة، مقالات الإسلاميين، أو إضافية: الصفات الإضافية هي سلبية في الحقيقة، ليس فيها إثبات معنًى حقيقي، الصفات الإضافية هي التي لا تتعقل إلا بالنظر إلى المقابل، مثل الأبوة والنبوة، هناك أب وهناك ابن، والنسبة بينهما نسبة الأبوة والبنوة، والأبوة لا تعرفها إلا بالنظر للبنوة والبنوة لا تعرفها إلا بالنظر للأبوة، لكن هل هناك شيء خاص غير الأب والابن اسمه الأبوة والبنوة؟ لا، هذه نسبة، النسبة في الخارج إما الأب وإما الابن، ليست هناك نسبة لها وجود خارجي؛ إذًا ما استفدنا شيء، هي الصفات الإضافية.

أما الصفات المركبة من السلبية والإضافية مثَّل لها العلامة ابن سينا في كتابه [النجاة] هذه البذارة مأخوذة منه، مثل له كونه عاقلاً معقولاً وعقلاً، ابن سينا ذكر في كتابه [النجاة] أن التوحيد لا يتحقق إلا بالنفي، ثم ذكر سؤالاً لأنهم لا يثبتون الصفات، ولكن مع ذلك هم يثبتون أن الله عَزَّ وَجَلَّ عقل وعاقل ومعقول، وأنه عشق وعاشق ومعشوق، أين في

الكتاب أنه عقل وعاقل ومعقول وأنه عشق وعاشق ومعشوق؟ أين في الكتاب؟ المهم ذكر هذه الأمور ثم طرح سؤالاً:

أنت تقول: أنه لا يتحقق التوحيد إلا بالنفي، وأنت أثبت هذه الصفات، عقل وعاقل ومعقول، ثم ذكر أن هذه الأمور كلها ترجع إلى شيءٍ واحد، ليس فيها إثبات معنى إضافي حقيقي، وأنا في الحقيقة لم أفهم كيف أنه من الصفات المركبة من هؤلاء، ولكن ذكرت لكم مثال، هو مثَّل بهذا، كونه عقلا وعاقلاً ومعقولاً، وذكره أيضًا شيخ الإسلام في [مجموع الفتاوى] في المجلد الثاني عشر من صفحة تسع عشرة إلى عشرين، وراجع [النجاة] لابن سينا المجلد الثاني صفحة تسع وتسعين، لعلكم تفكون هذا، كما قلت لكم السلبية والإضافية واضحة، والمركبة منهما مثَّل لها ابن سينا هذا المثال.

"**وَهُمْ اَلَّذِينَ بُعِثَ إِبْرَاهِيمُ اَلْخَلِيلُ إِلَيْهِمْ**" الصابئة، "**فَيَكُونُ اَلْجَعْدُ أَخَذَهَا عَنْ اَلصَّابِئَةِ اَلْفَلَاسِفَةِ**" لازال شيخ الإسلام في ذكر مصادرهم وأئمتهم، "**وَكَذَلِكَ أَبُو نَصْرٍ اَلْفَارَابِيُّ**" أبو نصر الفارابي وُلد ابن سينا بعدما توفي أبو نصر الفارابي بثلاثين سنة، وهو عقلاً منه، وعلى كتبه تخرَّج ابن سينا، وذكر ابن سينا عن كتاب من كتب الفارابي أنه قرأه أكثر من أربعين مرة حتى فهمه؛ لأن هذه مادته أنت لما تقرأ وتحاول أن تفهم كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ لأنك تعتقد أن الهداية كل الهداية في هذا الكتاب، وأنك تتعبد الله عَزَّ وَجَلَّ وأنك تتقرب إليه بقراءته ومدارسته، أليس كذلك؟ مصحفه كتب الفارابي.

"**دَخَلَ حَرَّان وَأَخَذَ عَنْ اَلْفَلَاسِفَةِ اَلصَّابِئِينَ تَمَامَ فَلْسَفَتِهِ**" هو أصلاً فيلسوف وأخذ منهم تمام فلسفته، "**وَأَخَذَهَا اَلْجَهْمُ أَيْضًا– فِيمَا ذَكَرَهُ اَلْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ– لَمَّا نَاظَرَ اَلسُّمْنِيَّةَ**" السُّمنيَّة كما ذكر شيخ الإسلام بعض فلاسفة الهند، هم الذين يُسمون الآن "**البوذية**" هم السُّمنيَّة، وأحد الإخوة من قدماء متخرجي الجامعة الإسلامية، الدكتور/ كذا منسوك من تايلاند له رسالة جميلة عن البوذية، رسالة جميلة جدًّا، عن البوذية وعن أصولهم تقرأ فيها، وتستشعر نعمة هذا الدين، سبحان الله، الدين الإسلامي.

الطالب: ...

الشيخ: كذا منسوك، نسيت الاسم الأول، ابن منسوك، اسم الرسالة "**البوذية**"، لما تقرؤون فيها سبحان الله تستشعرون نعمة الإسلام، وأن بوذا كيف أنه كان، هناك بعض الأمور الآن تُنشر بين المسلمين بأسماء برَّاقة، هي ترى من .. البوذية، وهي موجودة في البوذية وتُنشر في بلاد المسلمين بأسماء براقة، وللأسف الشديد، بالنسبة لطلاب العلم ينبغي أن يقرؤوا مثل هذه الكتب حتى يكون لهم اطلاع في الملل والنحل ويكون لهم موقف من مثل هذه الأمور.

المهم: السُّمنيَّة هم البوذية، السُّمنيَّة قالوا لجهم، الجهم كان متجهًا للصلاة، قالوا له: أين تذهب؟ قال: أذهب أصلي، تصلي لمن؟ لله عَزَّ وَجَلَّ، أرأيته؟ قال: لا، طيب هل سمعت كلامه؟ قال: لا، هل شممت كذا؟ قال: لا، مسسته؟ قال: لا، قالوا له: الشيء الذي لم تصل إليه بحواسك الخمسة كيف تؤمن به؟

الجهم جاهل من الجهلاء، أصلاً هو لم يصلِّ أربعين يومًا، مثل هذه الأمور تشكك هؤلاء، لأن الإيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ إيمان بالغيب: ﴿الم 1 ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ 2 الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: 1 - 3] هذا الذي يميز المؤمن، ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، أما إذا كنت مثل السُّمنيَّة لا تؤمن إلا بالمحسوس فستكون مثلهم، المهم ناظرهم وكما ذكر الأئمة لم يصلِّ أربعين يومًا.

"**وَهُمْ اَلَّذِينَ يَجْحَدُونَ مِنْ اَلْعُلُومِ مَا يُسَمُّونَهُ اَلْحِسِّيَّاتِ**" هذا ما يُنقل عنهم، وهذا إذًا مذهب السفسطائية على ما يُحكى عنهم، وشيخ الإسلام له رأي في السفسطائية، يقول: من الخطأ أن نظن أن فرقةً معروفة من بني آدم تُنكِر ما سوى الحسيات، إنما توجد السفسطة في مجموع بني آدم في هذا وهذاك والسفسطة هي إنكار الأصول والقطعيات، هذا رأيه، والله أعلم، سواء وجدوا أو لم يوجدوا يُنسب إليهم هذا المذهب.

يقول: "**ثُمَّ لَمَّا عُرِّبَتْ اَلْكُتُبُ اَلرُّومِيَّةُ**" في نسخة: "**واليونانية**" وهذا هو الصحيح؛ لأن الأصل في الفلسفة هم اليونان وليس الرومان، هذه النسخة فيها هذه الزيادة، وهذه الزيادة لابد منها.

"**ثُمَّ لَمَّا عُرِّبَتْ اَلْكُتُبُ اَلرُّومِيَّةُ واليونانية فِي حُدُودِ اَلْمِائَةِ اَلثَّانِيَةِ**" طبعًا بدأت الترجمة في عهد بني أمية، ولكنها كانت لا تُشكل ظاهرًا، أحد أمرائهم كان له شغف بالترجمة، ولكن ما كانوا يترجمون ما يتعلق بالإلهيات، كانوا يترجمون ما يتعلق بالفيزياء والكيمياء والطب والهندسة، أما ما يتعلق بالإلهيات لم يُترجم إلا في عهد المأمون، وفي عهد المأمون كان المترجمون كانت كلمتهم كانوا يعطون إذا ترجموا كتابًا من كتب أولئك الكفَّار كانوا يعطون على وزنه ذهبًا، والمترجمون كلهم نصارى، بدون استثناء، نصراني ينقل لك كتابًا من كتب النصارى، ماذا تتوقع منه؟

"**عُرِّبَتْ اَلْكُتُبُ اَلرُّومِيَّةُ واليونانية فِي حُدُودِ اَلْمِائَةِ اَلثَّانِيَةِ زَادَ اَلْبَلَاءُ مَعَ مَا أَلْقَى اَلشَّيْطَانُ فِي قُلُوبِ اَلضُّلَّالِ اِبْتِدَاءً، مِنْ جِنْسِ مَا أَلْقَاهُ فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ**".

لمَّا عُرِّبت الكتب الفلسفية هناك فِرَق أصلاً خرجت عن مذهب أهل السنة، ويبحثون عن أي شيء يتمسكون به لترويج باطلهم وللدفاع عنهم، وجدوا في الفلسفة بغيتهم، وبدأوا يتعمقون في الفلسفة بدايةً من بعد أبي الهذيل العلاف، بعد ذلك الفلسفة هي مادتهم، البراهين هي التي يجدونها في كتب المنطق وغيرها هي مادتهم.

يقول الصَّلَاحُ الصَّفَدِيُّ: "**حَدَّثَنِي مَنْ أَثِقُ بِهِ أَنَّ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - رَوَّحَ اللَّهُ رُوحَهُ - كَانَ يَقُولُ: مَا أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ يَغْفُلُ عَنِ الْمَأْمُونِ، وَلَا بُدَّ أَنْ يُقَابِلَهُ عَلَى مَا اعْتَمَدَهُ مَعَ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ إِدْخَالِ هَذِهِ الْعُلُومِ الْفَلْسَفِيَّةِ بَيْنَ أَهْلِهَا**" الله أعلم.

يقول: ما ألقى "**اَلْبَلَاءُ مَعَ مَا أَلْقَى اَلشَّيْطَانُ فِي قُلُوبِ اَلضُّلَّالِ اِبْتِدَاءً**" هم أصلاً ضلال، ومثل هذه الشبه هم يلتقطونها، هم يفرحون بها، ويتمسكوا، بدأ تمسكهم بالفلسفة.

"**وَلَمَّا كَانَ فِي حُدُودِ اَلْمِائَةِ اَلثَّانِيَةِ اِنْتَشَرَتْ هَذِهِ اَلْمَقَالَةُ اَلَّتِي كَانَ اَلسَّلَفُ يُسَمُّونَهَا مَقَالَةَ اَلْجَهْمِيَّةِ**" هذه جملة معترضة: "**اَلَّتِي كَانَ اَلسَّلَفُ يُسَمُّونَهَا مَقَالَةَ اَلْجَهْمِيَّةِ**" جملة معترضة، هذه انتشرت "**بِسَبَبِ بِشْرِ بْنِ غِيَاثٍ اَلْمِرِّيسِيِّ**" بشر بن غياث المريسي توفي سنة مائتين وثمانية عشر، في السنة التي توفي فيها المأمون "**وَطَبَقَتِهِ**" طبعًا المريسي كان في القدر جبريًّا، وكان في الصفات جهميًّا معطلاً، ولذلك اختلفوا في تصنيفه هل هو جهمي أو معتزلي؟

ثم ذكر شيخ الإسلام هنا أشار إلى موقف الأئمة في هؤلاء الذين ذكرهم، أئمة الاعتزال، أئمة التجهم، ما موقف الأئمة منهم؟

يقول: "**وَكَلَامُ اَلْأَئِمَّةِ مِثْلُ: مَالِكٍ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَابْنِ اَلْمُبَارَكِ، وَأَبِي يُوسُفَ، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ، وَالْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ، وَبِشْرٍ اَلْحَافِي، وَغَيْرِهِمْ، فِي هَؤُلَاءِ كَثِيرٌ، فِي ذَمِّهِمْ وَتَضْلِيلِهِمْ**".

طبعًا الإمام مالك وأبو سفيان ويوسف والفضيل، هؤلاء في طبقة، ابن المبارك يأتي بعدهم، قريب منهم، وقريب منه الشافعي وأحمد وإسحاق في طبقة، كلاهما، يقول: كلامهم فيهم وفي غيرهم في ذمهم وفي تضليلهم معروف، وهؤلاء هم أئمة المسلمين في عصرهم، في عصر أتباع التابعين مالك ومن في طبقته والطبقة التي بعده والطبقة التي بعده، طبقة أحمد وإسحاق.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: "وَهَذِهِ التَّأْوِيلَاتُ الْمَوْجُودَةُ الْيَوْمَ بِأَيْدِي النَّاسِ مِثْلُ أَكْثَرِ التَّأْوِيلَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا أَبُو بَكْرِ بْنُ فُورَكٍ فِي كِتَابِ[التَّأْوِيلَاتِ] وَذَكَرَهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الرَّازِيُّ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَسْمَاهُ [تَأْسِيسَ التَّقْدِيسِ] وَيُوجَدُ كَثِيرٌ مِنْهَا فِي كَلَامِ خَلْقٍ غَيْرِ هَؤُلَاءِ مِثْلِ أَبِي عَلِيٍّ الْجُبَّائِيِّ، وعبدالجبار بْنِ أَحْمَدَ الْهَمْدَانِيِّ، وَأَبِي الْحُسَيْنِ الْبَصْرِيِّ، وَأَبِي الْوَفَاءِ بْنِ عَقِيلٍ، وَأَبِي حَامِدٍ الْغَزَالِيِّ، وَغَيْرِهِمْ، هِيَ بِعَيْنِهَا التَّأْوِيلَاتُ الَّتِي ذَكَرَهَا بِشْرٌ الْمِرِّيسِيُّ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي كِتَابِهِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ يُوجَدُ فِي كَلَامِ بَعْضِ هَؤُلَاءِ رَدُّ التَّأْوِيلِ وَلَهُمْ كَلَامٌ حَسَنٌ فِي أَشْيَاءَ.

فَإِنَّمَا بَيَّنْتُ أَنَّ عَيْنَ تَأْوِيلَاتِهِمْ هِيَ عَيْنُ تَأْوِيلَاتِ الْمَرِيسِيِّ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ كِتَابُ الرَّدِّ الَّذِي صَنَّفَهُ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ أَحَدُ الْأَئِمَّةِ الْمَشَاهِيرِ فِي زَمَانِ الْبُخَارِيِّ، صَنَّفَ كِتَابًا سَمَّاهُ:[رَدُّ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدٍ عَلَى الْكَاذِبِ الْعَنِيدِ فِيمَا افْتَرَى عَلَى اللَّهِ فِي التَّوْحِيدِ] حَكَى فِيهِ هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ بِأَعْيَانِهَا عَنْ بِشْرٍ الْمَرِيسِيِّ بِكَلَامٍ يَقْتَضِي أَنَّ الْمِرِّيسِيَّ أَقْعَدُ بِهَا، وَأَعْلَمُ بِالْمَنْقُولِ وَالْمَعْقُولِ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ الَّذِينَ اتَّصَلَتْ إِلَيْهِمْ مِنْ جِهَتِهِ ثُمَّ رَدَّ ذَلِكَ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ بِكَلَامٍ إِذَا طَالَعَهُ الْعَاقِلُ الذَّكِيُّ: عَلِمَ حَقِيقَةَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ، وَتَبَيَّنَ لَهُ ظُهُورُ الْحُجَّةِ لِطَرِيقِهِمْ، وَضَعْفِ حُجَّةِ مَنْ خَالَفَهُمْ.

ثُمَّ إِذَا رَأَى الْأَئِمَّةَ- أَئِمَّةَ الْهُدَى- قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى ذَمِّ الْمِرِّيسِيَّةِ وَأَكْثَرُهُمْ كَفَّرُوهُمْ أَوْ ضَلَّلُوهُمْ، وَعَلِمَ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ السَّارِيَ فِي هَؤُلَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ هُوَ مَذْهَبُ الْمِرِّيسِيَّةِ تَبَيَّنَ الْهُدَى لِمَنْ يُرِيدُ اللَّهُ هِدَايَتَهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَالْفَتْوَى لَا تَحْتَمِلُ الْبَسْطَ فِي هَذَا الْبَابِ، وَإِنَّمَا نُشِيرُ إِشَارَةً إِلَى مَبَادِئِ الْأُمُورِ، وَالْعَاقِلُ يَسِيرُ فَيَنْظُرُ.

وَكَلَامُ السَّلَفِ فِي هَذَا الْبَابِ مَوْجُودٌ فِي كُتُبٍ كَثِيرَةٍ لَا يُمْكِنُ أَنْ نَذْكُرَ هُنَا إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُ، مِثْلَ كِتَابِ" السُّنَنِ" لِلَّالَكَائِيِّ، و"الْإِبَانَةِ" لِابْنِ بطَّةَ، و"السُّنَّةِ" لِأَبِي ذَرٍّ الْهَرَوِيِّ، و"الْأُصُولِ" لِأَبِي عُمَرَ الطَّلَمَنْكِيِّ، وَكَلَامِ أَبِي عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ، و" الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ " لِلْبَيْهَقِيِّ، وَقَبْلَ ذَلِكَ السُّنَّةُ" لِلطَّبَرَانِيِّ، وَلِأَبِي الشَّيْخِ الْأَصْبَهَانِيِّ وَلِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَنْدَهْ، وَلِأَبِي أَحْمَدَ الْعَسَّالِ الْأَصْبَهَانِيِّ، وَقَبْلَ ذَلِكَ" السُّنَّةُ" لِلْخَلَّالِ، و "التَّوْحِيدُ" لِابْنِ خُزَيْمَةَ، وَكَلَامُ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ سُرَيْجٍ وَالرَّدُّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ لِجَمَاعَةٍ، وَقَبْلَ ذَلِكَ" السُّنَّةُ" لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ و"السُّنَّةُ" لِأَبِي بَكْرِ بْنِ الْأَثْرَمِ، و"السُّنَّةُ" لِحَنْبَلٍ، وَلِلْمَرْوَذِيِّ، وَلِأَبِي دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيِّ، وَلِابْنِ أَبِي شَيْبَةَ، و" السُّنَّةُ" لِأَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي عَاصِمٍ، وَكِتَابُ" الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ" لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجُعْفِيِّ شَيْخِ الْبُخَارِيِّ، وَكِتَابُ" خَلْقِ أَفْعَالِ الْعِبَادِ" لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبُخَارِيِّ، وَكِتَابُ" الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ" لِعُثْمَانَ بْنِ سَعِيدٍ الدَّارِمِيِّ، وَكَلَامُ عبدالعزيز الْمَكِّيِّ صَاحِبِ الْحَيْدَةِ" فِي الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ، وَكَلَامُ نُعَيْمِ بْنِ حَمَّادٍ الْخُزَاعِيِّ، وَكَلَامُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ وَيَحْيَى بْنِ يَحْيَى النَّيْسَابُورِيِّ وَأَمْثَالِهِمْ، وَقَبْلَ هَؤُلَاءِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ وَأَمْثَالُهُ، وَأَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ.

وَعِنْدَنَا مِنْ الدَّلَائِلِ السَّمْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ مَا لَا يَتَّسِعُ هَذَا الْمَوْضِعُ لِذِكْرِهِ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ لَهُمْ شُبُهَاتٌ مَوْجُودَةٌ، لَكِنْ لَا يُمْكِنُ ذِكْرُهَا فِي الْفَتْوَى، فَمَنْ نَظَرَ فِيهَا وَأَرَادَ إِبَانَةَ مَا ذَكَرُوهُ مِنْ الشُّبَهِ فَإِنَّهُ يَسِيرٌ.

وَإِذَا كَانَ أَصْلُ هَذِهِ الْمَقَالَةِ-مَقَالَةِ التَّعْطِيلِ وَالتَّأْوِيلِ- مَأْخُوذًا عَنْ تَلَامِذَةِ الْمُشْرِكِينَ، وَالصَّابِئِينَ، وَالْيَهُودِ، فَكَيْفَ تَطِيبُ نَفْسُ مُؤْمِنٍ بَلْ نَفْسُ عَاقِلٍ أَنْ يَأْخُذَ سُبُلَ هَؤُلَاءِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ، وَيَدَعَ سَبِيلَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ".

(الشرح)

يقول شيخ الإسلام هنا: "**وَهَذِهِ التَّأْوِيلَاتُ الْمَوْجُودَةُ الْيَوْمَ بِأَيْدِي النَّاسِ مِثْلُ أَكْثَرِ التَّأْوِيلَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا أَبُو بَكْرِ بْنُ فُورَكٍ**" في هذه الفقرة يبين شيخ الإسلام أن التأويلات الموجودة الآن هي التأويلات التي أخذوها عن المريسي، وأشار أيضًا إلى أن المتأخرين الذين أخذوها عن المريسي هم دون المريسي في العلم، وأن المريسي أحسن منهم، وفي هذه الإشارة يقول شيخ الإسلام فائدة:

كلام السلف الذي ورد أولئك الذين ذكرهم هنا، أحمد وإسحاق، هم كلهم ذموا المريسي، وبعض الناس يظنون أن ذمهم للمريسي وقد اندثر، وقد انخرم ما كان عليه، ولا صلة له بالواقع، لا، يقول شيخ الإسلام كلامهم في المريسي ينطبق على بضاعة من الكلام

الموجودة، علم الكلام الآن عبارة عن التأويلات المنقولة من المريسي، بل علم الكلام الموجود الآن أسوأ مما عليه المريسي بكثير كما يقول شيخ الإسلام.

إذًا كلام الأئمة ينطبق عليهم، على هذا الذي يوجد الآن، لذلك ذكر الأئمة وأشار إلى ذمهم، وذكر أيضًا أن المقارنة تدل على أن التأويلات الموجودة هي تأويلات المريسي الذي ذمه السلف، "**وَهَذِهِ اَلتَّأْوِيلَاتُ اَلْمَوْجُودَةُ اَلْيَوْمَ بِأَيْدِي اَلنَّاسِ مِثْلُ أَكْثَرِ اَلتَّأْوِيلَاتِ اَلَّتِي ذَكَرَهَا أَبُو بَكْرِ بْنُ فُورَكٍ فِي كِتَابِ[اَلتَّأْوِيلَاتِ]**" هذا طُبع باسم [تأويل مختلِف الحديث]، وتظن من الاسم أنه في التوثيق؛ لأن مختلف الحديث فن من فنون المصطلح، ويعنون فيه بما قد يظهر من التعارض بين الأحاديث، فيذكرون كيف أنها مؤتلفة ومتفقة المعنى، لكن هذا الكتاب هو تأويل الصفات، تأويل مختلف الحديث، وكله في تأويل الصفات.

وأبو بكر بن فورك من طبقة الباقلاني، وهو الذي تأثر به البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ، كان هو السبب في تأثره ببعض علم الكلام.

كتاب التأويلات كما قلت لكم هو تأويل مختلِف الحديث، "**وَذَكَرَهَا أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ اَلرَّازِيُّ فِي كِتَابِهِ اَلَّذِي أَسْمَاهُ [تَأْسِيسَ اَلتَّقْدِيسِ]**" هذا الكتاب الذي رد عليه شيخ الإسلام بكتابه [بيان تلبيس الجهمية] مطبوع في عشر مجلدات، يقول: التأويلات الموجودة فيه مأخوذة من المريسي، "**وَيُوجَدُ كَثِيرٌ مِنْهَا فِي كَلَامِ خَلْقٍ غَيْرِ هَؤُلَاءِ**" وهم كُثر، الذين ألفوا في تأويل الأحاديث وأفردوا في هذا الباب، منهم ابن جماعة، كتابه [إيضاح الدليل في تأويل الأحاديث] وغيرهم.

"**مِثْلِ أَبِي عَلِيّ اَلْجُبَّائِيِّ**" وعلي الجبائي أحد أئمة العتزلة، توفي سنة ثلاثٍ وثلاثمائة، مَنْ مِن الأئمة توفي هذه السنة؟

الطالب: ...

الشيخ: الإمام النسائي، أحسنت.

"**وعبدالجبار بْنِ أَحْمَدَ اَلْهَمْدَانِيّ**" هذا إمام الأئمة عندهم، عند المعتزلة، توفي سنة أربعمائة وأربعة عشر، "**وَأَبِي اَلْحُسَيْنِ اَلْبَصْرِيِّ**" هو أشهر معتزلي بعد القاضي عبد الجبار، وهو في طبقة

تلاميذه، ما أدري هل تتلمذ عليه؟ ما قرأت في ترجمته، ولكنه في طبقة تلاميذه، وهو الأصولي المعروف.

"**وَأَبِي اَلْوَفَاءِ بْنِ عَقِيلٍ**" من الحنابلة، "**وَأَبِي حَامِدٍ اَلْغَزَالِيّ**" تلميذ الجويني، "**وَغَيْرِهِمْ، هِيَ بِعَيْنِهَا اَلتَّأْوِيلَاتُ اَلَّتِي ذَكَرَهَا بِشْرٌ اَلْمِرِّيسِيُّ اَلَّتِي ذَكَرَهَا فِي كِتَابِهِ**".

نكمل إن شاء الله بعد الصلاة، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

للإمام الشيخ

شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني

- رحمه الله -

(المجلس الثامن)

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد محمدي النورستاني

- حفظه الله -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نحمده ونصلي على رسوله الكريم أما بعد:-

لازلنا في موضوع تأويلات أو التأويلات التي توجد في كتب الأشاعرة والماتريدية ما هي مصادرها؟ فكان شيخ الإِسْلَام يبين أن مصادرهم هي كتب المريسي، وأن هؤلاء المتأخرين نقل عمن ذمهم السلف بأسمائهم، وأن ذم السلف ينطبق على ما نجده عن المتأخرين، وذكر أمثلة لأولئك المتأخرين الذي ملئوا كتبهم بالتأويلات.

يقول: "**وإن كان قد يوجد في كلام بعض هؤلاء رد التأويل وإبطاله أيضًا**"، طَبْعًا في القدر الذي يختلفون فيه مع المعتزلة والجهمية نجدهم يردون التأويل، وكما يقول شيخ الإِسْلَام: "**ولهم كلامٌ حسنٌ في أشياء**"، في القدر الذي يخالفون المعتزلة والأشاعرة فيه نجد أن محاجتهم في ذلك واستدلالهم في ذلك وردهم للتأويل جميل.

ولذلك من منهج شيخ الإِسْلَام أن يرد عليهم بكلام أئمتهم وأن يرد على بعضهم بكلام بعضهم، ولهم في ذلك كما يقول شيخ الإِسْلَام: "**كلامٌ حسنٌ في أشياء**"، ولكن ما خالفوا فيه السنة ما خرجوا فيه على السنة فمصادرهم هذه، سينبه شيخ الإِسْلَام في نهاية الفقرة هذه لِمَاذَا أطال في هذا الموضوع؟!

يقول: "**فإنما بيَّنت أن عين تأويلاتهم هي عين تأويلات المريسي**"، هذا في أحسن الأحوال ويدل على ذلك هذه دعوى أن تأويلات المتأخرين التأويلات التي نجدها عند المتأخرين هي عين التأويلات التي نجدها عند المريسي هذه دعوى يدلل عليها شيخ الإِسْلَام بمثال.

يقول: "**ويدل على ذلك كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي**"، الإِمَام عثمان بن سعيد الدارمي توفي سنة مائتين وثمانين على ما أذكر نعم يقول: "**أحد الأئمة المشاهير في زمان البخاري**"، في نفس الطبقة الإِمَام البُخَارِيّ توفي سنة مائتين وستة وخمسين، والإمام مسلم واحد وستين، وأبو داود خمسة وسبعين، والتِّرْمِذِيّ تسعة وسبعين، وابن ماجة ثلاثة

وسبعين، والإمام النسائي ثلاثمائة وثلاثة، والإمام الدارمي مائتين وثمانين في نفس الطبقات.

وهو أبرز من رد على المبتدعة في ذلك الوقت من أبرزهم على طبقة الإِمَام البُخَارِيّ، الإِمَام الدارمي في طبقة الإِمَام البُخَارِيّ في الرد على الأشاعرة والمعتزلة والجهمية، ولذلك خصه الكوثري هذا الكوثري خصه بمزيدٍ من اللعن والسب والشتم، لا يكاد يهدأ في هذا الموضوع الكوثري يخرجه من الملة.

لما طُبعت كتبه أثارت ضجة في مصر، ويعتبر كتاب الرد على المريسي يعتبره كتاب الوثنية الكوثري يعتبره كتاب الوثنية، ولاشك أن الوثنية هي التي أنتم عليها إذا كانت هناك وثنية هي التي أنتم عليها، متى كانت الوثنية التوحيد على ما جاء في الكتاب والسنة؟!

يقول: صنف كتابًا سماه: "**رد عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى على الله في التوحيد**"، لأن التوحيد لا يتحقق إلا بالإثبات وذاك يريد أن يثبت التوحيد ويحققه بالتعطيل وبالنفي، فالاسم هذا يدل على ما فيه من المادة القوية: "**رد عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى على الله في التوحيد**".

يقول: "**حكى فيه من التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي بكلامٍ يقتضي أن المريسي أقعد بها، وأعلم بالمنقول والمعقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت إليهم من جهته**"، هو إمامهم ومنه أخذوه أخذوا هذه التأويلات مع ضعفٍ فيهم في هذه التأويلات.

أنا قلت لكم: في أحسن الأحوال هي مما أخذوه من هذا، وإلا المتأخرون من الأشاعرة وخاصةً لما تفلسفوا أكثر تجد أنهم يردون على كلام أئمتهم ويفضلون كلام الفلاسفة فيه حتى في الأدلة، كما ذكرت لكم: دليل حدوث الأجسام عمدة أدلة المتكلمين في إثبات وجود الله -عَزَّ وَجَلَّ-، عند المتأخرين يذكرونه بعد دليل التركيب الذي هو دليل الفلاسفة.

يقول: "**ثم رد عثمان بن سعيد بكلامٍ إذا طالعه العاقل الذكي: علم حقيقة ما كان عليه السلف، وتبين له ظهور الحجة لطريقهم، وضعف حجة من خالفهم**"، كتابه فعلًا عظيم ما

أدري على مدى سنة أو سنتين درسناه مع بعض الإخوة؛ وكنا حريصين جدًا على أن نستكشف اسم المعارض لأنه دائمًا يقول: المعارض قال المعارض ويرد عليه.

يذكر المريسي الذي هو شيخ هذا المعارض ولا يسمي المعارض، ما توصلنا إلى اسم هذا المعارض إلى نهاية الكتاب، بعدها بسنوات كانت عندي دورة في **"لُمعة الاعتقاد"** وقرأت شرح العلامة ابن جبرين على اللُمعة شرح الشيخ ابن جبرين على اللُمعة من أحسن الشروح، ذكر فيه أن هذا المعارض هو الثلجي.

طَبْعًا الشيخ علامة يكون التقط هذه الفائدة من، نحن قرأنا الكتاب من أوله إلى نهايته ما توصلنا إلى المعارض، وهذا نستفيد منه فائدة: المبتدع الذي ليس له اسم لا ترد عليه أنت ستشهره لما ترد عليه يتمنى أن ترد عليه حتى يكون حديث القوم وحديث المجالس، لا ترد عليه ولا كرامة له ولكن البدع التي تنتشر رد عليها.

لاحظ كيف أن المعارض الذي يرد عليه لم يذكر اسمه في شيءٍ من كتابه ودائمًا يرد ويذكر اسم شيخه الذي هو المريسي، وهذا المعارض لو ذكره الدارمي لكان من المشهورين الآن أليس كذلك؟ قمعه لم يذكره وهذا هو المنهج الصحيح، ولقوة هذا الكتاب كما قلت: الكوثري خصه بطعنات وبالسب والشتم.

يقول شيخ الإِسْلَام: **"ثم إذا رأى الأئمة أئمة الهدى قد أجمعوا على ذم المريسية"**، ذكرت لكم: أن المريسي في الصفات جهمي وفي القدر قدري معتزلي وفي الإيمان من المرجئة، وتعرفون أن المعتزلة في الإيمان خوارج.

من الفروق بين الجهمية والمعتزلة: أن المعتزلة في القدر قدرية والجهمية في القدر جبرية، وأن المعتزلة في الإيمان خوارج أو قريبين من الخوارج الخلاف بينهم لفظي، وأن الجهمية في الإيمان مرجئة والمريسي في الصفات كالطبقة الأولى من الجهمية، لأن المعتزلة يثبتون الأسماء وهو جهمي لا يثبت الأسماء، وفي القدر أَيْضًا معتزلي، وفي الإيمان مرجئ ولذلك اختلفوا في تصنيفه هل هو جهمي أو هو معتزلي، وبعضهم يصنفه هنا وبعضهم وكما قلت: له ما يبرره وله ما يبرره.

يقول: "**ثم إذا رأى الأئمة أئمة الهدى قد أجمعوا على ذم المريسية وأكثرهم كفّروهم أو ضللوهم**"، الذين كفرهم الأئمة هم الطبقة الأولى من الجهمية أكثر الأئمة كفروهم، أما من تأثر بهم من المعتزلة وغيرهم فالصحيح أنهم لا يكفرون وما بالك بالأشاعرة؟!

يَعْنِي بعض الأخوة ينسب أَهْلِ السُّنَّة وَالجَمَاعَة إلى السلف أنهم يكفرون الأشاعرة هذا جهل يَعْنِي، الأئمة لم يكفروا المعتزلة فكيف أنت تكفر الأشاعرة؟ ترى باب التكفير خطير جدًا باب التكفير من أخطر الأبواب فلا يَنبغْي أن يجازف فيه، نحن نرد عليهم ونبين ما عندهم؛ ولكن باب التكفير لا يَنبغْي أن يلجه إلا من كان عنده علم.

المهم أكثرهم كفروهم من الذي كفروا؟ الطبقة الأولى من الجهمية، لأن من يرى أن الإيمان تصديق فقط ويرى أن الإنسان مجبر على أعماله ليس له في أعماله شيء كالريش في مهب الريح، وأن الله -عَزَّ وَجَلَّ- لا يتصف بشيءٍ من الصفات وليس له اسم ماذا تعتقد في هذا المخلوق؟ من اجتمعت فيه هذه الشروط أولئك أكثر الأئمة كفروهم.

يقول: "**وعلم أن هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين هو مذهب المريسية**"، فالتأويل الذي عندهم والتعطيل الذي عندهم نفس التأويل الذي عند المريسي وطبقته، يقول: "**من علم هذا تبيَّن الهدى لمن يريد الله هدايته، ولا حول ولا قوة إلا بالله**"، لا حول من الضلال ولا قوة على الطاعة إلا بالله.

يقول: "**والفتوى لا تحتمل البسط في هذا الباب، وإنما نشير إشارة إلى مبادئ الأمور، والعاقل يسير فينظر**"، ويعتبر ويقارن هذا بهذا ويصل إلى النتائج، إذًا ما نجده عند المتأخرين مصدره من مصادره المريسي وطبقته الذين ذمهم السلف بأعيانهم.

ومن الخطأ ما نجده عند المتأخرين وما نجده عند الإِمَام البيهقي ومن قلده من الأئمة من الأشاعرة المعاصرين: أن كلام الأئمة في أهل الكلام أن كلام الأئمة في المتكلمين ينطبق على المعتزلة والجهمية فقط لا لِمَاذَا يَعْنِي؟ نفس التأويل عنده هو عندك ما الذي يميزك عنه؟!

بل كما أشار شيخ الإِسْلَام: أنت عندك تأويل وبلايا أخرى لم توجد عند المريسي أصلًا، المريسي لم يقل يومًا ما: أن أدلة الكتاب والسنة كلها ظنية هذا لم يقوله أحدٌ من المعتزلة، هذا الذي قاله الأشاعرة الرازي ومن بعده هذا لا يوجد في أحدٍ من الجهمية ولا في أحدٍ من المعتزلة.

والتأويلات هي نفس التأويلات فما الذي يستثنيك ويخرجك من هذا ما هو! هل لأنك فلان أو علان؟ الذين ينظر إليه هو المضمون والمعنى، وهذا الذي ينظر إليه في التصنيف أنت لما تصنف تنظر إلى المذهب لا تنظر إلى الاسم.

بعض الناس يقول: أنا كذا مثْلًا يقول لك: أنا علماني أو ليبرالي أو فلان أوعلان، فلمتا تحقق معه يَعْنِي تجد أنه يَعْنِي عنده مضمون معنى الليبرالية عنده شيء معين قد تخرجه وقد لا تخرجه، المهم العبرة بالذي يعتقده بالمضمون وليس بالاسم؛ والأصول هي التي ينظر إليها هذا ماذا يعتقد في الإيمان بالله -عَزَّ وَجَلَّ-! ماذا يعتقد في الإيمان بالأنبياء والرسل وفي بقية أركان الإيمان ماذا يعتقد؟!

يقول شيخ الإِسْلَام: "**وكلام السلف في هذا الباب موجودٌ في كتبٍ كثيرة**"، هنا في هذه الفقرة ولازال السائل ينتظر الجواب إلى الآن لم يجبه بجوابٍ مفصل، الآن يعطيه مصادر تلك المصادر التي نستقي منها العقيدة، أو تلك المصادر التي دون فيها مذهب السلف، أو تلك المصادر التي دون فيها مذهب أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة، يذكر شيئًا منها ويشير أَيْضًا إلى طبقاتهم.

يقول: "**كلام السلف في هذا الباب موجودٌ في كتبٍ كثيرةٍ لا يمكن أن نذكر هنا إلا قليلاً منه، مثل: كتاب (السنن) للالكائي**"، أنا أظن هو كتاب "السنة" كيف في طبعتكم؟ السنن على كل حال هو "السنة" للالكائي الذي طُبع، الجميع عنده السنن جميع الطبعات؟ للالكائي اللالكائي توفي سنة أربعمائة وثمانية عشرة.

يقول: "**والإبانة لابن بطة**"، أَيْضًا مطبوع طُبع محققًا حُقق في رسائل جماعية كتاب "الإبانة" لابن بطة وله كتاب "الإبانة الكبرى والصغرى" كلها مطبوعة، يقول: "والسنة

لأبي ذر الهروي"، أبو ذر الهروي من رواة صحيح الإِمَام البُخَارِيّ المعروفين اشتهر بروايته لصحيح الإِمَام البُخَارِيّ.

وأنا ما أدري إلى الآن هل يا ترى هناك تصحيف أو فعلًا أبو ذر الهروي له كتاب "السنة"؟ لأن الرجل متأثر بالأشاعرة بل الذي يأتي إليه لسماع صحيح البُخَارِيّ يعطيه البُخَارِيّ ويعطيه أَيْضًا المذهب الأشعري، هل هناك تصحيف أو ما أدري؟!

طَبْعًا هو توفي بمكة سنة أربعمائة وخمسة وثلاثين، وكان سنده في صحيح البُخَارِيّ في وقته أعلى سند، فلذلك كان الناس يأتونه من المغرب والمشرق، الهروي المعروف بالسنة هو أبو إسماعيل هل هو أبو إسماعيل أو أبو ذر له كتاب؟ والله أعلم.

يقول: "**والأصول لأبي عمر الطلمنكي**"، هذا الرجل يذكره شيخ الإِسْلَام كثيرًا ولم نطلع على كتابه، وطلمنكا هذه مدينة من مدن الأندلس وهذا الكتاب يشير إليه شيخ الإِسْلَام كثيرًا وينقل منه شذرات جميلة.

يقول: "**وكلام أبي عمر بن عبد البر**"، إمام المغرب في وقته توفي سنة أربعمائة وثلاثة وستين، ومن عجيب المصادفات أنه ابن عبد البر كان إمام المغرب والخطيب كان إمام المشرق في وقته وتوفيا في سنة واحدة.

طَبْعًا هناك رسالة جماعية في مذهب ابن عبد البر في الإيمان فقط والبقية ما أدري عنه درست أقواله أو لا؟ أنا عندي ما يتعلق بالإيمان هو إمام عظيم من كبار الأئمة ابن عبد البر صاحب "**التمهيد**" وصاحب الأصل لكتاب التمهيد ما اسمه؟ "**الاستذكار**" كلاهما شرح "للموطأ".

يقول: "**والأسماء والصفات**"، للبيهقي الإِمَام البيهقي توفي سنة أربعمائة وثمانية وخمسين هو من الأئمة الذين تأثروا بمذهب الأشاعرة، ولكن كتابه "**الأسماء والصفات**" يذكر فيه مذاهب الأئمة بالسند فهو أمينٌ في ذلك، لذلك ذكره الإِمَام هنا ذكره شَيْخُ الإِسْلَام وإلا هو من المتأثرين بالأشاعرة في التأويل وكتبه فيها كثيرٌ من التأويلات؛ لكن هذا الكتاب ذكر فيه مذاهب الأئمة بالسند هو من المصادر.

يقول: "**وقبل ذلك السنة للطبراني، والسنة لأبي الشيخ الأصبهاني**"، هذا أَيْضًا مطبوع.

يقول: "**ولأبي عبد الله بن منده، ولأبي أحمد العسَّال الأصبهاني**"، أَيْضًا مطبوع.

يقول: "**وقبل ذلك السنة للخلال**"، الخلال الذي جمع أقوال الإِمَام أحمد توفي سنة ثلاثمائة وإحدى عشر.

يقول: "**والتوحيد لابن خزيمة**"، ابن خزيمة أَيْضًا توفي في نفس السنة ثلاثمائة وإحدى عشر.

يقول:"**وكلام أبي العباس بن سريج، والرد على الجهمية لجماعة**"، جماعةٌ من الأئمة ألفوا كتبًا في الرد عليهم وأسموا كتبهم كتاب "**الرد على الجهمية**" وهم كُثر.

يقول: "**وقبل ذلك السنة لعبد الله بن الإِمَام أحمد، والسنة لأبي بكر بن الأثرم، والسنة لحنبل والسنة للمروذي**" بالذال السنة للمروذي نسبةً إلى مرو الروذ، وإذا كان بالزاي ينطق المرَّوزي نسبة إلى مرو هذه النسبة على غير قياس، النسبة إلى مدينة مرَّو مرَّوزي على غير قياس، ومرَّو هي مدينة المدن في ذلك الوقت وكان المأمون فيها قبل أن يأتي، وكانت قاعدة خراسان في ذلك الوقت مركز خراسان مرَّو.

يقول: "**ولأبي داود السجستاني**"، أبو داود السجستاني هل له كتاب باسم "**السنة**" ما أدري؛ ولكن له عقد كتابًا خصص كتابًا مستقلًا كتاب السنة في سننه هل يقصد هذا أو له كتاب خاص بالسنة؟ الله أعلم.

يقول: "**ولابن أبي شيبة أَيْضًا كتاب السنة**".

يقول: "**والسنة لأبي بكر بن أبي عاصم، وكتاب الرد على الجهمية لعبد الله بن محمد الجعفي شيخ البخاري، وكتاب خلق أفعال العباد لأبي عبد الله البُخَارِيّ**"، البُخَارِيّ نفسه ألفه بعد تلك الفتنة التي حصلت له في نيسابور ألف الكتاب بعدها، وذكر كثيرًا من أبوابه في صحيحه في صحيح البُخَارِيّ أبواب عديدة فيها بيان الفرق بين أفعال العباد وأفعال الله -عَزَّ وَجَلَّ- لأنه افتتن في هذه المسألة.

يقول: "**وكتاب الرد على الجهمية لعثمان ابن سعيد الدارمي**"، الدارمي له كتاب الرد الجهمية وكتاب في الرد على المريسي.

يقول: "**وكلام عبد العزيز المكي صاحب الحيدة في الرد على الجهمية**"، طَبْعًا كتابه مطبوع وحُقق أَيْضًا حققه عدة منهم شيخنا علي ناصر فقيهي.

يقول: "**وكلام نعيم بن حماد الخزاعي**"، هذا من شيوخ البُخَارِيّ.

يقول: "**وكلام الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه؛ ويحيى بن يحيى النيسابوري وأمثالهم**"، يحيى بن يحيى النيسابوري من شيوخ الإِمَام البُخَارِيّ ومن أشهر رواة "**موطأ الإِمَام مالك**".

"**موطأ الإِمَام مالك**" من رواته المتأخرين يحيى بن يحيى الليثي تلك الرواية هي المعروفة الآن، ومن أقوى ومن شهر رواة "**موطأ الإِمَام مالك**" يحيى بن يحيى النيسابوري وأمثالهم.

يقول: "**وقبل هؤلاء عبد الله بن المبارك وأمثاله وأشياء كثيرة**"، هذه بعض المصادر التي نرجع إليها إذا أردنا أن نعرف مذهب أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة في أبواب الاعتقاد.

يقول: "**وعندنا من الدلائل السمعية والعقلية ما لا يتسع هذا الموضع لذكره**"، شيخ الإِسْلَام هنا ذكر جوانب عديدة تتعلق بالمتكلمين حقيقة حالهم بعدهم عن السنة ذكر مصادرهم ذكر أئمتهم، وفي ذلك أَيْضًا ذكر مصادر أَهْلِ السُّنَّةِ، أَيْضًا ذكر الأئمة الذين ردوا عليهم، بقي أن يذكر أصولهم ويفندها أصلًا أصلًا يقول: هذا فرق لِمَاذَا؟ لأنه هذا الموضع لا يتسع لذكرها يعتذر.

يقول: "**وأنا أعلم أن المتكلمين لهم شبهاتٌ موجودة، لكن لا يمكن ذكرها في الفتوى**"، هذه فتوى وليست رسالة حتى.

يقول: "**فمن نظر فيها وأراد إبانة ما ذكروه من الشبه فإنه يسير**"، يقول: لم أتركه لصعوبته وإنما الفتوى هذه لا تحتمل ذكر أصولهم وتفنيدها أصلًا أصلًا.

هنا في النهاية يشير إلى أهمية ذكر المصادر هنا لِمَاذَا ذكر أن سلسلة نسب هذه المقالة تصل إلى اليهود؟ لِمَاذَا ذكر أن تأويلاتهم الموجودة الآن هي تأويلات المريسي؟ لِمَاذَا ذكر مصادرهم لِمَاذَا؟!

يقول: **"وإذا كان أصل هذه المقالة مقالة التعطيل والتأويل مأخوذًا عن تلامذة المشركين، والصابئين، واليهود، فكيف تطيب نفس مؤمنٍ، بل نفس عاقلٍ أن يأخذ سبل هؤلاء المغضوب عليهم والضالين، ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين".**

الآن تبين لك أن مصادر هؤلاء هي الصابئة وغيرهم، وأن مصادر أَهْلِ السُّنَّةِ الكتاب والسنة، مع ذلك تحيد السلف بقولك: مذهب السلف أسلم وتذهب إلى هؤلاء وتنسب إليهم العلم والإحكام وتقول: مذهب الخلف أعلم وأحكم كيف؟!

مع علمك بمصادر أولئك المتكلمين ومع ذلك كيف تطيب نفس مؤمن بل نفس عاقل أن يأخذ سُبل هؤلاء المغضوب عليهم والضالين على ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؟!

إلى هنا هذه مقدمة وأظن أن السائل نفذ صبره صبر كثيرًا على شيخ الإِسْلَام، ويبدوا أن شيخ الإِسْلَام استشعر أَيْضًا ما عليه السائل من الانتظار واللهف إلى سماع الجواب فلذلك بدأ يجيب الآن، الآن يجيب الآن الجواب التفصيلي لسؤال السائل ونؤجله إلى درس غد – إِنْ شَاءَ الله– وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الطالب: جزاكم الله خير يا شيخ ورد سؤالين عن التركيب من المتأخرين، يقول: ما معنى التركيب من المتأخرين وحدوث الأجسام؟!

الشيخ: دليل التركيب كما ذكرت لكم: هو من أدلة الفلاسفة، الفلاسفة يثبتون وجود الله –عَزَّ وَجَلَّ– بدليل التركيب وأن الله –عَزَّ وَجَلَّ– ليس مركبًا، كيف أنه ليس مركب؟ لأنه لا يتصف بصفة إذا أثبت له صفة هذا يستلزم التركيب والتركيب فيه احتياج لأن الذات مع الصفة هذا تركيب، وكل مركب بعضه يحتاج إلى بعض.

أنا الآن أحتاج إلى يد وأحتاج إلى كذا وأحتاج إلى أليس كذلك؟ لأني مركب من هذه الأعضاء، وحتى يكون مستغنيًا لا يحتاج إلى شيء لابد أن ننفي جميع الصفات، هكذا يقولون أصلاً هم ليسوا مُسْلِمِيْن الفلاسفة ليسوا مُسْلِمِيْن.

فحتى تكون موحدًا وملحدًا تمامًا تذهب إلى هذه، يقولون: بهذا تثبته مستغنيًا وهذا المستغني تُرجع إليه خلق العالم هو الذي يستحق أن يكون خالقًا للعالم، وهذا الدليل به يثبتون وجود الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

طيب أثبتوا به وجود الله -عَزَّ وَجَلَّ- بعد ذلك إذا كانت هناك نصوص تثبت الأسماء والصفات يقال لهم: لا هذه النصوص تقدح في أصل إثبات وجود الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وبذلك العقل يدل على انتفاء هذه لأن تلك الصفات هي تخدش في أصل وجود الله -عَزَّ وَجَلَّ- هكذا هذا دليل الفلاسفة..

وكان موقف المتكلمين من هذا الدليل موقفًا جيدًا كان يردون عليهم في هذا الدليل؛ ولكنهم للأسف الشديد في المراحل الأخيرة اعتمدوا هذا الدليل، تجد في كتب الأشاعرة ردًا عليهم في التركيب واستدلالًا بدليل التركيب لإثبات وجود الله -عَزَّ وَجَلَّ-؛ بل بعضهم يقدمها على دليل حدوث الأجسام يقدمها هذا ملخص لهذا.

وممن رد عليهم الغزالي رده عليهم جميل كتابه "**تهافت الفلاسفة**"؛ وذكر أن التركيب له سبعة أنواع: من هذه الأنواع عندهم: التركيب من الذات والصفات هذا غريب يعتبرونها تركيبًا، ورد عليهم بالتفصيل وكلامه نقله شيخ الإِسْلَام وأشار به كلام الغزالي هذا دليل التركيب.

دليل حدوث الأجسام هذا الدليل دليل المتكلمين، المتكلمون يعتمدون عليه في إثبات وجود الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وهذا الدليل له أربع مقدمات حتى تثبت أن هذا حادث وهو بحاجةٍ إلى محدث وحتى تثبت المحدث وهو الخالق، يَعْنِي حتى تثبت وجود الخالق أنت بحاجة إلى إثبات أن العالم حادث، وإلا ستكون مثل الفلاسفة الذين يرون أن العالم قديم.

الفلاسفة أرسطو وغيره حتى الذين يثبتون أن العالم يرجع إلى المبدأ الأول يرون أن العالم قريب، لأن المبدأ الأول عندهم علة عِلِة المخلوقات والعلة والمعلول لا تفاوت بينهم في الزمن، فالعالم عندهم قالوا: حتى نثبت أن العالم حادث نسلك هذا الدليل، وهذا الدليل له أربع مقدمات ومقدمة تكميلية خامسة:

❍ المقدمة الأولى: إثبات الأعراض وهي الصفات تثبت الأعراض والأكوان الحركة والسكون والاجتماع والافتراق تثبتها.

❍ المقدمة الثانية: تثبت حدوث الأعراض والأكوان.

❍ المقدمة الثالثة: تثبت أن الجواهر كلها الأعيان والأجسام كلها لا تخلوا عن الصفات عن الأعراض والأكوان لا تخلوا منها، وقد أثبت أن هذه حادثة الأعراض حادثة والأعيان لا تخلوا منها.

❍ المقدمة الرابعة: ما لا يخلوا عن الحوادث ولا يتقدمها حادث، وبهذا يثبتون حدوث العالم إذا ثبت حدوث العالم فالعالم بحاجةٍ إلى محدث والمحدث هو الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

قد يقول قائل: أن الحوادث التي تحدثت عنها هناك حدوث قبلها لا تشملها تكل السلسلة التي ذكرتها؟ قالوا: لا هناك مقدمة خامسة وهي:

❍ المقدمة الخامسة: امتناع حوادث لا أول لها الحوادث لها بداية قبل هذه البداية الله -عَزَّ وَجَلَّ- لم يكن خالقًا ولم يكن متكلمًا ولم يكن يفعل شيئًا، كان معطلًا عن الفعل بدأ خلقه وفعله مع خلق هذا العالم.

هذا حدوث الأجسام وهذا الدليل مبنيٌ على نظرية الجوهر الفرد، والجوهر الفرد هو الذرة ومن أساسيات هذه النظرية أن الجوهر الفرد والذرة لا تنقسم، وقد أثبت العلم الحديث أن الذرة تنقسم وأن هذه القنابل الذرية والهيدروجينية وغيرها بتقسيم الذرة، ويرون أن الذرة لا خلاء فيها هذا المبحث يبحثون باسم الملاء والخلاء، ويرون أن الذرة لا خلاء فيها، والعلم الحديث يرى أن الخلاء الذي فيها أكثر من الملاء الذي فيها.

طيب إثبات وجود الله -عَزَّ وَجَلَّ- وإثبات النبوة إثبات وجود الله -عَزَّ وَجَلَّ- هو المبدأ وإثبات القيامة، هذا كله مبنيٌ على هذه النظرية والنظرية الآن ثبت بطلانها فما مصير هذه الأصول؟!

وهذا الدليل دليل حدوث الأجسام من أغرب الأدلة أغرب منه دليل التركيب، هناك نزاع في مقدماته في كل مقدمة ليس النزاع بيننا وبينهم بينهم أنفسهم ما هو الجسم؟ عندهم خلاف طويل وعريض.

ولكن هذا الدليل يجعلونه أصلًا للأصول كل دليل يصطدم بهذا الدليل كل نص في الكتاب والسنة يصطدم بهذا الدليل يقولون: هذا يخالف العقل؛ لأن هذا الدليل به يثبتون وجود الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

ويقولون: إما أن تخسر هذا الدليل فتخسر وجود الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وإما أن تخسر تلك النصوص وهذا أهون لأن باب التأويل من السهل أن هكذا يرون، نحن ما نحتاج إلى هذا الدليل سبحان الله المُسْلِمِيْن نحتاج إلى هذا الدليل لإثبات حدوث هذا، فيها تاريخ متى البداية ومتى النهاية مكتوب فيها ما نحتاج إلى هذا الدليل.

الدليل الذي مقدماته معقدة صعبة وكثيرٌ منها باطلة أصلًا من توابع هذا الدليل: الأعراض لا تبقى زمنين، طَبْعًا التفصيل في هذا الدليل طويل من لواحقه من توابعه: أن الأعراض لا تبقى زمنين؛ الصفات التي أنا عليها اللون والعلم وكل ما عليه الإنسان هذه الصفات كلها تتجدد في كل لحظة عندهم تتغير.

طيب على ماذا تستندون هل توصلتم إلى هذه الأمر بتجربة علمية أخضعتم الإنسان مَثَلًا لتجارب علمية فتوصلتم؟ لا لا، كله نقل عن الفلاسفة نظرية الذرة هي أول من قال بها ديمقريطيس وأخذوها وحوروها، ويا ويل النصوص إذا اصطدمت مع هذه الأصول، هذا ما أدري هل هو مفهوم أو لا الله أعلم إذا ما فهمنا فعندنا التفويض مذهب السلف أسلم.

الطالب: يسأل بعضهم عن عبارة: "أو بعض ورثتهم الذين أمروا أن يكفروا بهم"؟!

الشيخ: أولئك الطواغيت الصابئة وغيرهم والذين ورثوا علمهم نحن مأمورون بالكفر بهم وبما عندهم أليس كذلك؟ لأنه لا يمكن أن تجمع الإيمان بالله -عَزَّ وَجَلَّ- وبالنبي -صَلى اللهُ عليهِ وسَلم- مع الإيمان بموروثات الأمم الكافرة لا يمكن، نحن مأمورون بالكفر بتلك التركة.

الطالب: شيخ أحسن الله إليكم يقول السائل: ما هي الشروط العشرة التي ذكرها الرازي في نفي الدلالة؟!

الشيخ: أنا ما أتذكرها ولكن منها:الإدمار، ومنها: الاشتراك، ومنها: المجاز، ومنها آخرها: ان لا يكون معارضًا للعقل الشرط الأخير، يَعْنِي مَثَلًا في كل لفظة لابد أن تثبت الله -عَزَّ وَجَلَّ- يقول: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[الذاريات: 47]، كلمة السماء المراد بها هذه الأجرام أليس كذلك؟!

طيب حتى تجزم بأن المراد بالسماء هذه الأجرام لابد أن تنقل نقلًا متواترًا أن هذه اللفظة ليس فيها مجاز ليس فيها اشتراك ليس فيها نقل ليس فيها، في الأخير لابد أن تثبت أن ما ورد في هذه الآية ليس معارضًا للدليل العقلي.

ثم ذكر أنه لا يكفي أن تقول: بحثت ووجدت أنه ليس معارضًا للدليل العقلي يقول: لا يكفي هذا لِمَاذَا؟ لأن عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود، أنت بحثت وما وجدت ليس معناه أنه لا يوجد قد يكون انظر كيف يسكر الباب على؟!

شيخ الإِسْلَام ناقشه بالتفصيل طَبْعًا هذا ذكره في كتبٍ كثيرة من تلك الكتب "نهاية العقول" شيخ الإِسْلَام ناقشه بالتفصيل، وممن ناقشه بأسلوب طريف المعلمي -رَحِمَهُ الله- في رده على الكوثري يقول: يَعْنِي قد يكون هناك معارض أنت لما.

وبالتالي يقول أنا أنقل بالمعنى: يستحيل أن تتوفر هذه الشروط العشرة في أي دليل سمعي، وبالتالي الأدلة النقلية السمعية اللفظية كلها ظنية، هو فصل في هذه الأمور في كثيرٍ من كتبه وأكثر ما فصل في المحصول، المحصول ولكن ذكر هناك تسعة في أكثر كتبه يذكر عشرة في المحصول ذكر تسعة.

"المحصول" في أصول الفقه وأصول الفقه فيه بيان مكانة الأدلة الشرعية، لأن علم الأصول العلم كله في ثلاثة أمور علم الأصول كل العلم في ثلاثة أمور:

- تحديد الأدلة.
- ومن المستفيد من هذه الأدلة.
- وكيفية الاستفادة.

تحديد الأدلة، وكيفية الاستفادة منها، ومن المستفيد المجتهد والمقلد، علم الأصول فيه هذه الأمور الثلاثة، في تحديد الأدلة لابد أن تبين مقام ومكانة الأدلة الشرعية كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- وسنة النبي -صَلى اللهُ عليهِ وسَلم-، الرازي ذكر هذا الأمر هناك وبين أن الأدلة أدلة الكتاب والسنة لا تفيد اليقين دلالةً كلها ظنية.

الطالب: شيخ أحسن الله إليكم هذا سائل يسأل عن عبارة لشيخ الإِسْلَام: **"وإن كان الرد لا يزيد الأمر إلا شدة"** ما المراد بالرد؟!

الشيخ: شيخ الإِسْلَام يقول: **"كأننا أمرنا أن نرجع إلى تلك العقول حتى ولو كان الاختلاف فيه أكثر"**؛ نحن لما نختلف نرجع إلى مصدر ينهي الخلاف أليس كذلك؟ ينهي الخلاف يقول: حتى ولو اشتد الأمر وزاد الخلاف مأمورون بالنظر إلى عقولهم على كلامهم، حتى ولو ازداد الاختلاف واشتد الاختلاف نرجع إليهم لأنها عقول يَعْنِي عقل فلان وفلان.

الطالب: شيخ أحسن الله إليكم يقول سائل: نرجو توضيح قوله: الصفات الإضافية؟!

الشيخ: الإضافية نعم الصفات الإضافية هي الصفات التي لا تتعقل إلا بالنظر إلى المقابل مثل الأبوة والبنوة، إذا لم تعرف البنوة لم تعرف الأبوة لأن الأب هو الذي له ابن أليس كذلك؟!

فَإِذا لم تعرف الابن لم تعرف الأب، وكذلك العكس البنوة عبارة عن من له أب؛ فهذا لن تعرفه إلا بالنظر إلى المقابل وكذلك العكس هذه الأمور الإضافية، والمهم فيها أنه ليس

هناك شيء جديد هو الأب والابن ليس هناك شيء ثالث، يَعْنِي ليس هناك إثبات شيءٍ جديد معنى جديد، لذلك يعتمدوه مثل الصفات السلبية نعم.

الطالب: يقول السائل: هل كان المعتزلة وبخاصةً رءوسهم معروفون بالتعبد؟!

الشيخ: بالنسبة للمعتزلة في الإيمان خوارج وهذا ينبغي أن يكونوا مثل الخوارج في التعبد؛ ولكن الموجود والواقع يدل على غير هذا ولما تقرءون لابن قتيبة -رَحِمَهُ الله- في كتابه في كتاب "**اللفظ**" أظن ذكر: كيف أن هؤلاء أئمتهم كانوا يَعْنِي معروفون بشرب الخمر ومعروفون، هذا لا يوجد في إلا في النادر مثل عمرو بن عُبيد كان معروفًا بالتعبد عمرو بن عُبيد ولذلك دائمًا يذكرونه، أما عموم المعتزلة النظام والعلاف كانوا معروفين مع أن مذهبهم في الإيمان خوارج.

الطالب: يقول السائل: هل للإِمَام الذهبي كلامٌ يقدح في شيخ الإِسْلَام ابن تيمية؟!

الشيخ: له كلام في رسالة اسمها "**زغل العلم**"، وهذه الرسالة نسبتها إلى الإِمَام الذهبي مشكوكٌ فيها ولكن كلام الذهبي في شيخ الإِسْلَام في عدد من كتبه (في السير، في تاريخ الإِسْلَام)، كلام من أعظم ما يكون، ولكن الذين يصيدون في الماء العكر يذهبون إلى تلك الرسالة التي هي أصلًا مشكوك في نسبتها إلى الإِمَام الذهبي، وإلا كلام الذهبي في شيخ الإِسْلَام من أعظم ما يكون ومن أحسن ما يكون نعم.

الطالب: يقول السائل: لِمَاذَا وافق الأشاعرة المريسي وهو جهمي؟!

الشيخ: لأن التأويلات هي التأويلات والمنهج هو المنهج والأشاعرة جهمية، الأشاعرة ذكر شيخ الإِسْلَام في "التسعينية": أن الجهمية ثلاث طبقات ونحن قلنا: أن التجهم هو التعطيل التجهم مرادف للتعطيل، لذلك لما نقول: الجهمية الجهمية نقصد بهم في الصفات بعض الصفات.

شيخ الإِسْلَام لما رد على الرازي ماذا سمى كتابه؟ "**بيان تلبيس الجهمية**" مع أن الرازي أشعري، فشيخ الإِسْلَام ذكر في "التسعينية" أن الجهمية لهم ثلاث طبقات:

➢ **<u>الطبقة الأولى</u>**: هم طبقة جهم.

➢ <u>الطبقة الثانية</u>: هم المعتزلة المعتزلة جهمية في الصفات.

➢ <u>الطبقة الثانية</u>: هم الأشاعرة وهم جهمية في الصفات على تفاوتٍ في النفي والتعطيل.

الطالب: يقول السائل: ما الرد على الشبهة التالية: هل يعقل أن البيهقي متأثرٌ بالمذهب الأشعري ينقل عن الأئمة مذهب السلف ولا يعرف الحق فيه؟!

الشيخ: هو في النقل كما قلت: أمين وهو محدث من أشهر المحدثين؛ ولكن هكذا سبحان الله تأثر بهم مثل غيره الخطابي وبعض المحدثين، وبعض من شرح الحديث وبعض من شرح صحيح البُخَارِيّ يشرحه على عكس ما يريده البُخَارِيّ وخاصةً في (كتاب التوحيد) هذا فهمه ولكنه في النقل أمين.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

للإمام الشيخ

شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني

- رحمه الله -

(المجلس التاسع)

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد محمدي النورستاني

- حفظه الله -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء المرسلين، اللّٰهم اغفر لنا ولشيخنا.

(المتن)

قال شيخ الإِسْلَامِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-، فصل مجمل مذهب أهل الحق في صفات الله تعالى: ثم القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، أو بما وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث.

قال الإمام أحمد رضي الله عنه: «**لا يُوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو بما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث**» .

ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي، بل معناه يُعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه، لاسيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول وأفصح الخلق في بيان العلم وأنصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد

وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته، ولا في أفعاله، فكما يتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقة، وله أفعال حقيقية، فكذلك له صفات حقيقية، وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وكل ما أوجب نقصًا أو حدوثًا فإن الله منزه عنه حقيقة، فإنه سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه، ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه، واستلزام الحدوث، سابقه العدم، ولافتقار المحدَث إلى مُحدِث، ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى.

مذهب السلف وسط بين التمثيل والتعطيل:

ومذهب السلف بين التعطيل وبين التمثيل، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم فيعطلون أسماءه الحسنى وصفاته العلى، ويحرّفون الكلم عن مواضعه، ويلحدون في أسماء الله وآياته.

بيان أن التعطيل تمثيل والتمثيل تعطيل:

وكل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل فهو جامعٌ بين التعطيل والتمثيل.

أما المعطلون؛ فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات، فقد جمعوا بين التمثيل والتعطيل، مثلوا أولاً، وعطلوا آخرًا، وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم، وتعطيل لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة بالله سبحانه وتعالى.

فإنه إذا قال القائل: لو كان الله فوق العرش للزم إما أن يكون أكبر من العرش، أو أصغر أو مساويًا، وكل ذلك محال، ونحو ذلك من الكلام.

فإنه لم يفهم من كون الله على العرش إلا ما يثبت لأي جسم كان على أي جسم كان، وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم. أما استواء يليق بجلال الله ويختص به، فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة التي يجب نفيها، وصار هذا مثل قول الممثل: إذا كان للعالم صانع، فإما أن يكون جوهرًا، أو عرضًا، وكلاهما محال: إذ لا يعقل موجود إلا هذان، أو قوله: إذا كان مستويًا على العرش، فهو مماثل لاستواء الإنسان على السرير أو الفلك، إذ لا يُعلم الاستواء إلا هكذا، فإن كلاهما مَثَّل وكلاهما عَطَّل حقيقة ما وصف الله به نفسه، وامتاز الأول بتعطيل كل مسمى للاستواء الحقيقي، وامتاز الثاني بإثبات استواء هو من خصائص المخلوقين.

إثبات العلو والاستواء لله تعالى:

والقول الفاصل: هو ما عليه الأمة الوسط، من أنَّ الله مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله ويختص به، فكما أنه موصوف بأنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه سميع بصير ونحو ذلك، ولا يجوز أن يثبت للعلم والقدرة خصائص الأعراض التي كعلم المخلوقين وقدرتهم، فكذلك هو سبحانه فوق العرش ولا يثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق وملزوماتها.

موافقة مذهب السلف للعقل والنقل:

واعلم أن ليس في العقل الصريح ولا في النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلاً لكن هذا الموضع لا يتسع للجواب عن الشبهات الواردة على الحق، فمن كان في قلبه شبهة وأحب حلَّها فذلك سهل يسير.

(الشرح)

نحمده ونصلي على رسوله الكريم أما بعد، وبعد هذه الجولة في بيان استقامة طريق أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ وأن ما عليه أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ هو الحق الذي لا يجوز تعديه ولا يجوز أن يُصار إلى غيره، وأن من خالفه وخرج عن هذه الطريق فهو في "أمر مريج"، ومضطرب في أقواله في اعتقاداته، وليس منسجم في شيئًا من ذلك.

وبعد هذه المقارنة التي بينَّ فيها شيخ الإِسْلَامِ كيف أن مذهب السلف هو الحق في ذاته وفي مصادره وبالنظر إلى القائلين به، ليس هناك شيء يعيبه، أما مذهب المخالفين باطل في نفسه وفي مصادره وبالنظر إلى القائلين به بالنظر إلى أئمته، ليس فيه شيئًا يغرينا ليس فيه شيئًا يدل على كونه حق.

كل ما فيه بعضه يدل على بعض في البطلان بخلاف مذهب أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ هذا التمهيد الطويل الذي أشرنا إليه مرارًا والسائل لا يزال ينتظر من شيخ الإِسْلَامِ الجواب التفصيلي، الجواب الإجمالي الذي ذكره في بداية الكتاب هذا جواب إجمالي.

الآن يجيبه، يجيب السائل يقول: **"ثم القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، أو بما وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث".**

هذا مقتبس من كلام الإِمَامِ أحمد ولذلك يذكره هنا، القول الشامل في هذا الباب أن يُقال بإطلاق بدون استثناء يُقال: إن كل ما وصف الله ﷻ به نفسه، وكل ما وصفه به رسوله ﷺ فإننا نصفه به، ومن أدلة كون الله ﷻ وصف نفسه بهذا أو رسوله ﷺ وصفه في هذا أن السابقين الأولين، سيقولون بهذا الذي نجده في الكتاب والسنة مما يدل على صحة اعتقادنا نحن.

مادام السابقون الأولون يؤكدون هذا، هذا يدل على أن هذا هو الحق طبعًا نصوص الكتاب والسنة فيهما من الوضوح ما يكفي ولكن مع ذلك اتفاق السابقون الأولون على هذه الطريقة يدل على أن هي الحق، قال الإمام أحمد رضي الله عنه: «**لا يُوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو بما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث**»، هذا من أقوال الإِمَامِ أحمد -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-.

➢ <u>وهي من الأقوال التي تعتبر قائدة في هذا الباب، ذكر فيها أمران:-</u>

الأمر الأول: أن الله ﷻ لـما يصف نفسه بشيء فإننا نتقيد به.

الأمر الثاني: ومنه أيضًا أن النبي ﷺ لـما يصف الله ﷻ بشيء فإننا نتقيد به، الأمر الثاني أن الدليل الذي يُعتمد عليه في هذا الباب القُرْآنَ والحديث، لا يُتجاوز القُرْآنَ والحديث، إلى هنا انتهى كلام الإِمَامِ أحمد، وأحد من رد على شيخ الإِسْلَامِ وهو ابن جهبل ظن أن كلام الإِمَامِ أحمد يستمر إلى الصفحة القابلة اللاحقة إلى قوله: **"ومذهب السلف بين التعطيل وبين التمثيل".**

ظن أن كلام الإِمَامِ أحمد إلى هناك، فذكر هذا وأشاد به في هذا الكتاب، هذا الكتاب ابن جهبل، قبل تأسيس التقديس يقول: البداية أنا كنت قرأته عليكم، فالذي دعا إلى تسطير هذه النبذة ما وقع في هذه المدة مما علقه بعضهم في إثبات الجهة.

يعني كلام شيخ الإِسْلَامِ في الحموية؛ اختصرها في هذه، أن الحموية كلها في إثبات الجهة يقول هنا: أفلا يكتفي بما اكتفى به نبيهم إلى، ثم يقول: ولا تنازل واكتفى لما نُقل يعني يقصد شيخ الإِسْلَامِ، لما يكتفي بما نقل عن إمامه الأمام أحمد بن حنبل حيث قال: "**لا يُوصف الله ﷻ إلا بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يُتجاوز القُرْآنَ والحديث، ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق**"، استمر إلى قوله: "**ووجوب وجوده بنفسه سبحانه**"، في الصفحة المقابلة.

يقول هنا: هذا نص إمامه هذا الذي ذكره كله نص إمامه، فهل اكتفى به ولقد أتى إمامه في هذا المكان بجوامع الكلم، وساق أدلة المتكلمين على ما يدعيه هذا المارق بأحسن ردًا وأوضح المعان، يقصد شيخ الإِسْلَامِ مارق وكلامه هو الذي يثني عليه.

ويظنه كلام الإِمَامِ أحمد مع أنه لم يُأمر بما أُمر به هذا الفريق، هذا ممن ردوا على شيخ الإِسْلَامِ لا يميز، سبحان الله، "**ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه**"، هذا مذهب السلف، نفسه الذي ذكره، "**وبما وصف به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل**"، ليس عندهم لا تحريف ولا تعطيل.

التحريف هو وسيلة والتعطيل غاية لِمَاذَا يحرف هذا المبتدع، لِمَاذَا يحرف؟ حتى يصل إلى التعطيل، لو لم يرد التعطيل ما كان يحرف، ولذلك هم فيما يثبتون لا يحرفون فيما ليس عندهم إشكال لا يحرفون ولكن إذا أرادوا التعطيل يحرفون، فالتحريف وسيلة والتعطيل غاية، هذا هو الفرق بين التحريف والتعطيل.

أَيْضًا التحريف يكون في الدليل والتعطيل يكون في المدلول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:5]، حرف في اللفظ جعله استيلاءً وبهذا عطل المعنى الذي أثبته الله ﷻ وهو العلو والارتفاع من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، التكييف والتمثيل كلاهما تشبيه.

ولكن التكييف أعم، والتمثيل أخص، التكييف ذكر الكيفية لما يذكر الكيفية ويقارنها بذكر المماثل يكون تمثيل، فكل مثيل تكييف وليس العكس، لأن التكييف أعم والتمثيل

أخص، يقول مثلًا: كيفية يد الله ﷻ كذا وكذا، بين ثم يقول: مثل يد المخلوق، التمثيل مبني على التكييف والتمثيل تكييف وزيادة وكلاهما تشبيه.

هنا كما سيذكر شيخ الإِسْلَامِ ذكر أن مذهب أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ متميز وهو بين فريقين متقابلين، فريق يقع في التمثيل والتشبيه وفريق يقع في التعطيل، يحرف فيقع في التعطيل وفريق يمثل فيقع في التشبيه ومذهب أهل السنة بين هذا وهذا.

وسطية أهل السنة في هذا الباب سيذكرها شيخ الإِسْلَامِ، **"ونعلم أن ما وُ صف الله به من ذلك حقٌ"** وهذا كله أشاد به ابن جهبل، **"ونعلم أن ما وُ صف الله به من ذلك حقٌ ليس فيه لغز ولا أحاجي"**.

كما يزعمه المفوضة، المفوضة يقولون: الله أعلم بما تحتمله هذه الألفاظ من المعاني، لِمَاذَا الله أعلم؟ الله ﷻ علمك وأنزل هذا الكتاب لتفهمه ويمكنك أن تفهمه، ليس اللغز حتى تقول الله أعلم، الأحاجي أَيْضًا تُطلق على الألغاز الشيء الذي أراد المتكلم أن لا تفهمه هذا يكون مقصودًا مقصود من المتكلم.

المتكلم ألغز في كلامه حتى لا تفهمه، طبعًا ما غرسه في هذا اللغز ما ندري، المهم هذا مقصود من المتكلم، بل معناه يُعرف من حيث يُعرف مقصود المتكلم بكلام، في هذه الجملة يبين شيخ الإِسْلَامِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-، أن كلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ ليس من باب الأحاجي ولا من باب الألغاز بل هو كلام مفهوم.

فقد يسأل سؤال، كيف نفهمه؟ يقول شيخ الإِسْلَامِ: **"بل معناه يُعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه"**، أنت كيف تفهم مقصود أي متكلم؟ وتسأل كأنك وُلدت اليوم، كيف تفهم كلام أي متكلم كيف؟ تفهمه بالنظر إلى المفردات، نزلتُ من السيارة ثم جئت إلى المسجد هناك مفردات مفهومة، أليس كذلك.

وبالنظر إلى الجملة تفهمها، وبالنظر إلى السياق لأن السياق والسباق والجملة التركيب قد يغير المعنى، يقول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾[الفرقان:45]، كيف مد

الظل، معنى مد؟ معروف في اللغة، وهذا لما رُكب مع هذه اللفظة، الظل فله معنى، هذا المعنى الجديد من أين جاءنا.

من الجملة، من التركيب، رأيت أسد يخطب هذا التركيب المعين جعل معنى الأسد معنىً معينًا لا يجوز ل كان تتعداه، لا يجوز لك مثلًا أن تقول: حقيقة في السر وقد يكون هذا وقد يكون هذا، لا المتكلم حدد وعين المقصود من الأسد هنا، هذا المعنى الجديد من أين جاء؟ من التركيب ليس من المفرد.

وقد تعلمه من المفردات، إِذًا مقصود المتكلم من أين تعرفه، هكذا ستعرف مقصود الله ﷻ ومقصود النبي ﷺ بشرط أن تكون مخلص في التوصل لمراد الله ﷻ إذا كنت مخلصًا في هذا جد في هذا ستصل، إن لم تصل اسأل العُلَمَاءِ ولكن كما قلت مرارًا الإشكال عنده ليس فهم مراد الله ﷻ تسويق مراده هو من خلال كلام الله ﷻ ومن خلال كلام النبي ﷺ.

لا يهمه أن يفهم مراد الله وإلا بالله عليك كلام الله ﷻ وهو أوضح الكلام كما سيبين شيخ الإِسْلَامِ سيبين الوجوه التي بها يكون الكلام واضحًا مع ذلك لازالت جاهلًا بمراد الله ﷻ معقول؟ إِذًا بل معناه يُعرف من حيث يُعرف مقصود المتكلم بكلامه.

"لاسيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول وأفصح الخلق في بيان العلم وأنصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد"، هذا الذي ذكره هنا سيفصله في ما سيأتي، يعني موجبات قبول أي كلام لأي متكلم هذه هي الموجبات، أن يكون عالمًا لا يكون أنت تستفتيه في العلم الشرعي.

وهو طبيب وهو مهندس مثلًا أن يكون عالمًا هذا الشرط الأول، الشرط الثاني: أن يكون فصيحًا يستطيع أن يوصل ما يريده إلى غيره، قد يكون الرجل عالمًا وفصيحًا لكنه ليس ناصحًا لك فيلبس، النبي ﷺ أعلم الخلق وأفصحهم وأنصحهم، من الذي ينقصه حتى تترد في فهم كلامه.

ودائمًا تفهم كلام المريثي ولا تفهم كلام النبي ﷺ ما سمعنا منك أنك استشكلت كلام المريثي وألفت الكتب في تأويل كلام المريثي وفي صرفه كذا ما رأينا منك هذا الشيء، الإشكال عندك دائمًا في كلام النبي ﷺ وفي كلام الله ﷻ.

سبحان الله ما الذي ينقصه هذه النقطة سيوضحها شيخ الإِسْلَامِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- أكثر يقول: **"وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته"**، يشير شيخ الإِسْلَامِ هنا أن مسمى الله ليس ذات مجردة من الأسماء والصفات، فلذلك تحفظ الإِمَامِ أحمد في المناظرة.

في العبارة التي تشير إلى التغاير بين الذات والصفات، طبعًا لما تريد أن تعرف صلة الصفة بالذات يصح أن تطلق الغيرية على الصفة ولا يصح، يصح باعتبار ولا يصح باعتبار إذا أردت أن الصفة غير الذات، والغيرية هذه بمعنى أن الذات المستقل والصفات المستقلة لا يجوز الذات هذه الذات وهذا المسمى بصفاته.

لذلك نقول: الله بصفاته ولا نقول الله وصفاته، لأن هذا يوهم المغايرة بين الاسم والصفة، نعم الغيرية بمعنى الفهم وأنت لما تعرف الصفة وتعرف بكذا والاسم، إِذًا الله ﷻ لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته، الأسماء والصفات من مسمى الاسم

وهنا وقع الفلاسفة في تلك الورطة إما أنهم وقعوا هكذا أو أرادوا أن يوقعوا غيرهم، وهذا هو الذي يترجح عندي قالوا: من أقسام التركيب، التركيب بين الذات والصفة.

ذات غير والصفة غير، إذا كانت الذات متصفة بصفات فهذه تكون مركبة والمركب يكون بعضه محتاج لغيره، وبالتالي لا أثبت لله ﷻ من الصفات حتى يكون مستغنيًا، هذا المستغني عنده لا يقدر ولا يريد ولا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم مع ذلك مستغني هذا المستغني هذا الاستغناء أليق بالعدم.

"ولا في أفعاله"، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى:11]، لا في نفسه ولا في أفعاله ولا في أسماءه وصفاته.

"فكما يتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقة، وله أفعال حقيقية، فكذلك له صفات حقيقية"، شيخ الإِسْلَامِ يخاطب من يثبت وجود الله ﷻ ومن يثبت أفعال الله ﷻ لا يشك في ذلك ويناقش في الصفات كلها أو بعضها فيقول له: كما أثبت له ذات حقيقة لها وجود حقيقي أو كما أثبت أفعاله الحقيقة ولما تأول هناك كذلك له صفات حقيقة.

"وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وكل ما أوجب نقصًا أو حدوثًا فإن الله منزه عنه حقيقة"، توحيد الأسماء والصفات فيه إثبات وفيه نفي، فرأينا أن كلما يثبته الله ﷻ في نفسه أو كلما يثبته النبي ﷺ لربه.

نثبته ما الذي ننفيه، لخصه شيخ الإِسْلَامِ، **"وكل ما أوجب نقصًا أو حدوثًا فإن الله منزه عنه حقيقة"**، وليس على مفهوم المتكلمين، المتكلمون يرون أن وصف الله ﷻ بالصفات الفعلية هذا فيه إثبات الحدوث له وصفه بالحدوث هكذا يقولون، وهذا من أصولهم الباطلة ولكن الحدوث المقصود به هنا الذي ننزه، ننزه الله ﷻ عن الحدوث أن يكون شيئًا منه مخلوق.

الله ﷻ ليس شيئًا منه حادثًا، ليس شيئًا منه ناقصًا ليس شيئًا منه مثل ذوات المخلوقين أو صفاتهم، **"وكل ما أوجب نقصًا أو حدوثًا فإن الله منزه عنه حقيقة"**، فمن هذه القاعدة في مجملها يقول بها أَيْضًا المتكلمون ولكن تفصيلهم لهذا الإجمال تفصيل خاطئ لأنهم ينفون بهذه الجملة الصفات الفعلية كلها.

يرون أنها تستلزم الحدوث، تستلزم حلول الحوادث بذاته سبحانه وتعالى، طيب لماذا قلنا أن: **"وكل ما أوجب نقصًا أو حدوثًا فإن الله منزه عنه حقيقة، فإنه سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه"**، وهذا هو الحمد الذي يثبته الله ﷻ لنفسه.

لذلك شكر شيخ الإِسْلَامِ في رسالة جدًا له، رسالة نشرها نُشرت في الرسائل التي حققها في رسائله في المسائل، ضمن المسائل والرسائل التي حققها الشيخ محمد، ورسالة عن طبعًا هي الرسالة اسمها الباقيات الصالحات، ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**أفضل**

الكلام أربع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»، بينَّ شيخ الإِسْلَامِ في هذه الرسالة أن الحمد مستلزم للتسبيح وأن التسبيح مستلزم للحمد.

هناك تلازم بينهم ولذلك دائمًا يُذكران معًا، الحمد ذُكر في القُرْآنَ في مواضع كثيرة أكثر من أربعة عشر. موضع مقرونًا بالتسبيح لِمَاذَا؟ أنت لما تجمع بين التحميل والتسبيح تثبت جميع صفات الكمال لله وهذا هو الحمد، الحمد لله رب العالمين وتنفي عنه جميع النقائص هذا هو التسبيح، هو التقديس وهو التنزيه.

لِمَاذَا تثبت له جميع صفات الكمال؟ لأنه منزه عن العيوب ولا يتصف بصفات الكمال إلا من كان منزه عن العيوب، رأيت التلازم بينهم، لِمَاذَا تنزه عن جميع العيوب؟ لأنه متصف بصفات الكمال، من كان متصف بصفات الكمال كلها وعلى وجه الكمال والتمام لا يمكن أن يكون فيه عيوب.

فلأجل هذا التلازم تجد أن التسبيح والتحميد مقرونان في كثير من النصوص، من هذه النصوص: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾[النصر:3]، طبعًا هذه ينبغي أن نحفظها قاعدة المتكلمون دائمًا يقولون: نحن ننفي هذه الصفات لأجل التسبيح أليس هذا الذي يقولون؟ ينفون ويعطلون لأجل ماذا؟

تحقيق التسبيح وتحقيق التنزيه، الله ﷻ علمنا أن نسبحه بالإثبات: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾[النصر:3]، أي نزه وقدسه، نزه عن العيوب كيف؟ بإثبات الصفات وليس بتعطيل الصفات، من الرسائل الجميلة التي كُلفت في هذا الباب رسالة اسمها التسبيح في الكتاب والسنة أظن هكذا عنوانها ألفها أحد زملائنا في الجامعة الإسلامية وهي في مجلدين.

فأساس علم الكلام كما يقولون على التنزيه، وتنزيههم باطل في باطل، كيف تنزه وأنت تعطل كيف تنزه وأنت تستدرك عليه، الله ﷻ يثبت وأنت تقول: لا، لا يليق بره، هذا تنزيه؟ هل يكون التنزيه بالرد عليه وبالاستدراك عليه؟ ما يكون هذا تنزيه.

لذلك التنزيه هو بالإثبات: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾[النصر:3]، يقول هنا: "**فإن الله منزه عنه حقيقة، فإنه سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه**"، ولا حتى التلازم بين التسبيح والتحميد، "**ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه**"، لِمَاذَا يمتنع عليه الحدوث؟

لأنه يستحل العدم عليه.

"**واستلزام الحدوث، سابقة العدم**"، لِمَاذَا نقول أنها حادث؟ لأنه كان معدومًا، أليس كذلك، واقع على معدوم فوجد، فلذلك نسميه حادث ولو مضى.عليه مليارات السنين هو حادث، مادام مسبوق بالعدم فهو حادث إِذًا جميع المخلوقات حادثة ليس هناك شيئًا أزلي غير الله وصفاته.

ولكن من متى بدأت هذه المخلوقات؟ ما ندري، ما نقول: مثل المتكلمين أن العالم المشاهد هذا، لما خلقه الله ﷻ به بدأت سلسة المخلوقات، لا نقول هذا، إِذًا الامتناع العدم عليه هو استلزام الحدوث سابقة العدم، الحادث دائمًا يكون مسبوق بالعدم ولذلك كان حادثًا، "**ولافتقار المحدَث إلى مُحدِث**"، ولافتقار المحدث مادام حادث، من الذي أحدثه.

من الذي أحدثه؟ أحدثه محدث هو الله ﷻ "**ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى**"، لأن وجود الله ﷻ بنفسه وليس بغيره، هم في تقسيماتهم يقولون: أن الموجود إما أن يكون واجبًا أو ممكنًا أو ممتنعًا، الواجب الذي لا يُتصور عدمه ولا يجوز عدمه ويمتنع عدمه، الواجب لا يكون بغيره.

والممتنع الذي يستحيل وجوده، والممكن الذي يمكن وجوده وعدمه، المحدث من أي نوع؟ من الممكنات لأنه في وجوده محتاج لغيره وممكن يوجد وممكن لا يوجد، وأما والواجب بنفسه فلا يحتاج في وجوده لغيره، المتكلمون يصفون الله ﷻ بأنه واجب الوجود ونحن نذكر هذا من باب الإخبار وليس من باب التسمية.

ليس من أسماء الله ﷻ واجب الوجوب أَيْضًا من هذا الاسم هنا محاذير، ولذلك أن نخبر عن هذا الاسم بهذا المعنى أنه في وجوده ليس بحاجة إلى غيره هذا المعنى صحيح، وهذا المعنى بعض ما يتضمنه اسم الله ﷻ القيوم، بعض القيوم قائمًا بنفسه ومقيم لغيره.

لا يحتاج لغيره في قيامه وجميل من هو سواه محتاج في قيامه إلى من؟ إليه، واجب الوجود بهذا المعنى، هنا يبين شيخ الإِسْلَامِ طبعًا بدأ الآن يجيب السائل وذكر مذهب أهل السنة بشيء من التفصيل ويذكر هنا أَيْضًا مزايا مذهب أهل السنة وكيف أنه متميز بين طرفي التعطيل والتشبيه.

متميز في إثباته ومتميز في نفيه، لا يثبت إلا ما ورد إثباته في الكتاب والسنة ولا ينفي إلا ما كان منفيًا في الكتاب والسنة وإلا ما كان منافيًا لمعاني أسماءه وصفاته، لأن ما كان منافيًا لمعاني أسماءه وصفاته ففيه نقص، الله ﷻ أثبت لنفسه هذه الأسماء الكثيرة.

ووصف نفسه بهذه الصفات، وهذه الصفات قلنا: كلها معاني كمال وجلال تليق بالله ﷻ ما كان ينافي هذه المعاني يكون فيه نقص نفيه، إِذًا مذهب أهل السنة متميز في إثباته وفي نفيه وليس مثل المتكلمين هذا ينفي على كذا كما سينفي كلام شيخ الإِسْلَامِ.

وهذا ينفي وهذا ينفي وكل واحد له، لأنه ليس هناك مرجع يرجعون عليه، الكتاب والسنة حيدوهم ماذا بقي؟ عقولهم الملوثة، **"مذهب السلف بين التعطيل وبين التمثيل، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، كما لا يمثلون ذاته بذوات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه"**.

لا يمثلون ذاته وصفاته بذوات وصفات المخلوقين ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه، **"أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم"**، لا ينفونه، فيعطل حتى لا يقع في التعطيل تعطيل أسمائه الحسنى وصفاته العلى، ويحرف أي حتى لا يقع في التحريف، تحريف الكلم عن مواضعه ويلحد أي حتى لا يقع في الإلحاد في أسماء وآياته.

الإلحاد في أسماء الله ﷻ له أنواع، ذكره شيخ ابن عثيمين في قاعدة خاصة من قواعد المثلى، ذكر قواعد كثيرة فيما يتعلق بالأسماء آخر قاعدة في القواعد التي تتعلق بأسماء الله ﷻ عن الإلحاد، الإلحاد هو الميل عن ما يجب أن يكون، الشيخ ذكر هذه القواعد في الأخير، حتى يبين أن كل ما ذكره في القواعد السابقة الخروج عنه يدخل في هذا.

لأن الإلحاد أنواع ولكنه عمومًا ينصرف إلى أسوء أقسامه وهو إنكار وجود الله ﷻ وإلا جميع الأخطاء والانحرافات هي إلحاد، بسم الله الرحمن الرحيم، "**ويلحدون في أسماء الله وآياته**"، الإلحاد في أسماء ﷻ منه تسميته بغير ما ثبت في الكتاب والسنة هذا من الإلحاد.

﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأعراف:180].

➢**<u>والإلحاد في آياته، الآيات نوعان:-</u>**

✓آيات شرعية.

✓آيات كونية.

الإلحاد في آيات الله الشرعية هو بالتحريف وبالتلاعب وبالتأويل الذي نجده عند المبتدعة، والإلحاد في الآيات الكونية أن لا تنسبها إلى الله ﷻ وهذا هو الإلحاد في أخطر أنواعه، أن لا تثبت المخلوقات أن لا تنسبها إلى الله ﷻ هذا أخطر أنواع الإلحاد وإليه ينصرف هذا اللفظ إذا ذكر به إطلاق، يُقال: الملحدون أي الكفار الذين لا يثبتون وجود الله ﷻ.

الزنادقة، ومن أَيْضًا أن لا تُجعل مخلوقاته دالةً عليه، الله ﷻ خلق هذه المخلوقات وهي من أدلة توحيده في الربوبية ولذلك دائمًا يدعون الله ﷻ للتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾[آل عمران:190]، دائمًا يدعون الله ﷻ للتفكر والنظر في مخلوقاته.

فمن لا يجعلها دليلًا عليه، هذا أَيْضًا فيه إلحاد في آياته وهي أنواع كثيرة، بعد هذا يبين شيخ الإسلام بعد ما بين مزايا منهج أهل السنة ومزية عقيدة أهل السنة هنا يبين عوار مذهب المتكلمين وفساد مذهب المتكلمين سواءً المعطلة وسواءً المشبهة.

يبين هنا فساد مذهبهم وبطلان مذهبهم ويبين أنهم المعطلة يفرون من التشبيه وقد فقهوا في التشبيه مرتان، والمشبهة يفرون من التعطيل وقد وقعوا في التعطيل مرتان وهذا ذكره شيخ الإِسْلَامِ بتفصيل أكثر مما هنا، ذكر هناك أنه لا يقعون في تعطيلان وفي تشبيهان.

يبدأ أمرهم بتشبيه وينتهي أمرهم بالتشبيه ويأمر بتعطيلان، أولًا لِمَاذَا يئول؟ لأنه لم يفهم من كلام الله ﷻ إلا ما يليق بالمخلوقين، الله ﷻ لما أثبت لنفسه صفة الاستواء بدأ يتفلسف الاستواء هذا فيه احتياج لأن المستوي يخر إذا خرا المستوى عليه.

وهذا فيه احتياج والله ﷻ ليس محتاج لغيره، سبحان الله تتحدث عن ماذا؟ الله ﷻ أثبت استواء له يليق بكماله وجلاله وهو الذي خلق السموات والأرض وهو الذي خلق العرش، هل من المعقول أن يثبت لنفسه حاجة وافتقار إلى العبث، مع ذلك يشغل نفسه بهذه الأمور إِذًا بدأ مشواره بماذا؟ بالتشبيه.

لم يفهم من هذه النصوص إلا ما يليق بالمخلوق، هذه أول خطوة، ثم يعطل الله ﷻ من هذه الصفة، يقول: الله ﷻ ليس موصوف بهذه الصفة، لأنها لا تليق به لأن فيها احتياج هذا التعطيل الأول.

وبهذا التعطيل يحصل تعطيل آخر وتعطيل النص عما يدل عليه من المانع اللائق لكمال الله وجلاله هذا النص له معنى أنت لما نفيت هذه الصفة عطلت النص أَيْضًا، عطلت الله ﷻ عما يجب له من الصفة، من صفة الكمال وعطلت النص عما يدل عليه من المعنى، كم تعطيل صار؟

وينتهي بالتشبيه الآن لما تقول: الله ﷻ ليس مستوي وإنما هو مستولي تشبه بماذا يعني؟ الاستيلاء فيه مغالبة، أليس كذلك، أنت لما تقول الله ﷻ استولى على عرشه وتظن أن الله ﷻ ذكر هذا في سبع مواطن في القُرْآنَ، الله ﷻ يكرر في سبع مواطن أنه استولى على عرشه فوق مخلوقاته استولى عليه.

والاستيلاء فيه مغالبة من الذي غالب الله ﷻ في عرشه، أنت الآن شبهته بمن؟ بكذا وكذا وبصعوبة يستولي لأن الاستيلاء شبهته بمن؟ أحيانًا يشبهونه بالجمادات أحيانًا

يشبهونه بالممتنعات، وهكذا يبدأ بالتشبيه، ثم يمر بتعطيلان، ثم ينتهي بالتشبيه، طيب المشبه بدأ بالتشبيه وانتهى بالتشبيه ومر بتعطيل.

هو يقول: أن اليد التي يثبتها لله ﷻ مثل يد المخلوقين: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص:75]، الله ﷻ أثبت لنفسه يدين كريمتان، هاتان اليدان عند هذا المشبه يد المخلوق، طيب يد الله ﷻ التي تليق به لن يثبتها ولم يصف الله ﷻ بالصفة التي تليق به، عطل النص وعطل الله عن الصفة التي تليق به.

كيف أن المعطل مشبه والمشبه كلاهما يبدأن بالتشبيه وينتهيان بالتشبيه ويمران بالتعطيلان، والمشبه طبعًا هو واضع في تشبيه، يقول: ما أفهمه من صفات المخلوقين هي التي هذا حالهم، نواصل إن شاء الله بعد الصلاة الله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

للإمام الشيخ

شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني

- رحمه الله -

(المجلس العاشر)

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد محمدي النورستاني

- حفظه الله -

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: **"أما المعطلون؛ فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق"**.

المعطلون دائمًا لا يفهمون من أسماء الله وصفاته إلا ما يليق بالمخلوق، سيشير شيخ الإسلام إلى منهجهم فيما سيأتي بالنسبة للألفاظ؛ يجعلون دائمًا مسمى اللفظ يدخلون في مسمى اللفظ خصائص المخلوقين دائمًا؛ لأن اللفظ يدل على معنى، وهذا المعنى عام، إذا أضيف هذا اللفظ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ فهذا المعنى يختلف إذا أضيف إلى المخلوق، وهو يختلف وفي المخلوقين أيضًا يختلف من شخص إلى شخص، أليس كذلك؟.

فهم ماذا يفعلون؟ يدخلون في مسمى اللفظ خصائص المخلوق، فيقعون في هذا الإشكال، لا يفهمون من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق، **"ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات"** بدئوا بالتشبيه، ثم بدئوا يعطلون، **"فقد جمعوا بين التمثيل والتعطيل، مثلوا أيضًا وعطلوا آخرًا"** ثم ذكرنا التفصيل الذي ذكره شيخ الإسلام في التدمرية؛ تشبيه ثم تعطيلات، وينتهي بتشبيه.

"وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم" ومن هنا يبدؤون، يشبهون ويمثلون المفهوم من أسمائه وصفاته، يشبهونه بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم، وتعطيل لما يستحقه هو سُبْحَانَهُ من الأسماء والصفات اللائقة بالله.

قلنا صنيعهم فيه تعطيلان: يعطلون الله عَزَّ وَجَلَّ عما يستحقه من الصفات، وما أثبته من الصفات، ويعطلون النص عما فيه من المعنى الذي يليق بالله عَزَّ وَجَلَّ وهذا المعنى هو الصفة.

"فإنه إذا قال القائل" يمثلون **": لو كان الله فوق العرش للزم إما أن يكون أكبر من العرش، أو أصغر أو مساويًا"** ما هذا الذي يقولون؟ هم لما يأتون إلى نفي صفة الاستواء هذا دليلهم، هذا دليلهم يذكره أغلبهم وهذا من أقوى أدلتهم، لو كان الله فوق العرش

للزم إما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر منه أو مساويًا، وفي كل الأحول ماذا يكون؟ محدودًا، في كل الأحوال يكون محدودًا.

كما قالت زوجة الجهم لمن يثبت علو الله عَزَّ وَجَلَّ واستوائه على عرشه قالت: محدودٌ على محدود، فقيهة أيضًا مثله، ذلك الفقه المعكوس، يقولون: "**وكل ذلك محال، ونحو ذلك من الكلام**". الله عَزَّ وَجَلَّ يثبت لنفسه الاستواء وأنت تأتي أكبر وأصغر ومساويًا تناقشه.

يقول شيخ الإسلام: "**فإنه لم يفهم من كون الله على العرش إلا ما يثبت لأي جسم كان على أي جسم كان**" يزنهم بموازين المخلوقات، وكأن الله عَزَّ وَجَلَّ أخبر عن مخلوقٍ استوى على مخلوق، أعوذ بالله! لم يفهم من كون الله على العرش إلا ما يثبت لأي جسم كان على أي جسم.

"**وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم.**" هذا الذي يعتبره لازمًا لكلام الله عَزَّ وَجَلَّ تابع لهذا المفهوم الذي أخطأ فيه، باب اللوازم عندهم شيء طويل، هذا ينفع لأنه يستلزم الجسمية وهذا ينفع لأنه يستلزم التحريز وهذا ينفع لأنه يستلزم المكانية، يستلزم ويستلزم ويستلزم، كلام الله عَزَّ وَجَلَّ لا يستلزم إلا الحق، كلام الله عَزَّ وَجَلَّ إلا الحق، وكلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يستلزم إلا الحق.

إذا كان كلام الله عَزَّ وَجَلَّ يستلزم شيئًا فأثبته مغمض العينين؛ لأنه من دلالة هذا اللفظ؛ لأن الدلالة تختلف، قد يكون وقد تكون بالمطابقة، وقد تكون بالاستلزام، وقد تكون بالتضمن إذا كان يستلزم شيئًا كلام الله عَزَّ وَجَلَّ إذا كان يستلزم شيئًا يثبت، أما هذه اللوازم سلسلة اللوازم الذي يراها ذلك المبتدع فهذا من خطأ فهمه من البداية مخطئ أصله معوج ميزانه، يظن أن هذا يستلزم هذا.

مثل هذا ابن جهبل رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى لما بدأ يرد على كتابه هذا، كتابه هذا كله يستلزم الجهة سُبْحَانَ اللهُ أين قال فيه أن الله عَزَّ وَجَلَّ في جهة؟ أين؟ أبدًا، أنت الآن ترد على هذا أو عندك شيء ترد عليه؟ وهذا اللازم الباطل تابعٌ لهذا المفهوم الذي أخطأ فيه.

"أما استواء يليق بجلال الله ويختص به، فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة التي يجب نفيها." استواء الله عَزَّ وَجَلَّ على العرش، لماذا استوى الله عَزَّ وَجَلَّ على العرش؟ ما ندري، الله عَزَّ وَجَلَّ تمدح بهذه الصفة، غالبًا يذكرها على سبيل التمدح ﴿طه (1) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (3) تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى (4) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (5)﴾ [طه: 1 - 5] ذكر الصفة على سبيل التمدح.

ذكرها هنا بعد ذكره لخلق السموات والأرض، هل يحتاج بعد هذا أن يثبت أنه استولى على العرش؟ حتى السياق يمجه، لماذا؟ لا ندري، الله عَزَّ وَجَلَّ أخبرنا ولابد أن نؤمن، طيب العرش مخلوق من مخلوقاته، ما دام أثبت الاستواء على العرش سيكون لائقًا بكماله وجلاله، كيف؟ ما ندري.

هنا كما تعرفون قاعدة من قواعد التدمرية القاعدة الخامسة أطال فيها شيخ الإسلام وبين فيها أن النصوص الواردة في الأسماء والصفات هناك جانب نعلمه ولابد أن نتدبر فيه، وجانب لا نعلمه لا يجوز أن نقحم أنفسنا فيه.

يقول: فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة التي يجب نفيها **"وصار هذا مثل قول الممثل"** مثل قول المشبه، يقول الممثل مستدلًا لتشبيهه وتمثيله: **"إذا كان للعالم صانع"** ولا نشك أن للعالم صانع، يريد أن يسوقنا إلى تلك النتيجة سوقًا، يقول: **"إذا كان للعالم صانع، فإما أن يكون جوهرًا، أو عرضًا، وكلاهما محال: إذ لا يعقل موجود إلا هذان"** إذا كان جوهرًا سيكون مثل الجواهر، إذا كان عرضًا سيكون مثل الأعراض الموجودة، وسأثبته كما هكذا يقول.

فيه جملة أنا ما أدري هل هي مبهمة أو أنا ما فهمتها؛ **"وكلاهما محال"**؟ كيف في نسختكم؟ طبعًا هذا لا يستقيم أن يكون كلام الممثل؛ لأن الممثل لا زال يثبت هذا، كيف عندك يا شيخ في التعليق علي؟ أعطني، على كل حال هذه الجملة ما تستقيم، لا تستقيم.

الطالب: ...؟

الشيخ: لا، لا، إذا كان فعلًا المقصود به الملحد تستقيم هذه الجملة، ولكن الملحد ليس له، لكن هنا نحن نتحدث عن المعطل وعن الممثل.

الطالب: ...؟

الشيخ: أصلًا ليس له ذكر الملحد، جاء ذكره فقط في تفسيرنا لقول شيخ الإسلام: "**ويلحدون في أسماء الله وآياته**" ليس له ذكر هنا، وشيخ الإسلام هنا لا يناقشه أصلًا.

"**أو قوله: إذا كان مستويًا على العرش، فهو مماثل لاستواء الإنسان على السرير أو الفلك، إذ لا يُعلم الاستواء إلا هكذا**" هل هذا يستقيم؟ إذًا كله عن الممثل وعن المشبه، وأنا أشك في ثبوت هذه الجملة.

الطالب: ...؟

الشيخ: لا يستقيم، إذا جعلنا هذه الجملة من كلام شيخ الإسلام إذًا لا يستقيم، إذا جعلنا الجملة معترضة أيضًا لا يستقيم؛ لأن هذا إخبار العالم إما أن يكون جوهرًا أو عرضًا، لا يخالف فيه أحد، الموجودات إما -- ((16:25)) -- وإما صفات تقوم بهذه الأيام.

الطالب: ...؟

الشيخ: هذا لا يستقيم بالنظر إلى ما قبله، وبالنظر إلى ما بعده، بالنظر إلى ما قبله الملحد كيف جاء هنا؟ ليس له ذكر تراه في السياق، وثانيًا فيما بعد أو قوله ضمير يرجع إلى الملحد ما يستقيم، إذًا هو يتحدث عن الممثل، والممثل لا يسمى ملحدًا أصلًا، وصار هذا مثل قول الممثل، الممثل ليس الملحد، الممثل هو المشبه نعم.

الطالب: ...؟

الشيخ: ما فهمت.

الطالب: ...؟

الشيخ: لا، هذا جميع الجواهر فيها أعراض؛ لأن الدليل حدوث الأشياء أصله أطلق في خمس مقدمات: المقدمة الأولى: إثبات الأعراض، ثم إثبات حدوث الأعراض، ثم

إثبات أن الجواهر كلها لا تنفك عن الأعراض، كل جوهر فيه أعراض، لا يخلو أي جوهر عن الأعراض.

الطالب: ...؟

الشيخ: فصار هذا الإشارة إلى ماذا؟

الطالب: ...

الشيخ: شيخ الإسلام هنا يتحدث عن المعطل أو الممثل؟ المعطل هناك نفى استواءه على العرش بهذه الحجة، الممثل هنا أيضًا عنده حجة يريد أن يقول الممثل أن العالم إذا كان للعالم صانع سيكون مثل ما هو موجود، هو مذهب المشبه؛ لأن الموجود إما جوهر وإما عرض، وهذا الذي أفهمه، وعلى هذا سيكون صانع إن كان للعالم صانع.

ترى إن كان للعالم صانع هذا ليس نفيًا منه، هو يريد أن يلزمنا، ألا تقولون أن العالم له صانع؟ نعم نقول، طيب إذا كنتم تقولون فالعالم مركب عن الجواهر والأعراض وسيكون مثلها هذا ما يريد.

الطالب: ...

الشيخ: من؟

الطالب: ...

الشيخ: أحسنت، هذا الذي ذكر؟

الطالب: ...

الشيخ: على كل حال، هذه إذا كانت من الشيخ الغنيمان راجعه؛ لأن الشيخ الغنيمان له لفتات من هذا، مرة كنا في مجلسه وذكر أن بعض الأمور نسبت إلى شيخ الإسلام وأنا عندي لا تثبت، على كل حال قد يكون لقصور في فهمنا إلى أن نفهم نقول: هذه الجملة فيها إشكال.

الطالب: ...؟

الشيخ: لا يستقيم، أنا فكرت فيها جعلتها من كلام شيخ الإسلام على أن تكون جملة معترضة لا تستقيم، جعلتها للمثل لا تستقيم، كيف يكون محاله هو يريد يثبت هذا ويريد أن يبني عليه ما بعده.

الطالب: ...؟

الشيخ: كيف كيف؟

الطالب: ...؟

الشيخ: ما أدري، تسمح لي .. بعيد.

أو قوله، **"فصار هذا مثل كلام الممثل أو مثل قوله"**، هذا المفروض يشكل هكذا أو قَولِهِ؛ لأنه معطوف على هذاك، **"إذا كان مستويًا على عرشه فهو مماثل لاستواء الإنسان على السرير أو الفلك"**، لماذا يا مشبه؟ **"إذ لا يعلم استواءه إلا هكذا"**، هذا منطق المشبه، المشبه دائمًا، نعم.

الطالب: ...؟

الشيخ: كيف؟ إن هذا محال مثل كلام الممثل وهو يريد أن يثبت هذا، مستحيل يقول هذا محال؛ لأنه يريد أن يثبته يريد أن يثبته ويبني عليه، فمستحيل أن يكون هذا من قول الممثل، بقي أن نجعله من قول شيخ الإسلام، أيضًا ما يصلح، كلاهما.

الطالب: ...؟

الشيخ: لا، إلى الآن فإما أن يكون جوهرًا أو عرضًا، لازلنا ما وصلنا إلى النتيجة، القول بأن العالم إما أن يكون جوهرًا أو عرضًا ما يصح.

الطالب: ...؟

الشيخ: ما وصلنا إذا لا يُعقل موجود إلا هذان، هنا الممثل هنا ينبغي أن تعلق، أما قبل أن يكمل تمسكه، فيه شخص عندنا اسمه خداداد، خداداد معناه عطا الله، واحد قال له ما اسمك؟ قال: خداد، مسكه من هنا، .. هو الله، قال له: خليني أكمل، قبل أن يكمل

مسكه، نحن هكذا هنا، الممثل ترى لم يكمل، لم تمسكه؟ بعد ما يكمل تعلق، حتى يكون التعليق مفهومًا وقويًا وعلى منهج شيخ الإسلام.

الآن شيخ الإسلام شيخ حر في كلامه، ليس محتاجًا أن أبدًا، ما دام الكلام لك أن تسوغه لم تقدمه إلى؟ لم؟

الطالب: ...؟

الشيخ: الجوهر هو أصغر شيء في العالم، نسميه الآن الذرة، والأجسام تكون مكونة من الجوهر، جوهرين فصاعدًا يكون جسمًا، ما هو الجسم؟ هم مختلفون في ذلك، على كل حال بعضهم يقول ثلاثة جواهر، بعضهم يقولون: ستة جواهر، بعضهم يقولون لابد أن يشكل الزوايا الثلاثة، كلامهم طويل، المهم الأجسام تكون مكونةً من الجواهر، والجوهر هو الذرة.

والعرض هو الصفة؛ لأن الصفات تتصف بها الجواهر، وهناك أعراض وأكوان لا تخلو منها الجوهر، عند جمهور المتكلمين هي أربعة: الاجتماع والافتراق، والحركة والسكون.

يقول المشبه وهو يستدل لمذهبه الفاسد: إذا كان مستويًا على العرش يقول لك: إذا أردت أن أثبت الاستواء إذا كان مستويًا على العرش فهو مماثل لاستواء الإنسان على السرير أو الفلك، لماذا يا مشبه؟ "**إذ لا يُعلم الاستواء إلا هكذا**" هذا استواء المخلوق، شوف كيف أنه جعل اللفظ جعل مسمى اللفظ ملازمًا لخصائص المخلوقين؟ هكذا.

"**فإن كليهما**" من هنا تعليق شيخ الإسلام، فإن كليهما الممثل والمعطل "**مَثَّل وكليهما عَطَّل حقيقة ما وصف الله به نفسه**" كلاهما وقع في التعطيل والتمثيل، ما الفرق بينهما؟ "**وامتاز الأول بتعطيل كل مسمى للاستواء الحقيقي**".

الأول قال يستلزم أن يكون إما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر من العرش أو مساوي، وهذا كله تحديد، وبالتالي لا أثبت الاستواء، شيء اسمه الاستواء لا أثبته، وامتاز

الأول بتعطيل كل مسمى للاستواء الحقيقي، سواء كان باطلًا أو صحيحًا، نفى جميع أنواع الاستواء، سواء كان لائقًا بالله عَزَّ وَجَلَّ أو لم يكن كذلك.

"**وامتاز الثاني**" الذي هو المشبه "**بإثبات استواء هو من خصائص المخلوقين.**" أثبت الاستواء ولكنه ليس استواء الله عَزَّ وَجَلَّ.

"**والقول الفاصل: هو ما عليه الأمة الوسط**" أهل السنة والجماعة، "**من أنَّ الله مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله ويختص به**" هذا الاستواء لا يكون لغير المخلوقين، لا يكون للمخلوقين، هذا الاستواء الذي لله عَزَّ وَجَلَّ هو مختصٌ به ليس لغيره، استواء يليق بجلاله ويختص به.

"**فكما أنه موصوف بأنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه سميع بصير ونحو ذلك، ولا يجوز أن يثبت للعلم والقدرة خصائص الأعراض التي كعلم المخلوقين وقدرتهم، فكذلك هو سُبْحَانَهُ فوق العرش ولا يثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق وملزوماتها.**"

هنا هذا الذي كنت أشير إليه شيخ الإسلام هنا يشير إلى أن المبتدعة يدخلون في مسمى اللفظ خصائص المخلوق، وهذه بلية البلايا دائمًا تقسيم اللفظ إلى حقيقة أو مجاز مبني على هذه الخرافة، التقسيم كله مبني على هذه الخرافة، أيضًا تعاملهم مع النصوص في التعطيل وفي التأويل مبني على هذه، يدخلون في مسمى اللفظ خصائص المخلوق.

إذا أردنا أن نمثل بالرؤية مثلًا، الرؤية بالنسبة لنا نحن لها شروط، من أهم شروطها: الضوء، أليس كذلك؟ إذا لم يكن الضوء، وهناك رؤية أيضًا للكاميرا هذه ما ندري عن خصائصها، ولكنها ترى الآن وتسجل، وهناك رؤية للخفافيش من شروطها: الظلمة، إذا كان هناك ضوء ما ترى، الآن الذي يأتي هو يحصر الرؤية في رؤيتي أنا، ألم يستبعد هذه الأنواع كلها، هذا الذي يحصل من المبتدع، يحصر اللفظ في معنى معين، ثم يتحكم في كون هذا حقيقة أو هذا مجاز، كله تحكم في تحكم.

أخي رؤية إدراك المرئيات، وشروطها تختلف باختلاف الرائين، ونحن إلى الآن نتحدث عن رؤية المخلوقين فكيف برؤية الله عَزَّ وَجَلَّ تقيسها على رؤية المخلوق، يشترط فيها كذا اتصال شعاع بشعاع واتصال كذا بكذا، هذا في رؤية المخلوق، نحن الآن عندنا تفاوت في الشروط ونحن مخلوقون، أليس كذلك؟ فكيف تحصر الرؤية في رؤية مخلوق معين؟ هكذا عندهم، يدخلون في مسمى اللفظ خصائص المخلوق ويقعون في الإشكال.

يقول: "**واعلم أنه**" في نسخة أنه، وهذا هو الصحيح "**ليس في العقل الصريح ولا في النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلاً**" قد يقال لشيخ الإسلام كل ما تشنع به على القوم ليس هكذا يا ابن تيمية، القوم عندهم عقول، وهذه العقول هي التي دفعتهم إلى، تلك العقول تحيل إثبات هذا وهذا، فهم قد يقال هذا.

يقول شيخ الإسلام: "**ليس في العقل الصريح ولا في النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلاً لكن هذا الموضع لا يتسع للجواب عن الشبهات الواردة على الحق، فمن كان في قلبه شبهة وأحب حلَّها فذلك سهل يسير.**"

يشير شيخ الإسلام في حياته إذا أراد أحد أن يأتي عندي و سُبْحَانَ اللهُ ما كما يقولون: ما قصر شيخ الإسلام، كتب كتبًا لا زالت مرجعًا للناس الذي في قلبه شبهة يذهب إليها، فيها من البيان ما شاء الله موثق ما لا تجده في، أما هؤلاء المتكلمون فهم أبعد الناس عن، يقول: "**فمن كان في قلبه شبهة وأحب حلَّها فذلك سهل يسير.**"

كما تعرفون كتابه "**درء تعارض العقل والنقل**" الذي طُبع في عشر مجلدات من الفهارس كله في هذه المسألة درء تعارض العقل والنقل، ومن أسماء هذا الكتاب: "**موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول**" طُبع بهذا الاسم قديمًا، ليس هناك تعارض، والتعارض هو عند هؤلاء، عندهم شبه، وهذه الشبه هي التي قادتهم إلى ما نجده عندهم.

أكتفي بهذا القدر وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الطالب: .. النابلسي يقول: .. عليه بأنه لا جوهر ولا عرض.

الشيخ: معرفة الله.

الطالب: عليك .. بأنه لا جوهر ولا عرض، فيا شيخ قد يكون هذا من كلام .. ليس بجوهر.

الشيخ: هذا الذي قاله أيضًا من الأخطاء التي وقع فيها بعض الأئمة.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

للإمام الشيخ

شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني

- رحمه الله -

(المجلس الحادي عشر)

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد محمدي النورستاني

- حفظه الله -

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، اللّهم اغفر لنا ولشيخنا آمين، قال شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى-:

"المتن"

"ثم المخالفون للكتاب والسنة وسلف الأمة .من المتأولين لهذا الباب .في أمر مريج، فإن من ينكر الرؤية، يزعم أن العقل يحيلها، وأنه مضطر فيها إلى التأويل، ومن يحيل أن لله علمًا وقدرة، وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك يقول: إن العقل أحال ذلك، فاضطر إلى التأويل، بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد، والأكل والشرب الحقيقي في الجنة يزعم أن العقل أحال ذلك، وأنه مضطر إلى التأويل، ومن زعم أن الله ليس فوق العرش يزعم أن العقل أحال ذلك، وأنه مضطر إلى التأويل.

ويكفيك دليلاً على فساد قول هؤلاء أن ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل، بل منهم من يزعم أن العقل جوّز أو أوجب ما يدّعي الآخر أن العقل أحاله.

فيا ليت شعري بأي عقل يُوزن الكتاب والسنة، فرضي الله عن الإمام مالك بن أنس حيث قال: **"أوَكلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم لجدل هؤلاء"**.

وكل من هؤلاء مخصوم بما خصم به الآخر، وهو من وجوه:

- أحدها: بيان أن العقل لا يحيل ذلك.
- الثاني: أن النصوص الواردة لا تحتمل التأويل.
- الثالث: أن عامة هذه الأمور قد علم أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء بها بالاضطرار، كما علم أنه جاء بالصلوات الخمس، وصوم شهر رمضان، فالتأويل الذي يحيلها عن هذا بمنزلة تأويلات القرامطة والباطنية في الحج والصوم والصلاة وسائر ما جاءت به النبوات.

❍ الرابع: أن يبين أن العقل الصريح يوافق ما جاءت به النصوص، وإن كان في النصوص من التفصيل ما يعجز العقل عن درك تفصيله، وإنما عقله مجملاً إلى غير ذلك من الوجوه، على أن الأساطين من هؤلاء والفحول معترفون بأن العقل لا سبيل له إلى اليقين في عامة المطالب الإلهية. وإذا كان هكذا، فالواجب تلقّي علم ذلك من النبوات على ما هو عليه.

ومن المعلوم للمؤمنين أن الله تعالى بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا، وأنه بيّن للناس ما أخبرهم به من أمور الإيمان بالله واليوم الآخر.

والإيمان بالله واليوم الآخر يتضمن الإيمان بالمبدأ والمعاد، وهو الإيمان بالخلق والبعث كما جمع بينهما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة:8]، وقال تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان:28]، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ [الروم:27].

وقد بَيَّن الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من أَمْرِ الإيمان بالله واليوم الآخر ما هدى الله به عباده، وكشف به مراده.

ومعلومٌ للمؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بذلك من غيره، وأنصح للأمة من غيره، وأفصح من غيره عبارة وبيانًا، بل هو أعلم الخلق بذلك، وأنصح الخلق للأمة، وأفصحهم، وقد اجتمع في حقه صلى الله عليه وسلم كمال العلم والقدرة والإرادة.

ومعلومٌ أن المتكلم والفاعل إذا كمل علمه وقدرته وإرادته: كمل كلامه وفعله، وإنما يدخل النقص إما من نقص علمه، وإما من عجزه عن بيان علمه، وإما لعدم إرادته البيان.

والرسول صلى الله عليه وسلم هو الغاية في كمال العلم، والغاية في كمال إرادة البلاغ المبين، والغاية في القدرة على البلاغ المبين، ومع وجود القدرة التامة، والإرادة الجازمة: يجب وجود المراد، فعلم قطعًا أن ما بينه من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر حصل به مراده

من البيان، وما أراده من البيان هو مطابق لعلمه، وعلمه بذلك هو أكمل العلوم، فكل من ظن أن غير الرسول صلى الله عليه وسلم أعلم بهذه منه، أو أكمل بيانًا منه، أو أحرص على هدي الخلق منه، فهو من الملحدين لا من المؤمنين، والصحابة والتابعون لهم بإحسان ومن سلك سبيل السلف هم في هذا الباب على سبيل الاستقامة".اهـ

"الشرح"

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونُصلي على رسوله الكريم، وبعد:

لازال شيخ الإسلام يُبين استقامة طريق أهل السنة والجماعة، وأنها هي الحق، وأن المخالفين ليس لهم ميزان صحيح توزن به العلوم، إنما عمدتهم على العقل، والناس ... العقول.

يقول: **"ثم المخالفون للكتاب والسنة وسلف الأمة. من المتأولين لهذا الباب. في أمر مريج"** أمر مختلف مضطرب، ثم مثّل لهذا الاختلاف ولهذا الاضطراب الذي عليه المخالفون، وبدأ بالمعتزلة مع أن هناك من هم دون المعتزلة وفيهم هذه البلية تمامًا نفس ال.. ولكنه بدأ بالمعتزلة، فإن من يُنكر الرؤية وهم المعتزلة، الذين ينكرون الرؤية يرون أن رؤية الله -عز وجل- مستحيلة، يقولون أن رؤية الله -عز وجل- تستلزم الجسمية؛ لأن كل ما يكون في جهةٍ منك فهو جسم يُشار إليه وكل ما يُشار إليه جسم، لذلك يُنكرون الرؤية البصرية ويرون أن ما ورد في الكتاب والسنة من إثبات الرؤية المراد به كمال العلم أو زيادة في العلم، وأن معرفتك بالله -عز وجل- يوم القيامة ستزيد نسبتها، يقولون هذا الذي أُطلق عليه الرؤية.

ومتأخروا الأشاعرة يوافقونهم على هذا، أما متقدموهم ومتوسطوهم فيثبتون الرؤية، المتقدمون منهم يُثبتون الرؤية ويذكرون معها أنهم يثبتون الرؤية البصرية، أما المتأخرون فلا يذكرون الرؤية البصرية، بل بعضهم صرح بأن المراد بالرؤية زيادة العلم.

على كل حال المقصود هنا هم المعتزلة **"فإن من ينكر الرؤية، يزعم أن العقل يحيلها"** العقل يُحيل الرؤية، إذًا المرجع عندهم العقل، الجميع كل من سيذكرهم شيخ الإسلام

مرجعهم العقل، وإذا سألناهم ما هو العقل؟ ما هو تعريف العقل؟ فتعريفاتهم للعقل كثيرة جدًا، بعضهم يقول أن المراد بالعقل بعض العلوم الضرورية، وبعضهم يذكر تعريفًا آخر؛ هناك تعريفات أكثر من ألف تعريف للعقل، وكما نعرف أن العقل ينقسم إلى قسمين؛ عقلٌ مكتسب وعقلٌ غريزي غير مكتسب، والعقل المكتسب هو الذي يعتمدون عليه، يعتبرون العقل المكتسب العقل الغريزي مع أن بينهما فرق كبير؛ العقل المكتسب يتكون حسب المؤثرات في العقل، الآن لو واحد يأتي من الغرب وقد درس هناك وتلوث بأفكارهم، بدأ يُحارب مثلًا الفضيلة ويُحارب كذا وكذا، ويرى أن التمسك بالدين رجعية وأنه كذا وكذا، هذا يظن أن عقله.. مع أنه فقد عقله هناك.

من يقابله ممن هو يفتخر بالالتزام بالكتاب والسنة؛ بالدين، عنده أيضًا عقل، فمن الذي جعل عقل ذاك يتنكر للدين؟ تلك المؤثرات، ولذلك يُخبر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن الفطرة؛ «**كل مولود يُولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**» لم يذكر الإسلام لأنه هو الفطرة، الصحيح من أقوال العلماء في الفطرة أنها هي الإسلام.

فالمعتزلي يرى أن العقل يُحيل الرؤية، طيب لماذا عقلي لا يُحيل؟ عقول من يؤمن بالأنبياء والرسل لماذا لا تُحيل؟ لأن هناك مؤثرات أثرت في عقل ذاك؛ لأنه تتلمذ على أرسطو وتلامذته أفلاطون أفلاطين فأثروا في عقله، ويظن أن عقله عقل سليم مع أن الشيطان قد لعبت بعقله، عقله لم يبق سليمًا وهذا سيُشير إليه شيخ الإسلام أن العقل السليم لا يُعارض النقل الصحيح أبدًا؛ لا يمكنه لأن من شرّع هذا وأنزل هذا وأخبرنا عن هذه الأمور كلها هو خالق الأرض والسموات وهو خالقنا وخالق عقولنا.

الأمر الآخر بالنسبة للعقل العقل مخلوق، من يقول العقل يُحيله بعبارة أخرى أنا لا أقبلها، من يقول أن العقل يُحيل الرؤية بعبارة أخرى أنا لا أقبله؛ لأن من يُحيل هذا هو هذا الشخص؛ عقله، والعقل مخلوق، العقل جزء منه.

الفلاسفة يرون أن العقل جوهرٌ مستقل تُدرك به الأشياء، أين هو؟ لا ندخل في هذا، ولكن من يزعم أن العقل يُحيل هذا ويُحيل هذا خلاصته أنه يقول أنا لا أقبل هذا، والواقع

يدل على هذا مادام عقلي لا يُحيل وعقلك يُحيل إذًا أنت الذي لا تقبل، أين هذا العقل الذي هو في مكان مستقل وأرشدك إلى.. هو أنت، طيب من أين أخذته؟ أخذه من العلاف والنظام وغيرهم، إن كان له عقلٌ فعلًا يُفكر فيه هذا الذي يُكلمني، هذا الذي يكتب عقله ملوث وعقله هو نفسه وإلا تجده مقلدًا، سبحان الله التقليد الذي عند المتكلمين، تقليدٌ ممجوج وغريب، مع أنهم دائمًا يردون على التقليد وأن إيمان المقلد كذا وكذا مختلفٌ فيه، إلا أن التقليد الذي تجدونه عند المتكلمين لن تجدوهم عند غيرهم؛ مقلدون في الألفاظ والمعاني لأولئك ال..، بالنسبة للأشاعرة مقلدون للمعتزلة وهم للجهمية وهم للفلاسفة؛ تنتهي السلسلة إليهم.

"**وأنه مضطر فيها**" سبحان الله لا يجد مساغًا في الكتاب والسنة، لابد أن يؤولها لأن ما جاء في الكتاب والسنة لا يُتحمل عند هذا العاقل، "**ومن يُحيل أن لله علمًا وقدرةً وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك**" لازال يتحدث عن المعتزلة "**يقول: إن العقل أحال ذلك**"، عقله يُثبت الأسماء أما أن له علمًا وقدرةً وهذه الصفات عقله يُحيلها.

"**بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد، والأكل والشرب الحقيقي في الجنة**" وهؤلاء هم الفلاسفة والمتفلسفة "**يزعم أن العقل أحال ذلك**" يقول لا يمكنني أن أؤمن بمعاد الأجساد وأن هناك أمور حقيقة محسوسة، لا يمكنني ذلك لأن عقلي يُحيلها، ونحن نصدقه بما أن الله -عز وجل- سلبه العقل، فلا نستبعد أن يكون هذا موقفه.

"**وأنه مضطر إلى التأويل، ومن زعم أن الله ليس فوق العرش**" وهذا يشترك فيه المعتزلة والأشاعرة والماتريدية والبقية كلهم يشتركون، طبعًا الأشاعرة المتأخرون أما المتقدمون فيثبتون هذا، "**ومن زعم أن الله ليس فوق العرش يزعم أن العقل أحال ذلك، وأنه مضطر إلى التأويل**" كلهم يُحيلون إلى العقل.

تجدهم يبحثون في أصول الفقه مسألة لازلت ما فهمتها، كما أن عقلهم يُحيل عقلي يُحيل أيضًا هذا، والمسألة هذه هل تتفاوت العقول في أصول الفقه تجدون لأن أصول الفقه مليء بالكلاميات، هل تتفاوت العقول هذه مسألة مثارة في أصول الفقه، تُبحث في أصول الفقه،

والأغرب من هذا أن جمهور الأصوليين على أن العقول لا تتفاوت سبحان الله، هذا الذي أخذ هذه المسألة من أستاذه ما أدري كيف يستسيغها! التفاوت في العقول شيء مشاهد، تجده يؤمن بالعلاف والنظام يؤمن إيمانًا عميقًا لا يُناقشه، العقول لا تتفاوت؟! سبحان الله.

وأنا أقرأ هذه المسألة أعيد وأعيد سبحان الله أين العقول، هذه العقول لا تستبعد أنها تُحيل ما ورد في الكتاب والسنة؛ عقول ملوثة من إلى.

يقول شيخ الإسلام: "**ويكفيك دليلاً على فساد قول هؤلاء أن ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل، بل منهم من يزعم أن العقل جوّز أو أوجب ما يدّعي الآخر أن العقل أحاله**" انظر المقارنة هذا يزعم أن العقل أحاله وهذا يزعم أن العقل ما أجازه بس بل أوجبه، انظر وكلهم عقلاء! العقل أحاله والعقل أوجبه! أين الميزان؟ لازال الرازي يُرجعنا إلى العقل؛ إذا اختلفنا فالمرجع إلى العقل، والعقول هكذا.

يقول شيخ الإسلام: "**فيا ليت شعري بأي عقل يُوزن الكتاب والسنة**" أين ذلك العقل الذي يوزن به الكتاب والسنة، "**فرضي الله عن الإمام مالك بن أنس حيث قال: "أوَكلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم لجدل هؤلاء؟**"" كل يوم يطالعنا عقل من.. وكل يوم سنترك جزء مما جاء به نبينا محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

"**وكل من هؤلاء مخصوم بما خصم به الآخر**" يقول شيخ الإسلام حتى ولو أردنا أن نخفف نقول انظر إلى حججهم فهذا يخصمه وهذا يخصمه؛ هذا يرد على هذا وهذا يرد على هذا، يقول كل واحد منهم محجوج بحجة مخالفه، وأقوالهم متعارضة متضادة متعاندة وكل واحد يخصم الآخر، وكل واحد يُبطل حجة الآخر، فيقول هذا دليل على هذا، هذا الذي يتبجح دائمًا يقول عقلي عقلي، طيب المعتزلي أبطل عقله، المعتزلي لا أكلمك لأنني عنده نصي؛ أنا عنده مقلد، ولكن ذاك العاقل أيضًا أبطل حججك، أليس هذا دليلًا أو تراه

مجنونًا؟ يعني هم فيما بينهم أقل ما عندهم أنهم عقلاء يعترفون بال.. أما الذي يعتمد على الكتاب والسنة هذا الذي عندهم مسلوب العقل!

يقول شيخ الإسلام: "**وكل من هؤلاء مخصوم بما خصم به الآخر**" حججه دليل على هذا وحججه دليل على هذا، "**وهو من وجوه**" ذكر هنا أربعة وجوه وهذه وجوه إجمالية وكما تعرفون "درء تعارض العقل والنقل" كله في هذا الموضوع.

❍ "**أحدها: بيان أن العقل لا يحيل ذلك**" وأن العقل الذي يُحيله يكون ملوثًا أو يكون هناك خطأ في السمع، لابد أن تتأكد أن السمع الذي تتحدث عنه ثابت، فإذا كان في القرآن تأكد من الدلالة؛ لأن الثبوت ما تحتاج أن تنظر فيه بالنسبة للقرآن تأكد من الدلالة، وإذا كان في السنة فتأكد من الثبوت ومن الدلالة، بعد ذلك استريح؛ ليس هناك عقل صحيح صريح سليم يُحيل هذا أبدًا.

❍ "**الثاني: أن النصوص الواردة لا تحتمل التأويل**" أنت دائمًا تُسلط التأويل على النصوص، والنصوص بالنظر إلى قبول التأويل أنواع؛

◄ النوع الأول: النص الذي لا يقبل التأويل لأنه أصلًا لا يحتمل إلا معنى واحد فكيف تأول.

◄ الثاني: الظاهر الذي هو ظاهر في معنى ويحتمل معاني أخرى أيضًا، فهذا الظاهر بضم النصوص الأخرى كما ذكرت يكون نصًا فلا يحتمل التأويل، ونصوص الصفات ونصوص باب الإخبار عمومًا من هذا الباب نصوص لا تحتمل التأويل، كيف جعلتها محتملة للتأويل، مثلما قرأنا للسروجي "كلها ظاهرة تحتمل التأويل" كذب هذا.

❍ "**الثالث: أن عامة هذه الأمور قد علم أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء بها بالاضطرار، كما علم أنه جاء بالصلوات الخمس، وصوم شهر رمضان، فالتأويل الذي يحيلها عن هذا بمنزلة تأويلات القرامطة والباطنية في الحج والصوم والصلاة وسائر ما جاءت به النبوات**".

يقول شيخ الإسلام: عامة هذه الأمور التي هم يؤولونها هي في القطعية في الثبوت والدلالة مثل الصلوات الخمس وصوم رمضان والحج وغيره، قطعية في ثبوتها ودلالتها، فمن يؤولها يكون مثل من يؤول الصلوات الخمس وصوم رمضان والحج، والذي يؤولها القرامطة؛ لأن القرامطة يقولون للمتكلمين: أنتم فتحتم باب التأويل وأولتم بالنظر إلى العقل وعقولنا تُحيل الباقي الذي أبقيتموه، لأن المتكلمين يؤولون باب الصفات، يُسلطون التأويل في باب الصفات، يأتي المتفلسفة فيضمون إليه باب المعاد؛ جماعة ابن سينا يضمون إليه باب المعاد، يأتي القرمطي فيحيل إليه باب الأحكام الذي بقي أيضًا، فما بقي شيء!

لذلك دائمًا يقول شيخ الإسلام: القرمطة في السمعيات والسفسطة في العقليات. لأن القرمطي ما ترك شيئًا، القرمطة في السمعيات أي تأويل جميع القطعيات، فالتأويل له دركات آخرها القرمطة التي لا تترك شيئًا.

الحج هو القصد وهو قصد شيوخنا! والصوم كتمان أسرارنا! والصلاة كذا وكذا! ما بقي شيء! وهم يرون أننا لا نُنكر الصلاة ولا ننكر الحج ولا ننكر الصوم ولكن الخلاف بيننا وبينكم في تفسير الصلاة والحج، من الذي فتح لهم الباب؟ أنتم.

فيقول شيخ الإسلام: هذا الباب كله قطعي ثبوتًا ودلالةً، فمن يؤوله يكون مثل القرامطة، فإما أن يكون بابًا واحدًا فيكون مثل القرمطي، وإما أن يترك ويسلم من هذا الداء، **"فالتأويل الذي يحيلها عن هذا بمنزلة تأويلات القرامطة والباطنية"**، طبعًا القرامطة هم فرقة من الباطنية، الباطنية الذين يرون أن نصوص الشريعة لها ظاهر ولها باطن وأن الظاهر المخاطبون به العوام وغيرهم، أما هم فلهم باطنه وحقيقته، أيضًا يسمون الشريعة والحقيقة، انظر المقابلة الشريعة والحقيقة، وهذا موجود في الصوفية، وموجود في قرامطة الرافضة.

"في الحج والصوم والصلاة وسائر ما جاءت به النبوات" فيكون الباب واحدًا؛ إما أن تترك التأويل وإما أن تصل فيه إلى وصل إليه القرامطة، خلاصة هذا الوجه أن تأويل هذا الباب في الحقيقة قرمطة.

❍ "**الرابع: أن يبين أن العقل الصريح**" في نسخة "الصحيح" وكله صحيح؛ العقل السليم، العقل الصريح غير ملوث، العقل الصحيح، "**يوافق ما جاءت به النصوص**"، والدليل على هذا عقول الأنبياء وعقول الصحابة كلهم والتابعين والأئمة وإلى الآن، أليس هذا دليلًا؟ "**وإن كان في النصوص من التفصيل ما يعجز العقل عن درك تفصيله**" العقل إجمالًا يُصدق ما جاء في الكتاب والسنة مع عجزه عن التفصيل الذي في الكتاب والسنة.

"**وإنما عقله مجملاً**" ويؤيده، "**إلى غير ذلك من الوجوه**" وهي كثيرة أوصلها شيخ الإسلام في "الدرء" إلى أربعة وأربعين وجهًا، وأوصلها تلميذه ابن القيم -رحمه الله تعالى- إلى أكثر من مائتين وجه في كتابه "الصواعق المرسلة".

"**على أن الأساطين من هؤلاء والفحول معترفون بأن العقل لا سبيل له إلى اليقين في عامة المطالب الإلهية**" اليوم كنت أقرأ في أقسام اللذات الذي طُبع باسم "لذات الدنيا" طُبع قديمًا في أمريكا، ذكر الرازي أن اللذات ثلاثة أقسام؛ اللذات الحسية واللذات الخيالية واللذات العقلية، اللذات الحسية أشهرها لذة الشهوتين، اللذات الخيالية هي اللذات التي تكون بسبب الرئاسة؛ لأن هذا الوزير مثلًا أو ذاك الرئيس أو ذاك المدير هو يتلذذ بهذا المنصب، وإذا سألته هو خيال ولكنه يجعله يتلذذ، اللذات العقلية وهي الأساس ذكر أنها أربعة أنواع أو خمسة أفضلها معرفة الله -عز وجل- وهذا صحيح، ولكن الذي ذكره فيه عبرة؛ يتمنى أن يصل إلى شيء من الحقيقة في معرفة الله -عز وجل-، ولكنه يتأسف أنه ليس هناك دليل برهاني يوصله إلى ذلك.

وأنت لما تقرأ كلامه تستشعر كيف أن الرجل مخلص في ذلك، إلا أنه لا يرى أمامه دليلًا برهانيًا يوصله إلى المطلوب، وبه ختم الكتاب وذكر فيه تلك الوصية التي قرأناها، استبعد تمامًا أدلة الكتاب والسنة، يا أخي أين أنت من أدلة الكتاب والسنة؛ توصلك يا أخي إلى الحق وإلى المطلوب، ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾، ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورًا مبينًا﴾، ما الذي ينقصك؟ والله أنت تقرأ فيه تعتبر.

وذكر فيه تلك الأبيات التي قرأناها

وأرواحنا في وحشة من جسومنا وغاية دنيانا أذى ووبال

ذكرها هنا، يُشير إليه شيخ الإسلام يقول على أن الأساطين من هؤلاء والفحول معترفون بأن العقل لا سبيل له إلى اليقين في عامة المطالب الإلهية.

وإذا كان هكذا فالواجب تلقي علم ذلك من النبوات على ما هو عليه، إذًا أين الحل، أين الحق؛ عند الأنبياء والرسل، أنت بنفسك تعترف، يذكر فيه أنه لا أحد يقترب من تلك الحقيقة، لا يمكنه أن يقترب وذكر كلامًا طويلًا عن الأدلة وفحصها ولم يجد فيها دليلًا يوصله إلى.. لم يطول في أدلة الكتاب والسنة لأنه من زمان حكم على أنها ظنية بأثرها، كلها ظنية دلالةً عنده، هو مخترع هذه النظرية أن أدلة الكتاب والسنة كلها ظنية.

طيب لابد أن نتلقى من الكتاب والسنة، من الأنبياء، ما الذي نجده عند الأنبياء؟ يقول: "**ومن المعلوم للمؤمنين أن الله تعالى بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق**"، النفوس تكتمل بأمرين؛ العلم الصحيح والعمل الصحيح، العلم الصحيح هو الهدى والعمل الصحيح هو دين الحق، وكلاهما مصدرهما الكتاب والسنة؛ بعث محمدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالهدى أن بكمال العلم ودين الحق أي بكمال العمل ﴿ ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا ﴾.

"**وأنه بيّن للناس ما أخبرهم به من أمور الإيمان بالله واليوم الآخر**" كلها مبينة وموضحة بما يُزيل الإشكال وبما لا يُبقي شيئًا من الإشكال.

"**والإيمان بالله واليوم الآخر يتضمن الإيمان بالمبدأ والمعاد، وهو الإيمان بالخلق والبعث**"، الإيمان بالله واليوم الآخر هذان الركنان يُذكران مقرونان في غالب الآيات كما سيذكر شيخ الإسلام هنا؛ لأن فيه إيمان بالمبدأ والمعاد، هذا الخلق متى بدأ وأين ينتهي ومن الذي خلقه.

"كما جمع بينهما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة:8]، وقال تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [لقمان:28] ، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الروم:27]" وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم.

هنا يستطرد شيخ الإسلام ويذكر لنا كيف البيان الذي في الكتاب والسنة، لابد أن تعرف منزلة هذا البيان حتى تؤمن به، هذا البيان الذي لا بيان فوقه، كيف هذا البيان، **"وقد بيّن الله –تعالى– على لسان رسوله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر ما هدى الله به عباده وكشف به مراده. ومعلومٌ للمؤمنين"** بيان لمنزلة البيان الذي في القرآن والسنة.

"ومعلومٌ للمؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم" طبعًا هذه ذكرها هذه الأمور هي موجبات القبول للأخبار ذكرها ملخصةً فيما سبق، وهنا يُفصل فيها.

"ومعلومٌ للمؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بذلك من غيره" هذا أولًا، كل من تصدق كلامه تأتمنه على الخبر، أول صفة تبحثها فيه العلم، والنبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أعلم بذلك من غيره، ثم هل هو يريد النصح لك، طبعًا هنا شيخ الإسلام غيّر في الترتيب، لو قدم الفصاحة كان أحسن وهكذا في بعض المواضع.

- **الصفة الأولى العلم**، الصفة الثانية القدرة على البيان وهي الفصاحة والبلاغة، الذي تأخذ منه وتُصدق خبره قد يكون عالمًا لكنه ما يستطيع أن يُبين.
- **الصفة الثانية الفصاحة** وهي القدرة على البيان.
- **والصفة الثالثة النصح** وهي إرادة البيان، قد يكون عالمًا وفصيحًا وبليغًا ولكنه لا يريد النصح لك، الآن ننظر هذه الصفات.

"ومعلومٌ للمؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بذلك من غيره، وأنصح للأمة من غيره" قارنه بالله عليك بالعلاف و ... وبأصحاب الجهات الثلاث قارنه بها.

"وأفصح من غيره عبارة وبيانًا"، أما الفصاحة هذه لما تقرؤون في كتب علم الكلام؛ الجفاف والتعقيد الذي في تلك الكتب يشكوا منه الكثير ومنهم هم. قرأت مقولة لأرسطو وأنا أظن أن هذه المقولة هي التي أثرت فيهم؛ لأن أرسطو هو المعلم الأول عندهم، يقول

أرسطو في هذه المقولة أنك إذا بسّطت -معنى كلامه- وأعطيته هكذا فلم تحترمه، قدمه في قالب فيه شيء من التعقيد؛ لا يأخذه أي واحد. هذا الآن ينصح أو لا، يعني أمر الاعتقاد هل هو مجال للتحدي؛ تتحدى الغير؟

كتب الكلام فيها من التعقيد، سبحان الله بصعوبة تفهم، وتجد أن كثيرًا منهم هذا لاحظته يكتب كتابًا في علم الكلام وينقل من غيره وتجزم أنه لم يفهم هذا! لأنه يُرتب على ما ذكره أشياء تجده في مكانٍ آخر يُخالفه؛ مما يدل على أنه لم يفهم.

"وأفصح من غيره عبارة وبيانًا، بل هو أعلم الخلق بذلك، وأنصح الخلق للأمة، وأفصحهم، وقد اجتمع في حقه صلى الله عليه وسلم كمال العلم والقدرة والإرادة.

ومعلومٌ أن المتكلم [والفاعل] إذا كمل علمه وقدرته" أي قدرته على البيان **"وإرادته"** أي إرادته للبيان، متى يكون مريدًا للبيان؟ إذا كان ناصحًا، **"كمل كلامه وفعله"** لأنه متفرعٌ عن علمٍ كامل وعن بيانٍ واضح وعن إرادةٍ جازمة.

"وإنما يدخل النقص إما من نقص علمه، وإما من عجزه عن بيان علمه، وإما لعدم إرادته البيان.

والرسول صلى الله عليه وسلم هو الغاية في كمال العلم، والغاية في كمال إرادة البلاغ المبين، والغاية في القدرة على البلاغ المبين".

أُعطيّ نبينا محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جوامع الكلم، حتى أن المحدثين كما ذكر ابن القيم -رحمه الله تعالى- يُميزون بين كلامه وبين كلام غيره ولو كان من كان من الفصحاء؛ يبينونه بمجرد السماع، يُميز أن هذا كلامه النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهذا ليس كلام النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ صيرفي، ولا تستبعد منه لأنه أحيانًا يجلس على كلمة واحدة يُحقق فيها أيام، أفنى عمره في خدمة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فلا تستغرب منه. أما الذي لا يُفيده العلم، الأحاديث كلها لا تُفيده ما يدري عن.. ليست هذه بضاعته أصلًا.

"ومع وجود القدرة التامة" على البيان، "والإرادة الجازمة" أيضًا على البيان والنصح "يجب وجود المراد" يقول شيخ الإسلام ما الذي منعه؟ علمه كامل، إرادته جازمة، وأنت تجزم بهذا، وقدرته كاملة؛ لماذا تخلّف المراد وتجاوزه وخلفه ... كيف تقدمه؟ ولا يتخلف المراد.

"**يجب وجود المراد، فعلم قطعًا أن ما بينه من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر حصل به مراده من البيان، وما أراده من البيان هو مطابق لعلمه**" وليس كما يقول ابن سينا وغيره أنه أخبر بشيء لمصلحة الجمهور وأخفى شيء، "**وما أراده من البيان هو مطابق لعلمه، وعلمه بذلك هو أكمل العلوم**" وليس مثل كما يقوله المفوضة أحيانًا بعضهم يقول أن بعض هذه الأمور خافية حتى على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، كان عليه الإيمان وعلينا أيضًا الإيمان.

"**فكل من ظن أن غير الرسول صلى الله عليه وسلم أعلم بهذه منه، أو أكمل بيانًا منه، أو أحرص على هدي الخلق منه، فهو من الملحدين لا من المؤمنين**" هذا هو الأصل، "**والصحابة والتابعون لهم بإحسان ومن سلك سبيل السلف هم في هذا الباب على سبيل الاستقامة**".

"**المتن**"

قال -رحمه الله تعالى-: "وأما المنحرفون عن طريقهم فهم ثلاث طوائف: أهل التخييل، وأهل التأويل، وأهل التجهيل.

❍ **فأهل التخييل**: هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلم ومتصوف.

فإنهم يقولون: إن ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو تخييل للحقائق لينتفع به الجمهور، لا أنه بَيَّنَ به الحق، ولا هدى به الخلق، ولا أوضح الحقائق.

ثم هم على قسمين:

- منهم من يقول: إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعلم الحقائق على ما هي عليه.

ويقولـون: إن مـن الفلاسـفة الإلهيـة مـن علمهـا، وكـذلك مـن الأشـخاص الـذين يسمونهم أولياء من علمها، ويزعمون أن من الفلاسفة أو الأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين، وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية: باطنية الشيعة، وباطنية الصوفية.

◀ ومن منهم من يقول: بل الرسول عَلِمَها لكن لم يُبيِّنها، وإنما تكلم بها يناقضها، وأراد من الخلق فَهْمَ ما يناقضها، لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق.

ويقول هؤلاء: يجب على الرسول أن يدعو الناس إلى اعتقاد التجسيم مع أنه باطل، وإلى اعتقاد معاد الأبدان مع أنه باطل، ويخبرهم بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون، مع أن ذلك باطل؛ لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريق التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد. فهذا قول هؤلاء في نصوص الإيمان بالله واليوم الآخر.

وأما الأعمال: فمنهم من يقرها، ومنهم من يجريها هذا المجرى، ويقول: إنما يؤمر بها بعض الناس دون بعض، ويؤمر بها العامة دون الخاصة، وهذه طريقة الباطنية الملاحدة والإسماعيلية ونحوهم.

❍ **وأما أهل التأويل**: فيقولون: إن النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعتقد الناس الباطل، ولكن قصد بها معاني ولم يبين لهم تلك المعاني، ولا دَلَّهم عليها، ولكن أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم، ثم يجتهدوا في صرف تلك النصوص عن مدلولها، ومقصوده امتحانهم وتكليفهم إتعاب أذهانهم وعقولهم في أن يصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه، ويعرفوا الحق من غير جهته، وهذا قول المتكلمة، والمعتزلة ومن دخل معهم في شيء من ذلك.

والذين قصدنا الرد عليهم في هذه الفتيا هم هؤلاء، إذ كان نفور الناس عن الأَوَّلين مشهورًا، بخلاف هؤلاء، فإنهم تظاهروا بنصر السنة في مواضع كثيرة وهم في الحقيقة لا للإسلام نصروا، ولا للفلاسفة كسروا، ولكن أولئك الفلاسفة ألزموهم في نصوص المعاد

نظير ما ادعوه في نصوص الصفات، فقالوا لهم: نحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بمعاد الأبدان، وقد علمنا الشُّبَه المانعة منه.

وأهل السنة يقولون لهؤلاء: ونحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بإثبات الصفات، ونصوص الصفات في الكتب الإلهية أكثر وأعظم من نصوص المعاد.

ويقولون لهم: معلوم أن مشركي العرب وغيرهم كانوا ينكرون المعاد، وقد أنكروه على الرسول وناظروه عليه، بخلاف الصفات، فإنه لم ينكر شيئًا منها أحد من العرب.

فعلم أن إقرار العقول بالصفات أعظم من إقرارها بالمعاد، وأن إنكار المعاد أعظم من إنكار الصفات، وكيف يجوز مع هذا أن يكون ما أخبر به من الصفات ليس كما أخبر به، وما أخبر به من المعاد هو على ما أخبر به.

وأيضًا: فقد عُلم أنه صلى الله عليه وسلم قد ذمَّ أهل الكتاب على ما حرَّفوه وبدَّلوه، ومعلوم أن التوراة مملوءة من ذكر الصفات، فلو كان هذا مما حرف وبدل لكان إنكار ذلك عليهم أولى، فكيف وكانوا إذا ذكروا بين يديه الصفات يضحك تعجبًا منهم وتصديقًا؟، ولم يَعِبْهُم قط بما تعيب النفاةُ لأهل الإثبات، مثل: لفظ التجسيم والتشبيه ونحو ذلك، بل عابهم بقولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:64]، وقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران:181]، وقولهم: استراح لما خلق السماوات والأرض، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق:38]، والتوراة مملوءة من الصفات المطابقة للصفات المذكورة في القرآن والحديث، وليس فيها تصريح بالمعاد كما في القرآن. فإذا جاز أن نتأول الصفات التي اتفق عليها الكتابان، فتأويل المعاد الذي انفرد به أحدهما أولى، والثاني مما يعلم بالاضطرار من دين الرسول صلى الله عليه وسلم أنه باطل فالأول أولى بالبطلان.

❍ **وأما الصنف الثالث: وهم أهل التجهيل:** فهم كثير من المنتسبين إلى السنة وأتباع السلف. يقولون: إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف معاني ما أنزل الله عليه

من آيات الصفات، ولا جبريل يعرف معاني تلك الآيات، ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك.

وكذلك قولهم في أحاديث الصفات: إن معناها لا يعلمه إلا الله، مع أن الرسول تكلم بهذا ابتداءً، فعلى قولهم تكلم بكلام لا يعرف معناه.

وهؤلاء يظنون أنهم اتبعوا قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [آل عمران:7]، فإنه وقف كثير من السلف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾ وهو وقف صحيح لكن لم يفرقوا بين معنى الكلام وتفسيره، وبين التأويل الذي انفرد الله تعالى بعمله، وظنوا أن التأويل المذكور في كلام الله تعالى هو التأويل المذكور في كلام المتأخرين، وغلطوا في ذلك.

فإن التأويل يراد به ثلاث معان:

- فالتأويل في اصطلاح كثير من المتأخرين هو: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك.

فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهره تأويلًا على اصطلاح هؤلاء، وظنوا أن مراد الله بلفظ التأويل ذلك، وأن للنصوص تأويلًا مخالف لمدلولها لا يعلمه إلا الله، أو يعلمه المتأولون.

ثم كثير من هؤلاء يقولون: تجرى على ظاهرها، فظاهرها مراد. مع قولهم: إن لها تأويلاً بهذا المعنى لا يعلمه إلا الله، وهذا تناقض وقع فيه كثير من هؤلاء المنتسبين إلى السنة من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم.

- والمعنى الثاني: أن التأويل هو تفسير الكلام، سواء وافق ظاهره أو لم يوافقه، وهذا هو التأويل في اصطلاح جمهور المفسرين وغيرهم، وهذا التأويل يعلمه الراسخون في العلم، وهو موافق لوقف من وقف من السلف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ كما نقل ذلك عن ابن عباس، ومجاهد، ومحمد بن جعفر بن الزبير، ومحمد بن إسحاق، وابن قتيبة وغيرهم.

وكلا القولين حق باعتبار، كما قد بسطناه في مواضع أُخَر، ولهذا نقل عن ابن عباس هذا وهذا وكلاهما حق.

❍ والمعنى الثالث: أن التأويل: هو الحقيقة التي يؤول الكلام إليها، وإن وافقت ظاهره، فتأويل ما أخبر به في الجنة من الأكل والشرب واللباس والنكاح وقيام الساعة وغير ذلك، هو الحقائق الموجودة أنفسها، لا ما يتصور من معانيها في الأذهان، ويعبر عنه باللسان، وهذا هو التأويل في لغة القرآن كما قال تعالى عن يوسف عليه السلام أنه قال: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف:100] . وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف:53] ، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء:59] .

وهذا التأويل هو الذي لا يعلمه إلا الله.

فتأويل الصفات هو الحقيقة التي انفرد الله بعلمها، وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف كمالك وغيره: "**الاستواء معلوم، والكيف مجهول**" فالاستواء معلوم يعلم معناه وتفسيره ويترجم بلغة أخرى، وأما كيفية ذلك الاستواء، فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

وقد رُوي عن ابن عباس رضي الله عنه ما ذكره عبد الرزاق وغيره في تفسيرهم عنه أنه قال: "تفسير القرآن على أربعة أوجه: تفسير تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله عز وجل من ادعى علمه فهو كاذب".

وهذا كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:17] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يقول الله: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عَيْن رأتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خطَر على قَلْب بَشَر» .

وكذلك عِلْم الساعة ونحو ذلك، فهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله، وإن كنا نفهم معاني ما خوطبنا به، ونفهم من الكلام ما قصد إفهامنا إياه، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:24] ، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون:68] ، فأمر بتدبر القرآن كله لا بتدبر بعضه.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: «حدثنا الذين كانوا يُقرؤوننا القرآن عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما: أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل. قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا» .

وقال مجاهد: "عرضتُ المصحف على ابن عباس -رضي الله عنهما- من فاتحته إلى خاتمته، أقف عند كل آية أسأله عنها" .

وقال الشعبي: "ما ابتدع أحدٌ بدعة إلا وفي كتاب الله بيانها" .

وقال مسروق: "ما قال أصحابُ محمد صلى الله عليه وسلم عن شيء إلا وعِلْمُه في القرآن، ولكن عِلْمُنا قَصُرَ عنه" .

وهذا بابٌ واسعٌ قد بُسط في موضعه.

والمقصود هنا التنبيه على أُصول المقالات الفاسدة التي أوجبت الضلال في باب العلم والإيمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن من جعل الرسول غير عالم بمعاني القرآن الذي أُنزل إليه، ولا جبريل جعله غير عالم بالسمعيات، لم يجعل القرآن هدى ولا بيانًا للناس.

ثم هؤلاء ينكرون العقليات في هذا الباب بالكلية، فلا يجعلون عند الرسول صلى الله عليه وسلم وأمته في باب معرفة الله عز وجل لا علومًا عقلية ولا سمعية، وهم قد شاركوا في هذا الملاحدة من وجوه متعددة، وهم مخطؤون فيما نسبوه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى السلف من الجهل، كما أخطأ في ذلك أهل التحريف والتأويلات الفاسدة، وسائر أصناف الملاحدة".اهـ

"الشرح"

بيّن الإسلام مذهب أهل السُنة، الآن يُبين مذهب المنحرفين في هذا الباب، ويُفصل فيهم هذا التفصيل الذي قد لا يوجد في بعض كتبه هو، شيخ الإسلام يُكرر الموضوعات هذه في كتبه حتى تترسخ، وهذا التفصيل الذي ذكره هنا أفاض فيه، بيان طرق المخالفين وحصر طرقهم، المخالفون في هذا الباب من هم، وكم هي فرقهم؟

بيّن هنا "**وأما المنحرفون عن طريقهم فهم ثلاث طوائف: أهل التخييل، وأهل التأويل، وأهل التجهيل**" أهل التخييل هم الفلاسفة وأهل التأويل وأهل التجهيل هم المتكلمون، هذا يدل على أنه بدأ بأسوئهم لأن أهل التخييل هم الفلاسفة ومنهم أُخذ هذا التخييل واعتمده بعض المتكلمين كما سأشير.

"**فأهل التخييل: هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلم ومتصوف**" وكما قلت هم المتأخرون الذين تأثروا بالمتفلسفة في التخييل هم المتأخرون، طبعًا هذه الفكرة التخييل نجدها عند الزمخشري، أقدم من رأيته من المتقدمين متأثرًا بهذه الفكرة هو الزمخشري، والزمخشري جعل هذه الفكرة بديلة عن المجاز، ومن بعده كثير من المتكلمين تأثروا به في إحلال التخييل بدل المجاز، بل أحدهم لما جاء يُقارن بين مذهب المجازيين وبين مذهب المخيلة أطلق على المجازيين أهل الظاهر من المفسرين؛ لأنهم كلما تعمقوا في مثل هذه.. يظنون أنهم حصلوا العلم والعرفان والتحقيق أكثر، فالمتكلم والمتصوف الذين ذكرهم شيخ الإسلام هم المتأخرون.

بالنسبة للأشاعرة المتأخرين الطبقة الثالثة منهم عندهم هذا التخييل، قرأنا كلام أحدهم فيما سبق وهو كلام التفتازاني، وأنا ذكرت لكم أن كلامه ملخصٌ من كلام الرازي وهو موجود عندهم في الطبقة الأخيرة يذكرون هذا.

نكمله إن شاء الله بعد الصلاة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

للإمام الشيخ

شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني

- رحمه الله -

(المجلس الثاني عشر)

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد محمدي النورستاني

- حفظه الله -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله نحمده ونُصلي على رسوله الكريم، أما بعد:

يقول شيخ الإسلام عن أهل التخييل: "**فإنهم يقولون**" هذا تعريف التخييل "**إن ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو تخييل للحقائق**" إذًا هناك حقائق هذه الحقائق كيف تُبينها، هذه الحقائق معروفة عند هذا المتفلسف، هل تصلح أن تُبين للناس أو ما تصلح، وكيف تُبين هذه الحقائق، هذا المتفلسف الآن يُعلم الأنبياء والرسل عن هذه الحقائق، "**إنما هو تخييل للحقائق**" إذا كنت تُخالف ما جاء به النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وخلافك له واضح كيف تُسوق كلامك، تجهل هناك صلة بينك وبينه النبي، إذا قلت ما جاء به النبي هو كذب في كذب والحق معي فنسبة التدليس فيها عالية وقد لا تُهضم، لذلك لا وهناك صلة بين الفلاسفة وبين الأنبياء وقصدهم جميعًا الحقيقة، وألف ابن رشد "فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال"، هناك حكمة وهناك شريعة وبينهما اتصال.

إذًا هناك حقائق هذه الحقائق كيف تُبينها "**تخييل للحقائق**" تُبينها بشكل التخييل ما تصدم بها الجمهور، تُخيل "**لينتفع به الجمهور**"، لأن الجمهور عندهم هم إذا قلت أنهم عوام فأنت.. الجمهور عنده رعاع بهائم فسبحان الله بما فيهم العلماء والمحققون والمحدثون كلهم عندهم بهائم، ولا يتحملون تلك الجرعات العالية للحقيقة هذه، فماذا يفعل، لا ماذا فعله الأنبياء والرسل؟ خيلوا، لماذا خيلوا؟ لينتفعوا، لأنهم إذا صُدموا بالحقيقة سيُكذبون؛ هذا الإله الذي ليس يمين وليس يسار وليس فوق وليس تحت، لا داخل العالم ولا خارج العالم، لا مباين للعالم ولا ... له، أنت تتحدث عن ماذا؟ سيُكذب وبذلك سيتضرر، مجيء النبي والرسول له سيكون ضررًا، وبالتالي خيّل وكذب على الجمهور لينتفع هذا الجمهور الذي عقله كثيف.

"**لينتفع به الجمهور، لا أنه بَيَّنَ به الحق، ولا هدى به الخلق، ولا أوضح الحقائق**"، إذًا ليس بين الفليسوف الزنديق والملحد وبين النبي والرسول خلاف، هم فيما بينهم متفقين

والضحية الجمهور، حتى النبي والرسول معاذ الله، يقولون نقل الكفر ليس كفرًا، على قول هذا الخبيث الرسل والأنبياء ... في الكذب على الجمهور.

"ثم هم على قسمين"، طبعًا هم صُرحاء في هذا، هذا بينه ابن سينا ببيان واضح في رسالته "الأضحوية" وهو يُدندن حول هذا في أغلب كتبه، في رسالته "الأضحوية في المعاد" بيّن فيها وأن الرسل فعلًا كذبوا ولكن كذبهم كان لمصلحة الجمهور، انظر كيف أنه يريد أن يجعل صلة بينه وبين الأنبياء وأن ما عنده من الكفر الصريح حقيقة، التي يعترف بها النبي أيضًا.

أنا غالبًا أقول أنا لا ألومه على.. ابن سينا لا ألومه هذا دينه، لا يؤمن بالأنبياء ولا يؤمن بالرسل ولا كرامة لهم عنده أبدًا، ولكن الذي يدعيّ الإيمان صدقًا من قلبه فعلًا يؤمن بالنبي محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كيف يتتلمذ عليه، كيف تأخذ منه، هذا الذي يستحق أن نلومه أما ذاك فهذا دينه.

"ثم هم على قسمين: منهم من يقول: إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعلم الحقائق على ما هي عليه" بعضهم يقول هذا يقول هو معذور؛ لأن هذا جهده لم يكن يعلم الحقائق التي توصل إليها ذلك الزنديق، **"ويقولون: إن من الفلاسفة الإلهية من علمها، وكذلك من الأشخاص الذين يسمونهم أولياء من علمها"** وهذا كثير في باطنية الصوفية، وفي الآخرين أيضًا باطنية القرامطة.

"ويزعمون أن من الفلاسفة أو الأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين، وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية: باطنية الشيعة، وباطنية الصوفية" وهذه المسألة من البديهيات عندهم.

"ومن منهم من يقول: بل الرسول عَلِمَها" يتلطف يقول لا أقول أنه لم يعلم؛ **"عَلِمَها لكن لم يُبيِّنها"**، لماذا يا فلان؟ عنده عذره **"إنما تكلم بها يُناقضها وأراد من الخلق فهم ما يُناقضها لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تُطابق الحق"**، فابن سينا يقول في "الأضحوية في المعاد": التوارة تشبيه كله والإنجيل تشبيه كله والقرآن تشبيه كله. يعني

كفرٌ كله! إنما هناك إشارات مثلما قرأنا عند.. إشارات دقيقة إلى تلك الحقائق لم يُظهرها لأن الجمهور لا يتحملونها هذا معنى كلامه.

"**ويقول هؤلاء: يجب على الرسول أن يدعو الناس إلى اعتقاد التجسيم مع أنه باطل**"، الغريب أن هؤلاء ما يفكرون؛ الرسول كتمها أنت ليش أظهرتها، هذه الحقيقة لما طلعت من فمك النجس تُقبل؟ مادام القضية رحمةً بالجمهور ارحمنا أيضًا، هذه الروائح الكريهة اكتمها، أليس كذلك؟ وإلا هي منك ستكون مسك؟ اكتُمها أيضًا ...

"**يجب على الرسول أن يدعو الناس إلى اعتقاد التجسيم مع أنه باطل، وإلى اعتقاد معاد الأبدان مع أنه باطل، ويخبرهم بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون، مع أن ذلك باطل**" نعوذ بالله، "**لأنه**" هذا تبريره "**لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريق التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد**" أعوذ بالله، أعوذ بالله. "**فهذا قول هؤلاء في نصوص الإيمان بالله واليوم الآخر**" وهذا قول المتأثرين بهم في نصوص الصفات من متأخري الأشاعرة، ودائمًا أقول أولئك يا أخي زنادقة أنت ما الذي أداك إليهم، ما الذي أوصلك إليهم.

هذا يتعلق باب الأخبار والإخبار كلها عنده ليست هي الحق، ما نجدها عند الأنبياء والرسل ليست هي الحقائق، طيب بالنسبة للأعمال لهم في ذلك قولان، الأعمال يقصد الأحكام، بالنسبة للاعتقاد ما نجده في كتب الأنبياء والرسل كله باطل، طيب ما يتعلق بالأعمال؛ بالشريعة، "**فمنهم من يُقرها**" ولكن ليس لنفسه؛ للجمهور، "**ومنهم من يُجريها هذا المجرى**" يقول من الذي استثنى باب الأحكام، فإذًا من هذا الباب، "**ويقول: إنما يؤمر بها بعض الناس دون بعض، ويؤمر بها العامة دون الخاصة**".

من الغريب الذي نجده عند أهل الباطل تقسيمهم للناس إلى جمهور وعوام وإلى الخاصة، أو إلى الخاصة والعامة، وهذا التقسيم تجده عند من كان موغلًا في الباطل أكثر، مثلًا بالنسبة للمتكلمين الأشاعرة هذا التقسيم من النادر أن تجده، اذهب إلى المعتزلة تجد أن هذا التقسيم يكثر ترداده وإيراده في كتبه، اذهب إلى الجهمية تجد أنه أكثر، اذهب إلى القرامطة تجد أنه ظاهرة؛ العوام والخواص، من تأثر بهم ستجد هذا أيضًا عندهم كثيرًا، أبو

حامد الغزالي الذي تُوفيّ سنة خمسمائة وخمسة ألف كتابًا أسماه "إلجام العوام عن علم الكلام" وبعض الإخوة يعتبره رجوعًا إلى مذهب السلف، وتجد هذا كثيرًا عند من يكتب هذه ال.. يعتبره رجوعًا إلى مذهب السلف، ولما يذكر ... يذكر منهم الغزالي وأنه ألف "إلجام العوام عن علم الكلام".

"إلجام العوام عن علم الكلام" قف مع الاسم كثيرًا، هو لا يتحدث عن علم الكلام، هو يتحدث عمن يتلقى هذا العلم، نفس الفكرة التي نجدها عند المتفلسفة، والعوام عندهم على رأسهم المحدثون، إذا كان الإمام البخاري عاميًا فأنت لا تحلم ب..، نفس الفكرة وهذا التقسيم عمومًا نجده عند من كان منحرفًا أكثر.

يقول: "**ويؤمر بها العامة دون الخاصة، وهذه طريقة الباطنية الملاحدة والإسماعيلية ونحوهم**"، ومن أشهر من يمثلهم أصحاب "رسائل إخوان الصفا" وهي مطبوعة في أربع مجلدات وتُباع هنا في معرض الكويت دائمًا، أحيانًا تُمنع الكتب كذا وكذا، أما هذه في كل معرض أجدها لأنه لا إشكال فيها، "رسائل إخوان الصفا" أظن واحد وخمسين أو اثنين وخمسين رسالة، هم أشهر من يمثلون هذه النظرية، هؤلاء هم الطائفة الأولى ممن يُخالفون منهج أهل السنة والجماعة.

"**وأما أهل التأويل: فيقولون: إن النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعتقد الناس الباطل**"، ما يجمع الفريقين فريق التخييل وفريق التأويل أن ظاهر النصوص باطل ليس فيه ذلك الحق الذي يجب اعتقاده، ولكن أهل التخييل يقولون إن ظاهر النصوص مع كونه باطلًا يجب اعتقاده للجمهور كما عرفنا، والمتأولون يقولون بما أنه باطل لا يجب اعتقاد بل المطلوب تأويله.

من المتأثرين بالفلاسفة في هذا الباب ابن رشد الحفيد، له كلامٌ جميلٌ جدًا في رد التأويل نقله شيخ الإسلام، وأنت لما تقرأ كلامه لا يسعك إلا الاقتناع بما يقول؛ فكلامه جميل، لكنه مبنيٌ على هذه الفكرة؛ هذا الظاهر على ما فيه يجب على الجمهور أن يعتقدوه لأن تأويله وتغييره يكون مثل -ضرب مثالًا رائعًا- الدواء الذي يصفه طبيب حاذق

لمريض، يأتي شخص ويقول هذا الدواء لأن فيه كذا وكذا فيُغير فيه، يأتي طبيب آخر فيُغير فيه، يأتي طبيب آخر فيُغير فيه، إلى أن يتحول إلى شيء مضُر. بالنسبة للمريض الذي وُصفّ له، يقول هكذا التأويلات هذه، فما جاء يجب على الجمهور أن يعتقدوه، هذا الكلام لو لم يكن مبنيًا على هذه الفكرة كان رائعًا جدًا، ابن رشد هو فيلسوف ولذلك ألزم المتكلمين بإلزامات لا محيد عنها، فهنا أهل التخييل وأهل التأويل يجتمعون على كون الظاهر باطلًا، أهل التخييل يقولون مع أنه باطل إلا أنه يجب اعتقاده وهذا الذي فيه مصلحة الجمهور، وأهل التأويل يقولون لأنه باطل يجب تأويله حتى لا يقع الجمهور في التشبيه وهو كفر.

يقولون لم يقصد بها الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يعتقد الناس الباطل **"ولكن قصد بها معاني"** ولكن هذه المعاني من أين نقتنصها؟ نحن أيضًا نقول قصد بها معاني، الألفاظ هذه تدل على ماذا والمعاني واضحة، وهو الآن اتفق مع الفيلسوف أن ما يظهر منها باطل يؤدي إلى باطل، مع ذلك الرسول قصد بها معاني! طيب من أين نأخذ هذه المعاني؟

يقول: **"ولم يبين لهم تلك المعاني"**، المعنى الواضح باطل، ما هو غير واضح لم يُبينه النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم يقل يومًا من الأيام كما ذكر شيخ الإسلام فيما سبق أن هذا الذي يظهر من ظاهر النصوص باطل، طيب ايش الحل؟ والصحيح كذا وكذا، لم يقل يومًا من الأيام، وحتى المؤول يقول لم يُبين هذا، ايش الحل؟

يقول: **"ولم يبين لهم تلك المعاني، ولا دَلَّهم عليها"**، هذا من نصح هذا النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، من نصحه أنه جاء ... نعوذ بالله.

"ولا دَلَّهم عليها، ولكن أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم"، بأرجلهم أو بعقولهم ايش تُفضلون؟ بأرجلهم، **"ثم يجتهدوا في صرف تلك النصوص عن مدلولها"**، يجتهدوا سبحان الله ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾، هذا يدل على أن المجاهدة لابد أن تكون مخلصًا فيها، المجاهدة هنا في صرف ظاهر النصوص وفي الوصول إلى الحق الذي لم يُشير إليه النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولا دلنا عليه ولا نصب قرائن للوصول إليه، تركه نهبًا للمريسي ولغيرهم، الآن سنذهب إليهم وهم الذين..

"**فيعرفوا الحق بعقولهم، ثم يجتهدوا في صرف تلك النصوص عن مدلولها**"، طيب لماذا هذا التصرف يا أخي، لماذا جاء النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعبارات ... جدًا في الباطل ولم يدلنا على.. يُبين لك "**ومقصوده امتحانهم وتكليفهم إتعاب أذهانهم وعقولهم في أن يصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه**"، ترى هذا ليس إنشاءً من شيخ الإسلام هذا بعينه ذكره الرازي مرارًا، ذكره الرازي في كتابه "أساس التقديس" أن هذا هو المطلوب، كل ما ذكره شيخ الإسلام مذكور في كتاب الرازي "أساس التقديس".

"**ومقصوده امتحانهم وتكليفهم إتعاب أذهانهم وعقولهم في أن يصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه، ويعرفوا الحق من غير جهته**"، لأن معرفة الحق من جهته ميئوس منها لأن نصوصه كلها تدل على.. كلها ظاهرة في التشبيه، "**وهذا قول المتكلمة، والمعتزلة**" هكذا عندكم؟ الجميع عنده "**والمعتزلة**" أو "من المعتزلة وغيرهم"؟

الطالب: ...

الشيخ: لا، "**وهذا قول المتكلمة**" هكذا عند الجميع؟ لأن الأدق من هذا ما يذكره شيخ الإسلام عمومًا قول المتكلمة من المعتزلة والجهمية؛ لأن المتكلمة هم ال.. قول المتكلمة عمومًا وخصّ منهم المعتزلة بالذكر لأن المعتزلة هم أساس علم الكلام، "**ومن دخل معهم في شيء من ذلك**" هذا قولهم هم الأشاعرة والماتريدية.

"**والذين قصدنا الرد عليهم في هذه الفتيا هم هؤلاء**" أي أصحاب التأويل، وإذا أردنا أن نُرجع هذا إلى من دخل معهم في شيء من ذلك سيكون أدق، ولكن كلام شيخ الإسلام هنا عن الطوائف، يذكر هنا عن هذه الطائفة وهي طائفة التأويل؛ المؤولة.

"**والذين قصدنا الرد عليهم في هذه الفتيا هم هؤلاء، إذ كان نفور الناس عن الأَوَّلين مشهورًا**" أولئك رايتهم واضحة راية أرسطو وهكذا ابن سينا، الفرابي، فتأثر الناس بهم قليل، نفور الناس عن الأولين مشهور "**بخلاف هؤلاء، فإنهم تظاهروا بنصر السنة في مواضع كثيرة**" هذا كله يجعلني أقول أن الضمير يرجع إلى من دخل معهم في شيء من ذلك وهم الأشاعرة والله أعلم.

"**فإنهم تظاهروا بنصر السنة في مواضع كثيرة**" وهذا واقع، أصلًا نشأة الأشاعرة، نشأة الكلابية ومنهم الأشاعرة والماتريدية أصلًا نشأتهم ترجع إلى نصر السنة هذا واقع، هم أرادوا أن ينصروا السنة ولكن بما أنهم لم يكونوا مؤصلين في السنة وقعوا في بعض ما وقع فيه أولئك، لذلك أوائل الكلابية وأوائل الأشاعرة وأوائل الماتريدية ردودهم على المعتزلة ردود قوية جدًا، وهم في بعضه يكونون جهالًا في الرد ولكن عنيفين في الرد على المعتزلة، هذا يذوب وهذا الحجاب وهذا الحاجز يذوب شيئًا فشيئًا حتى نصل إلى مرحلة الأشعرية الاعتزالية ثم الفلسفية، ولكن أوائلهم نصوصهم واضحة في الرد عليهم، هذا واقع فعلًا أرادوا نصر السنة، ولذلك كان لهم من السمعة الطيبة ما جعلهم يستغلونها إلى الآن؛ من الذي ردّ على المعتزلة؟ الأشعري، الأشعري نعم ردوده على المعتزلة جميلة، هو بعض من ردّ على المعتزلة، ليس هو فقط، لأن الأشعري رجع إلى الطريقة السنية في الأخير، الذين ردّ على المعتزلة والذين امتُحن بسببهم معروفون؛ الإمام أحمد وشيخه الإمام الشافعي وتلاميذه البخاري وغيره.

"**فإنهم تظاهروا بنصر السنة في مواضع كثيرة وهم في الحقيقة لا للإسلام نصروا، ولا للفلاسفة كسروا**" هذا يردده شيخ الإسلام كثيرًا، فعلًا نصر الإسلام بالجهل هذا يجر إليه من الويلات أكثر، الآن أنتم لما تنظرون في الواقع الآن كثير من الجهال يريد أن يدافع عن الإسلام، أي إسلام يا أخي، افهم الإسلام أولًا، الإسلام عقيدة وشريعة، أنت من الجهال في العقيدة كيف تُدافع عن الإسلام! ولذلك مجرد شبهة لا هذا ليس من الإسلام، كذا شبهة ليس من الإسلام، طيب أي إسلام تُدافع عنه، لا هذا ليس من الإسلام وهذا ليس من الإسلام.

فمناظرتهم ومدافعتهم عن الإسلام مُضر جدًا جدًا؛ لأنه ينصر الإسلام الذي يفهمه، انظر هذا الذي الآن يزعم أنه يُقارع الملحدين، الدكتور هذا الذي في.. عدنان إبراهيم سبحان الله يزعم أنه يُقارع الملحدين وبعض الإخوة يقول يعني محاجته للملحدين هو يدعو إلى الإلحاد وهو أخطر من الملحدين وهكذا كثير من ال.. وبعضهم تكون نيته فعلًا

حسنة ولكن يا أخي ينبغي أن تعلم وتعرف حدودك، أنا الآن أنبري لكذا وأدافع عن الإسلام أقع في حفر خطيرة جدًا، أصِّل نفسك من البداية والأهم في العقيدة ثم دافع عن الإسلام؛ لأن هذه مهمة، من يُدافع عن الإسلام هذا شرف له.

يقول شيخ الإسلام ويردد هذا كثيرًا: "**لا للإسلام نصروا، ولا للفلاسفة كسروا، ولكن أولئك الفلاسفة ألزموهم في نصوص المعاد نظير ما ادعوه في نصوص الصفات، فقالوا لهم: نحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بمعاد الأبدان، وقد علمنا الشُّبَه المانعة منه**" أي بما أننا نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بمعاد الأبدان فلابد من الإيمان بها، هذا من يقوله؟

الطالب: ...

الشيخ: لا، "**فقالوا**" أي المتكلمون الضمير هنا يرجع إلى المتكلمين المؤولة، قالوا لمن؟ للفلاسفة؛ لأن الفلاسفة قالوا: نصوص المعاد مثل نصوص الصفات، فقالوا للفلاسفة: "**نحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بمعاد الأبدان، وقد علمنا الشُّبَه المانعة منه**" وقد علمنا فساد الشبه المانعة منه، إذًا نعم عندكم الشبه ولكنها فاسدة، شيء آخر أن الرسل يعني علمنا بمجيئهم بمعاد الأبدان هذا علم ضروري كيف لهذه الشبه الهزيلة أن تقارع ...؟ لا، لذلك المتكلمون قالوا: كل ما تذكرونه في المعاد باطل، عندكم شبه وهناك أصل معلوم من الدين بالضرورة، وهذا جميل.

ولكن هذا الأمر حتى في المعاد عند المتأخرين تجد أن كلامهم على استحياء، ولكن أوائل المتكلمين في هذا الباب موقفهم واضح جدًا، أما المتأخرين منهم على ما أذكر الرازي ومنهم الغزالي تقرأ كلامه يحاول الجمع بين ما جاء به أولئك الفلاسفة وبين ما جاء به الرسل، أما المتقدمون فموقفهم واضح.

إذًا الموقف عمومًا موقف المتكلمين في معاد الأبدان أنهم يقولون نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بمعاد الأبدان وشبهكم نظرنا فيها فوجدنا أنها باطلة، الآن نلتفت نحن إليهم هذا رد المتكلمين على ...

"**وأهل السنة يقولون لهؤلاء**" أي للمتكلمين، "**ونحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بإثبات الصفات، ونصوص الصفات في الكتب الإلهية أكثر وأعظم من نصوص المعاد**"، نحن نعلم بالاضطرار ومعنا الصحابة ومعنا المحدثون كلنا نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بإثبات الصفات وأن نصوص الصفات في الكتب الإلهية أكثر وأعظم من نصوص المعاد، طبعًا هذه الحقيقة هم يعترفون بها؛ ابن سينا ذكر هذا في "الأضحوية" أن النصوص نصوص الصفات في الكتب الإلهية أكثر بكثير وهو يعترف بهذا.

"**ويقولون لهم**" لازال الحديث لأهل السنة "**معلوم أن مشركي العرب وغيرهم كانوا ينكرون المعاد، وقد أنكروه**" يعني أنكر المعاد "**على الرسول صلى الله عليه وسلم وناظروه عليه، بخلاف الصفات، فإنه لم ينكر شيئًا منها أحد من العرب.**

فعلم أن إقرار العقول بالصفات أعظم من إقرارها بالمعاد"، وفيه هنا جملة معترضة لي تحفظ عليها سأرجع إليها، "**وكيف يجوز مع هذا أن يكون ما أخبر به من الصفات ليس كما أخبر به، وما أخبر به من المعاد هو على ما أخبر به**" كيف؟ نحن الآن نناقش من؟ نناقش المتكلمين، لما رأينا موقفهم الجميل في الرد على المتفلسفة وتأصيلهم الجميل قلنا هذا يرتد عليكم بحروفه في باب الصفات، يرتد عليكم بأقوى بكثير؛ لأنه لا مقارنة بين نصوص الصفات ونصوص المعاد.

الطالب:...

الشيخ: أنا عندي، لأنه فيه عبارة هنا مع أني أولتها ومع ذلك لا تستقيم. طبعًا الجملة هذه "**وأن إنكار المعاد أعظم من إنكار الصفات**" أنا كنت كتبت هنا "**أعظم**" أي من جهة البرهان، أولًا إقحام هذه الجملة هنا ليس مناسبًا أصلًا، في المقارنة هذه يُبين شيخ الإسلام أن أمر نصوص الصفات أعظم بكثير وليست هناك مقارنة لا في العدد ولا في الوضوح، نأتي إلى هذه الجملة "**وأن إنكار المعاد أعظم من إنكار الصفات**" لا تنسجم مع..

يقول الدكتور عبد القادر الغامدي: هكذا في جميع النسخ المخطوطة والمطبوعة التي وقفت عليها مع أن السياق يقتضي الكلام بالعكس فيكون "وأن إنكار الصفات أعظم من

إنكار المعاد"، وقد كثر الكلام حول هذه الجملة وتأولها بعض الشراح تأويلًا مخالفًا للظاهر بما لا يتناسب مع السياق وأقحم البعض كلمة ليس ليكون الكلام ليس أعظم، والإقحام ممنوع، وكل هذا لأن العبارة على ظاهرها مناقضة للسياق ولكن الصواب أن العبارة مقلوبة؛ انقلبت على شيخ الإسلام بدون قصد والله أعلم، وأن الصواب على مقصده – رحمه الله تعالى– وهو العكس، وهو أن إنكار الصفات أعظم من إنكار المعاد.اهـ كلام جميل.

والدكتور عبد العزيز أيضًا وقف طويلًا مع هذه الجملة، يقول: هذه العبارة "**وأن إنكار المعاد أعظم من إنكار الصفات**" غير مستقيمة المعنى وتناقضها ظاهر ولا تتفق مع سياق كلام المؤلف هاهنا؛ إذ كيف يكون إقرار العقول بالصفات أعظم من إقرارها بالمعاد ثم يكون إنكار المعاد أعظم من إنكار الصفات!

ويظهر أن الخطأ من النُساق فابن تيمية قد قرر في غير موضع أن دلالة النصوص على الصفات أعظم وآكد وأكثر من دلالتها على أمور المعاد، وأن إنكار الصفات أعظم إلحادًا من إنكار المعاد، ومن تقريراته في ذلك ما ذكر بعض الأقوال التي توضح هذا.

سبحان الله أنا كنت استشكلت هذا وكتبت هذا من بعده نقلته أو من عندي، "**أعظم**" أي من جهة البرهان ولكن ما أقنعني هذا فلما رجعت إلى هذا فما كتبه صحيح، فهذا أيضًا ما شاء الله اجتهاده جميل.

الطالب: ...

الشيخ: عبد العزيز عبد اللطيف له تعليق على "الفتوى الحموية".

"**وكيف يجوز مع هذا أن يكون ما أخبر به من الصفات ليس كما أخبر به، وما أخبر به من المعاد هو على ما أخبر به**" هذا يؤول وهذا لا يؤول كيف، "**وأيضًا: فقد عُلم أنه صلى الله عليه وسلم قد ذمَّ أهل الكتاب على ما حرَّفوه وبدَّلوه، ومعلوم أن التوراة مملوءة من ذكر الصفات**" طبعًا هذا قبل أن ينالها التحريف من متكلمة المعتزلة وأشهرهم كما ذكرت لكم

ابن ميمون اليهودي، هؤلاء اشتغلوا على التوراة وتحريف الكتب عندهم من أسهل ما يكون، فاليهود المعتزلة حرّفوا أكثر.

أحد الإخوة مبارك ... أرسل لي فائدة جميلة يقول: أول متفلسف يهودي كان في القرن الثالث قبل الميلاد بعدما تُرجمت التوراة إلى اليونانية، وأوّل بعض التوراة للتوفيق بين الفلسفة والتوراة فأوّل مثلًا يد الله وقال المراد منها قدرة الله "الموسوعة اليهودية"، يقول أحد المستشرقين: معظم اليهود تأثروا بالمعتزلة وعلم الكلام الإسلامي.

طبعًا هذا الذي يذكره شيخ الإسلام قبل التحريف يتحدث عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وواقع التوراة في عهده، "**ومعلوم أن التوراة مملوءة من ذكر الصفات، فلو كان هذا مما حرف وبدل لكان إنكار ذلك عليهم أولى**" النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنكر عليهم التحريف والتبديل ولكن لم يُنكر عليهم التحريف والتبديل في هذا الباب، لو كان حصل كان هذا أولى، "**فكيف وكانوا إذا ذكروا بين يديه الصفات يضحك**" هذا اليهودي "**تعجبًا منهم وتصديقًا؟**" يُشير إلى حديث ابن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن يهوديًا جاء إلى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال: يا محمد إن الله يُمسك السموات على إصبع والأرض على إصبع والجبال على إصبع والشجر على إصبع والخلائق على إصبع، ثم يقول: «**أنا الملك**». فضحك رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حتى بدت نواجذه ثم قرأ ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ الحديث متفق عليه.

ذكر الكوثري وكثير أن هذا الضحك كان للاستقباح وللاستشناع وللرد، مع أن في نفس الحديث تصديقًا لقوله وذكر الآية ثم قرأ ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾.

يقول: "**وكانوا إذا ذكروا بين يديه الصفات يضحك**" يعني يضحك النبي صلى الله عليه وسلم "**تعجبًا منهم وتصديقًا**" يتعجب كيف أن هذا الحق بقيّ فيهم مع كثرة ما حرّفوا وبدلوا، "**ولم يَعِبْهُم قط بما تعيب النفاةُ لأهل الإثبات، مثل: لفظ التجسيم والتشبيه ونحو ذلك**" دائمًا يردون على أهل السنة بهذه الألفاظ، "**بل عابهم بقولهم:** ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [المائدة:64]، وقولهم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ [آل عمران:181]، وقولهم:

استراح لما خلق السماوات والأرض، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق:38]" لم يعبهم على ما يعيب به المتكلمون أهل السنة والجماعة، ولكن عابهم في مثل هذه الأمور.

"والتوراة مملوءة من الصفات المطابقة للصفات المذكورة في القرآن والحديث" طبعًا هذا كله قبل التحريف، **"وليس فيها تصريح بالمعاد كما في القرآن. فإذا جاز أن نتأول الصفات التي اتفق عليها الكتابان، فتأويل المعاد الذي انفرد به أحدهما أولى"** انفرد به أحدهما الذي هو القرآن، **"والثاني مما يعلم بالاضطرار من دين الرسول صلى الله عليه وسلم أنه باطل فالأول أولى بالبطلان"** هذا الصنف الثاني الذي هو أهل التأويل.

"وأما الصنف الثالث: وهم أهل التجهيل" هذا الصنف الأخير فيه شيء من الترافة لا يخلو موقفه من الترافة، هذا الصنف اللافتة الواضحة عنده تعظيم السلف؛ السلف السلف السلف، لكنه من أعظم الناس تحييدًا للسلف وإبعادًا للسلف وإساءة إليهم بالنظر إلى المتكلمين، في طوائف المتكلمين، لذلك سماهم شيخ الإسلام بطوائف التجهيل؛ جهال ويُجهلون، جهال ويظنون أن الصحابة أيضًا جهال، بل قد يرون أن هذا واقع النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما سيذكر شيخ الإسلام.

"فهم كثير من المنتسبين إلى السنة وأتباع السلف" ولكن السبب مع أنهم ينتسبون إلى السنة ويُعظمون السلف ويُعظمون الانتساب إلى السلف ويُحبذونه مع ذلك ما الذي أوقعهم في هذا؟ لأنهم تأثروا بالمتكلمين وآمنوا بأصولهم فلم يستطيعوا أن يجمعوا بين تلك الخرافات وبين ظاهر النصوص، لأن من يؤمن بأصول المتكلمين لا يمكنه أن يُثبت تلك الصفات فبقوا مترددين بين الانتساب إلى السلف وبين الواقع الذي آمنوا به، فماذا قالوا؟ قالوا: احترامًا للمتكلمين أن الظواهر غير مرادة واحترامًا للسلف قالوا الله أعلم وهذا هو موقف السلف.

"**يقولون: إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف معاني ما أنزل الله عليه من آيات الصفات، ولا جبريل يعرف معاني تلك الآيات، ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك**" لماذا؟ لأن الظاهر واضح في البطلان عندهم، فلو عرف لكان له موقف.

الآن نقول للمتكلمين لماذا النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم يُرشدنا ولم يدلنا إلى الصواب في هذا الباب، ألا نقول هذا، لأنهم يقولون هناك معنى، نقول إذا كان المعنى الواضح الظاهر المتبادل من هذه النصوص باطلًا كان المفروض أن يدلنا إلى الحق، أليس هذه مطالبة..

المجهلة اختصروا قالوا يا أخي هذه الألفاظ هي ألفاظ مجردة وليس هناك معنى، طيب ما يظهر منها؟ باطل وليس هناك معنى وراء هذه الألفاظ ولا تبحث عن شيء، لا تقول لي أين، لا، النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بنفسه ما كان يدري، المقصود هو التعبد بالتلاوة!

"**وكذلك قولهم في أحاديث الصفات: إن معناها لا يعلمه إلا الله، مع أن الرسول تكلم بهذا ابتداءً، فعلى قولهم تكلم بكلام لا يعرف معناه**" وهم يلتزمون هذا؛ لأنهم أمام أمرين أحلاهما مر بالنسبة لهم، إما أن يقولوا أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان يعرف أن هذه الظواهر ظواهر تشبيه فأين البيان والدلالة؟ وبالتالي ما كان، "**وهؤلاء يظنون أنهم اتبعوا قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [آل عمران:7] ، فإنه وقف كثير من السلف على قوله: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ ﴾**" نعم كثير من السلف وقف على لفظ الجلالة، "**وهو وقف صحيح**" ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ والراسخون ﴾ الواو للاستئناف ﴿ والراسخون في العلم يقولون آمنا بالله ﴾، "**وهو وقف صحيح لكن لم يفرقوا بين معنى الكلام وتفسيره، وبين التأويل الذي انفرد الله تعالى بعمله**" التأويل له معاني؛ من معانيه التفسير، ومن معانيه الحقيقة التي انفرد الله بالعلم بها، "**وظنوا أن التأويل المذكور في كلام الله تعالى هو التأويل المذكور في كلام المتأخرين، وغلطوا في ذلك**".

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأسئلة

الطالب: ما الفرق بين المجاز والتأويل الذي هو صرف اللفظ عن معناه المتبادر إلى معنى بعيد في مثل قوله -تعالى-: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾، هل من قال أن المعنى مجازي لا يرى أن الاستواء من معانيه الاستيلاء فعدل إلى القول بمجازه لعلاقة ما؟

الشيخ: الفرق بين التأويل والمجاز كما يقول المناطقة العلاقة بينهما علاقة عموم وخصوص؛ التأويل عام ومن وجوهه المجاز، المجاز والتأويل وجهان لعملة واحدة؛ المجاز تقنين للتأويل، من أفراد التأويل المجاز، تؤول بكذا وتؤول بكذا وكل تأويل له اسم، التأويل هنا استعارة وهنا كذا وهنا مجاز، فهو تقنين للتأويل.

فهنا في الاستواء الاستيلاء فيه مجاز وفيه تأويل، أوّله ولكن نوع التأويل هنا هو المجاز.

الطالب: يعني الذي قال أن المعنى مجاز لا يرى أن الاستواء من معانيه الاستيلاء؟

الشيخ: لا، يرى، المجازي هو المؤول، أنا أُؤول هنا لأن المعنى المتبادر إلى الذهن وهو العلو والارتفاع لا يجوز أن يُقال به! طيب كيف تؤول؟ أقول إن الاستواء مجاز عن الاستيلاء، هذا هو التأويل.

الطالب: هل الأشاعرة المتأخرون يقولون بقدم العالم؟

الشيخ: لا، قدم العالم لا يقول به أحد من المتكلمين حتى الجهمية المعتزلة لا يقولون بقدم العالم، ولكن هناك مواقف هذه المواقف تستلزم أن يقولوا بقدم العالم مثلًا.. ولكن كلامهم في هذا واضح هم لا يقولون بقدم العالم، نظرية الخلق هذه من النظريات التي موقف المتكلمين فيها واضح، بجهميتهم، معتزليتهم، كلهم، هذه النظرية من الفروق بينهم وبين الفلاسفة أن نظرية الخلق عند المتكلمين واضحة، هذا العالم مخلوق وخالقه هو الله -عز وجل-، خالقه بالاختيار، أما الفلاسفة يقولون إذًا هو خالق ولكن الكون خالق عندهم أنه علة للعالم، والصلة بين العالم وبين الخالق عندهم صلة العلة بالمعلول والمعلول

بالعلة، وبالتالي العالم عندهم قديم؛ لأن العلة لا يكون بينها وبين المعلول فاصل زماني، إلا ب.. الفاصل هذا يكون اعتباريًا، في الحقيقة لا يكون..

هناك مواقف عند المتكلمين هذه المواقف تستلزم أن يكون العالم قديمًا، لذلك نحن نُذكرهم بهذه اللوازم الباطلة حتى يرجعوا إلى.. منها مثلًا الأشاعرة لما يقولون أن الله -عز وجل- سماعه وإرادته وكلامه هذا كله أزلي وأنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته ولا يريد بمشيئته وقدرته ولا يبصر ولا يسمع؛ إنما كله هذا أزلي مثلًا كلامي الآن سمعه أزلًا! معقول هذا! الأشعري لا يستطيع أن يقول أن الله -عز وجل- الآن يسمع إذا كان يفهم مذهبه لأن هذا فيه حلول للحوادث بذاته وهذا قولٌ بحدوثه.

كيف تقول أن الله -عز وجل- سمع كلامي في الأزل هذا يستلزم أن أكون أنا أزليًا، أن تكون المسموعات والمبصرات أزلية يستلزم، مع ذلك قلت لكم موقفهم في قدم العالم واضح أنه ليس قديمًا.

الطالب: كيف استعمل المتكلمون دليل حدوث الأجسام في التعطيل؟

الشيخ: نحن قلنا أن هذا الدليل له خمس مقدمات، طبعًا هذا على الموقف المعروف عندهم، وإلا فصاحب "الجوهرة" ذكر أن له سبع مقدمات، وأن من عرّف هذه المقدمات دخل الجنة من أبوابها السبعة، إذًا الصحابة مساكين؛ لأني أجزم أن أحدًا منهم ما كان يعرف عن هذا الدليل لا عن مقدماته الخرافية ولا عن نتائجه ولا..، إذًا أبو بكر الذي يُنادى من جميع الأبواب رغم أنف كل من يتكلم فيه مسكين لا يدري، سيُختبر هناك عن دليل الحدوث، ما يدري، هكذا ذكر هذا صاحب "الجوهرة".

لكن المعروف عندهم المقدمات خمسة، خلاصة هذه المقدمات أن ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث، الآن الصفات هذه هل هذه صفات أو أعراض؟ المتكلمون الجهمية والمعتزلة قالوا الصفات ليس صفات؛ هي أعراض تعرض وتزول وهي تدل على الحدوث، من يتصف بالصفات فهو حادث، ونحن في هذا الدليل قلنا أن الله -عز وجل-

قديم لأنه ليس فيه ما هو حادث، طبعًا أنت لما تقول يتكلم معناه حادث لا يكون هناك فرق بينه وبين العالم ولا يكون مُحدثًا للعالم؛ يكون حادثًا مثل العالم.

الأشاعرة قالوا لا، هناك بعض الصفات هي صفات وليست أعراض وهي الصفات السبع، أنا لا أسميها أعراض لأنها ليست مما يعرض ويزول، ولذلك يجعلها أزلية بحتة، فيستثنيها من كونها أعراضًا، أما بقية الصفات يُبقيها على الأصل هي أعراض، وبالتالي هي لا أثبتها.

فالإشكال أن كل من يُعطل شيئًا يجعله عرضًا وهو حادث واتصاف الله -عز وجل- به حلول للحوادث بذاته.

الطالب: ...

الشيخ: نعم يدعون أنها أزلية بحتة، ولذلك ينفون الجانب المتعلق بالمشيئة والقدرة منها، صفة الكلام أزلية بحتة عندهم.

الطالب: ما يراد اليوم بتسمية الحنابلة الجدد؟

الشيخ: ليس هناك حنابلة جدد، أستسمحكم في هذا التعبير هؤلاء ليسوا حنابلة؛ الحنابلة سُموا حنابلة نسبةً للإمام أحمد، مذهبه واضح وهو من الأئمة الذين دُونت أقواله بالتفصيل، فرق بينه وبين الإمام أحمد وبين الإمام أبي حنيفة في هذا الباب، الإمام أبو حنيفة لم يؤلف كتابه، "الفقه الأكبر" والأبسط و.. هذه الكتب ليست له، لا تثبت عن الإمام أبي حنيفة، لأن هناك عبارات لم تكن أصلًا نشأت في ذلك ال.. الإمام أبو حنيفة ولد سنة ثمانين وتُوفيّ سنة مائة وخمسين، بعض العبارات المستخدمة الموجودة في الكتاب نشأتها بعد وفاة الإمام أبي حنيفة، الكتب ليست له.

أوثق وثيقة في عقيدة الإمام أبي حنيفة متن "الطحاوية"، ففيه شيء في التعرف على مذهب الإمام أبي حنيفة، لابد أن تتعب، أما الإمام أحمد سبحان الله أقواله بالتفصيل مدونة، وامتُحن في هذه المسائل، والمحنة في مسألة الكلام تكفي كونه واضحًا في هذه المسألة، إذا قيل المحنة فهي المرادة.

تأتي الآن أنت تلعب على هذا الحبل وتظن أن الناس كلهم ما يفهمون ولابد أن يفهموا عن طريق ..، اطلعت على كتاب لأحدهم يقول لابد أن نفهم كلام المتقدمين على ضوء ما يشرحه المتأخرون، ... هذا مذهبه وهذا مذهبك، هم يرون أن فهم كلام الأئمة المتقدمين لابد أن يكون عن طريقهم هم، خرافة جديدة هذه، للأسف مذهب الإمام أحمد هنا هو الصحيح، والإمام أحمد ليس للحنابلة فقط؛ هو إمام أهل السنة والجماعة، فمن يحتكره لا يعرفه، كذلك باقي الأئمة.

تجد الشوافع الآن سبحان الله وقعوا فيما كان يُحذر منه الإمام الشافعي، حكمه في أهل الكلام أن يُطاف بهم في العشائر وأن يُضربوا بالجريد والنعال ويُقال هذا حكمي فيمن ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام. طيب أنت علمك هذا كله هو الذي حذّر منه الإمام الشافعي فإما أن تكون شافعيًا صح في العقيدة وفي.. وإما أن لا يُشرفك الانتساب إليه أو العكس أبدًا لا يُشرف الإمام انتساب أمثالك إليه، كن شافعيًا، كن حنفيًا؛ في العقيدة وفي.. وإلا اترك.

بعض الإخوة يظن أن انتسابه إلى هذا يُخول له أن يحتكره، هذا من جهله، هم أئمة أهل السنة كلهم وخاصة الإمام أحمد؛ هذا لقبه إذا قيل إمام أهل السنة فالمراد الإمام أحمد، هذا يخرج منه لأنه في كثير من الأصول خرج من أهل السنة والله أعلم.

الطالب: لماذا أهل الكلام يصفون شيخ الإسلام بالتجسيم؟

الشيخ: لا يصفونه فقط؛ هم يصفون أهل السنة عمومًا لأن إثبات العلو مثلًا تجسيم عندهم، هم يرون أن إثبات العلو تجسيم، كل ما يُشار إليه جسم عندهم، طبعًا هم اختلفوا في تعريف الجسم، اختلفوا على أقوال كثيرة، واتفقوا على هذه النتيجة لأنها هي المهمة عندهم، أن كل ما يُشار إليه جسم، وبالتالي لا يُمكنك أن تُثبت العلو؛ لأن العلو في جهة وهذه الجهة سيُشار إليها وكل ما يُشار إليه جسم، وبالتالي الجهمية والمعتزلة أنكروا العلو.

جاء الكلابية أوائلهم يُثبتون العلو إثباتًا صحيحًا لأنهم يثبتون صفتها، أوائل الأشاعرة يُثبتون العلو إثباتًا صحيحًا لأنهم يُثبتون صفة الرؤية، المتأخرون يُثبتون الرؤية لكن رؤية إلى غير جهة!

الرؤية إلى غير جهة هذا علم، أنا الآن أدري عن الشارع الذي مررت منه وجئت، علمي به ليس رؤية الآن؛ هذا علم، ولذلك كثير من المتأخرين مثل الآمدي والرازي وغيرهم أوّلوا.. رجعوا في الرؤية إلى مذهب المعتزلة؛ لأنهم يُنكرون العلو، لماذا ينكرون العلو؟ لأن العلو لا يكون إلا في جهة، إلا في مكان ويُشار إليه وكل ما يُشار إليه جسم عندهم.

الطالب: ...

الشيخ: هناك تقسيم عند الفلاسفة هذا التقسيم هناك جسمانيات وهناك معقولات، واختلفوا في الإنسان هل هو من أولئك أو من هؤلاء، طبعًا هذا الاختلاف ذكره الرازي في كتابه "أساس التقديس" ورجح أن الإنسان هل هو حقيقة في الروح والبدن تابع له أو حقيقة في البدن والروح تابع له، مذهب المتكلمين الثاني أن الإنسان حقيقة في البدن والروح تابعة له، مذهب الفلاسفة الأول أن الإنسان حقيقة في الروح والبدن تابع له، وكما قلت لكم المتأخرون بدأوا يميلون إلى مذاهب الفلاسفة أكثر، منها هذا ذكر الرازي أن الراجح أن حقيقة الإنسان الروح، وبالتالي ذكر أن الإنسان لا يُشاهد! لا يمكن أن تُشاهد الإنسان هذا ذكره في "أساس التقديس" هكذا يُقدس الله -عز وجل-!

لماذا؟ لأنه جعله في خانة المعقولات، نفس الخانة فيها الله -عز وجل-، وبالتالي نفس الإنسان عنده لا يُشاهد؛ لا فوق ولا تحت، طيب أنت الذي أشاهدك ألم تكن إنسانًا ف..

هذا التقسيم موجود عندهم! هذا التقسيم للأسف نجده عند الأشاعرة.

الطالب: ما مراد أهل الكلام بالحشوية؟

الشيخ: يقصدون بهم أهل السنة والجماعة وخاصة المُحدثين، حشوية من الحشو، لا يُميزون بين الحق والباطل وبين ما يُهتم به وبين.. حشوية من الحشو.

الطالب: بالنسبة للشهرستاني يُمثل أي طبقة من طبقات الأشاعرة وكذلك الرازي؟

الشيخ: الرازي من الطبقة الأخيرة، الشهرستاني توفي سنة خمسائة وثلاث وأربعين أظن أو أربعة وأربعين، هو في الطبقة الثانية.

الطالب: الرازي من الفلاسفة؟

الشيخ: الشهرستاني من الطبقة الثانية.

الطالب: معتزلي؟

الشيخ: من الأشعرية الاعتزالية.

الطالب: والرازي ينتمي إلى فلاسفة الأشاعرة؟

الشيخ: إي الرازي إمام الطبقة الأخيرة.

الطالب: أحسن الله إليكم ما المحاذير في إطلاق لفظ واجب الوجود في حق الله -عز وجل- إلم يُبين المعنى المقصود؟

الشيخ: هم يقولون أن من معاني واجب الوجود يربطونها بتركيب؛ من معاني واجب الوجود نفي الصفات، وإذا ربطنا هذا المصطلح بمفهومهم فيه محاذير، أما إذا اقتصرنا على أن معنى واجب الوجود أنه لا يحتاج في وجوده إلى غيره وكل من سواه محتاج في وجوده إليه هذا المعنى صحيح، وعلى كل الأحوال هذا ليس من الأسماء الحسنى، في كتاب "أقسام اللذات" قرأت: ويا واجب الوجود. عدد منهم ذكروا أن واجب الوجود من الأسماء الحسنى! المتكلمون الذين ألفوا في هذا الباب.

الطالب: ما الفرق بين الآيات والمخلوقات؟

الشيخ: ليس هناك فرق، المخلوقات هي آيات، أدلة، الآيات هي الأدلة القاطعة التي تدل على المطلوب، المخلوقات آية وأدلة، لذلك يقول الله -عز وجل-: ﴿ قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تُغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾.

فمن أهم سبل الترسيخ اليقيني النظر في المخلوقات لأنها آيات، أما الملحد فـ ﴿ما تُغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾ المخلوقات كلها آيات أدلة تدل على وجود خالقها ومبدعها.

الطالب: ...

الشيخ: هذا يخلط بين معنيين من معاني الآيات، الآيات منها كونية ومنها شرعية، الآيات الشرعية هي كتب الله -عز وجل-، نحن نتحدث هنا عن الآيات الكونية ففيه خلط بين المعنيين.

الطالب: هل هي قاعدة مطردة "كل معطل مشبه، وكل مشبه معطل"؟

الشيخ: نعم، شرحنا هذا أمس هذه قاعدة مطردة "كل معطل مشبه، وكل مشبه معطل".

الطالب: هل الفطرة هي الإسلام بالمعنى العام أم الخاص؟

الشيخ: كيف الخاص يعني؟

الطالب: يعني الإسلام الخاص والعام، الفطرة إذا قلنا هي الإسلام نقول هي الإسلام العام أم الإسلام الخاص؟ يعني الإسلام الذي هو شريعة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أم الإسلام الذي يكون هو التوحيد؟

الشيخ: لا، هي على هذا التفصيل الإسلام العام، الإسلام العام هو دين الأنبياء كلهم؛ ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ والله أعلم.

الطالب: هل يصح الاستدلال بحديث **«أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»** لإثبات رؤية الله -سبحانه وتعالى- يوم القيامة في الجنة؟

الشيخ: الاستدلال بهذا الحديث على الرؤية الله أعلم. ... ما يظهر، الله أعلم.

الطالب: هل وصلنا شيء من كتب بشر المريسي؟

الشيخ: لا إلا هذا الذي ردّ عليه الإمام الدارمي، أنا لم أطلع على شيء من ...

الطالب: الأشاعرة كم طبقة وهل كلهم يؤولون الصفات؟

الشيخ: نعم كلهم يؤولون الصفات، وهم في تأويلهم درجات، هم ثلاث طبقات، الأشعري نفسه له ثلاث طبقات والأشاعرة لهم ثلاث طبقات، الأشعري في طبقاته الثلاث من الأسوأ إلى الأحسن، والأشعرية في طبقاتها الثلاث من الأحسن إلى الأسوأ.

الأشعري نفسه –رحمه الله تعالى- كان معتزليًا ثم كلابيًا ثم سلفيًا، الأشاعرة بدأوا من المرحلة الكلابية؛ كانوا كلابية ثم معتزلة ثم فلسفية، وكلهم يؤولون ولكن هناك تفاوت، الطبقة الأولى كانوا يُثبتون الصفات الخبرية من حيث الجملة، وهذا ذكره شيخ الإسلام في كثير من كتبه وزعم هذا ... أنه يستدرك على شيخ الإسلام في كتاب مطول له في كلام طويل له.

الطبقة الأولى كانوا يُثبتون الصفات الخبرية، ومما دندن حوله أيضًا أن إثباتهم ليس كإثبات أهل السنة وهذا نحن نذكره أيضًا فعلًا إثباتهم ليس كإثبات أهل السنة، ولكن نحن نتحدث عن الإثبات يُثبتون.

الطبقة الثانية بدأ عندها تأويل الصفات الخبرية، وهي تبدأ من الجويني.

الطبقة الثالثة مع التأويل بدأوا يتفلسفون أكثر.

التأويل موجود عندهم في جميع طبقاتهم، والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

للإمام الشيخ

شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني

- رحمه الله -

(المجلس الثالث عشر)

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد محمدي النورستاني

- حفظه الله -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمده ونصلي على رسوله الكريم أما بعد:-

كنا توقفنا عند حديث شيخ الإِسْلَام عن التأويل، وقد تعرض لهذا الموضوع بمناسبة ذكره للفرقة الثالثة وهي فرقة أهل التجهيل، وأهل التجهيل هم المفوضة المفروض أن ننبه على هذا في بداية ذكرهم، ويبدوا أنه فاتني وأحد الأخوة نبهني أهل التجهيل هم المفوضة.

أهل التجهيل استدلوا بقوله سبحانه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾[آل عمران: 7]، استدلوا بهذه الآية وكان استدلالهم على قراءة الوقف على لفظ الجلالة: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾[آل عمران: 7].

يقول المفوضة ما دام أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- يقول: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾[آل عمران: 7]، فلا يجوز أن نخوض فيه ونقول: الله أعلم، ولا نقول: أن هذا معناه كذا وهذا معناه كذا لا، نقول: الله أعلم.

وسبق من مذهبهم أنهم يرون أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَيْضًا ما كان يدري معاني هذه النصوص، وبعضهم يقول: كان يدري ولكنه لم يبينه، المهم هنا هم استدلوا بهذه الآية وهذه الآية يستدل بها المتكلمون الذين يرون التفويض والتأويل مسلكين يجوز أن يسلكا.

المتكلمون من بعد الشهرستاني يرون أن التأويل والتفويض كلاهما مسلكان صحيحان، أما قديمًا فلهم في التفويض مناهج ومسالك وأقوال متضاربة أَحْيَانًا، فأول ما نشأ التفويض نسبوه إلى السلف والمحدثين.

ثم جاء ابن فورك ورد عليهم وقال: مذهب المحدثين ليس التفويض إنما هو التأويل، وألف كتابه "**تأويل مشكل الحديث**" وبناه على هذا وأنهم ليسوا مفوضة وإنما هم مؤولة وابن فورك توفي سنة أربعمائة وستة.

ثم جاء الجويني الجويني كان مأولًا إمام هل التأويل ولكنه في آخر عمره رجع من التأويل إلى التفويض وألف كتابه "**العقيدة النظامية**" ورجح فيه أن التفويض هو الذي يجب أن نسلكه ولا يجوز أن نسلك التأويل وأن هذا هو مذهب السلف.

طَبْعًا أول من نشأ التفويض عندهم هم الحنابلة؛ ثم موقف ابن فورك؛ ثم موقف الجويني، الجويني يرى أن التفويض هو المتعين سلوكه أما التأويل فلا يجوز وله كلامٌ طويل في هذا وأن التفويض هو مذهب السلف.

جاء تلميذه الغزالي ورأي أن التفويض للعوام والتأويل للخواص، وعلى هذا بنى كتابه "**إلجام العوام عن علم الكلام**" وأن العوام لا يجوز أن يسلكوا التأويل أما الخواص فلهم أن يلعبوا بالنصوص كيفما شاءوا بحجة أنهم خواص، إلجام العوام طيب الخواص! لم يذكرهم.

ثم بعد الغزالي انظروا كيف التفاوت هناك في موقفهم من التفويض، بعد الغزالي اتفقوا على أن التأويل والتفويض كلاهما يجوز سلوكهما، وهذا هو مذهب المتكلمين الرسمي إلى الآن، يجوز أن تسلك التفويض ويجوز أن تسلك التأويل.

إلا أن المعتمد عندهم هو التأويل المتأخرون المعتمد عندهم هو التأويل والتفويض لدفع المعترض، تريد السلف خذ التفويض ولا يسلكون التفويض إنما يسلكون التأويل، على كل حال هؤلاء الذين يرون التأويل والتفويض استدلوا بآية آل عمران قَالُوا: الآية فيها قراءتان:

- قراءة فيها الوقف على لفظ الجلالة.
- وقراءة الوقف على ما بعدها.

وكلتا القراءتين نستدل بهما على أحد الوجهين، على قراءة الوقف التفويض، عدم الوقف على لفظ الجلالة التأويل.

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[آل عمران: 7]، هذا دليلٌ على التأويل.

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾[آل عمران: 7]، هنا وقف: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾[آل عمران: 7]، هذا تفويض.

يستدلون بهذه الآية على المسلكين الباطلين من الذي سيكون من الراسخين في العلم؟ هم بدءًا من الجهم ومرورًا بالمريسي. والعلاف والنظام هؤلاء هم الراسخون في العلم، لأن هذا هو مسلكهم.

لذلك كلما يتعرض شيخ الإِسْلَام لمذهب المؤولة والمفوضة يشير إلى معاني التأويل ويشير ولو إشارة خفيفة إلى المعنى الصحيح في هذه الآية على القراءتين، بما أنه كان يتحدث عن التجهيل وعن التفويض وكان قد تحدث عن التأويل فيما سبق جاء إلى هذه الآية.

يقول: وهؤلاء يظنون أنهم اتبعوا قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾[آل عمران: 7]، فإنه وقفٌ كثير من السلف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾[آل عمران: 7]، وهو وقفٌ صحيح لكن لم يفرقوا من لم يفرقوا؟ هؤلاء أهل التجهيل.

يقول: "لم يفرقوا بين معنى الكلام وتفسيره وبين التأويل الذي انفرد -الله تَعَالَى- بعمله، وظنوا أي المفوضة أن التأويل المذكور في كلام -الله تَعَالَى- هو التأويل المذكور في كلام المتأخرين، وغلطوا في ذلك".

الآن يبين ويشرح هذا الغلط وهذا سيتبين بذكر معاني التأويل، لذلك يقول: "**فإن التأويل يراد به ثلاث معانٍ**"، هذا المعاني الثلاثة التي ذكرها شيخ الإِسْلَام هي في الاصطلاح، ومعاني التأويل في اللغة قريبة من هذه المعاني.

من معاني التأويل في اللغة: المرجع والمصير التأويل من الأَوَّلْ وهو الرجوع، يقال: أَوَّل الحكم إلى أهله أي أرجعه إلى أهله ومن هذا قال الشاعر:

على أنّها كانتْ تأوَّل حُبَّها ... تأوَّلَ ربعيّ السَّقابِ، فأصبحا

على أنّها يشير إلى من يحبها على أنّها كانتْ تأوَّل حُبَّها، حال حبها في قلبي في صدري أو حالي مع حبها كان مثل حال ربعيّ السَّقابِ مع أمه، ربعيّ السَّقابِ الربعي هو أول النتاج السَّقابِ ولد الناقة، فأصبحا أي كبر حتى بدأ يصحب أمه.

ولد الناقة كبر تدريجيًا وأنت لا تشعر به أنت الآن الولد لما يكبر تشعر به أنه اليوم زاد كذا سنتيمتر تشعر؟ ما تشعر إلا ويمشي. معك يصحبك وهكذا ولد الناقة بل ولدها كبر حتى بدأ يصحبها؛ قصده هكذا كان حبها في قلبي وأنا ما أدري، تأوَّل ُحبَّها أي مرجعه ومصيره هكذا كان، فالأَّول هو الرجوع فالمرجع والمصير هذا المعنى الأولى.

المعني الثاني: التغيير من معاني التأويل.

المعنى الثالث: الوضوح والظهور يقال: هذا من آل فلان فرق بين الأهل والآل، من آل فلان يَعْنِي ما يخفون على أحد هذا من آل فلان.

أَيْضًا من معاني التأويل لغةً: التفسير، هذه المعاني في اللغة اصطلاحًا ذكر شيخ الإِسْلَام أنه له ثلاث معاني معنيان صحيحان ومعنى باطل، وبدأ بالمعنى الباطل فقال: "**فالتأويل في اصطلاح كثيرٍ من المتأخرين هو: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليلٍ يقترن بذلك**".

في هذا التعريف أمران مهمان:

❍ الأمر الأول: أنه لابد من نقلٍ للفظ عن ظاهره إلى ما يخالفه لابد، إذا لم يكن فيه نقلٌ فليس تأويلًا إذا أبقيته على ظاهره فلا يكون تأويلًا فلابد من النقل هذا أولًا.

❍ الأمر الثاني: لابد من دليلٍ يدل على هذا النقل، إذا توفر دليلٌ صحيح فهذا المعنى هو المعنى الثاني يكون صحيحًا، إذا كان هناك دليلي وقرينة قوية تدل على المعنى المرجوح هنا فالمعنى صحيح.

إلا أن الإشكال هم يذكرون لدليلٍ يقترن بذلك ولا يكون هناك دليلًا، ليلهم دائمًا يرجع إلى تقديم العقل على النقل، لِمَاذَا أولت هنا؟ لأن المعنى الظاهر يستحيل، لِمَاذَا يستحيل؟!

لأنه يستحيل عقلًا هنا هناّ في جميع المواضع دليلهم واحد إِذًا ليس هناك دليل تلاعب هذا تحريف، أما إذا كان هناك دليل فعلًا فليس تأويل إنما هو تفسير والتفسير من معاني التأويل في اللغة وفي الاصطلاح كما سيأتي.

يقول: **"فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهره تأويلًا على اصطلاح هؤلاء"**، والصحيح أنه تأويل بمعنى التفسير والتأويل بمعنى التفسير قد يكون فيه موافقًا لظاهره وقد لا يكون موافقًا لظاهره ليس من الضروري أن يكون مخالفًا لظاهره.

يقول: **"وظنوا أن مراد الله بلفظ التأويل ذلك"**، في قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾[آل عمران: 7]، ظنوا أن المراد بالتأويل هو التأويل في اصطلاح المتأخرين الذي يذكرونه في أصول الفقه ويذكرونه أَيْضًا في علم الكلام.

يقول: **"وأن للنصوص تأويلًا مخالف لمدلولها لا يعلمه إلا الله، أو يعلمه المتأولون"**، إلا الله وأن للنصوص تأويلًا مخالف لمدلولها لا يعلمه إلا الله، طَبْعًا فيه تناقض هم يقعون فيه وهذا ذكره شيخ الإِسْلَام أشير إليه بعد قراءة كلامه.

يقول: **"ثم كثير من هؤلاء يقولون: تجرى على ظاهرها، فظاهرها مراد مع قولهم: إن لها تأويلاً بهذا المعنى لا يعلمه إلا الله، وهذا تناقضٌ وقع فيه كثيرٌ من هؤلاء المنتسبين إلى السنة من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم"**.

المفوض غلطه هنا من وجهين:

❍ الوجه الأول: أنه يظن أن المراد بالتأويل الوارد في الآية هو هذا التأويل الذي يمارسه وليس كذلك.

❍ الوجه الثاني: أن في كلمه تعارضًا وتناقضًا هو من ناحية يقول: أجريه على ظاهره أبقيه على ظاهره، من يقول: أجريه على ظاهره معناه أنه فهم الكلام وتأكد أن ظاهره يليق بالله -عَزَّ وَجَلَّ- ولذلك قال: أجريه على ظاهره أليس كذلك؟ إذا لم يفهم ما الذي يجريه على ظاهره؟!

قوله: أنها تجرى على ظاهره هذا مبنيٌ ومتفرعٌ على فهمه للنص، ما دام أنه فهم فقال: تجرى على ظاهرها، ومن ناحية أخرى يقول: لها تأويلٌ لا يعلمه إلا الله هذا معناه أنك ما فهمت أليس كذلك؟!

لما يقول: لها تأويلٌ بهذا المعنى لا يعلمه إلا الله هذا معناه ايش؟ لم يفهم، وقوله: تجرى على ظاهره هذا معناه أنه فهم وهذا تناقض ولا تستبعد هذا التناقض من المفوض هذا، المفوض هذا الذي مذهبه مبنيٌ على هو بما أنه من أهل التجهيل جاهل ويُجهل جاهل ويظن أن الصَّحَابَة أَيْضًا جُهال مثله نظرتم هذا التناقض كيف؟! نعم.

والمعنى الثاني: أن التأويل هو تفسير الكلام، سواءٌ وافق ظاهره أو لم يوافقه، وهذا هو التأويل في اصطلاح جمهور المفسرين وغيرهم، وهذا التأويل يعلمه الراسخون في العلم، وهو موافقٌ لوقف من وقف من السلف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[آل عمران: 7]، كما نقل ذلك عن ابن عباس، ومجاهد، ومحمد بن جعفر بن الزبير، ومحمد بن إسحاق، وابن قتيبة وغيرهم.

التأويل هنا بمعنى تفسير الكلام وأنت لما تفسر الكلام قد يكون هذا موافقًا للظاهر وقد يكون فيه شيءٌ من الصرف عن ظاهره، لِمَاذَا تصرفه عن ظاهره؟ لدليلٍ موجودٍ في الجملة نفسها والدليل قد يكون لفظيًا وقد يكون عقليًا.

وما دام أن هناك دليل قطعي أو قرينة قوية فلك أن تفسر حسب هذه القرينة، لِمَاذَا تفسر؟ لأنك تحاول فهم مراد المتكلم في قوله سبحانه عن تلك المرأة: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾[النمل: 23]، هل كانت عندها طائرات؟!

إِذًا هذا تخصيص والمخصص عقلي والمقيد عقلي والمفسر هنا والصارف هنا عقلي، أي من تلك الأمور التي كانت متوفرة في ذلك الوقت، أما المخصصات اللفظية الصوارف اللفظية فهي كثيرة مثل المثال الذي ذكرته: ورأيت أسدًا يخطب كلمة يخطب هنا دليل على أن المراد بالأسد الرجل الشجاع وليس السبع المعروف.

يقول: "**وهذا هو التأويل في اصطلاح جمهور المفسرين وغيرهم**"، ابن جرير -رَحِمَهُ الله- دائمًا يقول: وتأول قوله تعالى كذا وكذا بل هو سمى كتابه "**جامع البيان عن تأويل آي القُرْآن**"، وكذلك ابن قتيبة -رَحِمَهُ الله- وهو من أئمة السلف ومن أئمة اللغة ألف كتاب "**تأويل مشكل القُرْآن**" أَيْضًا "**تأويل مختلف الحديث**" والتأويل هنا بمعنى التفسير.

يقول: وهو موافقٌ لوقف من وقف من السلف على قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[آل عمران: 7]، إِذًا الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يعلمون التأويل، يقول: **"كما نُقل ذلك عن ابن عباس، ومجاهد، ومحمد بن جعفر بن الزبير، ومحمد بن إسحاق، وابن قتيبة وغيرهم"**، ابن عباس -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا- نُقلت عنه القراءتان والقراءتان سبعية، القراءتان كلتا القراءتان سبعيتان.

يقول: **"وكلا القولين حقٌّ باعتبار"**، الوقف على لفظ الجلالة وعدم الوقف على لفظ الجلالة كلا القولين حقٌّ باعتبار، على القول الأول على الوقف يكون المراد بالتأويل المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، من ذلك حقائق الصفات حقائق صفات الله -عَزَّ وَجَلَّ- ومن ذلك الغيبيات التي تكون يوم القيامة كلها لا يعلمه إلا الله، على الوقف يكون المراد من التأويل المتشابه.

وعلى عدم الوقف يكون المراد بالتأويل المتشابه النسبي الذي هو متشابه عند بعض الناس ولكن يعلمه الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ وهذا هو المتشابه النسبي، المتشابه النسبي هو متشابه عندك وليس متشابهًا عند أهل العلم.

إِذًا كلا القولين حقٌّ باعتبار: على الوقف المراد به بتأويل المتشابه، وعلى عدم الوقف المراد به المتشابه النسبي أي التفسير: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[آل عمران: 7]، التفسير الذي قد يخفى على بعض الناس ويعلمه الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، طيب أين التأويل الذي ذكره أهل البدع؟ ليس صحيحًا.

يقول: **"كما قد بسطناه في مواضع أُخَر، ولهذا نقل عن ابن عباس هذا وهذا وكلاهما حق"**، المتشابه هذا المعنى سيأتي المعنى الثالث المتشابه أما المتشابه النسبي فهو المعنى التأويل بمعنى التفسير.

يقول: **"والمعنى الثالث: أن التأويل: هو الحقيقة التي يؤول الكلام إليها"**، المعنى الثاني من التأويل يرجع إلى فهم المعنى وتحصيله وهذا يكون بالتفسير، الفرق بين المعنى الثاني

والمعنى الثالث: أن المعنى الثاني يرجع إلى فهم المعنى وتحصيله في الذهن، أما المعنى الأخير الثالث يرجع إلى وقوع حقيقته في الخارج.

يقول: "**التأويل: هو الحقيقة التي يؤول الكلام إليها وإن وافقت ظاهره، فتأويل ما أخبر به في الجنة من الأكل والشرب واللباس والنكاح وقيام الساعة وغير ذلك، هو الحقائق الموجودة أنفسها، لا ما يتصور من معانيها في الأذهان، ويعبر عنه باللسان**".

حتى نفهم هذا جيدًا أشير إلى ما أشرت إليه سابقًا: أن كل ما يكون كلامًا له معنى فَإِنه يتعلق به وجهان من المعنى، كل كلامٍ له معنى نأخذ منه وجهين من المعنى لابد أن نفهم هذا لأن هذا يتكرر.

❍ الوجه الأول: هو المفهوم المحصل في الذهن صورة معنى اللفظ في الذهن، إذا سمعت كلمة الإنسان ينقدح في ذهنك صورة معينة للإنسان أليس كذلك؟ هذا هو المفهوم، أُخبرت عن الجنة وعن بساتينها يأتي في ذهنك أنها ستكون كذا وكذا شيء ما يكون في هذا هو الوجه الأول.

❍ الوجه الثاني: الحقيقة التي تحصل في الخارج، الله -عَزَّ وَجَلَّ- أخبرنا عن صفاته بألفاظٍ تدل على معنى وهذه المعاني مفهومة لنا، سميع بصير والسمع هو إدراك المسموعات والبصر هو إدراك المبصرات فهمنا هذا؛ ولكن كيفية صفاته كيفية استواءه مثْلًا كيفية إرادته كيفية قدرته هل نعلمها؟ ما نعلمها.

أخبار عن النعم في أصناف النعم في الجنة علمنا المعنى العام وأن فيها لبنًا وعسلًا علمناها؛ ولكن هل عرفنا حقائقها! متى نعرفها -إِنْ شَاءَ الله-؟ إذا أكرمنا الله -عَزَّ وَجَلَّ- بالجنة نسأل الله أن يجعلنا من أهل الجنة.

فهناك لما تشاهد تعرف الحقائق المنتشرة بلبن الجنة، ستعرف أن هذا اللبن وأتوا به متشابهًا في اللون مثل لبن الدنيا ولكنه يختلف وكذلك العسل وكذلك غيره، هذا نعرفه أَيْضًا بمعرفة مراتب اليقين اليقينْ لها ثلاث مراتب:

✔ المرتبة الأولى: علم اليقين علم اليقين يحصل بمَاذَا؟ بالخبر يحصل بالخبر والاعتماد فيه يكون على الخبر، أنت تأتمن المخبِر على هذا المخبَر وتثق في كلامه وتعتمد كلامه ويحصل لك علم اليقين، ولا يحصل لك هذا اليقين بسهولة هو مثل الإيمان.

نحن الآن نؤمن بهذه الغيبيات إيمانًا بكلام الله -عَزَّ وَجَلَّ- وبكلام رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أليس كذلك؟ ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (2) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (4) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾[التكاثر: 1 - 5].

الله -عَزَّ وَجَلَّ- هنا يبين أن إيمانكم ليس قويًا، لو كان الإيمان قويًا ما ألهتكم بهذا الشكل، بما أن الإيمان ليس قويًا لِمَاذَا الإيمان ليس قويًا؟ لأن الاعتماد على كلام الله -عَزَّ وَجَلَّ- وكلام رسوله فيه خلل.

كل الغيبيات يجب أن نؤمن بها ما دام هو غيبي ولكن إذا انكشف الأمر لا يبقى للإيمان معنى، فلذلك عند الغرغرة إذا آمن الإنسان عند الغرغرة هو شاهد الحقائق الآن فلذلك إيمانه لا يقبل، إذًا المرتبة الأولى علم اليقين.

✔ المرتبة الثانية: عين اليقين وعين اليقين يحصل بالمشاهدة؛ شاهدت لبن الجنة هنا يحصل عين اليقين وهو أقوى من علم اليقين.

✔ المرتبة الثالثة: حق اليقين يحصل بالتذوق وبالتلبس إذا شربت اللبن يحصل لك حق اليقين، حق اليقين يجمع المرتبتين الأوليين هو مثل الإحسان حق اليقين مثل الإحسان في مراتب الدين.

إذًا الدرجة الأولى التي تحصل الوجه الأول من المعنيين الذي يحصل بسماع الخبر هو المفهوم الذي يتحصل في الذهن، المفهوم المحصل في الذهن من سماع الخبر.

الدرجة الثانية: وقع الخبر مشاهدته لما تشاهد تقول: هذا تأويل، لما تشاهد المشاهدة هي تأويل الخبر نقرأ كلام شيخ الإِسْلَام مرة أخرى.

يقول: "التأويل: هو الحقيقة التي يؤول الكلام إليها وإن وافقت ظاهره، فتأويل ما أخبر به في الجنة من الأكل والشرب واللباس والنكاح وقيام الساعة وغير ذلك، هو الحقائق الموجودة أنفسها"، تلك الحقائق التي لا يمكننا أن نشاهدها الآن هي تلك الحقائق.

يقول: "لا ما يتصور من معانيها في الأذهان، ويعبر عنه باللسان، وهذا هو التأويل في لغة القرآن"، كما قال تعالى عن يوسف -عَلَيْهِ السَّلَام- أنه قال: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾[يوسف:100].

هو رأى رؤية فلما حصل ما حصل قال: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ﴾[يوسف:100]، يَعْنِي رُؤْيَايَ وقعت وهذا وقوعها إي ومن هذا تعبير الرؤية، نحن نقول: عبر أي ما الذي سيكون! ما الذي يشير إليه الرؤية؟!

يقول: وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾[الأعراف:53]، تأويله أي وقوعه هذا فيه تهديد لهم، ما تنتظرون إلا أن يفاجئكم العذاب وأن يقع ما توعدون به أو ما توعدون به.

وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[النساء:59]، أي الآن وعاقبةً.

يقول: "وهذا التأويل هو الذي لا يعلمه إلا الله"، فتأويل الصفات هنا في: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾[آل عمران: 7]، يقول: "**هو الحقيقة التي انفرد الله بعلمها، وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف كمالك وغيره: الاستواء معلوم، والكيف مجهول**".

نحن هل نفوض في المعنى؟ لا نفوض في المعنى نحن نقول كما ذكرنا سابقًا هذه ما أخبرنا به من المغيبات نعلمه من وجه ونجهله من وجه، المعنى نعلمه طيب وما هو التأويل بهذا المعنى؟ حقائقها كيفياتها.

وعنها قال مالك وغيره: "**الاستواء معلوم، والكيف مجهول**"، يَعْنِي هناك شيء نعلمه وشيء لا نعلمه، طيب بعض المتكلمين يقولون: الاستواء معلوم معناه معلومٌ وروده في القُرْآن سبحان الله!!

السائل ذكر الآية ثم سأل عن معناها السائل هل يخفى عليه وروده في القُرْآن؟ فكيف يقول الإِمَام مالك: ترى في هذا في القُرْآن! السائل ذكر الآية وسأله عن الآية؟ إذًا المعلوم هو المعنى والمجهول هو الكيف.

يقول: "**فالاستواء معلوم يعلم معناه وتفسيره ويترجم بلغةٍ أخرى**"، يترجم بلغةٍ أخرى لأن المفهوم معلوم، يقول: "**وأما كيفية ذلك الاستواء، فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا -الله تَعَالَى-**"؛ شيخ الإِسْلَام هنا رد على المفوضة وقال لهم: المراد بالتأويل ليس ذلك التأويل الذي تقصدونه نفس الرد على المتكلمين أَيْضًا نفس الرد على المتكلمين.

يقول: "**وقد رُوي عن ابن عباسٍ -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا- ما ذكره عبد الرزاق**"، عبد الرزاق الصنعاني من أئمة المحدثين ومن أشهرهم في صنعاء سافر الإِمَام أحمد -رَحِمَهُ الله- لأجله سافر إلى صنعاء وأخذ عنه ومصنفه مطبوع، وله تفسير أَيْضًا له تفسير مطبوع في ثلاثة مجلدات.

يقول: "**ما ذكره عبد الرزاق وغيره في تفسيرهم عنه أنه قال: تفسير القرآن على أربعة أوجه**"، طَبْعًا هذا الذي حرفه السروجي الذي رد على شيخ الإِسْلَام هو هذا الكلام، هو لخصه بأن ابن عباس أذن لنا في التأويل.

<u>**يقول: تفسير القُرْآن على أربعة أوجه:**</u>

- تفسيرٌ تعرفه العرب من كلامها، وهذا هو غريب اللغة، إذا لم تفهم الألفاظ ومعانيها ترجع إلى دواوين العرب تعرفه من لغتهم.
- وتفسيرٌ لا يعذر أحدٍ بجهالته، هذه هي الأحكام التي لا يُعذر أحدٌ بجهلها، شخص يأتي ويقول: يا أخي ما هي الصلاة! هل يُعذر إلا إذا كان في بلادٍ نائية مثْلًا حديثو عهدٍ بالإسلام لا نتكلم عنه، شخص يأتي هنا ويقول: ما هي الزكاة؟ لا يُعذر بجهله.
- وتفسيرٌ يعلمه العلماء، هذا تفاصيل الأحكام ودقائق الاستنباط ينفرد بعلمه العُلَمَاء.

❍ وتفسيرٌ لا يعلمه إلا الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وهذا النوع هو حقائق ما أخبر به وكذلك الحكم من شرعه بالتفصيل، نحن إجمالًا نعلم أن أحكام الله -عَزَّ وَجَلَّ- مبنيةٌ على العلل والحكم ولكن هل نعلم الحكم بالتفصيل في كل حكم؟ لا، تفصيلها الله -عَزَّ وَجَلَّ- هو أعلم به.

يقول: "**من ادعى علمه فهو كاذب**"، هذا هو القسم الأخير هو الشاهد في كلام ابن عباس.

يقول: وهذا كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[السجدة:17]، فلا تعلم ولن تعلم إلا إذا شاهدته.

وقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**يقول الله: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عَيْن رأتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَر على قَلْب بَشَر**»، إِذًا كيف سيعلمه؟ لا يمكننا أن نعلمه هذا القسم.

يقول: "**وكذلك عِلْم الساعة ونحو ذلك، فهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله، وإن كنا نفهم معاني ما خوطبنا به، ونفهم من الكلام ما قصد إفهامنا إياه**".

كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[محمد:24].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾[المؤمنون:68]، "**فأمر بتدبر القرآن كله لا بتدبر بعضه**".

هل هناك استثناء؟ ليس هناك استثناء أمرنا بتدبر القُرْآن كله، ولذلك من رأي شيخ الإِسْلَام أنه ليس هناك متشابهٌ في القُرْآن بمعنى ليست هناك جملة لا يفهمها الجميع، لا التشابه عنده إضافي التشابه عنده قد يكون متشابهًا عند هذا وقد لا يكون متشابهًا عند ذاك، الجمل ليس فيها متشابه هذا رأي شيخ الإِسْلَام، فالمتشابه هي حقائق ما أخبر الله عنها وما يتعلق بصفاته ما يتعلق بالميعاد تلك المغيبات التي لا تعلم إلا بالمشاهدة.

يقول: وقال أبو عبد الرحمن السلمي: "**حدثنا الذين كانوا يُقرؤوننا القرآن عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُم- وغيرهما: أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل**".

هذه النصوص كلها هذه الأقوال كلها يذكرها لبيان أن التدبر في القُرْآن مطلوب بل نحن مأمورون به وليس هناك شيءٌ مستثنى من التدبر؛ قالوا: "**فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا**".

يقول: وقال مجاهد وهو من أئمة التفسير ومن أشهر تلاميذ ابن عباس -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا-: «**عرضتُ المصحف على ابن عباس -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا- من فاتحته إلى خاتمته، أقف عند كل آيةٍ أسأله عنها**»، لم يستثني شيئًا.

يقول: وقال الشعبي الشعبيْ أَيْضًا من أئمة التابعين: «**ما ابتدع أحدٌ بدعةً إلا وفي كتاب الله بيانها**»، أَيْضًا لم يستثني.

وقال مسروق مسروقْ بن الأجدع أَيْضًا من التابعين يقول: «**ما قال أصحابُ محمدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن شيءٍ إلا وعِلْمُه في القرآن، ولكن عِلْمُنا قَصُرَ عنه**»؛ أَيْضًا في بيان أن القُرْآن كله نحن أمرنا بتدبره ويمكننا أن نعلمه وهو يتحدث عن المعاني.

يقول: "**وهذا بابٌ واسعٌ قد بُسط في موضعه، والمقصود هنا التنبيه على أُصول المقالات الفاسدة التي أوجبت الضلال في باب العلم والإيمان بما جاء به الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-**".

شيخ الإِسْلَام هنا ذكر الطوائف الثلاثة:

- أهل التخييل.
- وأهل التأويل.
- وأهل التجهيل.

وذكر مذاهبهم بل أَحْيَانًا ذكر اختلافهم فيما بينهم وبين لنا طرق المخالفين، بعد هذا يقول: "**والمقصود هنا التنبيه على أُصول المقالات الفاسدة**"، وهذه المقالات الفاسدة إما ترجع إلى التخييل أو ترجع إلى التأويل أو ترجع إلى التجهيل الذي هو التفويض.

يقول: "**المقالات الفاسدة التي أوجبت الضلال في باب العلم والإيمان بما جاء به الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وأن من جعل الرسول غير عالمٍ بمعاني القرآن الذي أُنزل إليه**"، كما هو مذهب المفوضة المفوضةْ يرون أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- غير عالمٍ بمعاني القُرْآن الذي أُنزل إليه، وفي زعمهم يمدحونه يقولون: نحن نقول هذا حتى لا ننسب إليه كتمان العلم لِمَاذَا ما أخبرنا لأنه ما كان يدري؟ هذا عذره عندهم لذلك هم أصحاب التجهيل يَجهلون ويُجهلون.

يقول: "**غير عالمٍ بمعاني القرآن الذي أُنزل إليه ولا جبريل جعله غير عالمٍ بالسمعيات، لم يجعل القرآن هدى ولا بيانًا للناس**"، هذا الصنف لم يجعل القرآن هدى ولا بيانًا للناس وأي بيانٍ في القُرْآن وأصل الدين فيه غير مفهوم؟!

ذكرت لكم قول ابن القيم -رَحِمَهُ الله- الذي ذكره في طريق الهجرتين ونقله ابن أبي العز في مقدمة شرحه للطحاوية: أن الرسل والأنبياء جاءوا بثلاثة أمور:

- وصف المعبود.
- والطريق إليه.
- وما للواصلِ بعد الوصول.

وصف المعبود قال قُطاع الطريق هنا: هم الجهمية، الله -عَزَّ وَجَلَّ- وصف نفسه وتعرف إلى عباده بذكر أسماءه وصفاته وهؤلاء يقولون: كل ما ذكره أو بعض ما ذكره يؤدي إلى الكفر ويؤدي إلى التشبيه.

وهذه الطرق الثلاثة طريق المجهلة الذين هم المفوضة، وطريق المأولة، وطريق المخيلة أهل التأويل، كلها تمنع من الاهتداء بالقُرْآن وكلها تؤدي إلى هذه النتيجة، كلهم لم يجعلوا القُرْآن هدىً ولا بيانًا للناس.

يقول: ثم هؤلاء رجع إلى المفوضة الذين هم الصنف الأخير ثم هؤلاء الضمير يرجع إلى المفوضة: **"ثم هؤلاء ينكرون العقليات في هذا الباب بالكلية"**، ما دام يرى أن النصوص غير مفهومة المعنى وأنه لا يمكننا معرفة المراد بها ما دام موقفه هكذا فالعقليات عنده كلها سفسطة.

لا يرى أن هناك أدلة عقلية في الكتاب والسنة يقصد العقليات العقلياتْ يقصد بها الأدلة العقلية؛ لا يرى أن هناك أدلة عقلية في الكتاب والسنة لأن هذا الباب عنده مسدود ينكرون العقليات في هذا الباب أي ينكرون الأدلة العقلية في هذا الباب.

يقول: **"فلا يجعلون عند الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأمته في باب معرفة الله -عَزَّ وَجَلَّ- لا علومًا عقليةً ولا سمعية"**، لا علومًا عقلية لأن العلوم السمعية عنده غير مفهومة فمن أين تأتي الأدلة العقلية الشرعية التي نبه إليها القُرْآن! الأدلة العقلية الشرعية التي نبه إليها القُرْآن كلها عنده لِمَاذَا؟ لأن الأدلة السمعية غير مفهومة.

فالأدلة الشرعية العقلية لن تكون مفهومة عنده، واضح بالنسبة للأدلة الشرعية العقلية الأدلة العقلية التي نبه إليها القُرْآن ونبه إليها النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذه الأدلة شرعية باعتبار وعقلية باعتبار، وهذه الأدلة للأسف لا يعيرها المتكلمون اهتمامًا مع أنها هي الأدلة العقلية.

إذا أدرت أن تروض العقل وأن تمنيه فعليك بالأدلة العقلية التي أشار إليها القُرْآن وأشار إليها النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وهي كثيرة جدًا كثيرة في نفس الإنسان وفيما يحيط به في المخلوقات كثيرة جدًا.

يقول: **"فلا يجعلون عند الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأمته في باب معرفة الله-عَزَّ وَجَلَّ- لا علومًا عقليةً ولا سمعية، وهم قد شاركوا في هذا الملاحدة من وجوهٍ متعددة"**.

الملحد لا يرى أن هذه المخلوقات يستفاد منها في الوصول إلى صفات الله -عَزَّ وَجَلَّ-، لا يرى أن هذه المخلوقات آياتٌ تدل على وجود الله -عَزَّ وَجَلَّ- وعلى علمه وعلى قدرته لا يرى هذا، مثل الملحدين المعاصرين كلما جاء العلم الحديث بتفصيلاتٍ

دقيقة عن السنن الكونية رفع عقيدته وقال: ما قلت لكم أن هذه السنن الكونية مرتبطة بعضها ببعض ولا تحتاج إلى مؤثرٍ خارجي!

سبحان الله أين عقلك؟ هذا الإتقان وهذا الربط المحكم هذه السنن الكونية القوية لا تحتاج إلى مؤثر! كلما توصلت إلى تفصيلٍ أدق أنكرت الله -عَزَّ وَجَلَّ- أكثر وهم هكذا.

يقول: "**وهم قد شاركوا في هذا الملاحدة من وجوهٍ متعددة، وهم مخطئون فيما نسبوه إلى الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وإلى السلف من الجهل**"، ما هو هذا الذي تنسبه إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ تنسب إليه الجهل وتنسبه إلى الصَّحَابَة يكفيك أن تنسبه إلى نفسك يكفيك هذا.

أما أن تجعل الجميع وفيهم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وفيه الصَّحَابَة تجعلهم كلهم مثلك! "**كما أخطأ في ذلك أهل التحريف والتأويلات الفاسدة وسائر أصناف الملاحدة**"، هم أَيْضًا أخطئوا لم يدرك لا هؤلاء ولا أولئك لم يدركوا المقصود الصحيح من هذه النصوص، أولئك انحرفوا عنه بالتأويل وهؤلاء انحرفوا عنه بما سموه التفويض.

انتهى شيخ الإِسْلَام من النصف الأول من الكتاب وهذا النصف الباقي أكثره نقول، من هنا في طبعة الدكتور/ حامد التويجري إلى صفحة أربعمائة وأربعة وتسعين، هذا كله فيه نقول عن الأئمة والذين نقل عنهم النصوص يختلفون، بعضهم على طريقة أَهْلِ السُّنَّة معروفون، وبعضهم فيه ما فيه من بعض الخلاف لطريقة أَهْلِ السُّنَّة، ومع ذلك نقل عنهم شيخ الإِسْلَام.

ونبه فيما سيأتي نبه على أمرٍ مهم لأنه نقله عن بعض المتكلمين أو بعض المتصوفة قَالُوا يفهم منه أنه يزكيهم؛ لذلك نبه فيما سيأتي في صفحة أربعمائة وأربعة وتسعين يقول: "**ولكن كثيرٌ من الناس قد صار منتسبًا إلى بعض طوائف المتكلمين، ومحسنًا للظن بهم دون غيرهم، ومتوهمًا أنهم حققوا في هذا الباب ما لم يحققه غيرهم، فلو أُتي بكل آيةٍ ما تبعها حتى يُؤتى بشيءٍ من كلامهم**".

يَعْنِي لابد أن تقول له قال الأشعري وإلا من الصعب عليه، إذا قلت له: قال الله -عَزَّ وَجَلَّ- كذا، قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كذا، قال أبو بكرٍ وعمر -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهم- كذا، لا يزال ينتظر إليك ينتظر، طيب قال الإِمَام أحمد كذا، قال الإِمَام البُخَارِيّ كذا، لا يزال ينتظر، قال الإِمَام الشافعي، قال الإِمَام مالك أبدًا كل هذا لا يحركه.

قال الأشعري نعم كله أُذن فيعلق إيمانه وعقيدته بشخص، ولذلك يقول شيخ الإِسْلَام: نقلت هذه النصوص حتى أقول لك: أن هذا الذي تعتمد كلامه أَيْضًا يثبت الصفات، أي حتى أذكر لك دليلًا من كلام هذا المتبوع ومن كلام هذا الذي تستدل به وفيه إثبات الصفات.

والذين ذكر أقوالهم هم أصناف فيهم أئمة وفيهم بعض من فيه شيء من الخلل في هذا الباب، المهم هنا أن الشاهد من كلامهم والغرض من ذكر كلامهم هو إثباتهم للصفات، لأن السؤال هنا عن إثبات الصفات والسائل هنا يسأل مستبعدًا، أنت لما تتدبر في صيغة السائل يَعْنِي فيه إشارة أن مذهب السلف أَيْضًا هل هناك من يقول به؟ طيب ما دام الأمر وصل إلى هذا فيحشد شيخ الإِسْلَام جميع المدارس لإثبات الصفات.

يقول: **"ونحن نذكر من ألفاظ السلف بأعيانها، وألفاظ من نقل مذهبهم بحسب ما يحتمله هذا الموضع ما يُعلم به مذهبهم"**، يَعْنِي نحن نذكر من ألفاظ السلف بأعيانها، وألفاظ من نقل مذهبهم ما يُعلم به مذهبهم بحسب ما يحتمله هذا الموضع يَعْنِي فيه تقديم وتأخير.

أول نقل ذكره: روى أبو بكر البيهقي في **"الأسماء والصفات"**، قلت لكم: **"الأسماء والصفات"** من المصادر التي فيها أقوال السلف هو أمينٌ في النقل الإِمَام البيهقي، ذكر بإسنادٍ صحيح عن الأوزاعي الأوزاعي هو إمام أهل الشام سيذكر عنه شيخ الإِسْلَام قال: **«كنا والتابعون متوافرون»**.

الأوزاعي من أتباع التابعين توفي سنة مائة وسبعة وخمسين، لاحظوا الصيغة التي يستخدمها الأوزاعي يَعْنِي هكذا كان الأمر كنا، والتابعون متوافرون كُثر ليس واحد أو اثنين كنا نقول: «**إن -الله تَعَالَى- ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته**».

كلمة مختصرة وفيها إجمال في هذا الإجمال: أننا كنا نثبت جميع ما ورد في الكتاب والسنة من صفات الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وذكر صفة العلو خصها بالذكر لما بدأ من التركيز من المبتدعة حول هذه الصفة، نقل قوي لذلك بدأ به النقول لأنه ليس نقلًا عن واحد نقل عن التابعين عن أئمة التابعين والتابعون متوافرون وكنا، من هذا الذي يقول: كنا؟ إمامًا من الأئمة.

يقول: "**فقد حكى الأوزاعي وهو أحد الأئمة الأربعة في عصر تابعي التابعين**"، مثل هذه اللافتات يذكرها شيخ الإِسْلَام أحد الأئمة الأربعة مثْلًا في المدينة، أحد الأئمة الأربعة في عصر تابعي التابعين هذه اللافتات سيذكرها.

يقول: "**أحد الأئمة الأربعة في عصر تابعي التابعين الذين هم مالك إمام أهل الحجاز**"، توفي سنة مائة وتسعة وسبعين.

يقول: "**والأوزاعي إمام أهل الشام**"، توفي سنة مائة وسبعة وخمسين.

يقول: "**والليث إمام أهل مصر**"، توفي سنة خمسٍ وسبعين ومائة يَعْنِي توفي قبل الإِمَام مالك والأوزاعي قبلهم.

يقول: "**والثوري إمام أهل العراق**"، توفي سنة مائة وواحد وستين.

يقول: "**حكى شهرة القول في زمن التابعين بالإيمان بأن الله فوق العرش، وبصفاته السمعية**"، أي بصفاته التي ثبتت في الكتاب والسنة.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

للإمام الشيخ

شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني

- رحمه الله -

(المجلس الرابع عشر)

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد محمدي النورستاني

- حفظه الله -

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(المتن)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، اللّٰهم اغفر لنا ولشيخنا آمين.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: "وَنَحْنُ نَذْكُرُ مِنْ أَلْفَاظِ اَلسَّلَفِ بِأَعْيَانِهَا، وَأَلْفَاظِ مَنْ نَقَلَ مَذْهَبَهُمْ، بِحَسَبِ مَا يَحْتَمِلُهُ هَذَا اَلْمَوْضِعُ مَا يُعْلَمُ بِهِ مَذْهَبُهُمْ.

رَوَى أَبُو بَكْرٍ اَلْبَيْهَقِيُّ فِي اَلْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ اَلْأَوْزَاعِيِّ قَالَ: (كُنَّا وَالتَّابِعُونَ مُتَوَافِرُونَ نَقُولُ: إِنَّ اَللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَنُؤْمِنُ بِمَا وَرَدَتْ بِهِ اَلسُّنَّةُ مِنْ صِفَاتِهِ).

فَقَدْ حَكَى اَلْأَوْزَاعِيُّ، وَهُوَ أَحَدُ اَلْأَئِمَّةِ اَلْأَرْبَعَةِ فِي عَصْرِ تَابِعِي اَلتَّابِعِينَ اَلَّذِينَ هُمْ: مَالِكٌ، إِمَامُ أَهْلِ اَلْحِجَازِ، وَالْأَوْزَاعِيُّ إِمَامُ أَهْلِ اَلشَّامِ، وَاللَّيْثُ إِمَامُ أَهْلِ مِصْرَ، وَالثَّوْرِيُّ إِمَامُ أَهْلِ اَلْعِرَاقِ حَكَى شُهْرَةَ اَلْقَوْلِ فِي زَمَنِ اَلتَّابِعِينَ بِالْإِيمَانِ بِأَنَّ اَللَّهَ فَوْقَ اَلْعَرْشِ، وَبِصِفَاتِهِ اَلسَّمْعِيَّةِ.

وَرَوَى أَبُو بَكْرٍ اَلْخَلَّالُ فِي كِتَابِ اَلسُّنَّةِ عَنْ اَلْأَوْزَاعِيِّ قَالَ: سُئِلَ مَكْحُولٌ وَالزُّهْرِيُّ عَنْ تَفْسِيرِ اَلْأَحَادِيثِ فَقَالَ: أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ".

(الشرح)

مكحول والزهري كلاهما من أئمة التابعين، كلاهما سُئلا "عَنْ تَفْسِيرِ اَلْأَحَادِيثِ فَقَالَ: أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ" هذه الكلمة سيأتي تفسيرها في كلام شيخ الإسلام: "أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ" كيف يكون الإمرار كما جاء.

(المتن)

"وَرَوَى أَيْضًا عَنْ اَلْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: سَأَلْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، وَسُفْيَانَ اَلثَّوْرِيَّ"

(الشرح)

الوليد بن مسلم أيضًا من أئمة التابعين أو أتباع التابعين من الشام.

(المتن)

"وَاللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ، وَالْأَوْزَاعِيَّ عَنْ اَلْأَخْبَارِ اَلَّتِي جَاءَتْ فِي اَلصِّفَاتِ فَقَالُوا: أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ. وَفِي رِوَايَةٍ: فَقَالُوا: أَمِرَّهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفٍ".

(الشرح)

هنا زيادة "**بِلَا كَيْفٍ**" الآن يشرح شيخ الإسلام هذه الجملة، وهذا الشرح مهم؛ لأن "**أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ**" هذه الجملة يستغلها المفوضة، نقول: نمرها كما جاءت، كيف تمرها كما جاءت وأنت عطلتها؟ أنت ما أمررتها كما جاءت.

(المتن)

"**فَقَوْلُهُمْ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمْ أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ رَدٌّ عَلَى اَلْمُعَطِّلَةِ، وَقَوْلُهُمْ بِلَا كَيْفٍ، رَدٌّ عَلَى اَلْمُمَثِّلَةِ**".

(الشرح)

"**أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ**" لأن المعطل لا يمرها كما جاءت؛ لأن هذه فيها معاني، وهذه المعاني يعطلها لا يمرها المعطل، و"**بِلَا كَيْفٍ**" رد على الممثلة لأن الممثل يمرها، ولكن ليس كما جاءت، يمرها على ما يليق بالمخلوقين.

(المتن)

"**وَالزُّهْرِيُّ وَمَكْحُولٌ هُمَا أَعْلَمُ اَلتَّابِعِينَ فِي زَمَانِهِمْ وَالْأَرْبَعَةُ اَلْبَاقُونَ هُمْ أَئِمَّةُ اَلدُّنْيَا فِي عَصْرِ تَابِعِي اَلتَّابِعِينَ.**

وَإِنَّمَا قَالَ اَلْأَوْزَاعِيُّ هَذَا بَعْدَ ظُهُورِ أَمْرِ جَهْمٍ اَلْمُنْكِرِ لِكَوْنِ اَللَّهِ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَالنَّافِي لِصِفَاتِهِ، لِيَعْرِفَ اَلنَّاسُ أَنَّ مَذْهَبَ اَلسَّلَفِ كَانَ خِلَافَ ذَلِكَ".

(الشرح)

الأوزاعي كما قلنا توفي سنة مائة وسبعة وخمسين، وهو بعد ظهور جهم، الجهم الذي قُتل سنة مائة وثمانية وعشرين، وشيخه الجعد قُتل سنة مائة وأربعة وعشرين، في السنة التي توفي الإمام الزهري في قول، على قول: توفي سنة مائة وخمسة وعشرين، وعلى قول: توفي سنة مائة وأربعة وعشرين.

إذًا هذا في زمن واسط التابعي، الجهم هذا قديم، في زمن الزهري، وهو قطعًا قبل الأوزاعي الذي توفي سنة مائة وسبعة وخمسين.

يقول شيخ الإسلام: "**وَإِنَّمَا قَالَ اَلْأَوْزَاعِيُّ هَذَا بَعْدَ ظُهُورِ أَمْرِ جَهْمٍ اَلْمُنْكِرِ لِكَوْنِ اَللَّهِ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَالنَّافِي لِصِفَاتِهِ، لِيَعْرِفَ اَلنَّاسُ أَنَّ مَذْهَبَ اَلسَّلَفِ كَانَ خِلَافَ ذَلِكَ**".

(المتن)

"وَمِنْ طَبَقَتِهِمْ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، وَحَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، وَأَمْثَالُهُمَا".

(الشرح)

حماد بن زيد من أئمة السلف، توفي في السنة التي توفي فيها الإمام مالك، سنة مائة وتسعة وسبعين. وحماد بن سلمة أكبر منهم سنًا.

(المتن)

"رَوَى أَبُو اَلْقَاسِمِ اَلزَّجِّيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ إِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ مَنْ يَدْفَعُ أَحَادِيثَ اَلصِّفَاتِ يَقُولُ: قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: سَنَّ".

(الشرح)

"إِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ مَنْ يَدْفَعُ" أي: من يرد "أَحَادِيثَ اَلصِّفَاتِ" قال يقول.

عمر بن عبد العزيز الخليفة المعروف، وكان أميرًا على المدينة، والإمام مالك كثيرًا ما يستأنس بأقواله، يذكرها، وعمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ له أقوال جميلة جدًّا في باب الصفات، وفي بعض أبواب العقيدة غير الصفات، أحد الإخوة جمع أقواله في رسالة علمية، والرسالة مطبوعة، أقوال عمر بن عبد العزيز، آثاره في العقيدة.

(المتن)

"قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: سَنَّ رَسُولُ اَللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوُلَاةُ اَلْأَمْرِ بَعْدَهُ سُنَنًا".

(الشرح)

"وَوُلَاةُ اَلْأَمْرِ بَعْدَهُ" هم الخلفاء الراشدون، ومن بعدهم، "سَنَّ رَسُولُ اَللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوُلَاةُ اَلْأَمْرِ بَعْدَهُ سُنَنًا" يعني مشوا على منهج، سنوا سننًا، النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سنَّ سننًا ومشى عليه ولاة الأمر بعده والخلفاء الراشدون ومن معهم.

(المتن)

"اَلْأَخْذُ بِهَا تَصْدِيقٌ لِكِتَابِ اَللَّهِ، وَاسْتِكْمَالٌ لِطَاعَةِ اَللَّهِ، وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ اَللَّهِ، لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَغْيِيرُهَا وَلَا اَلنَّظَرُ فِي شَيْءٍ خَالَفَهَا، مَنْ اِهْتَدَى بِهَا فَهُوَ مُهْتَدٍ، وَمَنْ اِسْتَنْصَرَ بِهَا فَهُوَ مَنْصُورٌ، وَمَنْ خَالَفَهَا وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَّاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى وَأَصْلَاهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا.

وَرَوَى اَلْخَلَّالُ بِإِسْنَادٍ كُلُّهُمْ أَئِمَّةٌ ثِقَاتٌ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ: سُئِلَ رَبِيعَةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى 5﴾[طه:5]، كيف استوى؟ قَالَ: اَلِاسْتِوَاءُ

غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَمِنَ اَللَّهِ اَلرِّسَالَةُ وَعَلَى اَلرَّسُولِ اَلْبَلَاغُ اَلْمُبِينُ، وَعَلَيْنَا اَلتَّصْدِيقُ.

وَهَذَا اَلْكَلَامُ مَرْوِيٌّ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ تِلْمِيذِ رَبِيعَةَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ".

(الشرح)

هو أشهر من الإمام مالك، أشهر منسوبًا للإمام مالك، وهو ثابت أيضًا من شيخه ربيعة، توفي سنة مائة وستة وثلاثين، والإسناد كما يقول شيخ الإسلام: "كُلُّهُمْ أَئِمَّةٌ ثِقَاتٌ" في هذا السند، والسند ينتهي إلى ابن عيينة، وهو أحد السفيانين، وينقل عن ربيعة.

(المتن)

"مِنْهَا: مَا رَوَاهُ أَبُو اَلشَّيْخِ اَلْأَصْبَهَانِيُّ، وَأَبُو بَكْرٍ اَلْبَيْهَقِيُّ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى قَالَ: كُنَّا عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى 5﴾".

(الشرح)

يحيى بن يحيى هما اثنان، وكلاهما إمامان، يحيى بن يحيى النيسابوري، ويحيى بين يحيى الليثي، لا أدري أيهما، كلاهما راويا الموطئ، يحيى بن يحيى النيسابوري، وهذا يروي الإمام البخاري الموطأ عن طريقه، يحيى بن يحيى النيسابوري، يروي الموطأ عن طريقه، الإمام البخاري، ويحيى بن يحيى الليثي أصغر منه، وهو من المغرب، وروايته هي المعروفة؛ لأنه من تلاميذه المتأخرين، وكلاهما أئمة لا يضر الجهل بالتحديد هنا.

(المتن)

"قَالَ: كُنَّا عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى 5﴾ كَيْفَ اِسْتَوَى؟ فَأَطْرَقَ مَالِكٌ بِرَأْسِهِ حَتَّى عَلَاهُ اَلرُّحَضَاءُ".

(الشرح)

طبعًا هذه الحالة تدل على أن هذا السؤال كان بالنسبة للسؤال مالك كما يقال الآن "صاروخ"، سبحان الله، "أَطْرَقَ مَالِكٌ بِرَأْسِهِ حَتَّى عَلَاهُ اَلرُّحَضَاءُ" العرق، هذا يدل على أنه فوجئ بشيء ثقيل، ثم قال...

(المتن)

"**فَأَطْرَقَ مَالِكٌ بِرَأْسِهِ حَتَّى عَلَاهُ اَلرُّحَضَاءُ، ثُمَّ قَالَ: اَلِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَمَا أَرَاكَ إِلَّا مُبْتَدِعًا، فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُخْرَجَ**".

(الشرح)

"**فَأَمَرَ بِهِ**" أو "**فَأُمِرَ بِهِ**" هنا اللفظ مختلف، "**اَلِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ**" غير مجهول يعني معلوم، نفس المعنى، ثم قال: "**وَمَا أَرَاكَ إِلَّا مُبْتَدِعًا**" لماذا؟ لأنه سأل هذا السؤال الذي لا ينبغي أن يُطرح هذا السؤال: كيف استوى؟ لماذا تسأل هذا السؤال؟ ولذلك كما ذكرنا سابقًا: "**وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ**" لأمرين:

- لأن الصحابة ما سألوا هذا السؤال.
- والأمر الثاني: أنه سؤال عما لا يمكننا أن نعرفه.

(المتن)

"**فَقَوْلُ رَبِيعَةَ وَمَالِكٍ: اَلِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، مُوَافِقٌ لِقَوْلِ اَلْبَاقِينَ: أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفٍ، فَإِنَّمَا نَفَوْا عِلْمَ اَلْكَيْفِيَّةِ، وَلَمْ يَنْفُوا حَقِيقَةَ اَلصِّفَةِ**".

(الشرح)

هنا هذا التعليق من أهم التعليقات لشيخ الإسلام في تفسير هذه النصوص: "**وَلَوْ كَانَ اَلْقَوْمُ**" هنا نكتب رقم (1)، "**وَأَيْضًا فَإِنَّهُ لَا يُحْتَاجُ إِلَى**" نكتب رقم (2)، "**وَأَيْضًا: فَإِنَّ مَنْ يَنْفِي**" هنا نكتب رقم (3)، "**وَأَيْضًا: فَقَوْلُهُمْ: أَمِرُّوهَا**" هنا نكتب رقم (4). هذه الوجوه الأربعة يفسِّر بها شيخ الإسلام هذا الكلام.

كما قلت: هذا الكلام يستغله المفوضة: "**أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ**" دائمًا يقولون: أمروها، كيف أنت أمررتها وأنت عطلتها وأنت المدلول الذي تدل عليه هذه النصوص لم تمره، ما أمررت؟ فما معنى هذه الألفاظ؟

(المتن)

"**وَلَوْ كَانَ اَلْقَوْمُ قَدْ آمَنُوا بِاللَّفْظِ اَلْمُجَرَّدِ مِنْ غَيْرِ فَهْمٍ لِمَعْنَاهُ عَلَى مَا يَلِيقُ بِاَللَّهِ لَمَا قَالُوا: اَلِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ ، وَلَمَا قَالُوا: أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفٍ؛ فَإِنَّ اَلِاسْتِوَاءَ حِينَئِذٍ لَا يَكُونُ مَعْلُومًا بَلْ مَجْهُولاً بِمَنْزِلَةِ حُرُوفِ اَلْمُعْجَمِ**".

(الشرح)

هذا أولاً، هو لمَّا يقول: "**أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفٍ**"، ولمَّا يقول: الاستواء معلوم أو "**اَلِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ**" معناه: أنه يفهم معناه، ولو كانوا مؤمنين باللفظ المجرد من غير فهمٍ لمعناه على ما يليق بالله عَزَّ وَجَلَّ، ما الذي كان يمرونه؟ هناك شيء لابد أن تمرره، ما هو؟ الذي لا يفهم شيئًا لا يجوز له أن يقول: "**أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ**" هل يقصد الألفاظ؟ هل هناك من يقول: اللفظ هذا لا يُذكر ولا ينطق؟ لا، المفوضة كلهم يقولون: القرآن وخاصة نصوص الصفات، تتلى ونحن متعبدون بالتلاوة، ما الذي منعه فلان حتى تقول أمره؟ هناك شيء منعه فلان، وهو المبتدع، يأتي الإمام ويقول: أمره، ما هو هذا؟ هل هو اللفظ؟ هو يقول: اللفظ هذا نحن متعبدون بالتلاوة ونحن نذكره.

بالنسبة للأحاديث تجده يقول: هذه الألفاظ لا تذكر عند الأبواب، في الأحاديث، أما الآيات هذه الألفاظ لا يمكنه أن يقول: لا تقرأ هذه الآيات، لا يمكنه، إذًا ما هو الشيء الذي مُنع حتى تقول أمره؟ هو المفهوم والمعنى، هذا أولاً.

(المتن)

"**وَأَيْضًا فَإِنَّهُ لَا يُحْتَاجُ إِلَى نَفْيِ عِلْمِ اَلْكَيْفِيَّةِ، إِذَا لَمْ يُفْهَمْ مِنْ اَللَّفْظِ مَعْنًى، وَإِنَّمَا يُحْتَاجُ إِلَى نَفْيِ عِلْمِ اَلْكَيْفِيَّةِ إِذَا أُثْبِتَتْ اَلصِّفَاتُ**".

(الشرح)

الذي يقول بلا كيف، هذا ينفي شيئًا، وهذا النفي مترتب على فهم شيء، إذا لم تفهم شيئًا فما الذي تنفيه بقولك: بلا كيف؟ أنت فهمت المعنى، ثم تظن أن هناك من يقول من قد يظن أن هذا المعنى هو ما يليق بالمخلوق، والكيفية معلومة، مادام علمت المعنى فالكيفية أيضًا معلومة، قد يقول هذا، فتقول له: اقتصر على المعنى بلا كيف، تتوقف في الكيفية، أمرها كما جاءت، هي جاءت هكذا، المطلوب هنا فهم المعنى، أما الكيف والحقائق، كيفيات أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ وصفاته هذه لا تُعلم.

فهم شيئًا فنفى عنه شيئًا، وإذًا فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم من اللفظ معنى، وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أُثبتت الصفات، فإنما يحتاجه إذا أثبتت الصفات، إذا أثبت الصفة وأثبت المعنى تنفي الكيفية.

ثالثًا؟

(المتن)

"وَأَيْضًا: فَإِنَّ مَنْ يَنْفِي اَلصِّفَاتِ اَلْخَبَرِيَّةَ، أَوْ اَلصِّفَاتِ مُطْلَقًا لاَ يَحْتَاجُ أَنْ يَقُولَ: بِلَا كَيْفٍ، فَمَنْ قَالَ: إِنَّ اَللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَيْسَ عَلَى اَلْعَرْشِ، لَا يَحْتَاجُ أَنْ يَقُولَ: بِلَا كَيْفٍ، فَلَوْ كَانَ مِنْ مَذْهَبِ اَلسَّلَفِ نَفْيُ اَلصِّفَاتِ فِي نَفْسِ اَلْأَمْرِ لَمَا قَالُوا: بِلَا كَيْفٍ".

(الشرح)

لو كان مذهب السلف نفي الصفات لماذا يقول: "**بِلَا كَيْفٍ**"؟ ما الذي أثبته حتى تقول أستثني الكيف؟ تستثني عن ماذا؟ لماذا تقول: "**بِلَا كَيْفٍ**"؟ ما الذي أثبته حتى تقول: "**بِلَا كَيْفٍ**"؟ عند كل شيء بلا بلا بلا بلا، ما أثبت شيئًا من الصفات، فإن من ينفي الصفات الخبرية أو الصفات مطلقًا لا يحتاج أن يقول: "**بِلَا كَيْفٍ**"، هو عنده الله عَزَّ وَجَلَّ ليس على العرش، هل يصح أن يقول: ليس على العرش بلا كيف؟ الكيف هذا يُنفى عن شيء أثبته، فمن نفى لا يحتاج أن يقول: بلا كيف.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: "وَأَيْضًا: فَقَوْلُهُمْ: أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ. يَقْتَضِي إِبْقَاءَ دَلَالَتِهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهَا جَاءَتْ أَلْفَاظًا دَالَّةً عَلَى مَعَانٍ، فَلَوْ كَانَتْ دَلَالَتُهَا مُنْتَفِيَةً لَكَانَ اَلْوَاجِبُ أَنْ يُقَالَ: أَمِرُّوا أَلْفَاظَهَا مَعَ اِعْتِقَادِ أَنَّ اَلْمَفْهُومَ مِنْهَا غَيْرُ مُرَادٍ، أَوْ أَمِرُّوا أَلْفَاظَهَا مَعَ اِعْتِقَادِ أَنَّ اَللَّهَ لاَ يُوصَفُ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ حَقِيقَةً، وَحِينَئِذٍ فَلَا تَكُونُ قَدْ أُمِرَّتْ كَمَا جَاءَتْ، وَلَا يُقَالُ حِينَئِذٍ بِلَا كَيْفٍ، إِذْ نَفْيُ اَلْكَيْفِيَّةِ عَمَّا لَيْسَ بِثَابِتٍ لَغْوٌ مِنَ اَلْقَوْلِ".

(الشرح)

هذا الوجه أيضًا من أهم الوجوه هذه، يقول شيخ الإسلام هنا: "**أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ. يَقْتَضِي إِبْقَاءَ دَلَالَتِهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهَا جَاءَتْ أَلْفَاظًا دَالَّةً عَلَى مَعَانٍ**" ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى 5﴾ يقول الأئمة: أمروها كما جاءت، كيف جاءت؟ جاءت ألفاظًا تدل على معاني، هنا أمران: هي جاءت ألفاظ دالةً على معاني، هذا الذي يقول أمروها: لو أراد المعنى لقيده ولو أراد اللفظ فقط -كما يقول المفوضة- لقيده، لقال: أمروا ألفاظها كما جاءت، حتى يكون واضحًا في نفي المعنى.

أما أنه يقول: أمروها، وهي ألفاظ تدل على معنى، وأنت تأتي تقول: مادام قال: أمروها، أنا أفوِّض، كيف تفوض؟ هو عنده أمران: الألفاظ تدل على؟ واضح يا مشايخ؟ فلا يستقيم أن يقول: أمروها فيها تفويض، لا يستقيم.

يقول: "**أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ. يَقْتَضِي إِبْقَاءَ دَلَالَتِهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهَا جَاءَتْ أَلْفَاظًا دَالَّةً عَلَى مَعَانٍ، فَلَوْ كَانَتْ دَلَالَتُهَا مُنْتَفِيَةً لَكَانَ اَلْوَاجِبُ أَنْ يُقَالَ: أَمِرُّوا أَلْفَاظَهَا مَعَ اِعْتِقَادِ أَنَّ اَلْمَفْهُومَ مِنْهَا غَيْرُ مُرَادٍ، أَوْ أَمِرُّوا أَلْفَاظَهَا مَعَ اِعْتِقَادِ أَنَّ اَللَّهَ لاَ يُوصَفُ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ حَقِيقَةً**" لابد أن يكون واضحًا في نفي المعنى، وإلا لابد أن تمرها كما جاءت، لفظ ومعنى.

"**وَحِينَئِذٍ**" لو قال أمروا ألفاظها فقط "**فَلَا تَكُونُ قَدْ أُمِرَّتْ كَمَا جَاءَتْ**" أبدًا، هو قيدها، أثبت شيئًا ونفى شيئًا، لم يمرها كما جاءت، وسيكون متناقضًا في كلامه، يقول: أمروها وهو ينفي شيئًا مما جاءت به وهو المعنى.

"**وَلَا يُقَالُ حِينَئِذٍ بِلَا كَيْفٍ**" لماذا؟ "**إِذْ نَفْيُ اَلْكَيْفِيَّةِ عَمَّا لَيْسَ بِثَابِتٍ لَغْوٌ مِنَ اَلْقَوْلِ**" هو لمَّا قال: أمروا ألفاظها، والألفاظ لا تدل على شيء ما أثبت شيئًا، فلماذا ينفي الكيفية؟ "**نَفْيُ اَلْكَيْفِيَّةِ عَمَّا لَيْسَ بِثَابِتٍ لَغْوٌ مِنْ اَلْقَوْلِ**" مادام أمرَّ اللفظ واللفظ لا يدل على شيء، لا يثبت شيئًا، لماذا تقول بلا كيف؟

هذا التوضيح الذي ذكره شيخ الإسلام توضيح مهم جدًّا بالوجوه الأربعة هذه، المفوضة دائمًا يستدلون بمثل هذه، هناك قول للإمام أحمد، قول للوليد بن مسلم، أقوال كثيرة، أقوال السلف، يستدلون بها على التفويض، كيف تستدل بها على التفويض؟ هو يقول: أمرها وأنت لا تمرها.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: "**وَرَوَى اَلْأَثْرَمُ فِي اَلسُّنَّةِ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ بَطَّةَ فِي اَلْإِبَانَةِ، وَأَبُو عُمَرَ الطَّلَمَنْكِيُّ وَغَيْرُهُمْ، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ الْمَاجِشُونِ- وَهُوَ أَحَدُ أَئِمَّةِ اَلْمَدِينَةِ اَلثَّلَاثَةِ**".

(الشرح)

عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون هو من أهل المدينة، ثم رحل إلى بغداد، بقي فيها إلى أن توفي، ورواية أهل العراق عنه أكثر من أهل المدينة، وهو أحد فقهاء أهل المدينة، توفي سنة أربعٍ وستين ومائة، يعني قبل الإمام مالك، الإمام مالك توفي سنة مائة وتسعة وسبعين، يعني توفي قبله، وهناك ابن الماجشون من تلاميذ الإمام مالك، وهذا ابن الماجشون قرينه.

(المتن)

"وَهُوَ أَحَدُ أَئِمَّةِ اَلْمَدِينَةِ اَلثَّلَاثَةِ اَلَّذِينَ هُمْ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَابْنُ الْمَاجِشُونِ، وَابْنُ أَبِي ذِئْبٍ– وَقَدْ سُئِلَ فِيمَا جَحَدَتْ بِهِ اَلْجَهْمِيَّةُ".

(الشرح)

ابن أبي ذئب توفي سنة مائة وتسعة وخمسين، يعني توفي قبلهم، قبل الاثنين، "**وَقَدْ سُئِلَ فِيمَا جَحَدَتْ بِهِ اَلْجَهْمِيَّةُ، فقال**" هذا من أطول النصوص التي نقلها شيخ الإسلام، سيأتي هناك نقل لابن خفيف وهو من الصوفية، وهذا النقل من أطول النصوص التي نقلها شيخ الإسلام من هؤلاء الأئمة.

وابن الماجشون هنا يركز على الإثبات والنفي، يركز على أنك لا يجوز أن تثبت إلا إذا ورد الدليل، في الإثبات تعتمد على الدليل، وفي النفي تعتمد على الدليل.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: "**أَمَّا بَعْدُ: فَقَدْ فَهِمْتُ مَا سَأَلْتَ عَنْهُ فِيمَا تَتَايعَتْ اَلْجَهْمِيَّةُ**".

(الشرح)

التتايع الوقوع في الشر من غير فكرة ولا روية، هذا صحيح، في بعض النسخ: "**فيما تتابعت**" هذا أيضًا صحيح.

(المتن)

"فَقَدْ فَهِمْتُ مَا سَأَلْتَ عَنْهُ فِيمَا تَتَايعَتْ اَلْجَهْمِيَّةُ وَمَنْ خَالَفَهَا، فِي صِفَةِ اَلرَّبِّ اَلْعَظِيمِ".

(الشرح)

في نسخة: "**ومن خلفها**"، أظن هذا أصح: "**ومن خلفها**" يعني: الجهمية ومن خلفها أي: من تبعهم في هذا من المعتزلة وغيرهم.

الطالب: ...؟

الشيخ: الذين خالفوهم نحن، من خالفهم هم أهل السنة.

(المتن)

"**وَمَنْ خَلفهَا، فِي صِفَةِ اَلرَّبِّ اَلْعَظِيمِ اَلَّذِي فَاقَتْ عَظَمَتُهُ اَلْوَصْفَ وَالتَّقْدِيرَ**".

(الشرح)

"**فَاقَتْ عَظَمَتُهُ اَلْوَصْفَ وَالتَّقْدِيرَ**" مهما حاولت أن تعظم الله عَزَّ وَجَلَّ وأن تثني عليه، لا يمكنك أن تصفه وتقدر عظمته؛ لذلك «**لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**».

(المتن)

"**وَكَّلَتْ اَلْأَلْسُنُ عَنْ تَفْسِيرِ صِفَتِهِ**".

(الشرح)

الكلال هو التعب، "**عَنْ تَفْسِيرِ صِفَتِهِ**" أي: عن تفسير بيان كيفيات صفاته.

(المتن)

"**وَانْحَصَرَتْ اَلْعُقُولُ دُونَ مَعْرِفَةِ قدره**".

(الشرح)

انحصرت أيضًا تعبت العقول دون معرفة قدره، لا يمكن للعقول أن تصل إلى كنه عظمته، منتهى قدره، لا يمكن.

(المتن)

"**وَانْحَصَرَتْ اَلْعُقُولُ دُونَ مَعْرِفَةِ قدره وَرَدَّتْ عَظَمَتُهُ اَلْعُقُولَ**".

(الشرح)

"**وَرَدَّتْ عَظَمَتُهُ اَلْعُقُولُ**" هكذا الصحيح، نحن عندنا العكس، كيف في نسخة الدكتور الغامدي؟

الطالب: ...

الشيخ: نعم، هذا لا يستقيم، "**وَرَدَّتْ عَظَمَتُهُ اَلْعُقُولُ فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغًا**" بعض العقول ردت وأنكرت عظمته، "**فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغًا فَرَجَعَتْ خَاسِئَةً وَهِيَ حَسِيرَةٌ**" أما العكس ما أدري، قد يكون لا يتضح لي.

"**وَرَدَّتْ عَظَمَتُهُ**" لأنه بيَّن عظمة الله عَزَّ وَجَلَّ وأنه لا يمكن أن نصل إلى كنه عظمته، ثم تحدث عمن ينكر عظمته، "**وَرَدَّتْ عَظَمَتُهُ اَلْعُقُولُ**" بعض العقول "**فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغًا فَرَجَعَتْ خَاسِئَةً وَهِيَ حَسِيرَةٌ**".

(المتن)

"**وَرَدَّتْ عَظَمَتُهُ اَلْعُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغًا فَرَجَعَتْ خَاسِئَةً وَهِيَ حَسِيرَةٌ، وَإِنَّمَا أُمِرُوا بِالنَّظَرِ وَالتَّفَكُّرِ فِيمَا خُلِقَ بِالتَّقْدِيرِ، وَإِنَّمَا يُقَالُ كَيْفَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ ثُمَّ كَانَ**".

(الشرح)

من الذي يقال له كيف؟ لمن لم يكن ثم كان، يعني الحوادث يقال: كيف؟ ما كان ثم كان يقال له: كيف صار؟

(المتن)

"**فَأَمَّا اَلَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، وَلَمْ يَزَلْ، وَلَيْسَ لَهُ مِثْلٌ، فَإِنَّهُ لا يَعْلَمُ كَيْفَ هُوَ إِلَّا هُوَ، وَكَيْفَ يُعْرَفُ قَدْرُ مَنْ لَمْ يَبْدَأْ وَمَنْ لَمْ يَمُتْ، وَلَا يَبْلَى وَكَيْفَ يَكُونُ لِصِفَةِ شَيْءٍ مِنْهُ حَدٌّ أَوْ مُنْتَهًى**".

(الشرح)

حدٌّ يعني: نهاية، تقول: هذه الصفة منتهاها كذا، علمه منتهاه كذا، قدرته منتهاها كذا، يعني "**وَكَيْفَ يَكُونُ لِصِفَةِ شَيْءٍ مِنْهُ حَدٌّ أَوْ مُنْتَهًى يَعْرِفُهُ عَارِفٌ**".

(المتن)

"**وَكَيْفَ يَكُونُ لِصِفَةِ شَيْءٍ مِنْهُ حَدٌّ أَوْ مُنْتَهًى يَعْرِفُهُ عَارِفٌ أَوْ يَحُدُّ قَدْرَهُ وَاصِفٌ؟**".

(الشرح)

الاستفهام هنا إنكاري، لا يمكن.

(المتن)

"**عَلَى أَنَّهُ اَلْحَقُّ اَلْمُبِينُ**".

(الشرح)

إي، يقول: هذا النفي لا يدل على أنه ليس موجودًا، لا، "**عَلَى أَنَّهُ اَلحَقُّ اَلْمُبِينُ**".

(المتن)

"**لَا حَقَّ أَحَقَّ مِنْهُ، وَلَا شَيْءَ أَبْيَنَ مِنْهُ، اَلدَّلِيلُ عَلَى عَجْزِ اَلْعُقُولِ عَنْ تَحْقِيقِ صِفَتِهِ عَجْزُهَا عَنْ تَحْقِيقِ صِفَةِ أَصْغَرِ خَلْقِهِ**".

(الشرح)

يقول من الأدلة على "**عَجْزِ اَلْعُقُولِ عَنْ تَحْقِيقِ صِفَتِهِ عَجْزُهَا عَنْ تَحْقِيقِ صِفَةِ أَصْغَرِ خَلْقِهِ**" من أصغر خلق الله النمل هذا، إلى الآن العلماء يبحثون في خصائصه ولم يصلوا إلى، الذرة التي هي أصغر خلق الله، والخلية لازالت البحوث تتابع، ما كتب عن الذرة شيء مهول، مع ذلك لم يصل العلماء إلى كثيرٍ من حقائقه، وهو أصغر مكوناته هذه الأجسام.

أنت حالك هكذا، ثم تبدأ تصف الله عَزَّ وَجَلَّ بما لم يصف به نفسه، وتريد أن تصل إلى حقيقته، حقائق صفاته.

(المتن)

"**لاَ تَكَادُ تَرَاهُ صِغَرًا يَحُولُ وَيَزُولُ وَلَا يُرَى لَهُ سَمْعٌ وَلَا بَصَرٌ، لَمَا يَتَقَلَّبُ بِهِ وَيَحْتَالُ مِنْ عَقْلِهِ**".

(الشرح)

أصغر خلقه صفته لا تكاد تراه صغرًا يحول ويزول، هذا الصغير يحول ويزول ولا يرى له سمع ولا بصر من صغره.

طبعًا هكذا عندي: "**لَمَا يَتَقَلَّبُ**" وفي نسخة الدكتور عبد القادر عند قوله لما، يقول في نسخة "**فما**"، وهذا الذي يستقيم، "**فَمَا يَتَقَلَّبُ بِهِ وَيَحْتَالُ مِنْ عَقْلِهِ أَعْضَلُ بِكَ وَأَخْفَى عَلَيْكَ مِمَّا ظَهَرَ مِنْ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ**" هذا المخلوق مثلاً النمل متصف بصفاتٍ غريبة النمل هذا.

يقول: "**لاَ تَكَادُ تَرَاهُ صِغَرًا**" مخلوقات أصغر منه أيضًا "**يَحُولُ وَيَزُولُ وَلَا يُرَى لَهُ سَمْعٌ وَلَا بَصَرٌ**" لا تكاد ترى سمعه ولا بصره كيف هذه أذنه وعينه؟ لا تكاد تراه، "**فَمَا يَتَقَلَّبُ بِهِ**" هذا المخلوق الصغير "**وَيَحْتَالُ مِنْ عَقْلِهِ**" أنت رأيتم النمل هذا كيف يحتال ويرتب أموره كيف؟ بعقله، يقول: هذا "**أَعْضَلُ بِكَ وَأَخْفَى عَلَيْكَ مِمَّا ظَهَرَ مِنْ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ**" ما يظهر لك أقل بكثير مما لا يظهر لك من هذا المخلوق الصغير، تريد أن تعرف حقائق وصفات الله عَزَّ وَجَلَّ.

الطالب: يا شيخ، ويحتال من عَقلَه.

الشيخ: لا، "مِنْ عَقْلِهِ" الصفة كلها ترجع إلى هذا المخلوق الصغير، "فَمَا يَتَقَلَّبُ بِهِ وَيَحْتَالُ مِنْ عَقْلِهِ" يعني بعقله "أَعْضَلُ بِكَ" أعضل يعني من العضل أعضل بي الأمر، وأعضل بي وأعضلني، اشتد وغلظ واستغلق.

(المتن)

"فَمَا يَتَقَلَّبُ بِهِ وَيَحْتَالُ مِنْ عَقْلِهِ أَعْضَلُ بِكَ وَأَخْفَى عَلَيْكَ مِمَّا ظَهَرَ مِنْ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ، فَتَبَارَكَ اَللَّهُ أَحْسَنُ اَلْخَالِقِينَ وَخَالِقُهُمْ وَسَيِّدُ اَلسَّادَاتِ، وَرَبُّهُمْ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ 11﴾[اَلشُّورَى:11]".

(الشرح)

يقول: اشتغل بهذه المخلوقات الصغيرة، وانظر: هل ستصل إلى نهايات صفاتها؟ هل ستعرفها على الحقيقة كلها؟

(المتن)

"اِعْرِفْ–رَحِمَكَ اَللَّهُ– غِنَاكَ عَنْ تَكَلُّفِ صِفَةِ مَا لَمْ يَصِفْ اَلرَّبُّ مِنْ نَفْسِهِ بِعَجْزِك عَنْ مَعْرِفَةِ قَدْرِ مَا وُصِفَ مِنْهَا".

(الشرح)

"وَصَفَ منها" يقول: الله عَزَّ وَجَلَّ وصف نفسه بصفات، في هذه الصفات لا يمكنك أن تصل إلى حقائقها، في هذه الصفات كما قلنا: شيء نعلمه وشيء لا نعلمه، يقول: اعتبر به، ولا تتجاوز إلى ما لم يصف به نفسه، هذا الذي وصفه لم تعرفه، فكيف تصفه بما لم يصف به نفسه، **"اِعْرِفْ غِنَاكَ عَنْ تَكَلُّفِ صِفَةِ مَا لَمْ يَصِفْ اَلرَّبُّ مِنْ نَفْسِهِ بِعَجْزِك عَنْ مَعْرِفَةِ قَدْرِ مَا وَصَفَ مِنْهَا"** الصفات التي ذكرها لا يمكنك أن تصل إلى حقائقها، وبالتالي لا تكلف في وصفه بما لم يصف به نفسه.

(المتن)

"إِذَا لَمْ تَعْرِفْ قَدْرَ مَا وُصِفَ فَمَا تَكَلُّفُكَ عِلْمَ مَا لَمْ يَصِفْ، هَلْ تَسْتَدِلُّ بِذَلِكَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ طَاعَتِهِ".

(الشرح)

"إِذَا لَمْ تَعْرِفْ قَدْرَ مَا وُصِفَ فَمَا تَكَلُّفُكَ عِلْمَ مَا لَمْ يَصِفْ" ما الذي أوردك هذا؟

(المتن)

"هَلْ تَسْتَدِلُّ بِذَلِكَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ طَاعَتِهِ أَوْ تَنْزَجِرُ بِهِ عَنْ شَيْءٍ مِنْ مَعْصِيَتِهِ".

(الشرح)

إذًا فما الفائدة في هذا التكلف، تصفه بما لم يصف به نفسه؟ ما الذي تستفيد فيه؟ ما الذي تستفيد منه؟

(المتن)

"فَأَمَّا اَلَّذِي جَحَدَ مَا وَصَفَ اَلرَّبُّ مِنْ نَفْسِهِ تَعَمُّقًا وَتَكَلُّفًا فَقَدْ ﴿اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾[الْأَنْعَامُ: 71]".

(الشرح)

هناك تحدث عن وصفه بما لم يصف به نفسه، الآن يتكلم عن نفي ما وصف به نفسه، "فَأَمَّا اَلَّذِي جَحَدَ مَا وَصَفَ اَلرَّبُّ مِنْ نَفْسِهِ تَعَمُّقًا وَتَكَلُّفًا" يستلزم كذا ويستلزم كذا وينفي، فَقَدْ ﴿اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾.

(المتن)

"فَصَارَ يَسْتَدِلُّ بِزَعْمِهِ عَلَى جَحْدِ مَا وَصَفَ اَلرَّبُّ وَسَمَّى مِنْ نَفْسِهِ بِأَنْ قَالَ: لَا بُدَّ مَنْ كَانَ لَهُ كَذَا مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ كَذَا".

(الشرح)

يقول: إثبات هذه الصفات يستلزم كذا وكذا إن كان كذا فسيكون كذا وكذا، الاستواء يستلزم كذا وكذا، والإرادة تستلزم كذا وكذا، والمحبة تستلزم كذا وكذا، اللوازم التي يذكرها، يقول: "فَصَارَ يَسْتَدِلُّ بِزَعْمِهِ عَلَى جَحْدِ مَا وَصَفَ اَلرَّبُّ وَسَمَّى مِنْ نَفْسِهِ بِأَنْ قَالَ: لَا بُدَّ مَنْ كَانَ لَهُ كَذَا" إن أثبت له كذا وكذا سيكون له كذا وكذا، إذا أثبت له العلو هذا يستلزم الحيِّز والمكان، ويستلزم الإشارة، وحدة جسمية، وهذا تشبيه.

(المتن)

"فَعَمِيَ عَنْ اَلْبَيِّنِ بِالْخَفِيِّ".

(الشرح)

فعمي عن البيِّن الذي بينه الله عَزَّ وَجَلَّ بالخفي الذي يزعمه يستلزم يستلزم، من الذي ذكر لك هذا؟ "**فَعَمِيَ عَنْ اَلْبَيِّنِ بِالْخَفِيِّ**"

(المتن)

"**وَجَحَدَ مَا سَمَّى اَلرَّبُّ مِنْ نَفْسِهِ بِصَمْتِ اَلرَّبِّ**".

(الشرح)

"**بِصَمْتِ اَلرَّبِّ**" أي: بعدم ذكر الرب، بسكوت الرب، طبعًا صفة السكوت فيها خلاف، وهنا يريد أن يقول: "**وَجَحَدَ مَا سَمَّى اَلرَّبُّ مِنْ نَفْسِهِ بِصَمْتِ اَلرَّبِّ عَمَّا لَمْ يُسَمِّ مِنْهَا**" الله عَزَّ وَجَلَّ لم يذكر في كتابه ولا رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الله عَزَّ وَجَلَّ يوصف بالجسمية أو لا يوصف بالجسمية، الله عَزَّ وَجَلَّ لم يذكر هذا، فما سماه به الله عَزَّ وَجَلَّ ما سمى نفسه به وذلك رسوله ما سمى ربه به جحده بصمت الرب عما لم يسمِّ منها، كالجسمية مثلاً، الله عَزَّ وَجَلَّ لم يذكر هذا، ما ذكره تجحده لأجل ما لم يذكره، تقول مثلاً: لا أستطيع أن أثبت صفة العلو لأنه يستلزم الجسمية، طيب، الجسمية لم يذكرها الله عَزَّ وَجَلَّ، التركيب، هذه أمور لم يذكرها الله عَزَّ وَجَلَّ، ما ذكره تجحده لأجل ما لم يذكره.

"**مَا سَمَّى اَلرَّبُّ مِنْ نَفْسِهِ**" أي: ما أثبته الله عَزَّ وَجَلَّ، "**بِصَمْتِ اَلرَّبِّ عَمَّا لَمْ يُسَمِّ مِنْهَا**" أي: بما لم يذكره عن نفسه، كالجسمية وغيرها.

(المتن)

"**بِصَمْتِ اَلرَّبِّ عَمَّا لَمْ يُسَمِّ مِنْهَا فَلَمْ يَزَلْ يُمْلِي لَهُ اَلشَّيْطَانُ حَتَّى جحَدَ قَوْلَ اَلرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ:** ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ 22 إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ 23﴾[اَلْقِيَامَةُ: 22 – 23]".

(الشرح)

إي، هذه الاستلزامات، يستلزم، يستلزم هذا أوصله إلى إنكار الرؤية، ومن الذي أنكر الرؤية؟ المعتزلة والجهمية، ومتأخرو الأشاعرة.

(المتن)

"**فَقَالَ: لَا يَرَاهُ أَحَدٌ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ، فَجَحَدَ – وَاَللَّهِ – أَفْضَلَ كَرَامَةِ اَللَّهِ اَلَّتِي أَكْرَمَ بِهَا أَوْلِيَاءَهُ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ مِنْ اَلنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ، وَنَظْرَتَهُ إِيَّاهُمْ**".

(الشرح)

هم ينظرون إليه، من النظر إلى وجهه، وهو ينظر إليهم في حال يكونون ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ 55﴾[اَلْقَمَر: 55]، أنكر هذا كله.

(المتن)

"**وَنَظْرَتَهُ إِيَّاهُمْ ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ 55﴾[اَلْقَمَر: 55]. وَقَدْ قَضَى أَنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فَهُمْ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ يَنْضُرُونَ**".

(الشرح)

"**فَهُمْ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ يَنْضُرُونَ**" هنا يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ 22﴾ ستكتسب النضرة، من ماذا؟ ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ 23﴾ مادام أنها تنظر إلى رب العالمين، إلى وجهه الكريم، فسيكتسبون بهذه الرؤية النضرة.

يقول: "**فَهُمْ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ يَنْضُرُونَ**" يكتسبون النضر بالنظر إلى وجه الله عَزَّ وَجَلَّ، نسأل الله بأسمائه وصفاته ألا يحرمنا من هذه النعمة.

(المتن)

"**إِلَى أَنْ قَالَ: وَإِنَّمَا جَحَدَ رُؤْيَةَ اَللَّهِ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ إِقَامَةً لِلْحُجَّةِ اَلضَّالَّةِ اَلْمُضِلَّةِ**".

(الشرح)

"**إِقَامَةً لِلْحُجَّةِ اَلضَّالَّةِ اَلْمُضِلَّةِ**" هو ينكر هذه الرؤية، وبما أنه ينكر يقيم الحجة وهي حجة باطلة على أن الجميع لن يروه؛ لأنهم لو رأوه سيكون هذا حجة عليهم.

(المتن)

"**لِأَنَّهُ قَدْ عَرَفَ إِذَا تَجَلَّى لَهُمْ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ رَأَوْا مِنْهُ مَا كَانُوا بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ مُؤْمِنِينَ وَكَانَ لَهُ جَاحِدًا**".

(الشرح)

وكان له هو جاحدا.

(المتن)

"**وَقَالَ اَلْمُسْلِمُونَ: يَا رَسُولَ اَللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اَللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اَلشَّمْسِ»**".

(الشرح)

«هَلْ تُضَارُّونَ» وفي رواية: «هَلْ تُضَامُّونَ»، «هَلْ تُضَارُّونَ» من الضرر، هل يحلقكم الضرر في رؤيته؟ « فِي رُؤْيَةِ اَلشَّمْسِ دُونَهَا سَحَابٌ»، هل يلحقكم الضرر في رؤيتكم للشمس؟ لا، كل واحد ينظر إلى الشمس من مكانه، «هَلْ تُضَامُّونَ» هل ينضم بعضكم إلى بعض في رؤيته للقمر أو إلى الشمس؟ لا، وهكذا.

(المتن)

"فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اَلشَّمْسِ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اَلْقَمَرِ لَيْلَةَ اَلْبَدْرِ دُونَهُ سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَذَلِكَ»".

(الشرح)

شبه الرؤية بالرؤية في ماذا؟ في الوضوح والجلاء، وفي كونها من فوق، نحن نرى الشمس من فوق أو من تحت؟ وهكذا سنرى إن شاء الله نرى الله عَزَّ وَجَلَّ من فوق، أيضًا التشبيه في الوضوح، «تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَذَلِكَ» وليس التشبيه للمرئي بالمرئي، التشبيه هنا للرؤية بالرؤية.

(المتن)

"وَقَالَ رَسُولُ اَللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَمْتَلِئُ اَلنَّارُ حَتَّى يَضَعَ اَلْجَبَّارُ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ قَطْ قَطْ، وَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ»".

(الشرح)

«وَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ» وبالتالي المكان الذي يزيد عليهم ينتهي، هذا بالنسبة لجهنم، أما بالنسبة للجنة سيبقى فيها فضل، والله عَزَّ وَجَلَّ ينشئ لها خلقًا آخرين، أما النار لا ينشئ لها أحد، هذا ليس من عدل الله عَزَّ وَجَلَّ، «وَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ» أي: يلتقي طرفاها، فلا يبقى فيها فضل، «لا تزال النار تقول: هل من مزيد؟ هل من مزيد؟ حتى يضع الجبَّار فيها قدمه فتقول: قط قط».

وفيه إثبات صفة القدم.

(المتن)

"وَقَالَ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُ: «لَقَدْ ضَحِكَ اَللَّهُ مِمَّا فَعَلْتَ بِضَيْفِك اَلْبَارِحَةَ»".

(الشرح)

الحديث له قصة طويلة، ذكره البخاري ومسلم، الشاهد هنا: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «لَقَدْ ضَحِكَ اَللَّهُ مِمَّا فَعَلْتَ بِضَيْفِك اَلْبَارِحَةَ» وفيه: إثبات صفة الضحك، وهي من الصفات الفعلية.

(المتن)

"وَقَالَ فِيمَا بَلَغَنَا: «إِنَّ اَللَّهَ لَيَضْحَكُ مِنْ أَزَلِكُمْ وَقُنُوطِكُمْ»".

(الشرح)

«مِنْ أَزَلِكُمْ» الأزل هو الضيق والشدة، «مِنْ أَزَلِكُمْ وَقُنُوطِكُمْ وَسُرْعَةِ إِجَابَتِكُمْ» الله عَزَّ وَجَلَّ يعلم أن إجابتكم قريب، وأن المطر سينزل قريبًا، ولمَّا ينظر إلى حالكم ترون أن المطر نحن هرمنا منه ولن ينزل المطر، يأس، الله عَزَّ وَجَلَّ يعلم أن بعد دقائق سينزل المطر، فـ«إِنَّ اَللَّهَ لَيَضْحَكُ مِنْ أَزَلِكُمْ» أي: من قنوطكم لأنكم ما تدرون أن الفرج قريب.

الشاهد هنا: إثبات صفة الضحك.

(المتن)

"وَقَالَ فِيمَا بَلَغَنَا: «إِنَّ اَللَّهَ لَيَضْحَكُ مِنْ أَزَلِكُمْ وَقُنُوطِكُمْ وَسُرْعَةِ إِجَابَتِكُمْ»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ اَلْعَرَبِ: إِنَّ رَبَّنَا لَيَضْحَكُ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: لَا نَعْدَمُ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا".

(الشرح)

طبعًا هذا حديث أبي زرين وفيه خلاف في ثبوته، كثير من المحدثين ضعفوه، وشيخ الإسلام ابن القيم يحسنه.

(المتن)

"فِي أَشْبَاهٍ لِهَذَا مِمَّا لَمْ نُحْصِهِ".

(الشرح)

طبعًا هذا هو ذكر بعض الأحاديث، والآن يذكر بعض الآيات.

(المتن)

"وَقَالَ اَللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ 11﴾[الشُّورى:11]، ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[الطُّور: 48]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي 39﴾[طَه: 39]، وَقَالَ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص:75]، وَقَالَ: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ 67﴾[الزُّمَر: 67]".

(الشرح)

هذا فيه إثبات القبضة، وإثبات صفة اليد، ما قبلها أيضًا: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، ما قبله إثبات صفة العينين لله عَزَّ وَجَلَّ.

(المتن)

"وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ 67﴾، فَوَاَللَّهِ مَا دَلَّهُمْ عَلَى عِظَمِ مَا وَصَفَ مِنْ نَفْسِهِ، وَمَا تُحِيطُ بِهِ قَبْضَتُهُ إلَّا صَغُرَ نَظِيرُهَا مِنْهُمْ عِنْدَهُمْ".

(الشرح)

"إلَّا صَغُرَ نَظِيرُهَا مِنْهُمْ عِنْدَهُمْ" أنت الآن لمَّا تريد أن تقبض على شيء، ما الذي عساه أن تقبضه؟ تستطيع أن تقبض مثلاً الطاولة هذه؟

يقول المؤلف: إذا أردت أن تعرف عظمة الله عَزَّ وَجَلَّ انظر إلى صغر ذاتك وصفاتك، والله عَزَّ وَجَلَّ كما في هذه الآية: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ﴾ السماوات السبع، ﴿مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾، يقول: "فَوَاَللَّهِ مَا دَلَّهُمْ عَلَى عِظَمِ مَا وَصَفَ مِنْ نَفْسِهِ، وَمَا تُحِيطُ بِهِ قَبْضَتُهُ إلَّا صَغُرَ نَظِيرُهَا مِنْهُمْ عِنْدَهُمْ".

الطالب: ...؟

الشيخ: أليس الإنسان أيضًا عنده اليدين؟ وماذا عساه أن يقبض بيديه؟ صفات الله عَزَّ وَجَلَّ مما له نظير في المخلوق ليست مثل ما هو عند المخلوق، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ 11﴾ [الشورى: 11]، فسمع الإنسان وبصر الإنسان سمع وبصر، ولكن هل هو مثل سمع وبصر الله عَزَّ وَجَلَّ؟

الطالب: أحسن الله إليك، "أَلْقَى فِي رُوْعِهِمْ" أو "رَوْعِهِمْ"؟

الشيخ: "رَوْعِهِمْ".

(المتن)

"إِنَّ ذَلِكَ اَلَّذِي أَلْقَى فِي رَوْعِهِمْ، وَخَلَقَ عَلَى مَعْرِفَةِ قُلُوبِهِمْ، فَمَا وَصَفَ اَللَّهُ مِنْ نَفْسِهِ فَسَمَّاهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمَّيْنَاهُ كَمَا أَسَمَّاهُ".

(الشرح)

هنا قبل "سَمَّيْنَاهُ" لو تكتبون نقطتين: "فَمَا وَصَفَ اَللَّهُ مِنْ نَفْسِهِ فَسَمَّاهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ:" هنا نقطتين: "سَمَّيْنَاهُ كَمَا أَسَمَّاهُ" نتبعه على تسميته له، وإثباته لأسمائه وصفاته.

(المتن)

"وَلَمْ نَتَكَلَّفْ مِنْهُ صِفَةَ مَا سِوَاهُ–لَا هَذَا وَلَا هَذَا–".

(الشرح)

"لَا هَذَا وَلَا هَذَا" شرحه فيما بعد: "لَا نَجْحَدُ"؟

(المتن)

"لَا نَجْحَدُ مَا وَصَفَ وَلَا نَتَكَلَّفُ مَعْرِفَةَ مَا لَمْ يَصِفْ".

(الشرح)

في الإثبات والنفي نتقيد بالنصوص.

(المتن)

"اِعْلَمْ رَحِمَكَ اَللَّهُ–أَنَّ اَلْعِصْمَةَ فِي اَلدِّينِ أَنْ تَنْتَهِيَ فِي اَلدِّينِ حَيْثُ اِنْتَهَى بِكَ".

(الشرح)

"حَيْثُ اِنْتَهَى بِكَ" الدين الدليل، "حَيْثُ اِنْتَهَى بِكَ" تنتهي.

(المتن)

"وَلَا تُجَاوِزْ مَا حُدَّ لَكَ فَإِنَّهُ مِنْ قِوَامِ اَلدِّينِ مَعْرِفَةُ اَلْمَعْرُوفِ وَإِنْكَارُ اَلْمُنْكَرِ، فَمَا بُسِطَتْ عَلَيْهِ اَلْمَعْرِفَةُ وَسَكَنَتْ إِلَيْهِ اَلْأَفْئِدَةُ وَذُكِرَ أَصْلُهُ فِي اَلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَتَوَارَثَ عِلْمَهُ اَلْأُمَّةُ، فَلَا تَخَافَنَّ فِي ذِكْرِهِ وَصِفَتِهِ مِنْ رَبِّكَ مَا وَصَفَهُ مِنْ نَفْسِهِ عَيْبًا، وَلَا تُكَلِّفَنَّ لِمَا وَصَفَ لَكَ مِنْ ذَلِكَ قَدْرًا".

(الشرح)

"فَمَا بُسِطَتْ عَلَيْهِ اَلْمَعْرِفَةُ" اكتب هنا (1)، "وَسَكَنَتْ إِلَيْهِ اَلْأَفْئِدَةُ" اكتب (2)، "وَذُكِرَ أَصْلُهُ فِي اَلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ" اكتب (3)، "وَتَوَارَثَ عِلْمَهُ اَلْأُمَّةُ" اكتب هنا (4).

يقول: إذا توفرت هذه الأمور الأربعة "**بُسِطَتْ عَلَيْهِ اَلْمَعْرِفَةُ**" أي: توفرت المعرفة ووسائل المعرفة الموجودة وعرفتها، بسط المعرفة أي: المعرفة الجيدة، "**وَسَكَنَتْ إِلَيْهِ اَلْأَفْئِدَةُ**" هذه المعرفة سكن إليها فؤادك، "**وَذُكِرَ أَصْلُهُ فِي اَلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ**" هذا هو المهم، "**وَتَوَارَثَ عِلْمَهُ اَلْأُمَّةُ**" إذا توفرت هذه الأمور الأربعة "**فَلَا تَخَافَنَّ فِي ذِكْرِهِ**" اذكره وأنت مطمئن القلب، "**فَلَا تَخَافَنَّ فِي ذِكْرِهِ وَصِفَتِهِ مِنْ رَبِّكَ مَا وَصَفَهُ مِنْ نَفْسِهِ**" أيضًا، لا تخاف، أن يستلزم "**عَيْبًا**" أبدًا إذا ثبت في الكتاب والسنة، لا تعتقد أنه سيستلزم عيبًا.

مثل ما ذكرنا سابقًا: كلام الله عَزَّ وَجَلَّ وكلام رسوله لا يستلزم إلا الحق، طبعًا المتكلمون لازالوا يخوفونه إذا قلت أنه علي .. يخوفون، لا تبالي بما يذكرون، أي اذكر هذا الحق ولم يستلزم عيبًا؛ لأنهم يقولون: إذا أثبت العلو هذا يستلزم الحد ويستلزم المكانية، ويسرد لك فهرسًا طويلاً لك من اللوازم الباطلة، يقول المؤلف: لا تبالي بها، بشرط أن تتوفر هذه الأمور الأربعة.

(المتن)

"**وَلَا تُكَلِّفَنَّ لِمَا وَصَفَ لَكَ مِنْ ذَلِكَ قَدْرًا**".

(الشرح)

ما وصف به نفسه، لا تتكلف في تحديده، أن هذا معناه كذا وكذا وتتكلف في بيان معناه، لا؛ لأن ما وصف الله عَزَّ وَجَلَّ نفسه لن نصل إلى معرفة حقائقه أبدًا، لا تتكلف لا في هذا ولا في هذا.

(المتن)

"**وَمَا أَنْكَرَتْهُ نَفْسُك، وَلَمْ تَجِدْ ذِكْرَهُ فِي كِتَابِ رَبِّكَ وَلَا فِي اَلْحَدِيثِ عَنْ نَبِيِّكَ–مِنْ ذِكْرِ رَبِّكَ– فَلَا تَتَكَلَّفَنَّ عِلْمَهُ بِعَقْلِك**".

(الشرح)

"**فَلَا تَتَكَلَّفَنَّ عِلْمَهُ بِعَقْلِك**" لا تقل لا، ليس هناك دليل، ولكن عقلي يوصل، لا لا، "**لَا تَتَكَلَّفَنَّ عِلْمَهُ بِعَقْلِك**".

(المتن)

"وَلَا تَصِفْهُ بِلِسَانِكَ وَاصْمُتْ عَنْهُ كَمَا صَمَتَ اَلرَّبُّ عَنْهُ مِنْ نَفْسِهِ، فَإِنَّ تَكَلُّفَكَ مَعْرِفَةَ مَا لَمْ يَصِفْ مِنْ نَفْسِهِ كَإِنْكَارِكَ مَا وَصَفَ مِنْهَا".

(الشرح)

يقول: تكلفك في وصفه بما لم يصف به نفسه مثل إنكارك لما وصف به نفسه، لا هذا ولا هذا، ركِّز على هذين النقطتين في الإثبات والنفي.

يقول: "**فَإِنَّ تَكَلُّفَكَ مَعْرِفَةَ مَا لَمْ يَصِفْ مِنْ نَفْسِهِ**" تقول: عقلي يدل على كذا وعقل فلان يدل على كذا، لا، هذا مثل إنكارك لما وصف منها.

(المتن)

"فَكَمَا أَعْظَمْتَ مَا جَحَدَ اَلْجَاحِدُونَ مِمَّا وَصَفَ مِنْ نَفْسِهِ".

(الشرح)

"**فَكَمَا أَعْظَمْتَ مَا جَحَدَ اَلْجَاحِدُونَ**" ما جحده الجاحدون أنت عظمته واعتبرته خطيرًا، واعتبرته خطيئةً، فكما عظمت ما جحده الجاحدون مما وصف من نفسه فكذلك؟

(المتن)

"فَكَذَلِكَ أَعْظِمْ تَكَلُّفَ مَا وَصَفَ اَلْوَاصِفُونَ مِمَّا لَمْ يَصِفْ مِنْهَا".

(الشرح)

أي: اجعله أيضًا خطيرًا، اعتبره أيضًا خطيرًا.

(المتن)

"فَقَدْ-وَاَللَّهِ- عَزَّ اَلْمُسْلِمُونَ اَلَّذِينَ يَعْرِفُونَ اَلْمَعْرُوفَ وَبِمَعْرِفَتِهِمْ يُعْرَفُ".

(الشرح)

إي، الله عَزَّ وَجَلَّ أعز المسلمين الذين يعرفون المعروف، وبمعرفتهم يُعرف، نحن إذا أردنا أن نعرف المعروف ننظر إلى السلف، أليس كذلك معرفتهم حجة لنا.

(المتن)

"وَيُنْكِرُونَ اَلْمُنْكَرَ وَبِإِنْكَارِهِمْ يُنْكَرُ، وَيَسْمَعُونَ مَا وَصَفَ اَللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ هَذَا فِي كِتَابِهِ، ومَا يَبْلُغُهُمْ مِثْلُهُ عَنْ نَبِيِّهِ، فَمَا مَرِضَ مِنْ ذِكْرِ هَذَا وَتَسْمِيَتِهِ قَلْبُ مُسْلِمٍ".

(الشرح)

"فَمَا مَرِضَ مِنْ ذِكْرِ هَذَا وَتَسْمِيَتِهِ قَلْبُ مُسْلِمٍ" أبدًا، قلب المسلم لا يمرض من ذكر ما ورد في الكتاب والسنة من وصف الله عَزَّ وَجَلَّ وتسميته، هو يعرِّض بالمتكلمين؛ لأن ما ورد في الكتاب والسنة يمرضهم، يستشكلون.

(المتن)

"وَلَا تَكَلَّفَ صِفَةَ قُدْرَةٍ وَلَا تَسْمِيَةَ غَيْرِهِ مِنَ الرَّبِّ مُؤْمِنٌ.

وَمَا ذُكِرَ عَنَ اَلرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سَمَّاهُ مِنْ صِفَةِ رَبِّهِ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَا سَمَّى وَمَا وَصَفَ اَلرَّبُّ مِنْ نَفْسِهِ".

(الشرح)

يعني: ما ثبت في السنة مثل ما ثبت في القرآن.

(المتن)

"وَالرَّاسِخُونَ فِي اَلْعِلْمِ–اَلْوَاقِفُونَ حَيْثُ اِنْتَهَى عِلْمُهُمْ، اَلْوَاصِفُونَ لِرَبِّهِمْ بِمَا وَصَفَ مِنْ نَفْسِهِ، اَلتَّارِكُونَ لِمَا تَرَكَ مِنْ ذِكْرِهَا– لَا يُنْكِرُونَ صِفَةَ مَا سَمَّى مِنْهَا جَحْدًا، وَلَا يَتَكَلَّفُونَ وَصْفَهُ بِمَا لَمْ يُسَمِّ تَعَمُّقًا، لِأَنَّ اَلْحَقَّ تَرْكُ مَا تَرَكَ وَتَسْمِيَةُ مَا سَمَّى".

(الشرح)

يعني: إثبات ما أثبت ونفي ما نفى.

(المتن)

"﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا 115﴾[النِّسَاء: 115]. وهب الله لنا ولكم حكمه وألحقنا بالصالحين.

وَهَذَا كُلُّهُ كَلَامُ اِبْنِ الْمَاجِشُونَ فَتَدَبَّرْهُ، وَانْظُرْ كَيْفَ أَثْبَتَ اَلصِّفَاتِ وَنَفَى عِلْمَ اَلْكَيْفِيَّةِ مُوَافِقًا لِغَيْرِهِ مِنْ اَلْأَئِمَّةِ وَكَيْفَ أَنْكَرَ عَلَى مَنْ نَفَى اَلصِّفَاتِ بِأَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْ إِثْبَاتِهَا كَذَا وَكَذَا كَمَا تَقُولُهُ اَلْجَهْمِيَّةُ: أَنَّهُ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا أَوْ عَرَضًا فَيَكُونُ مُحْدَثًا".

(الشرح)

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

غدًا لن آتي، سآتي إن شاء الله يوم الأربعاء، غدًا عندي درس غبت عنه أسبوعين، فإن شاء الله آتي يوم الأربعاء، ويوم الأربعاء نحدد كم بقي؟ وكيف نكمله؟

الأسئلة

السؤال: أحسن الله إليكم، ما موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من قضية حوادث لا أول لها؟

الجواب: شيخ الإسلام يرى أنَّ المقدمة الخامسة التي ذكرها المتكلمون في دليل الحدوث هذه مقدمة باطلة، المقدمة الخامسة وفيها أن الحوادث لها بداية، هم يقولون في هذه المقدمة: امتناع حوادث لا أول لها، أي: الحوادث لها بداية.

فيقول شيخ الإسلام: طيب، من متى البداية؟ من خلق هذا العالم المشهود، طيب قبل خلق هذا العالم المشهود؟ يقولون: الله عَزَّ وَجَلَّ كان معطلاً عن الفعل، هذا يقوله الجميع: الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، كلهم يقولونه، فيقول شيخ الإسلام: أنت الآن تحكم على الله عَزَّ وَجَلَّ أنه ما كان يفعل شيئًا، تحكم عليه بهذا، تعطله عن الفعل، بأي دليل؟ قال: بهذه المقدمة، هذه المقدمة دليل؟ فمثلاً: هو يحدد أن المخلوقات هذه في الزمن الماضي تستمر إلى هنا، من هنا كان الله عَزَّ وَجَلَّ لا يفعل ولا يعمل ولا يخلق، من هنا، يقول له شيخ الإسلام: طيب، ما قبله؟ يقول: ما قبله ما كان يخلق، فنقول له: هذا التحديد باطل.

فإن قال المتكلم: طيب، نحدد قبله هنا، نقول له: هذا أيضًا باطل. طيب قبله؟ هذا أيضًا باطل، قبله؟ هذا أيضًا باطل، كيف تحدد؟ هذا الذي نسميه تسلسل الحوادث في الماضي، ليس هناك حد تحدده إلا وهو باطل، إلى متى؟ ما ندري، هذا الذي نسميه تسلسل الحوادث.

السؤال: والمقدمات الأربعة صحيحة؟

الجواب: كلها باطلة، فيها شيء من البطلان، لكن هذه المسألة تتعلق بالمقدمة الخامسة.

هذه القضية قضية الربوبية، لا الألوهية، المتكلم يقول: الله عَزَّ وَجَلَّ قبل هذه السنوات ما كان يعمل، والمدة التي تتحدث عنها مدة لا تُتخيل، هب أن هذا العالم خُلق قبل أربع مليارات من السنين، كما يقوله الفيزيائيون، قبل أربع مليارات من السنين، طيب

قبلها؟ من هناك إلى الأزل لو ضربت المليار في مليار ليس بشيء، في تلك المدد تقول: الله عَزَّ وَجَلَّ ما كان يفعل! أين الدليل؟

فنحن نقول: أي حد تحدده ليس بصحيح، مع أن المخلوقات كلها مبدوءة بالعدم مسبوقة بالعدم، هم يتهمون شيخ الإسلام أنه يقول بقدم العالم، لأنه رد عليهم في هذا، ليس هو فقط، غيره، هذا مذهب أهل السنة، إلا أن التعبير عنه بهذا لأن شيخ الإسلام يقول لهم، يعني هم يقولون: هذا يستلزم تسلسل الحوادث، نقول لهم: حتى لو استلزم، نحن لم نأتِ بهذا من، هو يقول: طيب يستلزم، المهم أن الله عَزَّ وَجَلَّ لم يكن معطلاً عن الفعل.

السؤال: يقول السائل: ما الفرق بين أهل التأويل وبين القسم الأول من أهل التخييل، الذين قالوا: بأن الله لم يعلم الحقائق على ما هي عليه؟

الجواب: الفرق بينهما: أن أهل التخييل يرون أن هذه الظواهر باطلة، مع ذلك يجب أن نعتقدها، وأهل التأويل يرون أن هذه الظواهر باطلة، ولكن لا يجوز لنا أن نعتقدها، طيب ما الذي نعتقده؟ المعنى الذي يأتي به بالتأويل.

السؤال: يقول السائل: أحسن الله إليكم، هل هناك رد من أهل السنة والجماعة على كتاب "**نقض التدمرية**" لسعيد فودة؟

الجواب: إي، رد عليه أحد الإخوة، ماهر عبد الكريم "**الانتصار للتدمرية**" كتاب بهذا الحجم، كتاب جميل جدًّا، يعني ناقشه بالتفصيل، وقرأت الكتاب، ما شاء الله الكتاب اجتهد فيه.

وكتابات سعيد فودة لا تحتاج إلى ... ما يكتبه سعيد فودة استخرج منها الكذبات فقط، عُد من بداية الكتاب إلى ... دأبه الكذب.

السؤال: يقول السائل: كيف يمكن الاستفادة من كتاب "**الموسوعة العقدية**"؟

الجواب: "**الموسوعة العقدية**" مرتب على الحروف، مثلاً تريد أن تبحث عن صفة الاستواء حرف الألف، وبعده الألف والسين، مرتب على الحروف، وهي السلسلة الأولى بعدها سلسلة المذاهب وأيضًا الملل والنحل، كلها ستصدر، هذه السلسلة الأولى.

السؤال: يقول السائل: أحسن الله إليكم، ما هو الضابط بكون هذا الشخص من الطبقة المتقدمة أو من المتأخرة في طبقات المتكلمين من الأشاعرة وغيرهم؟

الجواب: بالنسبة للأشاعرة الأئمة في كل طبقة معروفون، مثلاً الطبقة الثانية إمامها الجويني، فلا يمكن أن يكون واحد أكبر من الجويني في هذه الطبقة، فيه قبل الجويني عبد القاهر أيضًا له بعض المواقف من الجويني، ولكن الجويني هو يمثل هذه الطبقة، ومن بعده تلاميذه الغزالي وأيضًا الشهرستاني وبعده الغامدي، لا، هؤلاء قبل الغامدي، طبعًا هذا ينظر، يعني ليس هناك ضابط يعرفك به، تنظر في الطبقات وتعرف.

السؤال: يقول السائل: هل فرقة التجهير فيه المفوضة؟

الجواب: هم المفوضة.

السؤال: يقول السائل: أحسن الله إليكم، هل في اللغة العربية مجازًا؟

الجواب: الصحيح: أن المجاز هذا الذي سُمي مجازًا وله منظومة خاصة، تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز، بهذه المنظومة ليست في اللغة، كما حققه شيخ الإسلام، شيخ الإسلام حقق هذا في كتابه "**كتاب الإيمان**" وفي كتب كثيرة، وله رسالة مستقلة "**المدنية في الحقيقة والمجاز**"، طُبع أظن الفتاوى في المجلد العشرين، وأيضًا ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ له كلام طويل في "**الصواعق المرسلة**"، وهناك رسائل صغيرة مفردة في هذه المسألة.

الصحيح: أن هذا المجاز الذي بهذا التفسير الذي يقوله المجازيون ليس لا في اللغة ولا في القرآن ولا في شيء من الـ....

وما نُسب إلى شيخ الإسلام أنه ينكر المجاز في باب الصفات فقط أو في القرآن؛ كذب، شيخ الإسلام يُنكر المجاز في اللغة، وكذلك تلميذه ابن القيم، وهذا هو الصحيح، ومن قرأ وتعمَّق في هذه المسألة ثم خالف؛ خلافه يُحترَم، أما من لم يقرأ أصلاً، ما قرأ ولا كتب، وفي

ذهنه أن المجاز جزء من اللغة العربية، وجزء مهم من اللغة، كيف ينكره فلان؟ هذا الذي يتعبك، فليقرأ ما كتبه شيخ الإسلام، ثم بعد ذلك إذا خالفت فلك ذلك، شيخ الإسلام ناقش القضية من الناحية العقلية ومن الناحية اللغوية، ومن الناحية ناقشها من ثلاث نواحي: من الناحية العقلية، ومن الناحية اللغوية، ومن الناحية الشرعية.

الناحية الشرعية إحدى النواحي، وليست هي الأساس كما يظنه الناس، أكثر ما تكلم فيها من الناحية اللغوية، وابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر جميع الفروق التي يذكرها المجازيون وهي ثمانية فروق، وفندها فرقًا فرقًا.

السؤال: يقول السائل: أحسن الله إليكم، من هم الممثلة الذين يمثلون الخالق بالمخلوق؟ وهل لهم وجود في هذا الزمن؟ وهل يصرحون بالتمثيل صراحةً؟

الجواب: المشبهة كلها كانوا في بعض الروافض، ثم هم صاروا معطلة، وهم قلة، المشبهة إذا قارناهم بالمعطلة فهم قلة.

يُذكر ابن كرَّام منهم، وابن كرَّام ليس له، كتبه لم تصلنا ولا كتب أصحابه، نحن في دراسة مذهبه عالة على المتكلمين الذين هو أتعبهم، فمن الصعب أن نثق في كلامهم، أما ما ينقله أمثال شيخ الإسلام، مثلاً كلامه في الإيمان، من أسوأ ما قيل في الإيمان، طبعًا عند المتكلمين نحن المشبهة، وكن المشبهة الذين يقولون: يد الله عَزَّ وَجَلَّ كيدي وهم قلة.

السؤال: يقول السائل: هل دائمًا نعذر المشبهة والمعطلة بتأويله ولو كفر؟

الجواب: بالنسبة للمشبهة كثير من السلف كفروهم، الذين تشبيههم واضح، الذي يقول: يد الله كيدي، كفرهم إسحاق بن راهويه، وتابعه كثير من السلف، وفعلاً من يشبه الله عَزَّ وَجَلَّ بهذا الشكل فالقول بتكفيره قول قوي.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

للإمام الشيخ

شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني

- رحمه الله -

(المجلس الخامس عشر)

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد محمدي النورستاني

- حفظه الله -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(المتن)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، اللّٰهم اغفر لنا ولشيخنا آمين. سألت أبي حنيفة عن الفقه الأكبر

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: "وَفِي كِتَابِ [اَلْفِقْهُ اَلْأَكْبَرُ] اَلْمَشْهُورُ عِنْدَ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ اَلَّذِي رَوَوْهُ بِالْإِسْنَادِ عَنْ أَبِي مُطِيعٍ اَلْحَكَمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ اَلْبَلْخِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا حَنِيفَةَ عَنْ اَلْفِقْهِ اَلْأَكْبَرِ فَقَالَ: لَا تُكَفِّرَنَّ أَحَدًا بِذَنْبٍ، وَلَا تَنْفِ أَحَدًا بِهِ مِنْ اَلْإِيمَانِ، وَتَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنْ اَلْمُنْكَرِ، وَتَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ. وَلَا تَتَبَرَّأْ مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اَللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا تُوَالِي أَحَدًا دُونَ أَحَدٍ، وَأَنْ تَرُدَّ أَمْرَ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ إِلَى اَللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: اَلْفِقْهُ اَلْأَكْبَرُ فِي اَلدِّينِ خَيْرٌ مِنْ اَلْفِقْهِ فِي اَلْعِلْمِ، وَلَأَنْ يَفْقَهَ اَلرَّجُلُ كَيْفَ يَعْبُدُ رَبَّهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَجْمَعَ اَلْعِلْمَ اَلْكَثِيرَ. انتهى كلامه.

قَالَ أَبُو مُطِيعٍ: قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ أَفْضَلِ اَلْفِقْهِ قَالَ: تَعَلُّمُ اَلرَّجُلِ اَلْإِيمَانَ، وَالشَّرَائِعَ وَالسُّنَنَ، وَالْحُدُودَ، وَاخْتِلَافَ اَلْأَئِمَّةِ، وَذَكَرَ مَسَائِلَ اَلْإِيمَانِ، ثُمَّ ذَكَرَ مَسَائِلَ اَلْقَدَرِ، وَالرَّدَّ عَلَى اَلْقَدَرِيَّةِ بِكَلَامٍ حَسَنٍ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ.

ثُمَّ قَالَ: قُلْتُ: فَمَا تَقُولُ فِيمَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنْ اَلْمُنْكَرِ فَيَتْبَعُهُ عَلَى ذَلِكَ أُنَاسٌ فَيَخْرُجُ عَلَى اَلْجَمَاعَةِ هَلْ تَرَى ذَلِكَ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: وَلِمَ، وَقَدْ أَمَرَ اَللَّهُ وَرَسُولُهُ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ اَلْمُنْكَرِ وَهُوَ فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ؟ قَالَ: كَذَلِكَ وَلَكِنْ مَا يُفْسِدُونَ أَكْثَرُ مِمَّا يُصْلِحُونَ مِنْ سَفْكِ اَلدِّمَاءِ وَاسْتِحْلَالِ اَلْحَرَامِ".

(الشرح)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

لا زال شيخ الإسلام في ذكر أقوال الأئمة الذين وافقوا ما جاء في الكتاب والسنة من إثبات الأسماء والصفات لله عَزَّ وَجَلَّ.

وهذه الأقوال التي ذكرها يراعي فيها شيخ الإسلام التنوع، التنوع من حيث المذاهب، ومن حيث الأئمة، ومن حيث الأمصار، وهذا التنوع مقصود شيخ الإسلام.

يذكر أقوال الأئمة الأربعة وغيرهم من الأئمة الذين كانوا مشهورين، ويذكر عن أتباعهم، ويذكر الأقوال من مختلف الأقطار، أقوال الأئمة من مختلف الأقطار حتى لا تبقى حجة لمن يستدل بخالف ...

بعد أن ذكر النقول التي فيها أقوال عدد من الأئمة لأنه بدأ بها، الآن بدأ في ذكر النقول التي فيها نقل عن واحد أو أكثرها عن واحد، وبدأ بالإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي الكوفي، أصله من كابل، ووُلد في الكوفة، وتوفي هناك، وُلد سنة ثمانين وتوفي سنة مائة وخمسين، وهو أكبر الأئمة الأربعة سنًّا.

وهذا الكتاب الذي نقل عنه شيخ الإسلام يقول عنه: "**اَلْمَشْهُورُ عِنْدَ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ**" هل يريد شيخ الإسلام أن الكتاب نكتفي فيه بشهرته عند أصحابه؟ ولذلك يقول: "**اَلْمَشْهُورُ عِنْدَ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ**" لأن الكتاب فعلاً مشهور عند أصحاب أبي حنيفة، وهو في الحقيقة لا يثبت عن الإمام أبي حنيفة، ولكن عددًا من الأئمة ذكروه يستدلون بما فيه على المعطلة عمومًا، وعلى الأحناف خصوصًا؛ لأن النصوص التي في هذا الكتاب كثير منها حجة عليهم.

من هذا الباب ذكره ابن عبد العز وذكره شيخ الإسلام، وذكره ابن القيم، ولكن هذا القيد يبدو أنه مقصود وأن شيخ الإسلام يعتمد فيه على اعترافهم وعلى ما يثبتون أنه كتابه، أما أنه ثابت وأن الكتاب له؟ ليس فيه ما يدل على هذا "**اَلْمَشْهُورُ عِنْدَ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ**" الكتاب ليس له.

رُوي من إسنادين، السند عن طريق "**أَبِي مُطِيعٍ اَلْحَكَمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ اَلْبَلْخِيِّ**"، وسند من طريق حمَّاد بن أبي حنيفة، وكلاهما ممن تُكلِّم فيهما، هذا أولاً.

ثانيًا: الكتاب فيه بعض المصطلحات لم تكن قد نشأت في تلك الفترة، هي متأخرة عن تلك الفترة، وجودها في الكتاب هذا أيضًا يثير تساؤل مما يدل على أن الكتاب ليس لأبي حنيفة، والله أعلم، ولكن ما ورد فيه حجة عليهم؛ لأنهم لا يشكون في كونه للإمام أبي حنيفة.

"**سَأَلْتُ أَبَا حَنِيفَةَ عَنْ اَلْفِقْهِ اَلْأَكْبَرِ فَقَالَ: لَا تُكَفِّرَنَّ أَحَدًا بِذَنْبٍ**" هذه المسائل التي ذكرها أيضًا من المسائل التي يتميز بها مذهب أهل السنة والجماعة، "**لَا تُكَفِّرَنَّ أَحَدًا بِذَنْبٍ وَلَا تَنْفِ أَحَدًا بِهِ**" أي: بالذنب "**مِنْ اَلْإِيمَانِ**" إذ لا تخرجه من الإيمان.

كما تعرفون المرجئة يرون أننا لا نكفر بذنب عمومًا، والخوارج يكفرون بكل ذنبٍ كبير، وأهل السنة والجماعة لا يكفرون بكل ذنب، بل بالذنوب الكفرية فقط؛ إذًا هم وسط بين المرجئة والخوارج.

"**وَتَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنْ اَلْمُنْكَرِ، وَتَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ**" هذه مسائل تتعلق بالقدر، "**وَلَا تَتَبَرَّأْ مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اَللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**" لا يجوز أن تتبرأ ممن ثبتت صحبته للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، "**وَلَا تُوَالِي أَحَدًا دُونَ أَحَدٍ**" يشير فيه إلى الرافضة الذين يوالون البعض ويعادون البعض ويناصبون العداء بعض الصحابة، أيضًا الخوارج الذين يكفرون علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويكفرون الخوارج، ويكفرون أيضًا عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويكفرون كل من كان في الحكمين، بل كل من رضي بالتحكيم يكفرونهم قولاً واحدًا، وهم نواصب.

أما الخوارج قولهم في الشيخين حسن لا يخالفون أهل السنة، ويكفرون علي بن أبي طالب وعثمان كما قلت، يقابلهم الرافضة الذين يكفرون أكثر صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بزعمهم أنهم يوالون علي بن أبي طالب وآل البيت، ومن قواعدهم: لا ولاء إلا ببراء، ما لم تتبرأ من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يمكن أن تكون مواليًا لعلي بن أبي طالب، وهذا غير صحيح؛ نحن نوالي علي بن أبي طالب ونوالي غيره من الصحابة، ولا نتبرأ من أحدٍ منهم، ولا نوالي أحدًا دون أحد كما يقول الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ.

"**وَأَنْ تَرُدَّ أَمْرَ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ إِلَى اَللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**" أمر عثمان: هناك أمور انفرد بها عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، منها: إتمامه للصلاة بمنى مثلاً، هذه الأمور تُترك له.

علي بن أبي طالب حربه وقتاله مع معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره، والحق كان معه، مثل هذه الأمور يقول: لا نقحم أنفسنا فيها.

وقوله: "**اَلْفِقْهُ اَلْأَكْبَرُ فِي اَلدِّينِ خَيْرٌ مِنْ اَلْفِقْهِ فِي اَلْعِلْمِ**" يقصد العلم المعرفة المجردة، المعرفة المجردة، أحسن منها العلم الذي يصاحبه العمل، " **وَلَأَنْ يَفْقَهَ اَلرَّجُلُ كَيْفَ يَعْبُدُ رَبَّهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَجْمَعَ اَلْعِلْمَ اَلْكَثِيرَ**" هذا يدل على أن مراده في قوله: "**خَيْرٌ مِنْ اَلْفِقْهِ فِي اَلْعِلْمِ**" يقصد المعرفة المجردة.

ثم ما بعده أيضًا يقول: "**أَخْبِرْنِي عَنْ أَفْضَلِ اَلْفِقْهِ قَالَ: تَعَلُّمُ اَلرَّجُلِ اَلْإِيمَانَ، وَالشَّرَائِعَ وَالسُّنَنَ**" ثم ذكر يقول أبو مطيع، ثم ذكر، أو يقول الضمير يرجع إلى شيخ الإسلام "**ثُمَّ ذَكَرَ**" أي: أبو مطيع نقلاً عن أبي حنيفة "**مَسَائِلَ اَلْقَدَرِ، وَالرَّدَّ عَلَى اَلْقَدَرِيَّةِ بِكَلَامٍ حَسَنٍ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ**".

"**ثُمَّ قَالَ: قُلْتُ: فَمَا تَقُولُ فِيمَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنْ اَلْمُنْكَرِ فَيَتْبَعُهُ عَلَى ذَلِكَ أُنَاسٌ**" هو يشير هنا إلى الخوارج، أيضًا إلى المعتزلة، طبعًا نشأت المعتزلة كانت قريبة قبل الإمام أبي حنيفة، لأن واصل تلميذ الحسن بن أبي الحسن البصري، فهذه البدع كانت قد نشأت في وقته، ومن أصولهم: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ليس مبنيًّا على الشريعة، قد يكون المعروف عندهم منكرًا في الشرع، وقد يكون المنكر عندهم معروف في الشرع، أيضًا طريقتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليست مبنية على الشرع؛ لذلك يقول لمَّا سأله:

"**قُلْتُ: وَلِمَ، وَقَدْ أَمَرَ اَللَّهُ وَرَسُولُهُ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ اَلْمُنْكَرِ وَهُوَ فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ؟ قَالَ: كَذَلِكَ**" في نسخة: "**هو كذلك، وَلَكِنْ مَا يُفْسِدُونَ أَكْثَرُ مِمَّا يُصْلِحُونَ مِنْ سَفْكِ اَلدِّمَاءِ وَاسْتِحْلَالِ اَلْحَرَامِ**" لأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسلطون السيف على الأمة وعلى الحكام بحجة أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

(المتن)

"**قَالَ: وَذَكَرَ اَلْكَلَامَ فِي قِتَالِ اَلْخَوَارِجِ وَالْبُغَاةِ**".

(الشرح)

طبعًا هناك فرق بين الخوارج والبغاة:

الخوارج: هم خوارج على أصول الشريعة، ومنهم أولئك الخوارج المعروفون، هم خرجوا على أصول الشريعة، فهم خوارج على الحكام وخوارج على الأصول.

أما البغاة: فهم خوارج على الولاة.

(المتن)

"إِلَى أَنْ قَالَ: قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ عَمَّنْ قَالَ: لَا أَعْرِفُ رَبِّي فِي اَلسَّمَاءِ أَمْ فِي اَلْأَرْضِ".

(الشرح)

هذا هو الشاهد.

(المتن)

"فَقَدْ كَفَرَ؛ لِأَنَّ اَللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[طه:5] وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ.

قُلْتُ: فَإِنْ قَالَ إِنَّهُ عَلَى اَلْعَرْشِ اِسْتَوَى، وَلَكِنَّهُ يَقُولُ: لَا أَدْرِي أَلْعَرْشُ فِي اَلسَّمَاءِ أَمْ فِي اَلْأَرْضِ؟ قَالَ: هُوَ كَافِرٌ لِأَنَّهُ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ فِي اَلسَّمَاءِ ، لِأَنَّهُ تَعَالَى فِي أَعْلَى عِلِّيِّينِهِ وَأَنَّهُ يُدْعَى مِنْ أَعْلَى لَا مِنْ أَسْفَلَ- وَفِي لَفْظٍ- سَأَلْتُ أَبَا حَنِيفَةَ عَمَّنْ يَقُولُ لَا أَعْرِفُ رَبِّي فِي اَلسَّمَاءِ أَمْ فِي اَلْأَرْضِ، قَالَ: قَدْ كَفَرَ؛ لِأَنَّ اَللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، قَالَ: فَإِنَّهُ يَقُولُ: عَلَى اَلْعَرْشِ اِسْتَوَى وَلَكِنه لَا يَدْرِي أَلْعَرْشُ فِي اَلْأَرْضِ أَوْ فِي اَلسَّمَاءِ؟ قَالَ: إِذَا أَنْكَرَ أَنَّهُ فِي اَلسَّمَاءِ فَقَدْ كَفَرَ".

(الشرح)

طبعًا كلام الإمام أبي حنيفة صريح جدًّا في هذا الباب، مع ذلك موقف أصحابه الأحناف ضده تمامًا، بل بعضهم ذكروا أن من نواقض الإيمان: أن تقول أن الله عَزَّ وَجَلَّ في السماء أو في العلو، هذا من نواقض الإيمان، ذكر هذا بعضهم، كما ذكره بعض الشافعية، بعض الشافعية ذكر: أن من نواقض الإيمان أن تثبت العلو، يعني: يخرج به الإنسان من الإيمان، سبحان الله!

إذًا لماذا أنت شافعي؟ ولماذا أنت حنفي؟ هذا نص الإمام أبي حنيفة، وهم طبعًا الأحناف ماتريدية بعد نشوء الماتريدية الأحناف في العقيدة ماتريدية، وهم يقولون يصرحون بهذا، أحدهم يقول: الماتريدي مذهبًا عقيدةً، والنقشبندي سلوكًا، وكذا فلانًا،

وكذا فلانًا، والحنفي مذهبًا، يعني المساحة التي تركها الإمام أبي حنيفة مساحة تكاد لا تذكر.

طبعًا هذا الحنفي مذهبًا هذا الذي يستند إليه في تمرير الأمور الباطلة الأخرى، فمثلاً النقشبندي سلوكًا إذا قلنا له: يا أخي لا يجوز، لماذا كذا؟ يقول لك: أنت تسب الأحناف، أنا ما أسب الأحناف، أنا أسب هذا الدين الذي، فلان، فلان إذا قلنا له: أنت تسب الأحناف، يعني انظر هذا حنفي مذهبًا، هذه يجعلها دليلاً لجميع السلاسل التي اعتقدها، مثل بعض الإخوة الذين يقال عنهم الآن الحنابلة الجدد، هذه النسبة كأنه ما شاء الله يكتسب بها التحصين لبدعه.

البدع لا كرامة لها حتى ولو نُسبت إلى من، وتكون خطيرة لما تنسب إلى أحد الأئمة، ودائمًا نقول: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾[البقرة:111].

(المتن)

"فَفِي هَذَا اَلْكَلَامِ اَلْمَشْهُورِ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ عِنْدَ أَصْحَابِهِ".

(الشرح)

لاحظ التقييد هنا "فَفِي هَذَا اَلْكَلَامِ اَلْمَشْهُورِ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ عِنْدَ أَصْحَابِهِ" نفس التقييد كرره.

"فَفِي هَذَا اَلْكَلَامِ اَلْمَشْهُورِ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ عِنْدَ أَصْحَابِهِ أَنَّهُ كَفَّرَ اَلْوَاقِفَ اَلَّذِي يَقُولُ: لَا أَعْرِفُ رَبِّي فِي اَلسَّمَاءِ أَمْ فِي اَلْأَرْضِ، فَكَيْفَ يَكُونُ اَلْجَاحِدُ اَلنَّافِي اَلَّذِي يَقُولُ: لَيْسَ فِي اَلسَّمَاءِ أَوْ لَيْسَ فِي اَلْأَرْضِ وَلَا فِي اَلسَّمَاءِ؟ وَاحْتَجَّ عَلَى كُفْرِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾، قَالَ: وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ. وَبَيَّنَ بِهَذَا أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ يُبَيِّنُ أَنَّ اَللَّهَ فَوْقَ اَلسَّمَاوَاتِ، فَوْقَ اَلْعَرْشِ، وَأَنَّ اَلِاسْتِوَاءَ عَلَى اَلْعَرْشِ دَلَّ عَلَى أَنَّ اَللَّهَ نَفْسَهُ فَوْقَ اَلْعَرْشِ، ثُمَّ أَرْدَفَ ذَلِكَ بِتَكْفِيرِ مَنْ قَالَ إِنَّهُ عَلَى اَلْعَرْشِ اِسْتَوَى، وَلَكِنْ تَوَقَّفَ فِي كَوْنِ اَلْعَرْشِ فِي اَلسَّمَاءِ أَمْ فِي اَلْأَرْضِ، قَالَ: لِأَنَّهُ أَنْكَرَ أَنَّهُ فِي اَلسَّمَاءِ أَمْ فِي اَلْأَرْضِ، قَالَ: لِأَنَّهُ أَنْكَرَ أَنَّهُ فِي اَلسَّمَاءِ لِأَنَّ اَللَّهَ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَأَنَّهُ يُدْعَى مِنْ أَعْلَى لَا مِنْ أَسْفَلَ، وَهَذَا تَصْرِيحٌ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ بِتَكْفِيرِ مَنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ اَللَّهُ فِي اَلسَّمَاءِ، وَاحْتَجَّ عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّ اَللَّهَ تَعَالَى فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَأَنَّهُ

يُدْعَى مِنْ أَعْلَى لَا مِنْ أَسْفَلَ، وَكُلٌّ مِنْ هَاتَيْنِ اَلْحُجَّتَيْنِ فِطْرِيَّةٌ عَقْلِيَّةٌ، فَإِنَّ اَلْقُلُوبَ مَفْطُورَةٌ عَلَى اَلْإِقْرَارِ بِأَنَّ اَللَّهَ فِي اَلْعُلُوِّ".

(الشرح)

"وَكُلٌّ مِنْ هَاتَيْنِ اَلْحُجَّتَيْنِ" يعني أن الله عَزَّ وَجَلَّ في أعلى عليين وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل، كلتا الحجتين "فِطْرِيَّةٌ عَقْلِيَّةٌ".

(المتن)

"وَكُلٌّ مِنْ هَاتَيْنِ اَلْحُجَّتَيْنِ فِطْرِيَّةٌ عَقْلِيَّةٌ، فَإِنَّ اَلْقُلُوبَ مَفْطُورَةٌ عَلَى اَلْإِقْرَارِ بِأَنَّ اَللَّهَ فِي اَلْعُلُوِّ وَعَلَى أَنَّهُ يُدْعَى مِنْ أَعْلَى لَا مِنْ أَسْفَلَ، وَقَدْ جَاءَ اَللَّفْظُ صَرِيحًا عَنْهُ بِذَلِكَ فَقَالَ: إِذَا أَنْكَرَ أَنَّهُ فِي اَلسَّمَاءِ فَقَدْ كَفَرَ.

وَرَوَى هَذَا اَللَّفْظَ عَنْهُ بِالْإِسْنَادِ شَيْخُ اَلْإِسْلَامِ أَبُو إِسْمَاعِيلَ اَلْأَنْصَارِيُّ الْهَرَوِيُّ بِإِسْنَادِهِ فِي كِتَابِ [اَلْفَارُوقِ]".

(الشرح)

أبو إسماعيل الهروي له كتاب [ذم الكلام] وهو مطبوع، طبع في أربعة مجلدات وطبع في خمسة مجلدات، وهو من مدينة هراة، وشيخ الإسلام يلقبه بشيخ الإسلام، يقول عنه أنه شيخ الإسلام، وهو فعلاً شيخ الإسلام في باب الأسماء والصفات، أما في باب السلوك فعنده تصوف، وله كتاب [منازل السائلين] شرحه ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه [مدارج السالكين]، توفي سنة إحدى وثمانين وأربعمائة، وكتابه [الفاروق] لم نعثر عليه للآن مفقود، أنا وجدته مترجمًا باللغة الفارسية في مكتبة في كابل، أما الأصل ما أدري هل هو بالفارسية وترجم للعربية، لأنه هو أصلا من هراة، أو العكس ما أدري، أنا اطلعت على الكتاب باللغة الفارسية، مطبوع طبعة قديمة، وشيخ الإسلام ينقل عنه كثيرًا، كتابه [الفاروق].

(المتن)

"وَرَوَى هُوَ أَيْضًا وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ أَنَّ هِشَامَ بْنَ عُبَيْدِ اَللَّهِ اَلرَّازِيَّ" هو الضمير يرجع إلى الهروي- "صَاحِبَ مُحَمَّدِ بْنِ اَلْحَسَنِ، قَاضِيَ اَلرَّيِّ".

(الشرح)

هشام بن عبيد الله الرازي يعني بعد أن ذكر شيخ الإسلام عن الإمام أبي حنيفة، ينقل هنا عن تلميذ تلميذ الإمام أبي حنيفة، محمد بن الحسن تلميذ الإمام أبن حنيفة، وهشام بن عبيد الله الرازي تلميذه، توفي سنة مائتين وواحد وعشرين، مما يدل على أن لازالت النقول عن الأحناف.

(المتن)

"حَبَسَ رَجُلاً فِي اَلتَّجَهُّمِ، فَتَابَ فَجِيءَ بِهِ إِلَى هِشَامٍ لِيُطْلِقَهُ فَقَالَ: اَلْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى اَلتَّوْبَةِ، فَامْتَحَنَهُ هِشَامٌ فَقَالَ: أَتَشْهَدُ أَنَّ اَللَّهَ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ؟ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ اَللَّهَ عَلَى عَرْشِهِ، وَلَا أَدْرِي مَا بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ. فَقَالَ: رَدُّوهُ إِلَى اَلْحَبْسِ فَإِنَّهُ لَمْ يَتُبْ.

وَرَوَى أَيْضًا عَنْ يَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ اَلرَّازِيِّ أَنَّهُ قَالَ".

(الشرح)

يحيى بن معاذ الرازي هو من المحدثين ولكن أكثر شهرته بالزهد، شيخ الإسلام هنا نقل أيضًا عن المعروفين بالزهد، من أطول النقول هنا ما سيأتي عن ابن خفيف وهو معروف بالتصوف، ويحيى بن معاذ الرازي أيضًا يُحسب منهم، فينقل عنهم ليكون حجةً، ليكون كلامهم حجة عليهم.

(المتن)

"أنه قال: إِنَّ اَللَّهَ عَلَى اَلْعَرْشِ بَائِنٌ مِنْ اَلْخَلْقِ، وَقَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا، لَا يَشُكُّ فِي هَذِهِ اَلْمَقَالَةِ إِلَّا جَهْمِيٌّ رَدِيءٌ ضِلِّيلٌ، وَهَالِكٌ مُرْتَابٌ، يَمْزُجُ اَللَّهَ بِخَلْقِهِ وَيَخْلِطُ مِنْهُ اَلذَّاتَ بِالْأَقْذَارِ وَالْأَنْتَانِ".

(الشرح)

من الملاحظ أن أكثر المعروفين بالتصوف الذين نقل عنهم شيخ الإسلام في كلامهم على العلو وعلى صفة العلو أن ردودهم على أصحابهم فيها شيء من التركيز، من الذي يمزج الله بخلقه؟ أصحاب الحلول والاتحاد، المستقيمون منهم في هذه المسألة يردون عليهم، وردهم عليهم في هذه المسألة يركزون عليها؛ لأن مذهبهم الحلول والاتحاد وأن هناك امتزاج وهناك حلول، لاحظ يقول: **"يَمْزُجُ اَللَّهَ بِخَلْقِهِ وَيَخْلِطُ مِنْهُ اَلذَّاتَ بِالْأَقْذَارِ وَالْأَنْتَانِ".**

(المتن)

"وَرَوَى أَيْضًا عَنْ اِبْنِ اَلْمَدِينِيِّ لَمَّا سُئِلَ مَا قَوْلُ أَهْلِ اَلْجَمَاعَةِ".

(الشرح)

ابن المديني المحدث المعروف، شيخ الإمام البخاري، توفي سنة مائتين وأربعة وثلاثين.

(المتن)

"مَا قَوْلُ أَهْلِ اَلْجَمَاعَةِ؟ قَالَ: يُؤْمِنُونَ بِالرُّؤْيَةِ وَالْكَلَامِ، وَأَنَّ اَللَّهَ فَوْقَ اَلسَّمَاوَاتِ عَلَى اَلْعَرْشِ اِسْتَوَى، فَسُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾[المجادلة:7] فَقَالَ: اِقْرَأْ مَا قَبْلَهَا ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾".

(الشرح)

هذا هو الشاهد، يعني: هل قوله سبحانه: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ على أنه ليس عاليًا على العرش؟ سُئل، قال: "اِقْرَأْ مَا قَبْلَهَا" ما قبلها يفسرها، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إذًا الله عَزَّ وَجَلَّ في كل مكان بعلمه وقدرته وإحاطته، وهو عالٍ على العرش بذاته.

(المتن)

"وَرَوَى أَيْضًا عَنْ أَبِي عِيسَى اَلتِّرْمِذِيِّ قَالَ: هُوَ عَلَى اَلْعَرْشِ كَمَا وَصَفَ فِي كِتَابِهِ، وعِلْمُهُ وَقُدْرَتُهُ وَسُلْطَانُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

وَرَوَى عَنْ أَبِي زُرْعَةَ اَلرَّازِيِّ".

(الشرح)

أبو زرعة الرازي من الأئمة الكبار الأعلام، وهو من طبقة الإمام البخاري، توفي سنة مائتين وأربعة وستين.

(المتن)

"أَنْ سُئِلَ عَنْ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝﴾ فَقَالَ: تَفْسِيرُهُ كَمَا تَقْرَأُ، هُوَ عَلَى اَلْعَرْشِ وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، مَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اَللَّهِ".

(الشرح)

سُئل عن التفسير؛ قال: هو مفسر وواضح، ما يحتاج إلى تفسير، تفسيره كما تقرأ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ هذا اسم من أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ، و﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ العرش معروف، ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ علا وارتفع، تفسيره كما تقرأ، يعني هو سُئل هل يوافق تفسير الجهمية أن الاستواء هو الاستيلاء أو لا؟

(المتن)

"وَرَوَى أَبُو اَلْقَاسِمِ اللاَّلَكَائِيُّ –صَاحِبُ أَبِي حَامِدٍ الْإِسْفَرَايِينِيّ–".

(الشرح)

أبو الفاسم اللالكائي [صاحب أصول اعتماد أهل السنة والجماعة] كتابه مطبوع ومعروف، ومن أهم أصول عقيدة أهل السنة والجماعة، من أهم المصادر، وهو الشيخ الخطيب، الخطيب البغدادي من شيوخه أبا القاسم اللالكائي، ومن مشايخه أبو حامد الإسفراييني.

(المتن)

"فِي [أُصُولِ اَلسُّنَّةِ] بِإِسْنَادِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ اَلْحَسَنِ– صَاحِبِ أَبِي حَنِيفَةَ– قَالَ: اِتَّفَقَ اَلْفُقَهَاءُ كُلُّهُمْ مِنَ اَلْمَشْرِقِ إِلَى اَلْمَغْرِبِ عَلَى اَلْإِيمَانِ".

(الشرح)

كلامه قوي جدًّا محمد بن الحسن الشيباني، هو تلميذ الإمام أبي حنيفة، وإذا قيل الصاحبين فالمراد بهما: أبو يوسف وهذا، الصاحبان: محمد بن الحسن وأبو يوسف.

(المتن)

"قَالَ: اِتَّفَقَ اَلْفُقَهَاءُ كُلُّهُمْ مِنَ اَلْمَشْرِقِ إِلَى اَلْمَغْرِبِ عَلَى اَلْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ اَلَّتِي جَاءَ بِهَا اَلثِّقَاتُ عَنْ رَسُولِ اَللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

(الشرح)

طبعًا هذه القوة لا نستغربها لأنه تتلمذ أيضًا على الإمام الشافعي، على الإمام مالك، يعني هو زميل الإمام الشافعي، كلاهما كانا يأخذان عن الإمام مالك.

(المتن)

"فِي صِفَةِ اَلرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ: مِنْ غَيْرِ تَفْسِيرٍ وَلَا وَصْفٍ وَلَا تَشْبِيهٍ".

(الشرح)

طبعًا هذا التفسير يفسره شيخ الإسلام، ماذا يقصد بالتفسير؟ يقصد بها تفسيرات الجهمية، سيأتي فكرة عن شيخ الإسلام.

(المتن)

"فَمَنْ فَسَّرَ اَلْيَوْمَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَقَدَ خَرَجَ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ اَلنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَارَقَ اَلْجَمَاعَةَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَصِفُوا وَلَمْ يُفَسِّرُوا، وَلَكِنْ أَفْتَوْا بِمَا فِي اَلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ثُمَّ سَكَتُوا، فَمَنْ قَالَ بِقَوْلِ جَهْمٍ فَقَدْ فَارَقَ اَلْجَمَاعَةَ، فَإِنَّهُ وَصَفَهُ بِصِفَةِ لَا شَيْءَ. اهـ".

(الشرح)

إذًا قوله: "**فَمَنْ قَالَ بِقَوْلِ جَهْمٍ**" هذا في بيان التفسير الذي يحذر منه، لأنه قال: من غير تفسير، ما هو ذلك التفسير الذي يحذر منه؟ تفسيرات الجهمية، "**فَمَنْ قَالَ بِقَوْلِ جَهْمٍ فَقَدْ فَارَقَ اَلْجَمَاعَةَ**".

(المتن)

"مُحَمَّدُ بْنُ اَلْحَسَنِ أَخَذَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَطَبَقَتِهِمَا مِنْ اَلْعُلَمَاءِ، وَقَدْ حَكَى عَلَى هَذَا اَلْإِجْمَاعَ، وَأَخْبَرَ أَنَّ اَلْجَهْمِيَّةَ تَصِفُهُ بِالْأُمُورِ اَلسَّلْبِيَّةِ غَالِبًا أَوْ دَائِمًا".

(الشرح)

سبق أن ذكر أنهم لا يصفون الله عَزَّ وَجَلَّ إلا بالأمور التي ليس فيها إثبات لشيء، الأمور السلبية أو الإضافية أو المركبة منها، فهذه كلها ليس فيها إثبات لمانع حقيقي لله عَزَّ وَجَلَّ.

(المتن)

"وَقَوْلُهُ: مِنْ غَيْرِ تَفْسِيرٍ: أَرَادَ بِهِ تَفْسِيرَ اَلْجَهْمِيَّةِ اَلْمُعَطِّلَةِ اَلَّذِينَ اِبْتَدَعُوا تَفْسِيرَ اَلصِّفَاتِ بِخِلَافِ مَا كَانَ عَلَيْهِ اَلصَّحَابَةُ".

(الشرح)

إن كان المراد باليد كذا والمراد بالوجه كذا والمراد بالاستواء كذا، هذه التفسيرات الجديدة.

(المتن)

"بِخِلَافِ مَا كَانَ عَلَيْهِ اَلصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ مِنْ اَلْإِثْبَاتِ.

وَرَوَى اَلْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ بِأَسَانِيدَ صَحِيحَةٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ اَلْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ".

(الشرح)

أبو عبيد القاسم بن سلام ولد في السنة التي توفي فيها الإمام الأوزاعي مائة وسبع وخمسين، توفي سنة مائتين وأربعة وعشرين، وهو من المحدثين من ناحية، ومن أئمة اللغة من ناحية، قلت لكم: هناك تنوع في اختيار الأئمة الذين ساق أقوالهم.

(المتن)

"قَالَ: هَذِهِ اَلْأَحَادِيثُ اَلَّتِي يَقُولُ فِيهَا «ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ» و«أَنَّ جَهَنَّمَ لَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ اَلْجَبَّارُ قَدَمَهُ فِيهَا»، «وَالْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ اَلْقَدَمَيْنِ» وَهَذِهِ اَلْأَحَادِيثُ فِي اَلرُّؤْيَةِ".

(الشرح)

«ضَحِكَ رَبُّنَا» فيها إثبات صفة الضحك وهي من الصفات الفعلية، «وَقُرْبِ غِيَرِهِ» أي بقرب تغير الحال، أنتم تكونون في حالة قنوط وتغير الحال من القحط ومن الجدب إلى غيره يكون قريبًا وأنتم لا تدرون، وأن جهنم لا تمتلئ حتى يضع ربك قدمه، «وَالْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ اَلْقَدَمَيْنِ» طبعًا هذا أثر، البقية أحاديث.

«مَوْضِعُ اَلْقَدَمَيْنِ» هذا الأثر سيأتي إسناده إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهذه الأحاديث في الرؤية يقول؟

(المتن)

"وَهَذِهِ اَلْأَحَادِيثُ فِي اَلرُّؤْيَةِ هِيَ عِنْدَنَا حَقٌّ حَمَلَهَا اَلثِّقَاتُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، غَيْرَ أَنَّا إِذَا سُئِلْنَا عَنْ تَفْسِيرِهَا وَلَا نُفَسِّرُهَا، وَمَا أَدْرَكْنَا أَحَدًا يُفَسِّرُهَا ".

(الشرح)

"وَلَا نُفَسِّرُهَا" أي: لا نفسرها حسب تلك التفاسير والتفسيرات التي نُقلت وانتشرت عن الجهمية.

(المتن)

"وَمَا أَدْرَكْنَا أَحَدًا يُفَسِّرُهَا. انتهى كلامه.

أَبُو عُبَيْدٍ أَحَدُ اَلْأَئِمَّةِ اَلْأَرْبَعَةِ اَلَّذِينَ هُمْ: اَلشَّافِعِيُّ، وَأَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ، وَأَبُو عُبَيْدٍ، وَلَهُ مِنْ اَلْمَعْرِفَةِ بِالْفِقْهِ وَاللُّغَةِ وَالتَّأْوِيلِ مَا هُوَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ، وَقَدْ كَانَ فِي اَلزَّمَانِ اَلَّذِي ظَهَرَتْ فِيهِ اَلْفِتَنُ وَالْأَهْوَاءُ وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ مَا أَدْرَكَ أَحَدًا مِنْ اَلْعُلَمَاءِ يُفَسِّرُهَا –أَيْ تَفْسِيرَ اَلْجَهْمِيَّةِ–.

وَرَوَى اللاَّلِكَائِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ اَلْمُبَارَكِ أَنَّ رَجُلاً قَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنِّي أَكْرَهُ اَلصِّفَةَ– يَعْنِي صِفَةَ اَلرَّبِّ– فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: أَنَا أَشَدُّ اَلنَّاسِ كَرَاهَةً لِذَلِكَ".

(الشرح)

"أَنَا أَشَدُّ اَلنَّاسِ كَرَاهَةً لِذَلِكَ" أي: أشد الناس أن أصف الله عَزَّ وَجَلَّ بشيء من عندي، أنا أكره هذا أكثر منك، وعبد الله بن المبارك من الأئمة الأعلام الذين جمعوا بين الحديث والفقه، وهو تلميذ سفيان الثوري.

طبعًا شيوخه أكثرهم أئمة، ولكنه لازم سفيان الثوري أكثر، سفيان بن سعيد الثوري، "أَنَا أَشَدُّ اَلنَّاسِ كَرَاهَةً لِذَلِكَ وَلَكِنْ؟".

(المتن)

"وَلَكِنْ إِذَا نَطَقَ اَلْكِتَابُ بِشَيْءٍ قُلْنَا بِهِ، وَإِذَا جَاءَتْ اَلْآثَارُ بِشَيْءٍ جَسَرْنَا عَلَيْهِ. وَنَحْوُ هَذَا.

أَرَادَ اِبْنُ اَلْمُبَارَكِ: أَنَّا نَكْرَهُ أَنْ نَبْتَدِئَ بِوَصْفِ اَللَّهِ مِنْ ذَاتِ أَنْفُسِنَا حَتَّى يَجِيءَ بِهِ اَلْكِتَابُ وَالْآثَارُ.

وَرَوَى عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ وَغَيْرُهُ بِأَسَانِيدَ صِحَاحٍ عَنْ اِبْنِ اَلْمُبَارَكِ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: بِمَاذَا نَعْرِفُ رَبَّنَا؟ قَالَ: بِأَنَّهُ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا نَقُولُ كَمَا تَقُولُ اَلْجَهْمِيَّةُ: إِنَّهُ هَهُنَا فِي اَلْأَرْضِ، وَهَكَذَا قَالَ اَلْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ.

وَرَوَى بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ سُلَيْمَانَ"

(الشرح)

"رَوَى" الضمير يرجع إلى عبد الله ابن الإمام أحمد.

(المتن)

"وَرَوَى بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ حَرْبٍ– اَلْإِمَامِ– سَمِعْتُ حَمَّادَ بْنَ زَيْدٍ وَذَكَرَ هَؤُلَاءِ اَلْجَهْمِيَّةَ".

(الشرح)

سليمان بن حرب من كبار مشايخ الإمام البخاري، توفي سنة مائتين وأربعة وعشرين، أما حماد بن زيد هو في طبقة الإمام مالك، وتوفي في نفس السنة التي توفي فيها الإمام مالك مائة وتسعة وسبعين.

(المتن)

"وَذَكَرَ هَؤُلَاءِ اَلْجَهْمِيَّةَ، فَقَالَ: إِنَّمَا يُحَاوِلُونَ أَنْ يَقُولُوا لَيْسَ فِي اَلسَّمَاءِ شَيْءٌ".

(الشرح)

إي، ليس بكذا وليس بكذا؛ إذًا ليس هناك شيء.

(المتن)

"وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي كِتَابِ [الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّة]".

(الشرح)

وكتابه هذا مطبوع.

(المتن)

"عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَامِرٍ الضُبْعي".

(الشرح)

"**الضُبْعي**" كما يقول شيخ الإسلام: "**إِمَامِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ عِلْمًا وَدِينًا**" وتوفي سنة مائتين وثمانية.

(المتن)

"إِمَامِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ عِلْمًا وَدِينًا مِنْ شُيُوخِ الْإِمَامِ أَحْمَد، أَنَّهُ ذُكِرَ عِنْدَهُ الْجَهْمِيَّة فقَالَ: أَشَرُّ قَوْلًا مِنْ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَقَدْ أَجْمَعَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَأَهْلُ الْأَدْيَانِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَلَى الْعَرْشِ، وَهُمْ قَالُوا: لَيْسَ عَلَى شَيْءٍ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إسْحَاقَ بْن خُزَيْمَة إمَامُ الْأَئِمَّةِ مَنْ لَمْ يَقُلْ".

(الشرح)

قد لُقب بإمام الأئمة لأن أربعة من تلاميذه لقبوا بالإمامة في حياته، في حياة الإمام ابن خزيمة، لقب أربع من تلاميذه بالإمامة وهو حي، فلقب بإمام الأئمة.

(المتن)

"مَنْ لَمْ يَقُلْ: إنَّ اللَّهَ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ وَجَبَ أَنْ يُسْتَتَابَ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا ضُرِبَتْ عُنُقَهُ ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى مَزْبَلَةٍ لِئَلَّا يَتَأَذَّى بِرِيحِهِ أَهْلُ الْقِبْلَةِ وَلَا أَهْلُ الذِّمَّةِ، ذَكَرَهُ عَنْهُ الْحَاكِمُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ".

(الشرح)

طبعًا كتابه مطبوع كتاب [التوحيد]، وهو من أحسن الكتب التي أُلفت في توحيد الأسماء والصفات، كتاب جميل جدًّا، يذكر الأحاديث ويستنبط منها ويعلق عليها بتعليقات تليق بمكانته؛ لأنه هو تلميذ الإمام البخاري.

وقد لقبه الرازي سماه كتاب [الشرك]، كتاب [التوحيد] سماه كتاب [الشرك] وتبعه أيضًا الكوثري وغيره.

وهذا النص ليس في كتاب [التوحيد] ذكره عنه الحاكم بإسناد صحيح، وكما يقول المحقق جزاه الله خيرًا: يقول: رواه الحاكم في معرفة علوم الحديث، والصابوني في عقيدة السلف وابن قدامة وغيرهم.

(المتن)

"وَقَدْ رَوَى عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ، عَنْ عَبَّادِ بْنِ اَلْعَوَّامِ اَلْوَاسِطِيِّ- إِمَامِ أَهْلِ وَاسِطٍ ، مِنْ طَبَقَةِ شُيُوخِ اَلشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ- قَالَ".

(الشرح)

طبعًا هو من طبقة ابن المبارك، ابن المبارك توفي سنة مائة وثمانين أو واحد وثمانين، وهذا توفي سنة مائة وخمسة وثمانين.

(المتن)

"قَالَ: كَلَّمْتُ بِشْرَ اَلْمِرِّيسِيَّ، وَأَصْحَابَ بِشْرٍ فَرَأَيْتُ آخِرَ كَلَامِهِمْ يَنْتَهِي أَنْ يَقُولُوا لَيْسَ فِي اَلسَّمَاءِ شَيْءٌ".

(الشرح)

نعم، صحيح.

(المتن)

"وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ- اَلْإِمَامِ اَلْمَشْهُورِ- أَنَّهُ قَالَ: لَيْسَ فِي أَصْحَابِ اَلْأَهْوَاءِ شَرٌّ مِنْ أَصْحَابِ جَهْمٍ، يَدُورُونَ عَلَى أَنْ يَقُولُوا لَيْسَ فِي اَلسَّمَاءِ شَيْءٌ أَرَى وَاَللَّهِ أَنْ لَا يُنَاكَحُوا وَلَا يُوَرَّثُوا".

(الشرح)

عبد الرحمن بن مهدي أيضًا من طبقة ابن المبارك وتوفي بعده، مائة وثمانية وتسعين، هذه الأقوال كما لاحظنا أكثر الأئمة يقولون: هم يدورون على أن يقولوا ليس في السماء شيء، السلف كانوا يعلمون من حالهم أنهم ينفون أن يكون في السماء شيء، ولكنهم لا يصرحون بهذا، يقولون: الله عَزَّ وَجَلَّ ليس على العرش، كذا كذا، كذا، ولكن كلامه يؤدي إلى أنه ليس في السماء شيء أصلًا، ليس على العرش شيء أصلاً، وكما نلاحظ كلام الأئمة تقريبًا متفق على هذه النقطة أنه يدور كلامهم على أنه ليس في السماء شيء، وهكذا أصحاب الباطل إذا أرادوا شيئًا يأتونه من إذا قالوا ليس هناك رب يُعبد، واضح بالنسبة للجهمية الأولى الذين كفرهم الأئمة، أما إذا قال نعم موجود ولكنه من التسبيح له والتنزيه والتقديس له أن نقول كذا، وهذا يستلزم، نعم، يضيع ويخلط ويلبس.

"لَا يُنَاكَحُوا وَلَا يُوَرَّثُوا" يعني: حكمهم حكم الكافر.

(المتن)

"وَرَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي كِتَابِ [اَلرَّدِّ عَلَى اَلْجَهْمِيَّةِ] عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ قَالَ: أَصْحَابُ جَهْمٍ يُرِيدُونَ أَنْ يَقُولُوا: إِنَّ اَللَّهَ لَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى، وَيُرِيدُونَ أَنْ يَقُولُوا".

(الشرح)

طبعًا: "يُرِيدُونَ أَنْ يَقُولُوا" هنا أن نخالف الإمام عبد الرحمن، هم يقولون بهذا، يصرحون بهذا، "يُرِيدُونَ أَنْ يَقُولُوا" لا، هم يقولون هذا، يصرحون بهذا.

(المتن)

"وَيُرِيدُونَ أَنْ يَقُولُوا: لَيْسَ فِي اَلسَّمَاءِ شَيْءٌ".

(الشرح)

"وَيُرِيدُونَ أَنْ يَقُولُوا: لَيْسَ فِي اَلسَّمَاءِ شَيْءٌ" هذا مؤدى كلامهم.

(المتن)

"**وَيُرِيدُونَ أَنْ يَقُولُوا: لَيْسَ فِي اَلسَّمَاءِ شَيْءٌ، وَأَنَّ اَللَّهَ لَيْسَ عَلَى اَلْعَرْشِ، أَرَى أَنْ يُسْتَتَابُوا فَإِنْ تَابُوا وَإِلَّا قُتِلُوا.**

وَعَنْ اَلْأَصْمَعِيِّ قَالَ".

(الشرح)

هذا العطف على ما سبق: "**وروى ابن أبي حاتم عن الأصمعي أيضًا**" لازال النقل عن ابن أبي حاتم.

الأصمعي من أئمة اللغة، عبد الملك بن كريب الأصمعي، من الأئمة المعدودين الذين كانوا على السنة، من أئمة اللغة المعدودين، توفي سنة مائتين وست عشر.

(المتن)

"**قَالَ: قَدِمَتْ اِمْرَأَةُ جَهْمٍ فَنَزَلَتْ اَلدَّبَّاغِينَ**".

(الشرح)

سوق الدباغين.

(المتن)

"**فَقَالَ رَجُلٌ عِنْدَهَا: اَللَّهُ عَلَى عَرْشِهِ، فَقَالَتْ: مَحْدُودٌ عَلَى مَحْدُودٍ، وَقَالَ اَلْأَصْمَعِيُّ: كَافِرَةٌ بِهَذِهِ اَلْمَقَالَةِ**".

(الشرح)

"**مَحْدُودٌ عَلَى مَحْدُودٍ**" إذا كان على العرش إما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر من العرش ومساوي على العرش، لخصته، لأنها امرأة جهم، لخصته على هذه، "**مَحْدُودٌ عَلَى مَحْدُودٍ**".

طيب، نحن هل نصف الله عَزَّ وَجَلَّ بأن له حد؟ اختلف فيه الأئمة، الحقيقة هذا الاختلاف ليس اختلافًا حقيقيًّا، إنما هذا اختلاف باعتبارات مختلفة، بعضهم أثبت له الحد، بمعنى أن الله عَزَّ وَجَلَّ يوصَف بصفات وله أسماء وهو بأسمائه وصفاته يتميز عن غيره، هذا معنى بأن له الحد.

وبعضهم قال: لا نثبت له الحد، بمعنى: لا نكيفه، لا نكيف صفاته، فمن أراد بالحد التكييف نفوه، ومن أراد بالحد الوصف أثبتوه، فليس هناك تناقض في كلامهم.

(المتن)

"وَعَنْ عَاصِمِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَاصِمٍ".

(الشرح)

أيضًا النقل لازال عن ابن أبي حاتم؛ لذلك يقول: **"وَعَن عاصم"**، عاصم بن علي بن عاصم من الأئمة، توفي سنة مائتين وواحد وعشرين.

(المتن)

"شَيْخ أَحْمَدَ وَالْبُخَارِيِّ وَطَبَقَتِهِمَا قَالَ: نَاظَرْتُ جَهْمًا، فَتَبَيَّنَ مِنْ كَلَامِهِ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ أَنَّ فِي اَلسَّمَاءِ رَبَّهُ".

(الشرح)

طبعًا في نسخة: **"ناظرت جهمًا"**، وفي نسخة: **"ناظرت جهميًّا"**، ويبدو لي أن **"جهميًّا"** أصح، كما هو مثبت عندنا، كيف عندكم؟

الطالب: ...

الشيخ: لا، الذي عندنا أصح، لماذا؟ لأن جهمًا نفسه تقدمت وفاته، وقتل سنة مائة وثمانية وعشرين، وهذا عاصم توفي سنة مائتين وواحد وعشرين، فمن البعيد أن يدركه عاصم، من البعيد أن يدرك عاصم جهمًا نفسه، فجهميًّا أصح.

"فَتَبَيَّنَ مِنْ كَلَامِهِ" يعني مؤدى كلامه هذا كان، **"أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ أَنَّ فِي اَلسَّمَاءِ رَبَّهُ".**

(المتن)

"وَرَوَى اَلْإِمَامُ أَحْمَدُ، ثَنَا سُرَيْجُ بْنُ اَلنُّعْمَانِ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ نَافِعٍ اَلصَّائِغَ، قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ يَقُولُ: اَللَّهُ فِي اَلسَّمَاءِ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، لَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ.

وَقَالَ اَلشَّافِعِيُّ: خِلَافَةُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَقٌّ قَضَاهَا اَللَّهُ فِي سَمَائِهِ وَجَمَعَ عَلَيْهِ قُلُوبَ عِبَادِهِ".

(الشرح)

طبعًا الشاهد هناك قوله: **"قَضَاهَا اَللَّهُ فِي سَمَائِهِ"** هذا هو الشاهد، وفيه إثبات العلو لله عَزَّ وَجَلَّ.

(المتن)

"وَفِي اَلصَّحِيحِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَتْ زَيْنَبُ تَفْتَخِرُ عَلَى أَزْوَاجِ اَلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقُولُ: زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ وَزَوَّجَنِي اَللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ، وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِ اَلشَّافِعِيِّ.

وَقِصَّةُ أَبِي يُوسُفَ –صَاحِبِ أَبِي حَنِيفَةَ–".

(الشرح)

أبو يوسف رَحِمَهُ اللَّهُ أشهر تلاميذ الإمام أبي حنيفة، توفي سنة مائة واثنين وثمانين، وقد كان يقول بخلق القرآن، إلا أنه رجع عن ذلك، وكان متصلبًا عن الحق الذي رجع إليه، والقصة تدل على هذا.

(المتن)

"وَقِصَّةُ أَبِي يُوسُفَ –صَاحِبِ أَبِي حَنِيفَةَ– مَشْهُورَةٌ فِي اِسْتِتَابَةِ بِشْرٍ اَلْمِرِّيسِيِّ".

(الشرح)

بشر المريسي معروف، تكلم عنه شيخ الإسلام فيما سبق، وأنه بعد عمرو بن عبيد انتشرت الجهمية بسببه، توفي سنة مائتين وثمانية عشر، السنة التي توفي فيها المأمون، بشر المريسي.

(المتن)

"حَتَّى هَرَبَ مِنْهُ لَمَّا أَنْكَرَ اَلصِّفَاتِ وَأَظْهَرَ قَوْلَ جَهْمٍ، قَدْ ذَكَرَهَا اِبْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَغَيْرُهُ".

(الشرح)

القصة ذكرها الذهبي في العلو كما ذكر المحقق، من رواية ابن أبي حاتم يقول: حدثنا الحسن بن علي بن مهران، حدثنا بشَّار، قال: جاء بشر بن الوليد الكندي إلى القاضي أبي يوسف فقال له: **"تنهاني عن الكلام وبشر المَرِيْسِي وعلي الأحول وفلان وفلان يتكلمون"** يعني: نهيتني فقط ولا تنهاهم، هذا يدل على أن أبا يوسف كان منهجه، كان ينهاهم عن الكلام، طبعًا أبو يوسف هو قاضي القضاة كما يقولون، له السلطة، وكان ينهاهم.

"قال: وما يقولون؟ قال: يقولون الله في كل مكان، وقال أبو يوسف: عليَّ بهم، فانتهوا إليه، وقد قام بشرًا" بشر كان مختفيًا، أو قام، **"فجيء بعلي الأحول"** مسكوه، **"وبالآخر الشيخ"** معهم واحد آخر، أما بشر، **"فنظر أبو يوسف إلى الشيخ وقال: لولا أنّ فيك موضع أدب لأوقعتك، فأمر به إلى الحبس وضرب الأحول وطوَّف به".**

(المتن)

"وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي زمنين الْإِمَامُ الْمَشْهُورُ مِنْ أَئِمَّةِ الْمَالِكِيَّةِ".

ابن أبي زمنين من الأئمة المعروفين، وهو من الأندلس، توفي سنة ثلاثمائة وتسعة وتسعين، وقوله بطوله، طبعًا قوله سيستمر إلى ثلاثمائة وأربعة وأربعين، نقل عنه نقلاً طويلاً، قوله هذا مما زاده في الكبرى، كما يقول، ما يفرق بين الكبرى والصغرى بهذه الزيادات، هذا أطول نقل الذي زاده في الكبرى.

ابن أبي زمنين قوله وما نقله من الأئمة هذا كله حجة على المالكية، وللأسف المالكية إذًا دخلوا في الأشعرية بسبب الباقلاني، الباقلاني كان مالكيًّا، وكان من طبقة تلاميذ تلاميذ الأشعري، وبسببه أيضًا وبسبب الهروي الراوي البخاري دخل المالكية في الأشعرية.

(المتن)

"الْإِمَامُ الْمَشْهُورُ مِنْ أَئِمَّةِ الْمَالِكِيَّةِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي صَنَّفَهُ فِي [أُصُولِ السُّنَّةِ] قَالَ فِيهِ: بَابُ الْإِيمَانِ بِالْعَرْشِ قَالَ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْعَرْشَ وَاخْتَصَّهُ بِالْعُلُوِّ وَالِارْتِفَاعِ فَوْقَ جَمِيعِ مَا خَلَقَ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَيْهِ كَيْفَ شَاءَ".

(الشرح)

يعني: العرش هو سقف المخلوقات وأرفع المخلوقات، واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، "ثُمَّ اسْتَوَى عَلَيْهِ كَيْفَ شَاءَ" وصفة الاستواء خاصة بالعرش، لا يقال مثلاً استوى على كذا من المخلوقات، لا استوى على العرش صفة خاصة بالعرش.

(المتن)

"كَمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[الحديد:4] الْآيَةَ، فَسُبْحَانَ مَنْ بَعُدَ بذاته وَقَرُبَ بِعِلْمِهِ فَسَمِعَ النَّجْوَى.

وَذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي رَزِينٍ العُقيلي؛ قُلْت يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ قَالَ: «فِي عَمَاءٍ مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ، وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ ثُمَّ خَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ»".

(الشرح)

«مَا تَحْتَهُ» الضمير يرجع إلى العماء، كان في عماء ما تحته، أي: ما تحت العماء هواء، الضمير يرجع إلى العماء.

يعني العماء هذا تحته هواء وفوقه هواء، «ثُمَّ خَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ» طبعًا الحديث ضعيف الإسناد، لا يثبت.

(المتن)

"قَالَ مُحَمَّدٌ: الْعَمَاءُ السَّحَابُ الْكَثِيفُ الْمُطْبِقُ – فِيمَا ذَكَرَهُ الْخَلِيلُ – وَذَكَرَ آثَارًا أُخَرَ.
ثُمَّ قَالَ: بَابُ الْإِيمَانِ بِالْكُرْسِيِّ".

(الشرح)

"قَالَ مُحَمَّدٌ" هو ابن أبي زمانين.

يبوب أبواب خاصة لهذه المسائل.

(المتن)

"قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الْكُرْسِيَّ بَيْنَ يَدَيْ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ. ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ أَنَسٍ الَّذِي فِيهِ التَّجَلِّي يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي الْآخِرَةِ، وَفِيهِ: «فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ هَبَطَ مِنْ عِلِّيِّينَ عَلَى كُرْسِيِّهِ ثُمَّ يَحُفُّ الْكُرْسِيَّ عَلَى مَنَابِرَ مَنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةٍ بِالْجَوَاهِرِ؛ ثُمَّ يَجِيءُ النَّبِيُّونَ فَيَجْلِسُونَ عَلَيْهَا»".

(الشرح)

"قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ" وهو ابن أبي زمانين.

طبعًا الحديث مختلف في صحته وضعفه، وهو في المجمل لا ينحط عن درجة الخبر.

(المتن)

"وَذَكَرَ مَا ذَكَرَهُ: يَحْيَى بْنُ سَالِمٍ صَاحِبُ التَّفْسِيرِ الْمَشْهُورِ".

(الشرح)

"صَاحِبُ التَّفْسِيرِ الْمَشْهُورِ" هذا التفسير طبعًا لم يُطبع إلى الآن، وبالتالي لا ندري عن شهرته، يبدو أنه فعلاً كما ذكر شيخ الإسلام تفسيره مشهور، ولكن بما أنه لم يُطبع لم يشتهر، وهو توفي سنة مائتين، يقول؟

(المتن)

"حَدَّثَنِي الْعَلَاءُ بْنُ هِلَالٍ عَنْ عَمَّارٍ الدُّهْنِيّ؛ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: إنَّ الْكُرْسِيَّ الَّذِي وَسِعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَمَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ؛ وَلَا يَعْلَمُ قَدْرَ الْعَرْشِ إلَّا الَّذِي خَلَقَهُ".

(الشرح)

هذا الأثر عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهو ثابت عنه: أنَّ الكرسي موضع القدمين، موضع قدمي الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

"وَذَكَرَ مِنْ حَدِيثِ أَسَدِ بْنِ مُوسَى".

(الشرح)

أسد بن موسى يلقب بأسد السنة، توفي سنة مائتين واثنا عشر.

(المتن)

"قال: حدثنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ زِرٍّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: مَا بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيّ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاَللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ".

(الشرح)

هذا الحديث أخرجه الإمام ابن خزيمة في كتابه [التوحيد] أخرجه من طرقٍ كثيرة، وطبعًا هو يرى أنه على شرطه وأنه صحيح، أخرجه غيره أيضًا الإمام الدارمي والبيهقي وأبو الشيخ وغيرهم، ورجاله رجال الصحيح.

في الحديث الذي ذكره عن ابن مسعود، أنا عندي أبي مسعود، في النسخة الثانية: ابن مسعود، حبذا لو أحدكم يرجع إلى المصادر، هو أبو مسعود أو ابن مسعود؟

الطالب: ...؟

الشيخ: أين ذكر؟

الطالب: ...

الشيخ: إذًا هو ابن مسعود وليس أبو مسعود، أنت عندك أبو مسعود أو ابن مسعود في المتن؟

الطالب: ...

الشيخ: على كل حال نتأكد.

الطالب: ...

الشيخ: أي نسخة؟

الطالب: ...

الشيخ: في نسخة التعليق عندكم، نتأكد إن شاء الله.

الطالب: ....

الشيخ: ابن مسعود، إذًا نُعدِّل، في هذه النسخة ابن مسعود، نعم.

الطالب: ...

الشيخ: إذًا الذي عندنا خطأ، من نبهني على هذا؟

الطالب: ...

الشيخ: جزاك الله خيرًا.

(المتن)

"ثُمَّ قَالَ فِي بَابِ الْإِيمَانِ بِالْحُجُبِ قَالَ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ إِنَّ اللَّهَ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ يَحْتَجِبُ عَنْهُمْ بِالْحُجُبِ، فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝﴾[الكهف:5] **وَذَكَرَ آثَارًا فِي الْحُجُبِ"**.

(الشرح)

كما قال الإمام ابن أبي زمنين من أقوال أهل السنة أن الله عَزَّ وَجَلَّ بائنٌ من خلقه، ومما يدل على أنه بائن من خلقه أنه يحتجب عنهم بالحجب، فتعالى الله عما يقول الظالمون، يقول: الذين لا يثبتون مثل هذه الأمور التي ثبتت في الكتاب والسنة، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرا، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝﴾، يرد على من لا يثبت ما ثبت في الكتاب والسنة.

(المتن)

"وَذَكَرَ آثَارًا فِي الْحُجُبِ، ثُمَّ قَالَ فِي بَابِ الْإِيمَانِ بِالنُّزُولِ قَالَ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا".

(الشرح)

النزول أيضًا من الصفات الفعلية، الصفات التي تتعلق بمشيئته وقدرته، وأحاديث النزول متواترة.

(المتن)

"إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا وَيُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَحُدُّوا فِيهِ حَدًّا وَذَكَرَ الْحَدِيثَ".

(الشرح)

"مِنْ غَيْرِ أَنْ يَحُدُّوا فِيهِ حَدًّا" أي: من غير أن يكيفوا نزول الله عَزَّ وَجَلَّ، من التكييف ما يقال أن الله عَزَّ وَجَلَّ إذا كان ينزل إلى السماء الدنيا والأقطار تختلف، ثلث الليل هنا يعقبه ثلث الليل ما بعدنا للغرب، ثم ما بعدنا للغرب، وهكذا يكون نازلاً أبدًا، مثل هذه الأمور نابعة من التكييف، إذا كنت تفهم نزول الله عَزَّ وَجَلَّ مثل نزولك ستبحث في مثل هذه الأمور: هل يخلو منه العرش أو لا يخلو؟ هل سيكون نازلاً أبدًا؟ مثل هذه الأمور كلها نابعة من التكييف والحد كما ذكر جماعة عن ابن أبي زمانين، "مِنْ غَيْرِ أَنْ يَحُدُّوا فِيهِ حَدًّا" أي: من غير أن يكيفوه.

الله عَزَّ وَجَلَّ أخبرنا والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرنا أنه ينزل، ونحن نؤمن أنه ينزل، ومعنى النزول معروف، وكيف نزول الله عَزَّ وَجَلَّ؟ ما ندري.

(المتن)

"وَذَكَرَ الْحَدِيثَ مِنْ طَرِيقِ مَالِكٍ وَغَيْرِهِ، إِلَى أَنْ قَالَ: وَأَخْبَرَنِي وَهْبٌ عَنْ ابْنِ وَضَّاحٍ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّادٍ، قَالَ: وَمَنْ أَدْرَكْت مِنْ الْمَشَايِخ مَالِكٍ وَسُفْيَانَ الثوري وفضيل بْنِ عِيَاضٍ وَعِيسَى بْنِ الْمُبَارَكِ وَوَكِيعٍ كَانُوا يَقُولُونَ: إنَّ النُّزُولَ حَقٌّ".

(الشرح)

الأئمة كلهم، كل من ذكرهم: مالك، سفيان، الثوري، فضيل بن عياض أيضًا من تلك الطبقة، توفي سنة مائة وثمانية وسبعين، وعيسى بن يونس بن أبي إسحاق، توفي سنة

مائة وسبع وثمانين، وابن المبارك معروف، ووكيع في طبقته، طبقة ابن المبارك، كلهم كانوا يقولون: النزول حق.

(المتن)

"قَالَ ابْنُ وَضَّاحٍ: وَسَأَلْت يُوسُفَ بْنَ عَدِيٍّ عَنْ النُّزُولِ قَالَ: نَعَمْ".

(الشرح)

يوسف بن عدي أيضًا من الأئمة في طبقة الإمام أحمد، وتقدمت وفاته، توفي سنة مائتين واثنين وثلاثين، من طبقته، يحيى بن معين وابن المديني، ابن وضاح يقول: سألته عن النزول، قال: نعم.

(المتن)

"قَالَ: نَعَمْ أُومِنُ بِهِ وَلَا أَحُدُّ فِيهِ حَدًّا".

(الشرح)

"وَلَا أَحُدُّ فِيهِ حَدًّا" أي: لا أكيفه.

(المتن)

"وَسَأَلْت عَنْهُ ابْنَ مَعِينٍ فَقَالَ: نَعَمْ أُقِرُّ بِهِ وَلَا أَحُدُّ فِيهِ حَدًّا".

(الشرح)

نعم لأن ابن وضاح يبدو أنه تتلمذ على وهم في طبقة واحدة، سأل هذا ثم سأل ابن معين في نفس الطبقة: **"أُقِرُّ بِهِ وَلَا أَحُدُّ فِيهِ حَدًّا".**

(المتن)

"قَالَ مُحَمَّدٌ: وَهَذَا الْحَدِيثُ يُبَيِّنُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْعَرْشِ".

(الشرح)

محمد هو ابن أبي زمانين، لازال النقل عنه.

(المتن)

"وَهَذَا الْحَدِيثُ يُبَيِّنُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْعَرْشِ".

(الشرح)

في نسخة: وهذا الحديث مُبيِّنٌ، كيف عندك؟

الطالب: ....

الشيخ: إي، في نسخة مُبيِّنٌ، ولكن هنا يبين أحسن، وفيما يلي بيِّنٌ أحسن، نعم.

(المتن)

"وَهَذَا الْحدِيثُ يُبَيِّنُ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجلَّ عَلَى الْعَرْشِ فِي السَّمَاءِ دُونَ الْأَرْضِ وَهُوَ أَيْضًا بَيِّنٌ فِي كِتَابِ اللهِ، وَفِي ما غَيْرِ حَدِيثٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

(الشرح)

هذا يبدو حصل قلب، تقديم وتأخير، الصحيح: **"وَهُوَ أَيْضًا بَيِّنٌ فِي كِتَابِ اللهِ، وَفِي غَيْرِ ما حَدِيثٍ"** هذا هو الصحيح، كيف عندك؟

الطالب: ...

الشيخ: إي، **"في غير ما حديث"**، أما **"في ما غير حديث"** ليس له معنى، كيف عندك؟

الطالب: ...

الشيخ: نعم.

(المتن)

"فِي كِتَابِ اللهِ، وَفِي غَيْرِ ما حَدِيثٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

(الشرح)

"وَفِي غَيْرِ ما حَدِيثٍ" أي: في أحاديث كثيرة، نعم.

(المتن)

"قَالَ تَعَالَى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾[السجدة:5]".

(الشرح)

﴿يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ فيه إثبات العلو.

(المتن)

"وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾[الملك:16-17]".

(الشرح)

سبق أن بيَّنا أن ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ فيه معنيان:

إما أن يكون في على أبوابه، والسماء معناه العلو: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: من في العلو.

وإما أن يكون معنى السماء الأجرام المبنية، ويكون في بمعنى على، وهذا كثير: ﴿فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[آل عمران:137] على الأرض، ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[طه:71] أي: عليها.

- يعني: إما أن يكون في يعني على أبوابها، وأن يكون السماء بمعنى العلو.
- وإما أن يكون في بمعنى على، والسماء بمعنى الأجرام.

نستكمل إن شاء الله بعد الصلاة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

للإمام الشيخ

شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني

- رحمه الله -

(المجلس السادس عشر)

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد محمدي النورستاني

- حفظه الله -

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(الشرح)

قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[القصص: 88]، ونبه بالصفة إلى بقاء ذاته المقدسة نعم.

(المتن)

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾[الأنعام: 19].

(الشرح)

فيه اسم الشهيد.

(المتن)

وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾[آل عمران: 28].

(الشرح)

طَبْعًا سيأتي في كلام المؤلف أنه يرى أن النفس صفة من الصفات وسنعلق فيه عند كلامه نعم.

(المتن)

وقال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[الحجر: 29].

وقال: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[الطور:48].

وقال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[طه:93].

(الشرح)

إثبات صفة العين نعم.

(المتن)

وقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة:64].

(الشرح)

صفة اليد نعم.

(المتن)

وقال تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[الزمر:67].

وقال تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[طه:64].

وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[النساء:164].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[النور:35].

(الشرح)

نعم هذا ذكره لبيان أن من اسم الله -عَزَّ وَجَلَّ- النور، وهذا رأي شيخ الإِسْلَام وابن القيم: أن من أسماء الله -عَزَّ وَجَلَّ- النور نعم.

(المتن)

وقال تعالى: ﴿اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[البقرة:255].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[الحديد:3] ومثل هذا في القرآن كثير.

فهو-تَبَارَكَ وَتَعَالَى- نور السماوات والأرض، كما أخبر عن نفسه وله وجهٌ ونفسٌ وغير ذلك مما وصف به نفسه.

(الشرح)

نعم هذا الذي ذكره ابن أبي زمنين -رَحِمَهُ الله- ذكره أَيْضًا بعض الأئمة منهم ابن خزيمة -رَحِمَهُ الله-، يرون أن النفس صفة من الصفات، والصحيح أن النفس المراد بالنفس عند جمهور الأئمة من السلف الذات: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾[آل عمران: 28]، أي يحذركم ذاته.

أَيْضًا: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ﴾[الأنعام: 54]، أي عليه.

وفي الحديث القدسي: «فَإِن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي»، هذا كله يدل على أن النفس هي الذات وليست صفة أخرى.

يقول الإِمَام الدارمي: "**فنفس الله هو الذات**".

(المتن)

ويسمع ويرى ويتكلم، الأول ولا شيء قبله، والآخر الباقي إلى غير نهايةٍ ولا شيء بعده، والظاهر العالي فوق كل شيء والباطن بطن علمه بخلقه، فقال: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[البقرة:29]، حيٌّ قيوم لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم.

(الشرح)

لا زال الحديث عن أبي زمنيين نعم.

(المتن)

وذكر أحاديث الصفات، ثم قال: فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها نبيه، وليس في شيءٍ منها تحديدٌ ولا تشبيه ولا تقدير.

(الشرح)

تحديدٌ أي تكييف تكييفٌ ولا تشبيه نعم، وحتى التقدير بمعنى التكييف نعم.

(المتن)

قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:11]، لم تره العيون فتحده كيف هو.

(الشرح)

يَعْنِي هذا فيه تأكيد على أن المراد بالحد هو التكييف، لم تره العيون فتحده كيف هو! إي لأنه لما تذكر كيفيته تكون قد شاهدته كيف نحده ونحن لم نره! يَعْنِي كيف نكيف صفاته نذكر كيفيات صفاته ونحن لم نره؟!

(المتن)

لم تره العيون فتحده كيف هو ولكن رأته القلوب في حقائق الإيمان.

(الشرح)

يشير ابن أبي زمنين -رَحِمَهُ الله- أن من كان يقينه أقوى فهو في إيمانه بصفاته وبأسمائه أقوى فكأنه يشاهد، يقول: "**ولكن رأته القلوب في حقائق الإيمان**"، الإيمان إذا قوي فيكون علمه به وبصفاته أقوى.

كما في حديث جبريل في مراتب الدين: "**الإِسْلَام، ثم الإيمان، ثم الإحسان**"، وعرف الإحسان: "**بأنك تعبد الله كأنك تراه فَإِن لم تكن تراه فَإِنه يراك**"، هذه مرتبة من مراتب اليقين وهي أعلى مراتب اليقين نعم.

(المتن)

وكلام الأئمة في هذا الباب أطول وأكثر من أن تسع هذه الفتيا عشره، وكذلك كلام الناقلين لمذهبهم.

مثل ما ذكره أبو سليمان الخطابي.

(الشرح)

أبو سليمان الخطابي من الأمة المعروفين الذين تأثروا بعض الشيء من المتكلمين، الخطابي من كتبه "**معالم السنن**" شرح أبي داود، ومن كتبه "**شرح صحيح البُخَارِيّ**" وهو أول شرح مطبوع أقدم شرح مطبوع لصحيح الإِمَام البُخَارِيّ، وهو حامد بن محمد الخطابي نسبةً إلى زيد بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه-، وهو تلميذ ابن حبان البستي وكلاهما من بُست وهذه مدينة في أفغانستان.

يقول في رسالته المشهورة التي أسماها "**الغنية عن الكلام وأهله**"، هذه الرسالة يَعْنِي مفقودة إلى الآن وهي رسالة جميلة جدًا نقل بعضها السيوطي في "**مختصر المنطق والكلام**" عن علم المنطق والكلام.

وشيخ الإِسْلَام أَيْضًا نقل نقولاتٍ مهمة عن هذه الرسالة، ومن خلال النقول التي نُقلت عن هذه الرسالة يبدوا أن الرسالة مهمة جدًا وردودها على المتكلمين قوية توفي سنة ثلاثمائة وثمانية وثمانين نعم.

(المتن)

يقول: في رسالته المشهورة في "**الغنية عن الكلام وأهله**".

(الشرح)

اسمها هكذا "**الغنية عن الكلام وأهله**" لا نحتاج إلى الكلام أي إلى علم الكلام ولا نحتاج إلى أهله "**الغنية عن الكلام وأهله**" نعم.

(المتن)

قال: "فأما ما سألت عنه من الصفات، وما جاء منها في الكتاب والسنة، فإن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قومٌ فأبطلوا ما أثبته الله، وحققها قومٌ من المثبتين، فخرجوا في ذلك إلى دربٍ من التشبيه والتكييف، وإنما القصد في السلوك الطريقة المستقيمة بين الأمرين، ودين الله تعالى بين الغالي فيه والمقصر عنه".

(الشرح)

معنى: "وحققها قومٌ من المثبتين"، يَعْنِي بالغوا في الإثبات نعم، ومعنى: "فخرجوا في ذلك إلى دربٍ من التشبيه والتكييف"، يشير إلى المشبهة نعم.

(المتن)

يقول: "والأصل في هذا: أن الكلام في الصفات فرعٌ عن الكلام في الذات، يحتذى في ذلك حذوه وأمثاله".

(الشرح)

طَبْعًا الخطابي كما قلت لكم: توفي سنة ثلاثمائة وثمانية وثمانين وهو تلميذ ابن حبان، وهذه المقولة وهذه القاعدة: "الكلام في الصفات فرعٌ عن الكلام في الذات" هذا أصل من الأصول التي ذكرها شيخ الإِسْلَام في "التدمرية" ذكر في مقدمته أصلين ومثالين هذا أحد الأصلين: "الكلام في الصفات فرعٌ عن الكلام في الذات" في مَاذَا؟!

في الإثبات و نفي الكيفية الكلام في الصفات فرعٌ عن الكلام في الذات في الإثبات نحن نثبت وجود الله -عَزَّ وَجَلَّ- وننفي عنه الكيفية أي علمنا بالكيفية، يَعْنِي نثبت وجوده ونجهل كيفية وجودهن وكذلك نثبت الصفات ونجهل كيفياتها نعم.

(المتن)

يقول: "فإذا كان معلومًا أن إثبات الباري سبحانه إنما هو إثبات وجودٍ لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجودٍ لا إثبات تحديدٍ وتكييف".

(الشرح)

ذكر شيخ الإِسْلَام أصلين:

❍ الأصل الأول: الكلام في بعض الصفات كالكلام في بعض، وهذا الأصل في الإثبات وناقش فيه جميع من يعطل على تفاوتٍ بينهم في التعطيل، وهذه القاعدة ناقش فيها في قضية التكييف.

وكما يقول الخطابي: **"فإذا كان معلومًا أن إثبات الباري سبحانه إنما هو إثبات وجودٍ لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجودٍ لا إثبات تحديدٍ وتكييفٍ"**، طيب بعدها ذكر شيخ الإِسْلَام إذا قال: كيف استوى؟ قل له كيف ذاته؟ وإلى آخره يَعْنِي.

(المتن)

يقول: **"فإذا قلنا: يدٌ وسمعٌ وبصر وما أشبهها، فإنما هي صفاتٌ أثبتها الله لنفسه، ولسنا نقول: إن معنى اليد القوة أو النعمة"**.

(الشرح)

"إن معنى اليد القوة أو النعمة"، هنا في هذه السياقات لا ينفي أن من معاني اليد والقوة ومن معاني اليد النعمة هذا وارد؛ ولكن في هذه السياقات التي وردت فيها في النصوص مثلًا في قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص: 75]، القدرتين أو النعمتين لا.

طَبْعًا الجزء الأول هو تأويل جميع المتكلمين معتزلةً وجهميةً وأشاعرةً وماتريدية، أما التأويل الثاني معنى السمع والبصر العلم هذا تأويل المعتزلة يرون أن السمع والبصر هو العلم نعم.

(المتن)

يقول: ولا معنى السمع والبصر العلم، ولا نقول: إنها جوارح.

(الشرح)

نعم لا نقول: إنها جوارح لا نطلق عليها لأنهم هم يطلقون عليها جوارح ثم ينفونها، كما قلت سابقًا: أنها أشار شيخ الإِسْلَام لمفهوم الحقائق المتكلمون يجعلون خصائص المخلوقين في مسمى الصفة وينفونها.

(المتن)

يقول: ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارحٌ وأدواتٌ للفعل.

ونقول: إنما وجب إثبات الصفات لأن التوقف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنه لأن الله ليس كمثله شيء، وعلى هذا جرى قول السلف في أحاديث الصفات انتهى كلامه وهذا كله كلام الخطابي.

وهكذا قال أبو بكر الخطيب الحافظ في رسالةٍ له.

(الشرح)

أبو بكر الخطيب توفي سنة أربعمائة وثلاثة وستين، وهذه المقولة اشتهرت للخطيب واشتهرت للخطابي والخطابي أسبق نعم.

(المتن)

وهكذا قال أبو بكر الخطيب الحافظ في رسالةٍ له أخبر فيها أن مذهب السلف على ذلك.

(الشرح)

يقول المحقق هنا: هذا الرسالة ذكرها الألباني باسم رسالة في الصفات، وذكر أنها محفوظةٌ في دار الكتب الظاهرية برقم كذا، وقد ساق اللغويين هذه الرسالة في مقدمة كتاب "مختصر العلوم"، وذكر أنها لم تنشر حتى الآن ما أدري هل طُبعت أما لا ما أدري وذكر رقم الخطوط أَيْضًا في الظاهرية نعم.

(المتن)

وهذا الكلام الذي ذكره الخطابي قد نقل نحوًا منه من العلماء ما لا يحصى.

(الشرح)

هكذا عندكم نحوًا ولا نحوٌ؟ نحوًا إِذًا من الذي نقل هو نُقل أحسن نُقل نحوٍ منه من العُلَمَاء ما لا يحصى ما دام كل النسخ هكذا نحوًا.

الطالب: أحسن الله إليك يا شيخ نقل نحوًا منه ما لا يحصى من العلماء ...؟!

الشيخ: أحسنت يكون الفاعل متأخرًا ما لا يحصى هذا يكون الفاعل، نقل ما لا يحصى من العُلَمَاء نحوًا منه أحسنت نعم.

(المتن)

مثل: أبي بكر الإسماعيلي.

(الشرح)

هو صاحب المستخرج معروف بصاحب المستخرج أبو بكر الإسماعيلي من المحدثين المعروفين توفي سنة ثلاثمائة وواحد وسبعين نعم.

(المتن)

والإمام يحيى بن عمار السجزي.

(الشرح)

السجزي هذه نسبةً إلى سجستان على غير القياس، نسبة إلى سجستان المنطقة المعروفة إلى الجنوب من خراسان نعم.

(المتن)

وشيخُ شيخِ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري الهروي، ومثل: أبي عثمان الصابوني شيخ الإسلام.

(الشرح)

أبي عثمان الصابوني معروف كتابه مطبوع وكتابه جميل جدًا من أحسن ما كُتب في باب الاعتقاد، كتاب أبي عثمان الصابوني توفي سنة أربعمائة وتعسة وأربعين وهو غير الصابوني الماتريدي، الصابوني الماتريدي أَيْضًا في نفس الطبقة نعم.

(المتن)

وأبي عمر بن عبد البر النمري إمام المغرب وغيرهم.

(الشرح)

أبي عمر بن عبد البر النمري هو إمام المغرب وسبحان الله هذا إمام المغرب والخطيب إمام المشرق وكلاهما توفي في سنة واحدة أربعمائة وثلاثة وستين نعم.

(المتن)

وقال أبو نعيم الأصبهاني صاحب "الحلية" في عقيدةٍ له في أولها: "طريقتنا طريق المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة".

(الشرح)

"طريقتنا طريق المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة"، من البداية أخبرنا منهجه أن نتقيد بالكتاب والسنة وإجماع الأمة هذه طريقته نعم قال؟

(المتن)

قال: فمما اعتقدوه أن الأحاديث التي ثبتت عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في العرش واستواء الله يقولون بها ويثبتونها من غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ ولا تشبيه، وأن الله بائنٌ من خلقه، والخلق بائنون منه، لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم، وهو مستوٍ على عرشه في سمائه دون أرضه وخلقه.

(الشرح)

أبو نعيم الأصبهاني توفي سنة أربعمائة وثلاثين وفيه شيء من التصوف، ونبهت فيما سبق أن هؤلاء الذي لم يقعوا فيما وقعوا فيه من الصوفية المنحرفون في هذا الباب التصوف لا يخلوا من هذا الباب أقول: في هذا الباب ردودهم على أصحابهم جميلة وواضحة في باب قضية الاتحاد والحلول، يقول: "لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم".

(المتن)

وقال الحافظ أبو نعيم في كتاب "محجة الواثقين ومدرجة الوامقين" تأليفه: وأجمعوا أن الله فوق سماواته، عالٍ على عرشه مستوٍ عليه، لا مستولٍ عليه كما تقول الجهمية إنه بكل مكان.

(الشرح)

هذا قول الجهمية ونسبه أبو الحسن الأشعري إلى الجهمية والمعتزلة، ورد عليه أبو المعين النسفي من أئمة الماتريدية توفي سنة خمسمائة وثمانين رد عليه يقول: كيف تنسبه إلى المعتزلة والجهمية وهو تأويل معناه أَيْضًا؟ نعم.

(المتن)

كما تقول الجهمية إنه بكل مكان خلافًا لما نزل في كتابه: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾[الملك:16].

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[فاطر:10].

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:5].

له العرش المستوي عليه والكرسي الذي وسع السماوات والأرض؛ وهو قوله وتعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾[البقرة:255].

وكرسيه جسمٌ والسماوات السبع والأرضون السبع عند الكرسي كحلقةٍ في أرض فلاة.

(الشرح)

هذا كما ورد في الأثر عن ابن عباس -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا- نعم.

(المتن)

وليس كرسيه علمه كما قالت الجهمية

(الشرح)

وليس كرسيه علمه هذا تأويل خطأ.

(المتن)

بل يوضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه كما قاله النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

(الشرح)

يقول: "بل يوضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه كما قاله النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-"، أشار إلى الحديث نعم.

(المتن)

وأنه تعالى وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده والملائكة صفًّا صفًّا؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[الفجر:22].

الطالب: وكرسيه جسمٌ ماذا يقصد؟!

الشيخ: يقصد أن له وجود ليس شيء معين، هو يشير هنا إلى حديث: "**بل يوضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه**"، يشير إلى حديث والحديث ذكره المحقق مشكورًا يقول: عن جابر -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه- قال: لما رجعت إلى رسول الله مهاجرة البحر لما رجعوا قال: أتحدثوني بأعجب ما رأيتم في أرض الحبشة؟!

قال فتيةٌ منهم: «**بلى يا رسول الله، بينما نحن جلوس مرت بنا عجوزٌ من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قلة من ماء، فمرت بفتىً منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها، فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت التفتت إليه**»، وهذه العجوز من النصارى يَعْنِي في الحبشة.

فقالت: سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي، وجمع الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدًا، فقال: يقول رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**صدقت، صدقت، كيف يقدس الله أمةً لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم؟!**»، أخرجه ابن ماجه وابن حبان وغيره وذكر الشيخ الألباني: أنه من مجموع طرقه يكون صالحًا نعم.

الطالب: ...؟!

الشيخ: نعم الذين يفسرونه بالعلم هذا القول نقله الإِمَام البُخَارِيّ في صحيحه نقله عن أحد التابعين.

الطالب: ...؟!

الشيخ: هو لم يذكرها بالمعنى أصلًا نقلها عن أحد التابعين.

الطالب: ...؟!

الشيخ: هذا نسيته لكن على كل حال ذلك الذي نقل عنه الإِمَام البُخَارِيّ نقل صحيح ولكن التأويل خطأ، تأويل هذا خطأ سواء قاله فلان أو نقله علان لأن الكرسي موضع القدمين كما ورد في الأثر الصحيح عن ابن عباس وليس هو.

وأَيْضًا: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾[البقرة:255]، بالكاد وسع علمه السموات والأرض علمه وسع كل شيء نعم.

(المتن)

وأنه تعالى وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده، فيغفر لمن يشاء من مذنبي الموحدين، ويعذب من يشاء؛ كما قال تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾[آل عمران:129] انتهى.

وقال الإمام العارف معمر بن أحمد الأصبهاني.

(الشرح)

من المتأخرين من طبقة صاحب الحلية توفي سنة أربعمائة وثمانية عشر نعم.

(المتن)

وقال الإمام العارف معمر بن أحمد الأصبهاني- شيخ الصوفية في حدود المائة الرابعة في بلاده- قال: "أحببت أن أوصي أصحابي بوصيةٍ من السنة وموعظةٍ من الحكمة، وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر، وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين".

قال فيها: "وأن الله استوى على عرشه بلا كيفٍ، ولا تشبيهٍ، ولا تأويل، والاستواء معقول والكيف فيه مجهول، وأنه -عَزَّ وَجَلَّ- بائنٌ من خلقه، والخلق منه بائنون بلا حلولٍ ولا ممازجةٍ، ولا اختلاطٍ ولا ملاصقةٍ، لأنه المنفرد البائن من خلقه، الواحد الغني عن الخلق".

(الشرح)

بلا حلولٍ ولا ممازجةٍ، ولا اختلاطٍ ولا ملاصقة هذا كله تأكيد نعم.

(المتن)

وأن الله-عَزَّ وَجَلَّ- سميعٌ، بصيرٌ، عليم، خبيرٌ، يتكلم، ويرضى، ويسخط، ويضحك، ويعجب، ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكًا، وينزل كل ليلةٍ إلى السماء الدنيا كيف شاء فيقول: «هل من داعٍ فأستجيب له؟ هل من مستغفرٍ فأغفر له؟ هل من تائبٍ فأتوب عليه؟ حتى يطلع الفجر».

ونزول الرب إلى السماء بلا كيفٍ ولا تشبيهٍ، ولا تأويل.

(الشرح)

بلا كيف أي بلا كيفية نعلمها نعم.

(المتن)

فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدعٌ ضال، وسائر الصفوة من العارفين على هذا.

(الشرح)

يقول: كلهم أو على تعبيره: "**وسائر الصفوة من العارفين**" الذين يدعون العرفان كلهم كثير منهم يقولون بالحلول والاتحاد، يقول: سائر الصفوة الذين على الاستقامة من العارفين على هذا الذي ذكره والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الطالب: ...؟!

الشيخ: أنه ... يَعْنِي هو في الأرض هو في كل مكان من هنا يَعْنِي من الأرض؛ بل هو الله -عَزَّ وَجَلَّ- بذاته فوق العرش وليس ...

الطالب: على هذا الجهمية يقولون بالحلول؟!

الشيخ: الجهمية يقولون: هو في كل مكان من الأمكنة.

الطالب: لفظ الحد هل هذا امن الألفاظ التي تكون ...؟!

الشيخ: أنا قلت لكم: هذا من الألفاظ المجملة التي اختلف فيها السلف بعضهم أثبتوه قَالُوا: نثبت له حدًا، بمعنى أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- موصوفٌ بصفة الحد بمعنى وصف نعم محدود أي موصوفٌ بصفاتٍ تميزه عن غيره؛ وبعضهم نفوا الحد بمعنى الكيف الحد إذا كان بمعنى الكيف فهو منفي، والحد إذا كان بمعنى الصفة فهو أثبته كثيرٌ من السلف نعم.

الطالب: أحسن الله إليكم ماذا يقصد بقوله: أن الله محدود؟!

الشيخ: نفس الجواب.

الطالب: أحسن الله إليكم هل العرش كان موجود قبل أن يخلق الله السموات والأرض وما الجواب على ذلك؟!

الشيخ: في هذا الحديث الذي قلنا هو ولكن الحديث لا يصح، يقول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾[هود: 7]، في سورة هود.

يَعْنِي هو الله -عَزَّ وَجَلَّ- أخبرنا أنه كان قبل أن يخلق السموات والأرض وكان عرشه على الماء كان العرش على الماء، هم يقولون: كان ولا مكان وهو الآن على مكان هذا حديثٌ متفق عليه، الحديث المتفق عليه: «**كان ولا مكان وهو الآن على ما كان**».

الطالب: أحسن الله إليكم هل تنصحونا في دراسة ...؟!

الشيخ: أنا لا أنصح بدراسة ... فيه تضييع وقت، وهو كما وصفه شيخ الإِسْلَام: "**كلحم جملٍ غث**"، هذا جملٍ واحد لا سهلٍ ... بسهول ولا سمينٍ فيلتهم يَعْنِي بعد ما تذهب وتكلف نفسك هذه المشقة وتصل إلى هناك لحم جملٍ غث ولا سمينٍ فيلتهم فليس فيه فائدة.

فَإِذا كنت تتخصص في بعض الجوانب وكنت بحاجة إلى يَعْنِي فهم كلام العُلَمَاء خذ منه ما يكفيك لفهم كلام العُلَمَاء، وهناك كتب الآن يَعْنِي مؤلفة في صراعات المنطق سهلة جدًا تستفيد منها تغنيك عن تضييع الوقت فيها.

الطالب: أحسن الله إليكم هل الأشاعرة والماتريدية من أَهْلِ السُّنَّة؟!

الشيخ: من أَهْلِ السُّنَّة المحضة لا لأن خلافهم لأهل السنة يبدأ من الإيمان في أنواع التوحيد الثلاثة في كل نوع مختلفون ليس في توحيد الأسماء والصفات فقط، مختلفون حتى في توحيد الربوبية في توحيد الربوبية وتوحيد الربوبية أصلًا لا يقولون به.

وفي توحيد الأسماء والصفات وفي مصدر التلقي مصادر التلقي المنهج في التهاون مع مصادر التلقي، وحتى في السمعيات هم يتفقون مع أَهْلِ السُّنَّة في باب الصَّحَابَة، والصحابة أَيْضًا ينسبون إليهم التفويض ولكن عمومًا في باب الصَّحَابَة يتفقون مع أَهْلِ السُّنَّة في باب الصَّحَابَة وهذا جانب يشكرون عليه في مقارنة أَيْضًا الرافضة؛ فإذا قلت: من

أَهْلِ السُّنَّة معضلة أما من أَهْلِ السُّنَّة عمومًا في مقابل الرافضة وهم أقرب إلى صفات أَهْلِ السُّنَّة نعم.

الطالب: أحسن الله إليكم ما المقصود بمسمى الصفة؟!

الشيخ: مسمى الصفة مثْلًا اليد إذا جعلت اليد له اليد ما يمسك به الشيء هذا تعرفه اليد ما يمسك به الشيء، أو ما يمسك من الشيء يد الباب مثْلًا هو الذي يمسك به ما يسمك به أو ما يسمك من الشيء.

أنت لما تخصصه بيد الإنسان طيب أين يد الباب؟ أين يد البعير وغيرهم؟ فأنت لما تخصصه بيد الإنسان تدخل في مسمى الصفة خصائص الإنسان فقط وتستبعد الباقي، والمتكلمون كما قال ابن القيم هذه عبارة ابن القيم في كتابه "**جلاء الأفهام**" يدخلون في مسمى الصفة خصائص المخلوقين ثم ينفونها كلها.

لأن المعاني العامة مثْلًا البصر والسمع المعاني العامة هذه يتفق فيها الخالق والمخلوق، إدراك المبصرات مثْلًا بالنسبة للبصر في المخلوق إدراك المبصرات وإدراك المبصرات في المخلوقات تختلف، فكيف بالخالق والمخلوق؟!

إدراك المبصرات يشترك فيه الجميع، إدراك المبصرات إذا نُسب إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- معناه يختلف إذا نُسب إلى المخلوق معناه يختلف، أنت إذا أدخلت في البصر خصائص المخلوق وجعلت البصر لا يشمل إلا خصائص المخلوق هذا خلل منهجي في معرفة الألفاظ في معرفة دلالات الألفاظ، استبعدت بقية المعاني لأجل التحكم من عندك ليس لأجل اللغة، ليست هذه قضية كلامية قضية كلامية بحتة من عنده نعم.

الطالب: أحسن الله إليكم هل إذا أطلق لفظ الجهمية يدخل فيه المعتزلة والأشاعرة أم يكون خاصًا بالجهمية؟!

الشيخ: أنا ذكرت لكم ما ذكره شيخ الإِسْلَام في "التسعينية" ذكر شيخ الإِسْلَام في "التسعينية" أن الجهمية ثلاثة أقسام:

❍ الطبقة الأولى: الجهمية الأولى.

❍ الطبقة الثانية: المعتزلة.

❍ الطبقة الثالثة: الأشاعرة.

فهم كلهم في الجهم والتجهم هو التعطيل، كلهم عندهم جهمية يَعْنِي نفس الصفات بالتعطيل وهم يتفاوتون في ذلك؛ لكن في باب الصفات كلهم جهمية في باب القدر يختلفون في باب الإيمان يختلفون الأبواب تختلف.

الجهم نفسه في باب الصفات إمام الجهمية في باب الإيمان إمام المرجئة إذا ذُكر المرجئة فهو إمامهم المرجئة الخُلص إمامهم الجهم، في باب القدر هو إمام الجبري الخُلص فالأبواب تختلف ففي باب الصفات كلهم جبرية.

الطالب: كيف يقولون الجهمية يقولون: استوى بمعنى استولى وهم ينفون الأسماء والصفات؟!

الشيخ: أي نعم استوى أي يرده فعل من الأفعال وبذلك يكون قد نفى الصفة وأثبتوها وجعلوها فعل من الأفعال والأفعال عندهم لأن الاستواء يدل على العلو والارتفاع، ففي هذا التأويل استبعدوا صفتين فالأفعال عندهم عند بعض من الخلق هو المخلوق يستبعده أن يكون صفةً.

الآن هو في الاستيلاء يقعون في شرٍ مما يتوهمونه في الاستواء، لأنهم يقولون: إذا قيل لهم: الاستيلاء أَيْضًا يكون بعد مغالبة، فهل استيلاء الله -عَزَّ وَجَلَّ- فيه مغالبة؟ يقولوا: لا استيلاءٌ يليق به؛ إِذًا أولًا أنت لم تحترم اللفظ الشرعي لم تحترمه لعبت به حرفته في النهاية وصلت إلى نتيجة أسوء مما توقعته هنا قل استواءً يليق به وانتهى الموضوع.

الطالب: من الذين يقولون: هو على العرش ولكن هل هو في السماء أو في الأرض؟!

الشيخ: طَبْعًا هذا القول حكاه أبو مطيع وسأله الإِمَام أبو حنيفة ولا أذكر أن هناك طائفة من أهل البدع يتمنون هذا القول لا أذكر، لا أذكر أنه مستوٍ على العرش ولا ندري هل العرش فوق أو تحت ما أذكر؟!

الطالب: هل من ينكر فهم مذهب السلف يخرج من مذهب أَهْلِ السُّنَّة وَالجَمَاعَة؟!

الشيخ: نعم وهذا من أهم الأسباب التي تخرج من منهج أَهْلِ السُّنَّة وَالجَمَاعَة، العصمة التي في منهج أَهْلِ السُّنَّة من أهم أسبابها أنهم يتقيدون بمذهب السلف بمنهج السلف بفهم السلف نعم.

الطالب: من يثبت أن الكرسي موضع القدمين يفسره أَحْيَانًا بلازمه وهو العلم هل يصح؟!

الشيخ: لا يصح كيف يكون هذا لازمه، هذا لم يذكر لازم إنما ذُكر بالتأويل نعم.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

للإمام الشيخ

شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني

- رحمه الله -

(المجلس السابع عشر)

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد محمدي النورستاني

- حفظه الله -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(المتن)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين اللّٰهم اغفر لنا ولشيخنا آمين.

قال شَيْخ الإِسْلَام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: وقال الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال في (كتاب السنة): حدثنا أبو بكر الأثرم، حدثنا إبراهيم بن الحارث - يعني العبادي - حدثنا الليث بن يحيى، قال: سمعت إبراهيم بن الأشعث، قال أبو بكر- وهو صاحب الفضيل- قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: «**ليس لنا أن نتوهم في الله كيف هو؛ لأن -الله تَعَالَى- وصف نفسه فأبلغ فقال**»: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص: 1 - 4]، فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه.

(الشرح)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، نحمد ونصلي على رسوله الكريم أما بعد:-

لازال شيخ الإِسْلَام يذكر أقوال الأئمة الذين أثبتوا أسماء الله -عَزَّ وَجَلَّ- وصفاته، يذكر أقوالهم لتكون أَيْضًا دليلًا لإثبات الصفات و الأسماء ولإثبات أن هذا هو منهج أَهْلِ السُّنَّة وأهل العلم قديمًا وحديثًا؛ وأن المتكلمين الذين ينفون الصفات كلها أو بعضها ليس لهم دليل وليس معهم أولئك الأئمة الذين لهم لسان صدقٍ في هذه الأمة، وهذه النقول في هذا الصدد.

نقل هنا عن الخلال الخلالْ من الأئمة المعروفين في المذهب الحنبلي، تتلمذ على تلاميذ الإِمَام أحمد واهتم بجمع أقوال الإِمَام أحمد اهتمامًا قد لا يماثله أحد في ذلك، (وكتاب السنة) مطبوع بتحقيق الدكتور/ عطية الزهراني أو أحمد الزهراني مطبوع.

نقل هنا عن الفضيل بن عياض يقول: «**ليس لنا أن نتوهم في الله كيف هو؛ لأن -الله تَعَالَى- وصف نفسه فأبلغ فقال**»: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ

(3) ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص: 1 - 4]، "فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه"، وهو في صفته لم يتعرض لبيان الكيف فنكتفي بما جاء في الكتاب والسنة في وصف الله -عَزَّ وَجَلَّ- نعم.

(المتن)

قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: وكل هذا: النزول، والضحك، وهذه المباهاة، وهذا الاطلاع كما يشاء أن ينزل.

(الشرح)

طَبْعًا النزول واضح والضحك هذا ورد هذا وهذا في الأَحَادِيْث، المباهاة ورد أَيْضًا في حديث عائشة -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْها- قالت: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«ما من يومٍ أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة، وأنه ليدنوا ثم يباهي لهم الملائكة فيقول: ماذا أراد هؤلاء!»**.

والمباهاة هي المفاخرة والمراد هنا أنه يفاخر بهم ملائكته ويريهم مكانتهم عنده- سُبْحَانَه-.

والإطلاع أَيْضًا كما ورد في حديث عمر بن الخطاب -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه- حديث قصة حاطب بن أبي بلتعة الطويل -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه- وفيه: **«وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»**، والإطلاع هو العلم نعم.

(المتن)

قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: وكما يشاء أن يباهي، وكما يشاء أن يضحك، وكما يشاء أن يطلع. فليس لنا أن نتوهَّم كيف وكيف! فإذا قال الجهمي: أنا أكفر بربٍ يزول عن مكانه! فقل: بل أؤمن برب يفعل ما يشاء.

(الشرح)

هذا جوابٌ إلزامي نعم.

(المتن)

ونقل هذا عن الفضيل جماعة، منهم البخاري في "خلق أفعال العباد".

ونقله شيخ الإسلام بإسناده.

(الشرح)

إذا أطلق شيخ الإسلام هو قال: شيخ الإسلام هكذا وأطلق يكون المراد به الهروي أبو إسماعيل الهروي نعم.

(المتن)

قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: ونقله شيخ الإسلام بإسناده في كتابه "الفاروق" فقال: حدثني يحيي بن عمار، ثنا أبي ثنا يوسف بن يعقوب، ثنا حَرَميٌّ بن عليٌ البخاري، وهانئ بن النضر عن الفضيل.

(الشرح)

هذه الرموز تفك عند القراءة ثنا يَعْنِي حدثنا هذه عند القراءة تفك، وإذا كان ألف ونا يقال: أخبرنا.

(المتن)

قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: حدثني يحيي بن عمار، حدثنا أبي ثنا يوسف بن يعقوب، حدثنا حَرَميٌّ بن عليٌ البخاري، وهانئ بن النضر عن الفضيل، وقال عمرو بن عثمان المكي في كتابه الذي سماه "التعرف بأحوال العباد والمتعبدين" قال: «ما يجيء به الشيطان للتائبين».

(الشرح)

عمرو بن عثمان المكي والنقل الذي نقله عنه أَيْضًا فيه نوع من الطول وهو من المعروفين بالتصوف، وشيخ الإِسْلَام نقل من هذا الصنف كثيرًا في هذا الكتاب لأن هناك صلة بين التصوف وبين الأشعرية من قديم الزمان، سأشير إليه عند نقله عن المحاسبي أو عند ابن خفيف نعم، وفيه إقامة الحجة عليهم لأنه من ناحية أشعري ومن ناحية صوفي نعم.

(المتن)

قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: وذكر أنه يوقعهم في القنوط، ثم في الغرور وطول الأمل ثم في التوحيد.

(الشرح)

قوله: «**ما يجيء به الشيطان للتائبين**»، يقصد من الوسوسة نعم، أَحْيَانًا يوقعهم في القنوط، وأَحْيَانًا يوقعهم في الغرور وطول الأمل ويأتي ويوسوس عليهم في التوحيد يوسوس عليهم في الخلق في أمر الخلق نعم.

(المتن)

فقال: من أعظم ما يوسوس في التوحيد بالتشكيك أو في صفات الرب بالتمثيل والتشبيه، أو بالجحد لها والتعطيل.

(الشرح)

أي يوقعهم في طرفي الضلال إما في التشبيه وإما في التعطيل نعم.

(المتن)

فقال بعد ذكر حديث الوسوسة.

(الشرح)

حديث الوسوسة معروف حديث أَبِي هُرَيْرَة أخرجه الإِمَام مسلم يقول: جاء ناسٌ من أصحاب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، يستشنعه يستعظمه أن يتكلم به قال: «**وقد وجدتموه؟**»، قالوا: نعم، قال: «**ذاك صريح الإيمان**».

لأن فيه مدافعة سماه صريح الإيمان لأن فيه مدافعة، ولأن فيه استعظام واستبشاع لهذه الوسوسة ما دام هناك شعور لأن هذا الذي تجده لا يَنبغْي أن يكون وأنك تدافعه هذا هو صريح الإيمان نعم.

(المتن)

قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: واعلم -رحمك الله تعالى- أن كُلَّ ما توهمه قلبك، أو سَنَح في مجاري فكرك، أو خطر في معارضات قلبك من حسنٍ أو بهاءٍ، أو ضياءٍ أو إشراقٍ، أو جمالٍ، أو شبحٍ مائل، أو شخصٍ متمثل: فالله تعالى بغير ذلك، بل هو تعالى أعظم وأجل وأكبر.

ألا تسمع إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:11].

وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص:4]، أي لا شبيه ولا نظير ولا مساوٍ ولا مثل، أَوَلَمْ تعلم أنه تعالى لما تجلَّى للجبل تدكدك لعظم هيبته، وشامخ سلطانه، فكما لا يتجلى لشيء إلا اندك، كذلك لا توهمه أحد إلا هلك، فرُدّ بما بين الله في كتابه من نفيه عن نفسه التشبيه والمثل والنظير والكفؤ.

(الشرح)

شامخ سلطانه أي عظيم سلطانه، لو تكتب نقطتين عند عن نفسه: " **رُدّ بما بين الله في كتابه من نفيه عن نفسه**"، هنا تكتب نقطتين: "**التشبيه والمثل والنظير والكفؤ**"، الذي بينه الله -عَزَّ وَجَلَّ- في كتابه من نفيه عن نفسه يكفيك أن ترد به التشبيه والمثل والنظير والكفؤ؛ رُدّ به ماذا ترده؟ المردود التشبيه والمثل والنظير والكفؤ نعم.

(المتن)

فإن اعتصمت به وامتنعت منه أتاك من قبل التعطيل لصفات الرب -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

(الشرح)

منه أي من التخييل يَعْنِي إذا تجاوزت هذه العقبة أتاك من جهة أخرى أتاك من قبل التعطيل نعم.

(المتن)

فإن اعتصمت به وامتنعت منه أتاك من قبل التعطيل لصفات الرب -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وتقدس في كتابه، وسنة رسوله محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال لك: إذا كان موصوفًا بكذا أو وصفته أوجب له التشبيه فأكذبه.

(الشرح)

أي إذا جاءك هكذا يقول: إذا كان موصوفًا بكذا أو وصفته أوجب لك التشبيه هكذا يوسوس، يقول: إذا جاءك بهذه الوساوس فأكذبه قل له: أنت كذاب نعم.

(المتن)

لأنه اللعين إنما يريد أن يستزلك ويغويك ويدخلك في صفات الملحدين الزائغين الجاحدين لصفة الرب تعالى؛ فاعلم -رحمك الله تعالى- أن الله واحد لا كالآحاد فردٌ صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، إلى أن قال: خلصت له الأسماء السَّنِيَّة.

(الشرح)

الأسماء السَّنيَّة له فقط الأسماء التي تتضمن صفات الكمال هذه الأسماء له فقط ليس هناك من يشاركه في استحقاق هذه الأسماء السَّنِيَّة العلية نعم.

(المتن)

إلى أن قال: خلصت له الأسماء السَّنِيَّة فكانت واقعةً في قديم الأزل بصدق الحقائق.

(الشرح)

طَبْعًا هذا لا يسلم له لعمرو بن عثمان المكي: **"فكانت واقعةً في قديم الأزل بصدق الحقائق"**، يقول: هذه الأسماء لا تطلق على الله -عَزَّ وَجَلَّ- هكذا اعتباطًا بدون معنى لا، هو استحقها بصدق الحقائق استحقها لأن فيه هذه المعاني وهذا صحيح.

ولكن قوله: أن هذه الأسماء كانت واقعةً في قديم الأزل هذا لا يستقيم، ولا يصح إطلاق القول بأن صفات الله -عَزَّ وَجَلَّ- الفعلية قديمة، يَعْنِي هكذا إطلاق القول لا يصح أن الصفات الفعلية والأسماء التي تتعلق بها ليست قديمة؛ نقول: إنها تابعة لمشيئة الله -عَزَّ وَجَلَّ- وأن جنس الفعل قديم ولكنه حادث الآحاد نعم.

(المتن)

لم يستحدث تعالى صفةً كان منها خليًا، أو اسمًا كان منه بريًا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

(الشرح)

أَيْضًا لم يستحدث تعالى صفةً كان منها خليًا، أو اسمًا كان منه بريًا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- هذا أَيْضًا محل نقاش، لأن الصفات الفعلية هي ليست أزلية هي تتعلق بمشيئته وقدرته، ووجود الصفات الفعلية كمالٌ حين وجوده.

هم يقولون: القول بحدوث الصفات الفعلية يستلزم استكماله سبحانه بهذه الصفات، هكذا يقولون وهذا غير صحيح لأن وجود هذه الصفات في وقتها هو الكمال، فالله -عَزَّ وَجَلَّ- أعلم بنفسه من غيره يستلزم لا يستلزم أصلًا هذا المنطق أعوج.

فوجود هذه الصفات في وقتها هذا هو الكمال وليس وجودها قبل وقتها، مثْلًا تكليم الله -عَزَّ وَجَلَّ- لموسى ونداءه له في وقته أليس هذا هو الكمال، هل يناديه قبل خلقه أو قبل ذلك الموعد! هل هذا هو الكمال؟ لا، وكذلك نداءه لأهل الجنة وتكليمه ونداءه للخلائق يوم القيامة في وقته هذا هو الكمال نعم.

أو اسمًا كان منه بريًا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- هذا مثل قريب من قول الطحاوي: **"ما زال بصفاته قديمًا قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئًا لم يكن قبلهم من صفة"**، هذا أَيْضًا محل نقاش والخلاصة: أن فيه نفيًا للجانب الذي يتعلق بمشيئته وقدرته وهذا لا يصح نعم.

(المتن)

قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: فكان هاديًا سيهدي، وخالقًا سيخلق، ورازقًا سيرزق، وغافرًا سيغفر، وفاعلًا سيفعل، لم يحدث له الاستواء إلا وقد كان في صفةٍ أنه سيكون ذلك الفعل فهو يسمى به في جملة فعله كذلك.

(الشرح)

أي هذا أَيْضًا خطأ الاستواء الله -عَزَّ وَجَلَّ- أخبر في كتابه أن الاستواء كان بعد خلق السموات والأرض، ومن قوله سبحانه في ذلك: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[يونس: 3]، هكذا في ستة مواضع ثم كلمة ثم.

وهذا يدل على أن هذه الصفة ليست قديمة ولا يَنبغْي أن نقول: أنها قديمةٌ باعتبار القدرة لا يصح، هناك كلام لشيخ الإِسْلَام وهو صريح في ذلك يقول هذا كلام شيخ الإِسْلَام:

"والقائلون بأن الاستواء صفة الذات يتأولونه بأنه قدر على العرش وهو ما زال قادرًا وما زال عالي القدر؛ فلهذا ظهر ضعف هذا القول من وجوه" منها قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾[يونس: 3]، فأخبر أنه استوى بحرف ثم ومنها أنه عطف فعلًا على فعل فقال: خلق ثُمَّ اسْتَوَى.

إذًا هذا التأويل أن الاستواء هذه الصفة قديمة باعتبار قدرته سبحانه خطأ، كيفما جئنا إلى هذه الصفة؟ الصحيح: أنها صفة فعلية تتعلق بمشيئته وقدرته وليست قديمة بأي اعتبار إلا باعتبار الفعل، الفعل والخلق كما قلت: نوعه قديم ولكن آحاد هذه الصفات كصفة الاستواء مثلًا ليست قديمة فالله -عَزَّ وَجَلَّ- هو الذي أخبرنا أنها ليست قديمة ثُمَّ اسْتَوَى، فلِمَاذَا نحن نتكلف لنرجعها ونجعلها صفة ذات! أو قديمةً باعتبار وفعليةً باعتبار؟!

(المتن)

فهو يسمى به في جملة فعله كذلك، قال الله تعالى: ﴿وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[الفجر:22] بمعنى أنه سيجيء فلم يستحدث الاسم بالمجيء.

(الشرح)

نفس الملاحظة أولًا ليس من أسماءه الجائي كما يظهر من كلامه، فلم يستحدث الاسم بالمجيء يَعْنِي الجائي أولًا ليس من أسماءه الجائي نحن نطلق هذا من باب الإخبار.

وثانيًا: إن كان مقصوده أنه تعالى موصوفٌ بالكمال منذ الأزل فهو صحيح، الله -عَزَّ وَجَلَّ- موصوفٌ بالكمال منذ الأزل أما إذا أراد عدم تجدد أفراد أفعاله فهذا خطأ كما قلت نعم.

(المتن)

وتخلف الفعل لوقت المجيء، فهو جاءٍ سيجيء.

(الشرح)

فهو جاءٍ سيجيء يقول: سمي بالجائي لأنه سيأتي، لا الصحيح أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- وصف بهذا الفعل لأنه أخبر عن نفسه أنه سيأتي، فنحن نصفه بأنه من صفاته أنه يجيء

ويأتي لأنه أخبر عن نفسه؛ ولا نقول: أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- وصف بهذه الصفة لأنه سيجيء إلا من حيث الاختبار، ونحن نقول: الله -عَزَّ وَجَلَّ- يجيء يوم القيامة بعد أن لم يكن جائيًا نعم.

(المتن)

ويكون المجيء منه موجودًا بصفةٍ لا تلحقه الكيفية ولا التشبيه.

(الشرح)

طَبْعًا نحن لما ننفي الكيفية ننفي علمنا بالكيفية ولا ننفي الكيفية لا يجوز أن تنفي الكيفية نحن ننفي علمنا بالكيفية.

(المتن)

ويكون المجيء منه موجودًا بصفةٍ لا تلحقه الكيفية ولا التشبيه، لأن ذلك فعل الربوبية، فتحسر العقول وتنقطع النفس عن إرادة الدخول في تحصيل كيفية المعبود، فلا تذهب في أحد الجانبين لا معطلًا، ولا مشبهًا، وارضَ لله بما رضي به لنفسه، وقف عند خبره لنفسه مسلمًا، مستسلمًا، مصدقًا؛ بلا مباحثة التنفير ولا مناسبة التنقير.

(الشرح)

يقول: وقف عند خبره لنفسه مسلمًا دون أن تدخل في مباحثةٍ تؤديك إلى التنفير أو مناسبةٍ تبحث عن مناسبة تؤديك إلى التنقير، هو مثل هذا أو ليس مثل هذا ومثل هذه الأمور نعم.

(المتن)

إلى أن قال: فهو -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- القائل: ﴿أَنَا اللَّهُ﴾[القصص:30] لا الشجرة، الجائي قبل أن يكون جائيًا لا أمره المتجلي لأوليائه في الميعاد.

(الشرح)

نفس الملاحظة الجائي قبل أن يكون جائيًا الله -عَزَّ وَجَلَّ- يجيء يوم القيامة بعد أن لم يكن جائيًا نعم عكس ما يقوله نعم.

(المتن)

لا أمره المتجلي لأوليائه في الميعاد.

(الشرح)

نعم هنا يرد على الذين يؤولون المجيء بمجيء أمره، يقول: هو بنفسه المقدسة يأتي ويجيء وليس وجاء ربك ليس تأويله أنه يأتي أمره لا هو بنفسه يأتي، وفيه ردٌ على من يؤول مجيئه بمجيء أمره فأمره يجيء في كل وقت: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[الرحمن: 29]، ولا يختص بيوم الميعاد نعم.

(المتن)

فتبيَضُّ به وجُوههم، وتَفْلُج به على الجاحدين حجتهم.

(الشرح)

طَبْعًا مجيئه بعده سيكون النظر إلى وجهه الكريم، وتكتسب الوجوه بالنظر إليه النضرة فتبيَضُّ به وجُوههم، وتَفْلُج به على الجاحدين حجتهم، لأنهم كانوا ينكرون الرؤية، وبعد أن يأتي وينظر إليه من يستحق هذا فيه قطع لحجة أولئك، نسأل الله أن نكون ممن ينظر إلى وجهه الكريم.

(المتن)

قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: المستوي على عرشه بعظمة جلاله فوق كل مكان -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، الذي كلم موسى تكليمًا، وأراه من آياته.

(الشرح)

من آياته المقصود هنا الآيات الكونية التي يسميها المتكلمون المعجزات نعم.

(المتن)

فسمع موسى كلام الله؛ لأنه قَرَّبَه نَجِيًّا، تقدس أن يكون كلامه مخلوقًا أو محدثًا أو مربوبًا، والوارث لخلقه، السميع لأصواتهم، الناظر بعينه إلى أجسادهم، يداه مبسوطتان، وهما غير نعمته.

(الشرح)

أَيْضًا يرد على من يؤول اليدين بالنعمتين أو بالقدرتين نعم.

(المتن)

خلق آدم ونفخ فيه من روحه وهو أمره تعالى وتقدس أن يحل بجسم، أو يمازج بجسم أو يلاصق به تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.

(الشرح)

طَبْعًا كما قلنا: هذا من المتأثرين بالتصوف وكما لاحظنا أن هؤلاء ردودهم على الحلولية والاتحادية ردودهم جميلة وصريحة؛ وإلا هذه من الألفاظ المجملة تركها أولى.

(المتن)

الشائي له المشيئة.

(الشرح)

الشائي مثل ما ذكرنا عند الجائي ولكن لا بأس من استعماله من باب الإخبار.

(المتن)

العالم له العلم، الباسط يديه بالرحمة، النازل كل ليلةٍ إلى سماء الدنيا، ليتقرب إليه خلقه بالعبادة، وليرغبوا إليه بالوسيلة، القريب في قربه من حبل الوريد، البعيد في علوه من كل مكانٍ بعيد، ولا يشبه بالناس.

(الشرح)

يبدوا أن المكي هذا يرى أن القرب الذي في الآية: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[ق: 16]؛ يبدوا أنه يرى أنه قرب الله -عَزَّ وَجَلَّ- وهذا ليس بصحيح والصحيح أن القرب لا يكون إلا خاصًا، المعية تنقسم إلى قسمين:

- معية عامة.
- ومعية خاصة.

والقرب لا يكون إلا قربًا خاصًا كما قرره شَيْخ الإِسْلَام ابن تيمية-رَحِمَهُ اللهُ-، والقرب في قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[ق: 16] قرب الملائكة نعم.

(المتن)

إلى أن قال: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ

يَبُورُ﴾[فاطر: 10]؛ تعالى وتقدس أن يكون في الأرض كما في السماء جل عن ذلك علوًا كبيرًا انتهى.

(الشرح)

وهذا فيه الشاهد هذا الذي ختم به إثبات العلو وهو يرد على الذين يقولون: أن الله-عَزَّ وَجَلَّ- في الأرض كما أنه على السماء، وهذا قول بعض المنتسبين إلى السنة كالسالمية وغيره يرون أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- في الأرض وهو على السماء أَيْضًا فوق العرش أَيْضًا.

يريدون أن يجمعوا بين الآيات التي وردت في المعية وبين الآيات التي وردت في العلو، وهذا غير صحيح كما سيأتي في كلام المحاسبي وفي كلام شَيْخ الإِسْلَام أَيْضًا: أن آيات القرب والمعية لا تتعارض مع آيات العلو، الله -عَزَّ وَجَلَّ- على العرش عالٍ على عرشه مستوٍ على عرشه نعم.

(المتن)

وقال الإمام أبو عبد الله الحارث بن إسماعيل بن أسدٍ المحاسبي في كتابه المسمى: "فَهْم القرآن".

(الشرح)

الكتاب هذا مطبوع العقل وفهم القُرْآن له كتاب في العقل وله كتاب وهكذا سماه "فَهْم القرآن"، وهذا الكتاب ألفه للرد على من يخطأ في فهم القُرْآن عمومًا، وقد رد على جميع الطوائف سواءٌ كان الخطأ في الأصول أو في السلوك أو غير ذلك.

وما نقله شَيْخ الإِسْلَام هنا يتضمن إثبات الصفات ويتضمن أَيْضًا مذهب الحارث المحاسبي في كون الصفات كلها أزلية وكما تلاحظون شيخ الإِسْلَام أمينٌ في النقل ينقل ما له وما عليه كما لاحظنا في هذه النقول، ويكفيه من هذه النقول إثبات الصفات من حيث الجملة هذا هو قصده.

ولكن إذا كان في كلام من ينقل كلامه شيءٌ من الخطأ ينقله كما هو، وهذه الفتيا ليست للتعليق ولذلك ما نراه يعلق على مثل هذه الأخطاء مع أنه تكلم عليها بالتفصيل في كتبٍ أخرى مثل المحاسبي علق عليه في مواضع كثيرة.

والمحاسبي كلامه معقد وسبب التعقيد أمران، هو الذي ليس المحاسبي فقط حتى الذي قرأناه الآن إي وكلامهم، فسبب التعقيد هنا أمران:

- الأمر الأول: لأن متكلم وتعرفون كلام المتكلمين يكون معقدًا.
- الأمر الثاني: أنه متأثر بالصوفية والصوفية لغتهم إشارات ورموز.

مع أن المحاسبي لم يصل إلى تلك الدرجة ليس هو مثل الحلولية والاتحادية هو يرد عليهم، فَإِذا اجتمع هذا بهذا فتوقع منه هذا التعقيد الذي سنراه الآن إي كلامه فيه تعقيد، والحارث المحاسبي توفي بعد الإِمَام أحمد بسنتين توفي سنة مائتين وثلاثة وأربعين، وهو من أئمة الكُلابية هو معاصر لابن كُلاب، ابن كُلاب توفي قبله بثلاث سنوات هو من أئمتهم.

ومن أشهر ما اشتهر به الكُلابية جعلهم للصفات كلها يجعلونها أزلية حتى الصفات التي يثبتونها يجعلونها أزلية بحتة، وهذا سيتعبنا الآن مع الحارث المحاسبي من ناحية يرد على المعطلة، ومن ناحية يريد أن يحتفظ بأصوله في إثبات الصفات كما سنرى الآن نعم.

(المتن)

قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: قال في كلامه على الناسخ والمنسوخ وأن النسخ لا يجوز في الأخبار قال: لا يحل لأحد أن يعتقد أن مدح الله وأسمائه وصفاته يجوز أن ينسخ منها شيء.

(الشرح)

طَبْعًا النسخ لا يكون في الأخبار لأن الأخبار إما أن تكون صادقة وإما أن تكون كاذبة، فمثْلًا إذا أخبرتكم بأن فلانًا جاء ثم أخبرتكم بعد ذلك أن فلانًا لم يأتي هذا يناقض هذا أليس كذلك؟!

إما أن يكون هذا صدقًا وإما أن يكون هذا صدقًا، فخبر الله -عَزَّ وَجَلَّ- عن شيء قد يكون هذا من المخلوقين للجهل، أما خبر الله -عَزَّ وَجَلَّ- وخبر رسوله عن شيء لا ينسخ.

يقول المحاسبي: مدح الله وباب أسمائه وصفاته هذا كله من باب الإخبار فكل ما ورد فيها فهو محكم فليس هناك نسخ، وهو الآن سيرد على من يظن شيئًا من التعارض في باب الصفات وسيرد عليهم نعم.

الطالب:...؟!

الشيخ: كلها الصفات الاختيارية لا يثبتونها أصلًا هم، الصفات التي يثبتونها يجعلونها أزليةً بحتة سيأتي الآن، وأنا قلت لكم: النسخ لا يكون في الأخبار النسخ يكون في الأوامر في باب الإنشاء، مثْلًا أقول: أعطني هذا الكتاب ثم أقول: لا لا خليه ليس هناك تعارض نعم.

(المتن)

إلى أن قال: وكذلك لا يجوز إذا أخبر أن صفاته حسنةٌ عليا أن يخبر بعد ذلك أنها دنيةٌ سفلى.

(الشرح)

لا يمكن أن يكون أن يخبر بأن صفاته حسنة وعليا، ثم يأتي ويخبرنا بأن صفات دنيةٌ سفلى لا يمكن هذا، والمدخل الذي دخل به إلى هذا الموضع جميل ولكن أسلوبه نعم.

(المتن)

فيصف نفسه بأنه جاهلٌ ببعض الغيب بعد أن أخبر أنه عالمٌ بالغيب وأنه لا يبصر ما قد كان، ولا يسمع الأصوات، ولا قدرة له، ولا يتكلم ولا الكلام كان منه، وأنه تحت الأرض لا على العرش -جَلَّ وَعَلَا- عن ذلك.

فإذا عرفتَ ذلك واستيقنته: علمتَ ما يجوز عليه النسخ وما لا يجوز.

(الشرح)

نعم إذا عرفت أن هذا باب الإخبار وباب الأخبار لا يجوز فيه النسخ علمت ما يجوز عليه النسخ وما لا يجوز الآن يطبق.

(المتن)

فإن تلوت آيةً في ظاهر تلاوتها تحسب أنها ناسخةٌ لبعض أخباره:

كقوله عن فرعون: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ﴾[يونس:90].

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾[محمد:31].

(الشرح)

نعم هو ذكر هنا مثالين:

المثال الأول قوله سبحانه: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ﴾[يونس:90]، فرعون يقول: آمنت هل هذا يدل على أن فرعون آمن وأن ما ورد في كونه كافرًا يكون منسوخًا بهذا! يرد عليهم الآن يرد عليهم برد جميل.

تعرفون بالنسبة لإيمان فرعون بالنسبة للصوفية كثير منهم يقولون بإيمان فرعون، وابن عربي يجعله من بدهيات الإيمان ويقارن بينه وبين موسى ودائمًا يلقي اللوم على موسى، لأن إنكار موسى مبنيٌّ على جهله بالتوحيد عنده معاذ الله، لأنه يعتقد الاثنينية ويظن أن هناك عابدًا ومعبودًا.

أما فرعون فكان قد وصل إلى الحقيقة فلذلك يقول: "**أنا ربكم الأعلى**"، وهنا كثيرٌ منهم يقول: "**ما في الجبة إلا الله**"، ويأتي كثيرٌ من الأشاعرة ويؤول قد يكون مراده حسنًا ما الذي ألجأه إلى هذا الكفر هل هو الإكراه هل هو الجهل؟ دائمًا يقول: "**ما في الجبة إلا الله**"، ما الذي ألجأه إلى هذا؟!

كفر واضح ظاهر كلامه كفر ظاهر كلام الله -عَزَّ وَجَلَّ- عندك تلعب به كما تريد وتجعله كفرًا ظاهر كلام هذا هو كفر كيف تؤول؟ التأويل يكون لكلام المعصوم، وألف ابن كمال باشا هو من الماتريدية المعروفين في القرن التاسع ألف رسالةً مستقلة في إيمان فرعون، فبالنسبة للصوفية حربهم لفرعون ما تدري والله ما تدري.

طَبْعًا الآية الثانية سيأتي بيانها: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ﴾[محمد:31]، هذه الآية سيتحدث عنها لاحقًا هنا الآن بدأ وقال: "**قد تأول قومٌ**"، بدأ في تفسير الآية الأولى: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ﴾[يونس:90]، نعم: "**قد تأول قومٌ**"؟!

(المتن)

وقال: قد تأول قومٌ أن الله عنى أن ينجيه ببدنه من النار إذ قد آمن عند الغرق.

(الشرح)

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾[يونس: 92]، هؤلاء يقولون: الله -عَزَّ وَجَلَّ- أراد أن ينجيه ببدنه من النار لِمَاذَا؟ إذ قد آمن عند الغرق: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ﴾[يونس:90]، لذلك الله -عَزَّ وَجَلَّ- أنجاه؛ الآية تكملتها: ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾[يونس: 92]، أي لتكون عبرةً لهم نعم.

(المتن)

وقالوا: إنما ذكر الله قوم فرعون يدخلون النار دونه.

(الشرح)

قَالُوا: الله -عَزَّ وَجَلَّ- ذكرهم أنهم يدخلون النار أما هو فلم يذكره: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾[هود:98]، أوصلهم إلى هناك دون شعور نعم.

(المتن)

وقال: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾[هود:98].

وقال: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾[غافر:45] ولم يقل بفرعون.

(الشرح)

نعم: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾[غافر:45] ولم يقل بفرعون؛ طَبْعًا قال: هو من الأخطاء في هذه الطبعة الطبعةْ المحققة عندنا وقال هذا خطأ قال احذفوا الواو؛ قال: "وهكذا الكذب على الله"، بعد أن ذكر شيئًا من هذه قال: "وهكذا الكذب على الله"، اكذب كما أردت نعم.

(المتن)

قال: وهكذا الكذب على الله لأن -الله تَعَالَى-يقول: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾[النازعات:25].

(الشرح)

إي الضمير يرجع إليه خصه بالذكر نعم، إِذًا هذا ليس متعارضًا مع هذا فلا تظن أن هذا ناسخٌ لهذا أبدًا.

(المتن)

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾[العنكبوت:3].

(الشرح)

ظاهر التلاوة هكذا في فهم القُرْآن هنا عندنا خطأ فأقر في فهم القُرْآن فظاهر التلاوة هكذا فظاهر التلاوة على استئناف العلم.

(المتن)

قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: فظاهر التلاوة على استئناف العلم من الله -عَزَّ وَجَلَّ- عن أن يستأنف علمًا بشيء، لأنه من ليس له علمٌ بما يريد أن يصنعه لم يقدر عليه أن يصنعه نجده ضرورة.

(الشرح)

أنا قلت لكم: كلامه معقد فيحتاج إلى صبر يقول: ظاهر التلاوة على استئناف العلم: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾[العنكبوت:3]، أي -الله تَعَالَى- سيعلم ما كان عالمًا سيعلم هذا هو استئناف العلم.

ظاهر التلاوة يَعْنِي ظاهر الجملة أن الله سيستأنف علمًا بما لم يعلمه هذا ظاهر التلاوة، طَبْعًا عندكم: "**على استئناف العلم من -الله تَعَالَى-**"، عندكم رمز هذا خطأ حصل فيه خطا شنيع خطأ مطبعي وهذا يحصل كثيرًا.

كلمة عز لا مكان لها هنا في الكتاب جل عن وجل عن أن يستأنف علمًا بشيء هكذا في الكتاب، فالذي صف الكتاب ظنه -عَزَّ وَجَلَّ- فجعله رمزًا وبالتالي التهم كلمة بكاملها وهو على استئناف العلم من الله وَجَلَّ عن أن يستأنف علمًا بشيء، الله -عَزَّ وَجَلَّ- لا يستأنف علمًا بشيء، الله -عَزَّ وَجَلَّ- علمه شاملٌ محيط يعلم بما كان وبما يكون وبما لم يكن لو كان كيف يكون.

يقول: "**لأنه من ليس له علمٌ بما يريد أن يصنعه لم يقدر عليه أن يصنعه نجده ضرورةً**"، طَبْعًا شيخ الإِسْلَام هنا اختصر كلامه الإرادة تستلزم العلم بالشيء، أنت الآن الإيجاد تستلزم العلم والإرادة تستلزم العلم تريد أن تصنع شيئًا لابد أن تكون عالمًا به والخلق والصنع أَيْضًا يستلزم العلم بالشيء، الذي صنع هذا كان عالمًا به والذي صنع السيارة كان عالمًا بها، ونحن لو كنا عالمين بها لصنعنا لِمَاذَا لا نصنعها؟ لا نعلمها.

فالذي يصنع والذي يريد شيئًا هذا يستلزم العلم بالشيء انظر: "**لأنه من ليس له علمٌ بما يريد أن يصنعه لم يقدر عليه أن يصنعه نجده ضرورةً**"، هذا لا يحتاج أن تستدل عليه بأدلة عقلية وواضحة.

إِذًا: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾[العنكبوت:3]، ليس فيه أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- لم يكن عالمًا ثم علم، واستكمالًا ويستكمل الدليل قال؟!

(المتن)

قال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الملك:14]!

(الشرح)

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الملك:14]! هو الذي خلقه وهو اللطيف الخبير ألا يعلمه! ما دام خلقه وأراده إِذًا هو يعلمه نعم.

(المتن)

قال: وإنما قوله: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ﴾[محمد:31]، إنما يريد حتى نراه.

(الشرح)

هذه آية أخرى قد يظن فيها أن فيها استئناف العلم: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ﴾[محمد:31]، يَعْنِي ما كان يعلم؟ يقول: "إنما يريد حتى نراه" العلم يتعلق بالمعدوم ويتعلق بالموجود هنا: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ﴾[محمد:31]، أي حتى نراه أي حتى يظهر جهادهم.

وهذا هو الذي يتعلق به الحكم أما علم الله بالشيء قبل وجوده فلا يتعلق به حكم، الله -عَزَّ وَجَلَّ- يعلم أن فلانًا سيصلي ولما يصلي يتعلق به الحكم.

(المتن)

قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: إنما يريد حتى نراه فيكون معلومًا موجودًا، لأنه لا جائز أن يكون يعلم الشيء معدومًا من قبل أن يكون، ويعلمه موجودًا كان قد كان، فيعلم في وقتٍ واحدٍ معدومًا موجودًا وإن لم يكن، وهذا المحال.

(الشرح)

هو المحاسبي يرى هنا أن ما سيظهر لا يؤثر أو ليس جديدًا وهذا مذهب الكُلابية، طَبْعًا علم الله -عَزَّ وَجَلَّ- كما قلنا: علمه شاملٌ ومحيط علمه بفلان أنه سيخلق في الوقت الفلاني هذا شيء، لـما خلق فلان ووجد فعلمه هل تغير هل علمه تغير! هل عمله بالشيء قبل وجوده هو علمه به بعد وجوده!

ألـم تتغير الصفة في المعلوم! تغيرت هذا التغير هل يرجع إلى الذات أَيْضًا؟ كان يعلم بأنه سيوجد الآن يعلم بأنه وجد هل تغير شيء! هو متصف بصفة العلم ولكن تغيرًا ما حصل في المعلوم.

أبسط لكم أكثر: هؤلاء يرون أن الصفات كلها أزلية صفة الإرادة وصفة العلم وصفة السمع والبصر كلها أزلية بحتة وصفة الكلام كلها أزلية بحتة، لذلك يقولون: أن له كلامٌ واحد وإرادة واحدة بهذه الإرادة الواحدة يريد المرادات كلها.

أغرب من هذا كلامٌ واحد كيف ترجع كتب الله المنزلة كلها إلى كلامٍ واحد كيف يسمونه وحدة الكلام شيء غامض جدًا، لِـمَاذَا كل هذه الغرائب؟ لأنهم يريدون أن يجعلوا الصفات كلها أزلية يجعلونها أزلية لِـمَاذَا؟!

لأن الصفات إذا كان فيها طَبْعًا الصفات الفعلية أنكروها الصفات الفعلية جملةً عطلوها، جئنا إلى الصفات التي يثبتونها وهذه الصفات مثْلًا صفة الكلام فيها جانب فعلي الله -عَزَّ وَجَلَّ- متصفٌ بصفة الكلام أليس كذلك أزلًا وأبدًا وهو مع ذك ليكم من شاء بما شاء متى ما شاء.

ويوم يناديهم هذا متى؟ وكذلك كلامه لموسى وكذلك كلامه للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وكذلك في السمع: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[المجادلة: 1]، متى سمعه هل سمعه في الأزل؟ عندهم سمعه في الأزل.

جميع المرادات جميع المسموعات جميع المرئيات عندهم ترجع إلى إرادةٍ وسمعٍ وبصرٍ قديم أزلي، لا يجوز أن تقول الآن: الآن الله -عَزَّ وَجَلَّ- يسمع عندهم لا يجوز هذا لِمَاذَا؟ لأنه يستلزم حلول الحوادث بذاته سبحانه.

فلذلك الصفات هم لا يخالفون لا يخالفوننا أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- يسمع لا يخفى هذا على سمعي وبصري؛ ولكنهم يقولون: سمع أزلًا كيف سمع أزلًا؟ قبل أن يوجد المسموع كيف رأى أزلًا؟ قبل أن يوجد المرئي.

أما العلم نعم يتعلق بالمعدوم وبالموجود علم أزلًا علم المعدوم أَيْضًا وأنه سيكون سيوجد العلم لا بأس؛ أما المسموعات والمرئيات لا يمكن أن ترجعها إلى الصفات الأزلية وتقول: سمع أزلًا وأرى أزلًا لا يجوز.

كل هذا لأن الجانب الذي يتعلق بالمشيئة والقدرة يسمونه حلول الحوادث، من هذا الباب قَالُوا: الله -عَزَّ وَجَلَّ- يعلم الأشياء كلها قبل وجودها وبعد وجودها، وبعد وجودها لا يتجدد شيءٌ يرجع إليه، وكما يقولون: لا يتجدد نعتٌ ولا صفة.

فعلمه بهذا الشيء قبل وجوده هو نفسه علمه به بعد وجوده، نعم صفة العلم هي نفسها ولكن تغير النعت والصفة الآن الله -عَزَّ وَجَلَّ- يعلمه موجودًا كان يعلمه معدومًا هذا التغير لا يقولون به.

طيب إذا سألناهم: بالنسبة للمسموعات والمرادات هذه متعاقبة أليس كذلك؟ مرادات الله -عَزَّ وَجَلَّ- هل وجدت كلها دفعةً واحدة؟ إذًا هي متعاقبة وكذلك المسموعات وكذلك المرئيات متعلقاتها متعاقبة أليس كذلك طيب ما الذي يتجدد؟ قَالُوا: يتجدد التعلق بين الصفة وبين الشيء الذي يوجد.

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[المجادلة: 1]، الله -عَزَّ وَجَلَّ- سمع أزلًا وهذا يبقى متعلقًا لا أوضح منه نداءه لموسى -عَلَيْهِ السَّلَام- ونداءه لإبراهيم: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَاإِبْرَاهِيمُ﴾[الصافات: 104]، هذا النداء كان أزلًا وظل معلقًا إلى أن جاء الوقت المناسب فتوجه إلى المتعلق، لأنه لا يمكن أن يناديه الله -عَزَّ وَجَلَّ- الآن لِمَاذَا؟ لأنه ستحل به الحوادث.

رأيتم هذا التعقيد كله لِمَاذَا؟ لأنهم يرون أن الصفات الفعلية هذه كلها فيها حلولٌ للحوادث بذاته سبحانه، والمحاسبي -رَحِمَهُ الله- من ناحية يثبت الصفة ومن ناحية يجعلها أزلية بحتة وبالتالي سيتعبنا هنا.

نحن نقول: في تجدد التعلق نقول لهم: هل تجدد شيء؟ إذا قلت: نعم فهذا الذي نريده إذا قلت: لا إِذًا لم يحصل شيء، كيف تقول: سمع! كيف تقول: رأى! وجد المرأي ووجد المسموع فتعلق سمعه أو سمعه إِذًا حصل شيء، هذا الشيء هم يسمونه كما قلت: تجدد التعلق، وهذا التعلق إن كان شيئًا موجودًا فهو الذي قلنا: أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- يسمع ويرى ويتكلم، وإن لم يكن شيئًا موجودًا فنعم كأننا نتحدث عن الحال لا موجود ولا معدوم.

بعض المتكلمين كالرازي له كلامٌ طويلٌ في هذا ورجح مذهب أَهْلِ السُّنَّة يقول: "**القول بتجدد التعلق لا يَعْنِي شيئًا**"، أشار إلى صحة مذهب أَهْلِ السُّنَّة في هذا الباب، ونحن لا يهمنا اعتراف فلان أو علان نحن يهمنا أن نقول بمقتضى الأدلة نعم.

نحن لا نقول: أن الشيء علم الله -عَزَّ وَجَلَّ- به ب -وَالعِيَاذُ بِالله- به بعد وجوده هو علمه قبل وجوده لا تغير الوضع، فالله -عَزَّ وَجَلَّ- كان يعلمه قبل أن يوجد هو الذي أوجده الآن يعلمه بأنه وجد وهذا التغير لا يستلزم كما يقولون: حلول الحوادث، أي تغير عندهم يستلزم حلول الحوادث بذاته سبحانه نعم.

الأمر عندهم كأنه مبرمج في الأزل مبرمج أوتوماتكيًا الأزل مرة واحدة، الآن لا يسمع لا يريد ولا يرى أبدًا كل هذا يحصل حسب البرمجة القديمة عندهم، ما المانع أن تقول: أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- يسمع الآن ما المانع؟ الخرافة هذه تدل.

يقول شيخ الإِسْلَام في العلم يقول: عشرات أكثر من عشرة آيات تدل على أن الله-عَزَّ وَجَلَّ- مثل ما هنا: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ﴾[محمد:31]، ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾[الشعراء:15]، تدل على أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- صفاته تتعلق بهذه الموجودات بعد وجودها وعند وجودها وقبل وجودها.

الطالب: ...؟!

الشيخ: ليس زيادة علم صفة العلم تتغير هنا نعت العلم يتغير هنا نعم، وصفة العلم الصفة صفة العلم من الأساس هي علم صفة واحدة ولكن متعلقاتها كثيرة، فمتعلقاتها بعض متعلقاتها تظهر الآن بعض متعلقاتها تظهر بعد.

فكلما ظهر شيء تغير نعت العلم هنا علمه قبل أن يوجد علمه معدومًا الآن يعلمه موجودًا، وهذا الموجود لما يتكلم يسمعه، وهذا الموجود الآن يراه وهل كان يراه قبل؟ ما كان يراه لأنه معدوم والمعدوم لا يُرى ولا يُسمع نعم.

الطالب: ...؟!

الشيخ: سنراه سيظهر صدقه نعم.

الطالب: إذا سلموا لنا أن هذا المتعلق يحدث لكن ما سلموا أن الله يتكلم في وقت؟!

الشيخ: هم عقدوا القضية وكلامهم لا يستلزم أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- الآن وهكذا يقولون: الله -عَزَّ وَجَلَّ- الآن لا يسمع، الآن لا يرى الآن لا يعلم، علمه في الأزل أراد في الأزل سمع في الأزل، طيب قلنا: علم في الأزل كيف رأى في الأزل رأى هذه الأمور التي وجدت الآن كيف؟!

(المتن)

قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: وذكر كلامًا في هذا في الإرادة، إلى أن قال: وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾[الشعراء:15] ليس معناه أن يحدث له سمعًا، ولا تكلف لسمع ما كان من قولهم.

وقد ذهب قومٌ من أهل السنة أن لله استماعًا حادثًا في ذاته، فذهبوا إلى أن ما يعقل من الخلق أنه يحدث منهم علم سمعٍ لما كان من قوله؛ لأن المخلوق إذا سمع حدث له عقد فهمٍ عما أدركته أذنه من الصوت.

وكذلك قوله: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾[التوبة:105] لا يستحدث بصرًا محدثًا في ذاته، وإنما يحدث الشيء فيراه مكونًا كما لم يزل يعلم قبل كونه.

(الشرح)

نعم هنا أَيْضًا طَبْعًا في رده كما قلنا: في رده على من لا يثبت الصفات أو على من يرى تعارضًا هو أحسن بعض الشيء: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾[محمد:31]، هذا لا يدل على أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- لا يعلم فيه ردٌ على القدرية رده على القدرية جيدًا.

أما جعله هذه الصفة أزلي بحتة هذا الذي هو محل نقاش هنا أَيْضًا، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾[الشعراء:15] ليس معناه أن يحدث له سمعًا، يقول: ليس فيه أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- يحدث له سمعًا، وليس فيه أَيْضًا تكلفٌ لسمع ما كان من قولهم.

أن الله يَعْنِي كلمة مستمع: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾[الشعراء:15]، هذا قد يفهم منه الإصغاء وقد يفهم منه تكلف السماع، والله -عَزَّ وَجَلَّ- منزهٌ من ذلك له صفة السمع كما يليق بكماله وجلاله هذه ناحية.

إذا كان المحاسبي يريد هذا فقد أحسن، ولكن يبدوا أن المحاسبي يريد نفي تجدد الشيء بعد حدوث الأشياء كما ذكرنا وعلى هذا يكون كلامه باطلًا، إذا أراد أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- لا تتجدد له صفة السمع كلامه صحيح، إذا أراد أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- لا يتجدد له السمع بتجدد المسموعات فكلامه باطل.

كلامي الآن هل سمعه في الأزل؟ إذا أراد أن يرجع المسموعات كلها وأن الله -عَزَّ وَجَلَّ- سمعها في الأزل وأن الله لا يتجدد له سمع الأصوات الجديدة إذا أراد هذا فكلامه باطل، ويبدوا لي أنه يريد هذا.

يقول: "وقد ذهب قومٌ من أهل السنة"، هنا أشار إلى مذهب أَهْلِ السُّنَّة الذي هو مذهب أَهْلِ السُّنَّة صحيح؛ ولكن التعبير قد يكون فيه نقاش؛ يقول: **"وقد ذهب قومٌ من أهل السنة أن لله استماعًا حادثًا في ذاته"**، حادثًا أي متعلقًا بمشيئته وقدرته لا حادثًا بمعنى مخلوق.

هذا هو الصحيح هذا مذهب أَهْلِ السُّنَّة: أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- لما يسمع المسموعات يسمعها في حينه، يَعْنِي الخلاصة هنا هل سمعه الآن للأصوات في حينها أو كان قد سمع؟ في حينها هذا الذي نريده، عندهم سمع في الأزل وهذا يستلزم أن تكون المخلوقات أزلية وقديمة.

طيب يقول: فذهبوا من هنا رد حكايته لمذهب أَهْلِ السُّنَّة جيدة ولكن من هنا رد؛ فذهبوا إلى أن كلمة أن هذه نحذفها غير موجودة في "فهم القُرْآن" شكلوا كما أقول: **"فذهبوا إلى ما يُعقل من الخلق أنه يحدث منهم علم سمعٍ لما كان من قولٍ"** هكذا.

يقول:

كلامهم يستلزم أن يكون سمعه مثل سمع المخلوقين فذهبوا إلى ما يُعقل من الخلق أنه يحدث منهم علم سمعٍ لما كان من قولٍ، المخلوق عندهم يحدث عندهم العلم الذي يتعلق بهذا السمع وهذا جديد عند المخلوقين، يقول: هم مذهبهم أَيْضًا يستلزم هذا.

يقول: " **لأن المخلوق إذا سمع حدث له عقد فهمٍ عما أدركته أذنه من الصوت**"، وهذا فيه تأثير وتأثر سمع الصوت ومن هذا أدرك شيئًا مسموعًا وهذا فيه تأثير هذا الذي سمع صوته أثر فيه؛ وهذا فيه تأثر أَيْضًا وهذا منزهٌ عنه سبحانه هكذا يريد أن يقول.

فرده على مذهب أَهْلِ السُّنَّة ردٌ بإرجاع القضية إلى حلول الحوادث إلى شبهته، جعل الشبهة دليلًا لرد مذهب أَهْلِ السُّنَّة هنا، واضح ليس فيه جديد نعم.

يقول: وكذلك قوله: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾[التوبة:105]، فسيرى الله هذا فيه أَيْضًا إشكال عندهم سيرى الله أما عند أَهْلِ السُّنَّة ليس هناك إشكال لأن هذا العمل لم يوجد، والرؤية كما قلنا: الرؤية والسمع يتعلقان بالشيء الموجود.

﴿فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾[التوبة:105]، هل عملهم وجد؟ إِذًا يتعلق به العلم ولا تتعلق به الرؤية، إِذًا عادي أن تقول: فَسَيَرَى اللهُ أما عنده إشكال لأن الرؤية هنا ستكون أَيْضًا فعلية سيرى عنده رأى في الأزل وانتهينا.

يقول: "**لا يستحدث بصرًا محدثًا في ذاته**"، لا لا يستلزم أن يستأنف أن يستحدث بصرًا لا هو متصف بصفة السمع والبصر، فليس فيه استحداث لصفة إنما الجديد تعلق سمعه وبصره بالموجود هذا الذي وجد الآن نعم.

يقول: "**وإنما يحدث الشيء فيراه مكونًا كما لم يزل يعلم قبل كونه**"، أبدًا لا يصح قبل كونه كان يعلمه أما بعد كونه يراه ويسمع ما يصدر منه من الصوت.

نقف هنا ونكمل الدرس غدًا لأني بعد العشاء مرتبط، نقف هنا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الطالب: ...؟!

الشيخ: هو يتهم أَهْلِ السُّنَّة بالتشبيه وبهذا يرد قولهم وإلا ليس عنده دليل لرد هذا.

الطالب: ...؟!

الشيخ: كل هذه التي ذكرها يقول: سُمي الله -عَزَّ وَجَلَّ- لما سيكون منه، سيأتي سيجيء يوم القيامة ومع ذلك يطلق عليه الجائي، وسيخلق عندهم تناقض في قضية الخلق الله -عَزَّ وَجَلَّ- عندهم في الأزل ما كان خالقًا ثم خلق فيقول: هو خالق لما سيخلق، يَعْنِي عندهم أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- ما كان خالقًا في الأزل.

الطالب: ...؟!

الشيخ: لا سُمي خالقًا لما سيكون منه من الخلق نعم.

الطالب: ...؟!

الشيخ: العلم يتعلق بالمعدوم وبالموجود أما السمع والبصر لا.

الطالب: ...؟!

الشيخ: لا صفة العلم تغيرت صفة العلم المتعلقة بهذا صفة العلم لم تتغير، أما علمه بهذا الصفة تغيرت.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

للإمام الشيخ

شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني

- رحمه الله -

(المجلس الثامن عشر)

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد محمدي النورستاني

- حفظه الله -

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(المتن)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، اللّهم اغفر لنا ولشيخنا آمين.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: إلى أن قال: وكذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام:18] ، وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:5] ، وقوله: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك:16] ، وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر:10] ، وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة:5] ، وقال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:4] ، وقال لعيسى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران:55] ، وقال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:158] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ [الأعراف:206] .

وذكر الآلهة أن لو كان آلهة لابتغوا إلى ذي العرش سبيلًا إلى طلبه حيث هو، فقال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾ [الإسراء:24] ، وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى:1] .

قال أبو عبد الله: فلن يُنسخ ذلك أبدًا.

(الشرح)

بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم أما بعد:-

لازلنا مع كلامِ الحارث المحاسبي وهذه الفقرة التي قرأها الشيخ هذه الفقرة هي الشاهد في الحقيقة لأن فيها إثبات صفة العلو وذكر الأدلة الكثيرة على هذه المسألة، ولأجل هذه الجُملة ذُكرَ ما قبله وما بعده، وإثباته للعلو واضح هنا ما ذكرِ هذه الأدلة.

وقوله: "وذكر الآلهة أن لو كان آلهة لابتغوا إلى ذي العرش سبيلًا إلى طلبه حيث هو"، الراجح في معنى هذه الآية أن قوله سبحانه: ﴿إِذًا لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾

[الإسراء:24] ، أي كانوا يبتغون ويطلبون الوصولَ إلى الله عز وجل بالتعبد وبالعبادة، والمتكلمون عموماً جعلوا هذه الآية أيضاً من باب دليل التمانع، وقالوا: ﴿إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾ أي بالمغالبة.

إذاً هذه الآيات لا يمكن أن تأتي آياتٌ أُخرى فيها نسخٌ لهذه الآيات فلن ينسخَ ذلك أبداً.

(المتن)

كذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزخرف:84] ، وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق:16] ، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ﴾ [الأنعام:3] ، وقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:7] ، فليس هذا بناسخ لهذا، ولا هذا ضد لذلك.

(الشرح)

ذكر هنا الآيات التي فيها إثبات المعية وبينَ بياناً جميلاً أن آيات المعية، الأدلة التي تدل على المعية ليست ناسخةً لآيات العلو بل ليس هناك تعارض بين إثبات العلو وبين إثباتِ المعية، فإثبات العلو لا يتعارض مع النصوص الدالة على القُربِ والمعيةِ ونحوها لذلكَ يقول: "فليس هذا بناسخٍ لهذا"، ليس هذا أي الآيات التي وردت في المعية والقُرب بناسخٍ لهذا أي للآيات التي وردت في العلو.

"ولا هذا ضد لذلك" أي لتلك الآيات التي وردت في العلو.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: واعلم أن هذه الآيات ليس معناها أن الله أراد الكون بذاته فيكون في أسفل الأشياء، أو يتنقل فيها لاستفالها.

(الشرح)

يقول ليس معناه أن الله عز وجل في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزخرف:84] ، وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾ [الأنعام:3]، ليس معناه أن الله عز وجل بذاته هناك حتى يستلزم أن يكون في أسفل الأشياء، أو يتنقل

فيها لاستفالها، يكونُ في موضع، ها؟ فإذا سفلَ هذا الموضع انتقل منه إلى غيره، ليس هو،، نعم.

ويتبعض فيها، نعم.

(المتن)

ويتبعض فيها على أقدارها، ويزول عنها عند فنائها.

(الشرح)

ليس معناه أيضاً أن الله عز وجل يكون مقدراً بقدرِ وبحجمِ هذه الأمكنة التي يكونُ فيها، "يتبعض فيها على أقدارها ويزولُ عنها عند فنائها". ينتقل من مكان إلى مكان.

(المتن)

جل وعز عن ذلك، وقد نزغ بذلك بعض أهل الضلال، فزعموا أن الله تعالى في كل شيء بنفسه كائنًا، كما هو في العرش، ولا فرق بين ذلك عندهم.

(الشرح)

طبعاً هناك فرقة تقول أن، والإشارة إلى هذه الفرقة سبقت، أن الله عز وجل في الأرض وهو مستوٍ على العرش، قالوا نجمعُ بذلك الأدلة.

وهناك فرقة تقول: أن الله عز وجل في كلِ شيء، وهذا قول قدماء الجهمية، وقول عموم المتكلمين قبل أن يتفلسفوا ويقولوا ليس فوق وليست تحت، موقفهم قديماً هو هذا الموقف أنه بنفسه في كل مكان.

ولا فرق بين ذلك عندهم ثم أحالوا في النفي بعد تثبيت ما يجوز عليه في قولهم ما نفوه لأن كل من يثبت شيئًا في المعنى ثم نفاه بالقول لم يغنِ عنه نفيه بلسانه، واحتجوا بهذه الآيات أن الله تعالى في كل شيء بنفسه كائنًا ثم نفوا معنى ما أثبتوا، فقالوا: لا كالشيء في الشيء.

(الشرح)

إي، هم قالوا أن الله عز وجل في كل مكان، وهل كونه في كل مكان مثل كون الأشياءِ فيها؟ مثلاً كون هذا هنا، ها؟ لو أزيلَ هذا لزال هذا وهو متمكن من هنا وهو محتاجٌ إلى المكان، هل كون الله عز وجل في كل مكان هو مثل كون الأشياءِ في بعضها؟ هل هذا هو الذي تُريدون؟ قالوا: لا. قالوا: هو كائنٌ في كل شيء لا كالشيءِ في الشيء.

يقولُ المؤلف: بعدما أثبتوا أن الله عز وجل في كل مكان لا ينفعهم أن ينفوا ما يريدون أن ينفوه، لا ينفعهم.

يقول: "ثم أحالوا" يعني حاولوا أن يلبسوا على الناس وينفوا ما أثبتوه، وينفوا ما جوزوه على الله عز وجل، ها؟

يقول: كلامهم فيه تلبيس؛ لأن كل من يثبت شيئاً في المعنى ثم ينفيه بالقول لم يُغني عنه نفيه لما أثبته في المعنى.

يقول: المهم المعنى، أنتَ لما تقول هو في كل مكان بعد هذا مهما قُلتَ أنه ليس ككون الشيء في الشيء لا ينفعك، إذاً هو بذاته في كل مكان عندك، وهذا يدلُ على أن هذه الآيات نسخت تلك الآيات، وهذا كله خطأ.

(المتن)

قال أبو عبد الله: أما قوله: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾ [محمد:31] ، ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ﴾ و ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾.

(الشرح)

طبعاً هذه الآيات كما هو واضح يعني المؤلف أو المحاسبي عنده إشكال في هذه الآيات حتى نعلم وأساء ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ﴾ و ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾، لذلك ذكرها فيما سبق، الآن يُوردها مرة أُخرى لأن فيها بيانُ أن الله عز وجل يعلمُ بالشيءِ بعد وجوده وعلمه به بعد وجوده يختلف عن علمه به قبل وجوده، هذا أوضحناه بس، ها؟

ففلان لما يولد هل علمه به أنه سيولد، لا تغير، علمه به أنه سيولد أليس كذلك؟ علمه بالله عز وجل قبل أن يولد أنه سيولد، بعد أن يولد هل علمه، علم الله عز وجل به

أنه سيولد؟ تغير، علمه به الآن أنه وُلد، أنه وُجد، أنهُ خُلق، إذاً صفةُ العلم، نعتُ العلم هنا تغير وهذا التغير لا يعترفون به لأن فيه حلولاً للحوادث كما يزعمون.

(المتن)

فإنما معناه: حتى يكون الموجود فيعلمه موجودًا، ويسمعه مسموعًا، ويبصره مبصرًا لا على استحداث علم ولا سمع ولا بصر.

(الشرح)

إذاً يقول لا يتجددُ له شيء، وهذا مذهب الكلابية عموماً.

(المتن)

وأما قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا ﴾ : إذا جاء وقت كون المراد فيه.

(الشرح)

إذا جاء وقت كون المراد فيه، إذاً الجديد هنا كما قلت التعلق، تعلق الصفةِ بمتعلقها، إذا جاء وقت المراد فيه، والله عز وجل له صفة الإرادة أزلاً وأبداً، إذاً إرادته تتجدد مع تجدد مراداته وسمعه يتجدد مع تجددِ مسموعاته وكذلك في البصر، واضح يا مشائخ؟

(المتن)

وأن قوله ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ ﴿إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾ فهذا وغيره مثل قوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ هذا منقطعٌ يوجبُ أنه فوق العرش، فوق الأشياء كلها.

(المتن)

طبعاً هذا سيكرره المحاسبي، هذا منقطع وهذا مفصل، وهذا لم يفصل، هذا سيكرره، وقصده أنه منقطع أن الوقفَ يجوزُ هنا، مثلاً: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج: 4]، ألا يجوز الوقف هنا؟ أليست الجُملة تامة هنا؟ هذا الذي يقصده، أما إذا لم يكن منقطعاً فلن تكون الجُملة تامة.

إذاً ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج: 4] هذه جملة أُخرى فيها بيان معنىً جديد، في هذه الجملة بيان عروجِ بيان العروج وهذا المعنى قد تم فيه هذه الجملة.

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ الجملة تمت هنا ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ فيها بيان معنىً جديد.

إذاً هذه الجُمل هي منقطعة أي جُمل تامة وليس معناها متوقفاً على الجُملِ اللاحقة، الجمل تامة وفيها بيان وإثبات معنى وهذا المعنى يُفهم بهذه الجملة.

(المتن)

هذا منقطعٌ يوجبُ أنه فوق العرش، فوق الأشياء كلها.

(الشرح)

يوجبُ أنه فوق العرش، فوق الأشياء كلها.

(المتن)

فوق الأشياء كلها منزه عن الدخول في خلقه، لا يخفي عليه منهم خافية، لأنه أبان في هذه الآيات أن ذاته بنفسه فوق عباده؛ لأنه قال: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ يعني فوق العرش، والعرش فوق السماء، لأن من قد كان فوق كل شيء على السماء في السماء.

(الشرح)

هنا لأن من كان فوق كل شيءٍ على السماء هنا نكتب نقطتين؛ لأن من كان فوق كل شيءٍ على السماء: في السماء، أي يكونُ في السماء يكونُ في العلو.

(المتن)

وقد قال مثل ذلك قال: ﴿فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ﴾ [التوبة:2] يعني على الأرض، لا يريد الدخول في جوفها.

(الشرح)

يعني يقول في هنا بمعنى على وهذا له نظائر: ﴿فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ﴾ أي على الأرض، قلنا له نظائر، وكذلك ما بعده وكذلك قوله.

(المتن)

وكذلك قوله ﴿ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه:17] يعني: فوقها عليها.

وقال: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ ثم فصل.

(الشرح)

﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ ثم فَصَلَ وليس فصّل، ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ هذه جملة تامة، وفي هذه الجملة بيان أن الله عز وجل في السماء، ثم قال: ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾ وهذه فيها بيان معنى جديد.

(المتن)

ولم يصل، فلم يكن لذلك معنى . إذ فصل بقوله: ﴿مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ ثم استأنف التخويف بالخسف. إلا أنه على عرشه فوق السماء.

(الشرح)

شوف، قال: ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾ ولم يصل، فلم يكن لذلك معنى، هنا شرطة، لاحظ: هذه الشرطة تنتهي عند الشرطة الثانية بالخسف، نترك ما بين الشرطتين ونقرأ الباقي حتى نفهم: فلم يكن لذلك معنى إلا أنه على عرشهِ فوق السماء. واضح؟

يعني قوله ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ جملة و ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾ جُملة، لماذا؟ لأنه لم يصلها بما بعدها وهذا لأنه ليس له معنى إلا أنه على عرشهِ فوق السماء، وليس هو مثل قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ﴾ [الزخرف: 84]، هل يجوز أن تقف عند قوله ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ﴾ ؟ لا يجوز لأن المعنى لم يتم ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ﴾ [الزخرف: 84] واضح؟

أما هنا الأمر يختلف﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ يجوز أن تقف هنا ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾ واضح؟

إذاً يقول: فلم يكن لذلك معنى إلا إنه على عرشه فوق السماء.

الآن فهمُ ما بين الشرطتين يكون أسهل إذ فصل بقوله: ﴿مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ ثم استأنف التخويفَ بالخسف، هذه جملة وهذه جملة.

(المتن)

وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة:5] ، وقال: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:4] فبين عروج الأمر وعروج الملائكة، ثم وصف وقت صعودها بالارتفاع صاعدة إليه، فقال: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:4] ، فقال صعودها إليه، وفصله من قوله: ﴿إِلَيْهِ﴾.

(الشرح)

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ هنا نقف، ها؟ الجُملة هنا تامة، بعدها ﴿فِي يَوْمٍ﴾ وهنا بيان معنىً آخر وهو بيان مقدار الوقت الذي يستغرقه هذا الصعود.

(المتن)

فقال صعودها إليه، وفصله من قوله: ﴿إِلَيْهِ﴾ كقول القائل: اصعد إلى فلان في ليلة أو يوم وذلك أنه في العلو وأن صعودك إليه في يوم، فإذا صعدوا إلى العرش فقد صعدوا إلى الله عز وجل، وإن كانوا لم يروه، ولم يساووه في الارتفاع في علوه، فإنهم صعدوا من الأرض وعرجوا بالأمر إلى العلو.

(الشرح)

هذا هو المهم أن هناك صعود إلى العلو.

(المتن)

قال الله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:158] ولم يقل: عنده.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ ثم استأنف الكلام فقال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غافر:36، 37] فيما قال لي إن إلهه فوق السموات.

(الشرح)

إي هذا جميل، ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ في ماذا؟ فيما قال لي إن إلهه فوق السموات.

ولذلك بدأ يبحث هناك.

(المتن)

فَبَيَّنَ الله سبحانه أن فرعون ظن بموسى أنه كاذب فيما قال، وعمد لطلبه حيث قاله من الظن بموسى إنه كاذب، ولو أن موسى قال: إنه في كل مكان بذاته، لطلبه في بيته أو بدنه، أو حُشِّه، فتعالى الله عن ذلك، ولم يجهد نفسه ببنيان الصرح.

(الشرح)

وهذا استدراج جميل.

(المتن)

قال أبو عبد الله: وأما الآية التي يزعمون أنها قد وصلها. ولم يقطعها.

(الشرح)

لازال هو المحاسبي وهو يُبين نفي دلالة آية المعيةِ على الحلول، نمشي هذه الفقرة، الفقرة السابقة بينَ أنه ليس هناكَ معارضة وتضاد وتعارض بين آيات العلو وآياتِ المعية والقُرب.

هنا في هذه الفقرة يُبين أن آيات المعية لا تدلُ على الحلول.

(المتن)

قال أبو عبد الله: وأما الآية التي يزعمون أنها قد وصلها. ولم يقطعها كما قطع الكلام الذي أراد به أنه على عرشه فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [المجادلة:7].

(الشرح)

طبعاً هم يستدلون بهذه الآية على أن الله عز وجل حالٌ في الخلق.

(المتن)

فأخبر بالعلم ثم أخبر أنه مع كل مناج ثم ختم الآية بالعلم بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فبدأ بالعلم، وختم بالعلم.

(الشرح)

يقول: بما أنه بدأ بالعلم وختم بالعلم فهو لا يريد الحلول فالمعية هنا معية العلم.

(المتن)

فبين أنه أراد أنه يعلمهم حيث كانوا لا يخفون عليه ولا يخفى عليه مناجاتهم ولو اجتمع القوم في أسفل.

(الشرح)

هنا يذكر مثالاً لهذا، يقول: لو اجتمع القوم في أسفل وناظر إليه في العلو، هنا قوم مجتمعين في الأسفل وواحد فوقهم ناظرٌ إليهم، وناظرٌ إليهم، يعني شخص آخر ناظر إليهم في العلو فقال، قال هذا الذي فوق.

(المتن)

وناظر إليهم في العلو، فقال: إني لم أزل أراكم، وأعلم مناجاتكم لكان صادقًا.

(الشرح)

لكان صادقاً لأنه مع كونه فوق صادقٌ في قوله لم أزل أراكم وأعلم مناجاتكم، ولله المثل الأعلى أن يشبه الخلق.

(المتن)

ولله المثل الأعلى أن يشبه الخلق. فإن أبَوْا إلا ظاهر التلاوة.

(الشرح)

فإن أبوا إلا ظاهر التلاوة. يقول: إن أصروا على أن المعيةَ هنا معية الذات وليست معية العلم إن أصروا هكذا وقالوا.

(المتن)

وقالوا: هذا منكم دعوى، خرجوا عن قولهم في ظاهر التلاوة لأن من هو مع الاثنين أو أكثر هو معهم لا فيهم.

(الشرح)

يقول: فإن أبوا إلا ظاهر التلاوة أي ما يتبادر من الآية أو أن المعية هنا المعية والذات وقالوا هذا منكم دعوى، قالوا أنتم ادعيتم أن المعية هنا معية العلم ليست القضية هكذا، ليس الأمر هكذا بل المعية هنا معية الذات، إذا كان هكذا، هذا منكم دعوى. هنا فاصلة

منقوطة أو نقطتين، خرجوا عن قولهم؛ لأن هذا هو الجواب. خرجوا عن قولهم في ظاهر التلاوة.

يقول: قولهم ليس فيه إلتزامٌ لما يظهرُ عندهم من الآية، لا يسلمُ لهم هذا الظاهر الذي يدعونه، لماذا؟ لأن من هو مع الاثنين أو أكثر هو معهم لا فيهم، هم حلولية يدعون أن الله عز وجل حل في المخلوقات، والمعية تدل على المباينة، المعية تدل على المباينة، أنا مع فُلان، إذاً ليستُ فيه وليس فيه.

يقول: لأن من هو مع الاثنين أو أكثر هو معهم لا فيهم.

(المتن)

ومن كان مع الشيء فقد خلا منه جسمه وهذا خروج من قولهم.

(الشرح)

إذاً لا ينفعكم ظاهرُ الآية، لا ينفعكم، لا يدل على ما تقولون وبالتالي يكونُ تحريفكم بدونِ معنى. الصحيح أن المعية هنا معية إيش؟ معية علم.

أنا أقول مثلاً: هذا الجهاز معي أو هذا الكتاب معي إيش معناه؟ هل هو فيَّ؟ إذاً المعية عموماً تدلُ على المُباينة.

(المتن)

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق:16].

(الشرح)

كذلك قوله تعالى يقول، أي كذلك نفي دلالة هذه الآية على الحلول، هذه الآية أيضاً لا تدلُ على الحلول.

(المتن)

لأن ما قرب من الشيء ليس هو في الشيء، ففي ظاهر التلاوة على دعواهم أنه ليس في حبل الوريد.

(الشرح)

سبق التنبيه في قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾، المحاسبي يرى: أن "نحن" الضمير يرجع إلى الله عز وجل وهذا قولٌ مرجوح، والصحيح: أن "نحن" هنا راجعٌ إلى الملائكة.

على كل حال استدلاله جميل.

(المتن)

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزخرف:84].

(الشرح)

وكذلك أي كذلك نفي دلالة هذه الآية على الحلول.

(المتن)

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزخرف:84]، لم يقل في السماء ثم قطع.

(الشرح)

لم يقل في السماءِ ثم قطع ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء﴾ هل نقف هنا؟ لا ما نقف هنا.

(المتن)

ثم قطع كما قال: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء﴾ ثم قطع فقال: ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾.

(الشرح)

هناك يجوز أن نقف ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء﴾ يجوز أن نقف هنا لأن المعنى تم، ثم ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾.

(المتن)

فقال ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ إله أهل السماء وإله أهل الأرض، وذلك موجود في اللغة؛ تقول فلان أمير في خراسان وأمير في بلخ، وأمير في سمرقند وإنما هو موضع واحد.

(الشرح)

هذه كلها مناطق تقع الآن في بلخ وسمر قند هذه في أفغانستان وازباكستان.

(المتن)

وإنما هو موضع واحد. ويخفي عليه ما وراءه، فكيف العالي فوق الأشياء لا يخفي عليه شيء من الأشياء يدبره، فهو إله فيهما إذا كان مدبرًا لهما، وهو على عرشه فوق كل شيء تعالى عن الأمثال. اهـ.

(الشرح)

وهو على عرشه فوق كل شيء تعالى عن الأمثال، على كل حال الحارس المحاسبي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ أطال في تقرير علو الله عز وجل وبيان الرد على الحلولية لأنه ممن يعرفهم جيداً؛ لأنه متأثر بالتصوف فيعرفهم جيداً، لذلك رد عليهم رداً مفصلاً وردوده عليهم جميلة كما رأينا.

(المتن)

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن خفيف.

(الشرح)

ابن خفيف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ النص الذي نقله عنه شيخ الإسلام ليس كأسمه هو ثقيل، من هنا أربعمائة وتسعة وخمسين، في طبعة التويجي الطبعة الثانية، من ثلاثمائة وخمسة وثمانين إلى أربعمائة وتسعة وخمسين، فما صار ابن خفيف.

ويبدو لي أن نقل شيخ الإسلام لكلامه لأن كلامه أكثره كلامٌ جميل، وكما قُلت عندما بدأنا في كلام المحاسبي النقل عن مثل هؤلاء فيه فائدتان، ابن خفيف من ناحية أثري ومن صوفي، والأشاعرة صلتهم مع التصوف قديمة، أذكر بعض الأمور في صلتهم مع الأشاعرة بمناسبة ابن خفيف.

أولاً: ابن خفيف هذا توفي سنة ثلاثمائة وواحد وسبعين وهو تلميذٌ أشعري نفسه، تلميذٌ أشعري، وهو شيخُ الباقلاني، فكونه صوفياً وهو التلميذ الأشعري هذا يدل على إيش؟ على أن طريقة الأشعري لا تناقض ما عليه ابن خفيف هذا أولاً.

ثانياً: الأشعري نفسه تتلمذ على الجنيد وهذا سنسمعه في كلامِ صاحب طبقات الشافعية الكُبرى السبكي، إذاً شيخه صوفي وتلاميذه أكثرهم صوفية.

أيضاً السُبكي سنقرأ في أبياته، السُبكي أثبت هذا في أدلة كثيرة، أيضاً تلميذ أبي الحسن الأشعري أبو الحسن الباهلي من أبرز تلاميذه ومن أشهرهم، كان صوفياً وكان لما يُدرس كان يحتجب عن تلاميذه، لما يدرس ما كان يظهر وجهه وكانت عندهم حركات وهي من الصوفية.

تلميذ الباهلي أبو علي الدقاق، وتلميذ الدقاق أبو القاسم القُشيري وهو صديقُ المعالي الجويني، وفي طبقة القشيري الغزالي، وتصوف الغزالي كما تعرفون واضح، ذكر في المنقذ من الطلال الذي ألفه قبل موته بخمس سنوات توفي هو سنة خمسمائة وخمسة، ألفه قبل موته بخمس سنوات أظن أو أقل، ذكر فيه أن الطريق الصحيح هو طريق التصوف وأنه جرب الفلسفة جرب علم الكلام ولم يجد الحقيقة إلا في التصوف.

مما يدل أيضاً على الصلة القوية بين الأشعرية والصوفية أن الرازي لما ذكرَ طبقات العارفين جعلهم خمس طبقات، الطبقة الأولى الصوفية، الطبقة الثانية المتكلمين. قدمهم عليهم.

وتجدون هذا في كثيرٍ من المحدثين مع أن هناك جوفة بين منهج الصوفية وبين منهج المتكلمين، المتكلمون يقدسون العقل والصوفية لا يترقى أحدهم إلا إذا تنكر للعقل. هناك جفوة بين،، ولكن الباطل سُبحان الله! لما يترك أحدهم المعين الصافي لا يستشعر الوقوف في هذه الوديان وإلا هناك جفوة بين طريقة المتكلمين وطريقة الصوفية.

على كل حال: نحنُ يهمنا أن ابن خفيف مع كونه أشعري وهو تلميذ أبي الحسن الأشعري وهو صوفي فيه هذه، ذكر هذه النصوص وذكر في كلامه، أثبت في كلامه كثيراً من الصفات.

(المتن)

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن خفيف في كتابه الذي سماه: "اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات".

(الشرح)

إي الاسم يدل على المراد، التوحيد يكون بالإثبات، "اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات"، التوحيد لا يتحقق إلا بالإثبات.

(المتن)

قال في آخر خطبته: «فاتفقت أقوال المهاجرين والأنصار في توحيد الله عز وجل، ومعرفة أسمائه وصفاته وقضائه، قولاً واحدًا، وشرعًا ظاهرًا، وهم الذين نقلوا عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك حتى قال: «عليكم بسنتي» وذكر الحديث. وحديث «لعن اللهُ من أحدث حدثًا أو آوى محدثًا».

وقال: فكانت كلمة الصحابة على اتفاق من غير اختلاف، وهم الذين أُمرنا بالأخذ عنهم؛ إذ لم يختلفوا بحمد الله تعالى.

(الشرح)

كلامه جميل عن الصحابة، يعني الصحابة مجمعون أيضاً لم يختلفوا، لو اختلفوا لنقل إلينا وأن من خالفهم ليس في المعرفة ليس في العير ولا في النفير، يعني ثلاث نقاط جميلة. فكانت كلمة الصحابة.

(المتن)

وقال: فكانت كلمة الصحابة على اتفاق من غير اختلاف، وهم الذين أُمرنا بالأخذ عنهم؛ إذ لم يختلفوا بحمد الله تعالى في أحكام التوحيد وأصول الدين من الأسماء والصفات كما اختلفوا في الفروع، ولو كان منهم في ذلك اختلاف لنُقل إلينا كما نُقل سائر الاختلاف.

(الشرح)

أولاً: لم يختلفوا.

ثانياً: لو كان هناك اختلاف لنقلَ إلينا.

(المتن)

ولو كان منهم في ذلك اختلاف لنُقل إلينا كما نُقل سائر الاختلاف فاستقر صحة ذلك عن خاصتهم وعامتهم حتى أدوا إلى التابعين لهم بإحسان، فاستقر صحة ذلك عند العلماء المعروفين حتى نقلوا ذلك قرنًا بعد قرن، لأن الاختلاف كان في الأصل عندهم كفر، ولله المنة.

ثم إني قائل . وبالله أقول . إنه لما أحدثوا في أحكام التوحيد وذكر الأسماء والصفات على خلاف منهج المتقدمين من الصحابة والتابعين، فخاض في ذلك من لم يعرفوا بعلم الآثار.

(الشرح)

هنا يُشير إلى أن الذين اختلفوا السبب في اختلافهم الجهل، يقول: فخاض في ذلك من لم يُعرفوا بعلم الآثار.

(المتن)

ولم يعقلوا قولهم بذكر الأخبار، وصار معولهم على أحكام هواجس النفس المستخرجة من سوء الطوية.

(الشرح)

يقول: اجتمع أمران أنتجا هذا الفساد وهذا الباطل:

* اعتمادهم وتعويلهم على أحكام هواجس النفوس. أنا أرى هذا وأعتقدُ هذا، نفسي ترى هذا. المستخرجة من سوء الطاوية، النية أيضاً فاسدة، النية الفاسدة مع الطريقة الفاسدة هل ستوصل إلى الحق؟

(المتن)

المستخرجة من سوء الطوية وما وافق على مخالفة السنة، والتعلق منهم بآيات لم يسعدهم فيها.

(الشرح)

والتعلق منهم، يعني صار التعلق منهم، معطوف على ما قبله، وصار التعلقُ منهم.

هو هكذا، التعلقُ منهم، يعني صار التعلقُ منهم.

(المتن)

والتعلقُ منهم بآياتٍ يسعدهم فيها فتأولوا على أهوائهم، وصححوا بذلك مذاهبهم: احتجت.

(الشرح)

يعني لما حصل هذا، هذا الذي ذكره، يعني هو هنا يذكر أسباب تأليف هذا الكتاب، لما حصل هذا احتجتُ.

(المتن)

احتجتُ إلى الكشف عن صفة المتقدمين، ومأخذ المؤمنين ومنهاج الأولين، خوفًا من الوقوع في جملة أقاويلهم التي حذر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته ومنع المستجيبين له حتى حذرهم.

ثم ذكر أبو عبد الله خروج النبي صلى الله عليه وسلم وهم يتنازعون في القدر وغضبه.

وحديث: «لا أُلْفَيَنَّ أحَدَكم متكئًا على أريكته» .

وحديث: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة» وأن الناجية ما كان عليه هو وأصحابه.

ثم قال: فلزم الأمة قاطبة معرفة ما كان عليه الصحابة، ولم يكن الوصول إليه إلا من جهة التابعين لهم بإحسان.

(الشرح)

علم الصحابة من أين تأخذه؟ من التابعين، علم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أين تأخذه؟ من الصحابة، وعلم الصحابة من التابعين. ولم يكن الوصولُ إليه إلا من جهة التابعين لهم بإحسان.

(المتن)

المعروفين بنقل الأخبار ممن لا يقبل المذاهب المحدثة، فيتصل ذلك قرنًا بعد قرن ممن عُرفوا بالعدالة والأمانة، المحافظين على الأمة ما لهم وما عليهم من إثبات السنة.

إلى أن قال: فأول ما نبتدئ به ما [أوردنا] هذه المسألة من أجلها، ذكر أسماء الله عز وجل وصفاته مما ذكر الله في كتابه.

(الشرح)

يعني أول ما بدأ كتابه بدأ بما أشار إليه في عنوان الكتاب، نعم " توحيد الأسماء والصفات".

(المتن)

ذكر أسماء الله عز وجل وصفاته مما ذكر الله في كتابه وما بيَّن صلى الله عليه وسلم من صفاته في سنته، وما وصف به عز وجل نفسه مما سنذكر قول القائلين بذلك مما لا يجوز لنا في ذلك أن نرده إلى أحكام عقولنا بطلب الكيفية بذلك، ومما قد أمرنا بالاستسلام له.

إلى أن قال: ثم إن الله تعرف إلينا بعد إثبات الوحدانية وإقرار الألوهية: أن ذكر تعالى في كتابه بعد التحقيق، بما بدأ به من أسمائه وصفاته، وأكده عليه السلام بقوله، فقبلوا منه كقبولهم، لأوائل التوحيد من ظاهر قوله لا إله إلا الله.

(الشرح)

بما بدأ به من الأسماءِ والصفات وأكده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: يعني الأحاديث تؤيدُ ما جاء في القُرآن من إثبات الأسماء والصفات، فقبلوا منه كقبولهم لأوائل التوحيد من ظاهر قوله: لا إله إلا الله.

(المتن)

فقبلوا منه كقبولهم، لأوائل التوحيد من ظاهر قوله لا إله إلا الله.

(الشرح)

صفة النفس سبق أن أشرنا إلى أن النفس المراد بها الذات المقدسة وأنها ليست صفة مستقلة. وابنُ خفيف يرى كما يراه بعض أهل السُنة أنها صفة مستقلة.

(المتن)

إلى أن قال بإثبات نفسه بالتفصيل من المجمل، فقال لموسى عليه السلام: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه:41]، وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران:30].

(الشرح)

الأدلة هذه التي ذكرها هي كلها تدلُ على القول الراجح أن المرادَ بالنفس الذات.

(المتن)

ولصحة ذلك، واستقراره ناجاه المسيح عليه السلام فقال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة:116].

وأكد عليه السلام صحة إثبات ذلك في سنته فقال: «**يقول الله عز وجل: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي**».

(الشرح)

كلها أدلة على كون النفس هي الذات.

(المتن)

وقال صلى الله عليه وسلم: «**كتب كتابًا بيده على نفسه: إن رحمتي سبقت غضبي**».

وقال: «**سبحان الله رضى نفسه**»، وقال في محاجة آدم لموسى: «**أنت الذي اصطفاك الله واصطنعك لنفسه؟**».

فقد صح بظاهر قوله أنه أثبت لنفسه نفسًا، وأثبت له الرسول ذلك، فعلى من صدق الله ورسوله اعتقاد ما أخبر الله به عن نفسه ويكون ذلك مبنيًا على ظاهر قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

(الشرح)

نحن نطلق النفس على الله عز وجل ولكن لا نرى أنها صفة مستقلة.

(المتن)

ثم قال: فعلى المؤمنين خاصتهم وعامتهم قبول كل ما ورد عنه عليه السلام بنقل العدل عن العدل حتى يتصل به عليه السلام، وأن مما قص الله علينا في كتابه، ووصف به نفسه، ووردت السنة بصحة ذلك أن قال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ثم قال عقيب

ذلك: ﴿نُّورٌ عَلَى نُورٍ﴾ [النور:35] وبذلك دعاه صلى الله عليه وسلم: «أنت نور السماوات والأرض» .

(الشرح)

طبعاً الله عز وجل من صفته النور ومن أسمائه النور، هذا الذي رجحه شيخُ الإسلام وابنُ القيم، والمتكلمون يرون أن الله نور السماواتِ أي منور السماوات، هكذا يقولون. والصحيح: أنه النور ومن صفته النور. ما كان نوراً يكونُ منوراً.

الآن هذه لماذا تُنير؟ لأنها نور، هل هذا يُنير؟ لأنه ليس نوراً فالنور سيكونُ منيراً، فلابد أن تُثبتَ أولاً الصفة ثم أثرها ودلالتها.

(المتن)

ثم ذكر حديث أبي موسى: «حجابه النور. أو النار. لو كشفه لأحرقت سُبُحَاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» وقال: سبحات وجهه: جلاله ونوره، نقله عن الخليل وأبي عبيد، وقال: قال عبد الله بن مسعود: نور السماوات من نور وجهه.

ثم قال: ومما ورد به النصُ أنه حيٌ، وذكر قوله تعالى: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة:255] ، والحديث: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث».

قال: ومما تعرف الله إلى عباده أن وصف نفسه أن له وجهًا موصوفًا بالجلال والإكرام، فأثبت لنفسه وجهًا، وذكر الآيات.

ثم ذكر حديث أبي موسى المتقدم،.

(الشرح)

متقدم، سبق «حجابه النور» .

(المتن)

فقال: في هذا الحديث من أوصاف الله عز وجل «لا ينام» موافق لظاهر الكتاب ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾ [البقرة:255] .

(الشرح)

يعني كلام ابن خفيف في هذا الباب، باب الأسماء والصفات جميل.

(المتن)

وأن له وجهًا موصوفًا بالأنوار وأن له بصرًا كما أعلمنا في كتابه أنه سميع بصير.

ثم ذكر الأحاديث في إثبات الوجه، وفي إثبات السمع والبصر، والآيات الدالة على ذلك.

ثم قال: ثم إن الله تعرف إلى عباده المؤمنين، وأنه قال: له يدان قد بسطهما بالرحمة، وذكر الأحاديث في ذلك، ثم ذكر شعر أمية بن أبي الصلت، ثم ذكر حديث: «يلقى في النار وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع فيها رجله».

(الشرح)

وفي وراية: «يضع الجبار».

(المتن)

وهي رواية البخاري، وفي رواية أخرى: «يضع عليها قدمه» .

ثم ما رواه مسلم البطين عن ابن عباس: «أن الكرسي موضع القدمين، وأن العرش لا يقدر قدره إلا الله» وذكر قول مسلم البطين نفسه، وقول السدي، وقول وهب بن منبه، وأبي مالك، وبعضهم يقول: «موضع قدميه» وبعضهم يقول: «واضع رجليه عليه».

(الشرح)

يعني كل هؤلاء يوافقون ابن عباس رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُ أن الكُرسي موضع القدمين، وبعضهم يقول: موضع قدميه.

(المتن)

وبعضهم يقول: «واضع رجليه عليه».

(الشرح)

والمعنى واحد.

(المتن)

ثم قال: فهذه الروايات قد رويت عن هؤلاء من صدر هذه الأمة موافقًا لقول النبي صلى الله عليه وسلم متداولاً في الأقوال، ومحفوظًا في الصدور، لا ينكر خلف عن سلف.

(الشرح)

متداولاً في الأقوال: أي تتناقل قولاً قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومحفوظاً في الصدور، تُحفظ.

(المتن)

ولا ينكر عليهم أحد من نظرائهم، نقلتها الخاصة والعامة مدونة في كُتبهم إلى أن حدث في آخر الأمة.

(الشرح)

يعني الأمر يقول كان واضحاً جداً، لا أحد يُنكر شيئاً مما جاء في الكتاب والسُنة من الأسماء والصفات، إلى.

(المتن)

إلى أن حدث في آخر الأمة من قلل الله عددهم ممن حذرنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن مجالستهم ومكالمتهم، وأمرنا ألا نعود مرضاهم، ولا نشيع جنائزهم.

(الشرح)

طبعاً هو يُشير إلى القدرية، والقدرية وردت فيهم أحاديث، والصحيح أن الأحاديث الواردة في القدرية كلها ضعيفة مرفوعة، مرفوعاً كلها ضعيفاً ولكنها ثابتة موقوفةً على بعض الصحابة، نعم.

والشيخ الألباني يحسنها بمجموع طُرقها مرفوعة، يحسنها بمجموع طرقها، والصحيح أنها لا تثبت مرفوعةً، أما موقوفة على الصحابة نعم ثابتة.

(المتن)

فقصد هؤلاء إلى هذه الروايات فضربوها بالتشبيه وعمدوا إلى الأخبار، فعملوا في دفعها على أحكام المقاييس، وكفَّروا المتقدمين.

(الشرح)

ضربوها بالتشبيه قالوا هذه كلها تدلُ على التشبيه وبالتالي مردودة لا نثبت بها شيئاً من المعاني، نعم.

(المتن)

فعملوا في دفعها على أحكام المقاييس، وكفَّروا المتقدمين.

(الشرح)

إي فعملوا في دفعها على أحكام المقاييس، هذا مردود لأنه كذا وكذا ولأنه كذا أحكام لا تجزي إلى الأدلة إنما مقاييس.

(المتن)

وأنكروا على الصحابة، وردوا على الأئمة الراشدين، فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل.

ثم ذكر المأثور عن ابن عباس، وجوابه لنجدة الحروري.

(الشرح)

طبعاً قصته طويلة، قصة نجدة مع ابن عباس.

(المتن)

ثم ذكر حديث الصورة وذكر أنه صنف فيه كتابًا مفردًا واختلاف الناس في تأويله.

(الشرح)

الصورة وردت أحاديث في إثبات الصورة منها: حديث أبي هريرة رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته**»، أخرجه مسلم.

والأحاديث في هذا كثيرة الاختلاف في الضمير، «**خلق آدم على صورته**» الاختلاف في الضمير، هل الضمير يرجع إلى آدم؟ إلى المضروب؟ خلق آدم على صورته، أي على صورة هذا المضروب، ما دام أن عادم عليه السلام مثله في شكله، احترم هذا الشكل، ها؟

أو الضمير يرجع إلى الله عز وجل؟

هُناك رواية حسنها بعضُ أهل العلم «**على صورة الرحمن**»، إذاً هذه الرواية تحسم الخلاف هنا، وهذا هو الصحيح، وأهل السُنة قديماً وحديثاً يثبتون هذه الرواية ويثبتون أيضاً الصورة ولكن هذه الصورة الحديث فيها وعن كيفيتها مثل بقية الصفات، مثل الاستواء واليدين والوجه والقدمين وغيرها، ومن أئمة أهل السُنة من أولَ هذا الحديث

أشهر من يُذكر فيهم هو ابن خُزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أول هذا الحديث وأطال في تأويله في كتاب التوحيد، وهذا يُعتبر زلةً منه، الصحيح أن الضمير يرجع إلى الله عز وجل.

وابن خفيف يقول أنه ألفَ في ذلك كتاباً وهذا الكتاب لم يصل إلينا.

هذا الذي يلزم من كلامهم، المتقدمون يثبتون، والمتكلمون يختلفون، يختلفون فيمن يُثبت هذه الصفات وطبعاً هم يسمونهم مُشبههة يختلفون هل نحكم بإيمانهم هل نحكم بإيمانهم أو لا؟

فأيضاً من آمن بالله عز وجل عن طريق التقليد يختلفون فيه، يُحكى، يُنسب إلى أبي الحسن الأشعري أنه لا يُحكمُ بإيمانهم ومذهب الجمهور أن إيمانهم صحيح على ما فيه من الخلل. هذا الذي يقصده.

نعم؟

الطالب: القدرية؟

الشيخ: القدرية أشار إليهم فيما بعد.

الطالب: ...

الشيخ: لا، المتقدمين، يعني هم هؤلاء المبتدعة كفروا المتقدمين.

الطالب: شيخ أحسن الله إليك، هل يقصدن الصحابة المتقدمين؟ يقصدن التابعين؟

الشيخ: إي الصحابة والتابعين، كلُ من يُثبت. نسيت أن أقرأ عليكم أبيات أبي الحسن السُبكي، السُبكي هذا تاج الدين، الأبيات كثيرة، هذه الأبيات يذكر الفروق بين الأشاعرة والماترودية، وذكر فيها أن أبو الحسن على مذهب الصحابة وأنه لم يأتي بجديد، يقول:

وأعلم بأن الحق ما كانت عليه صحابة المبعوث من عدنان

من أكمل الدين القويم وبين الحُجج التي يُهدي بها الثقلان

إلى يقول:

وأتت على أعقابهم عُلماؤنا غرسوا ثماراً يجتنيها الجاني

بعد ذلك يقول: كالشافعي ومالك وأحمد.

سُبحان الله! أين الشافعي من هذه الخرافات؟ سُبحان الله!

ثم يقول: وأتى أبو الحسن الإمامُ الأشعري مبيناً للحقِ أي بيانِ

ثم يقول: فلقد تلقى حُسن منهجه عن الأشياخ

هذا هو الشاهد، يعني صلة الأشاعرة بالصوفية.

فلقد تلقى حُسن منهجه عن الأشياخِ أهل الدين والعرفانِ

يقصد، يُشير إلى الصوفية.

فلذاك تلقاه لأهل اللهِ ينصر.

يُسميهم على الله.

ينصر قولهم بمهندٍ وسنانٍ، مثل ابن أدهم والفضيل وهكذا معروفٌ المعروفِ في الإخوانِ، ذو النونِ أيضاً والسري وبشر بن الحارث.

إلى، يقول في الأخير:

فله بهم حسنُ اعتقادٍ مثل ما لهم بهمُ به التأييدُ يوم رهانِ

إذا كان هناك ذالك اليوم الذي هو يوم الرهان فأحدهم ينصر الثاني، ها؟

يقول: لما لم يُتابع هؤلاء وشيخه الشيخ الجُنيد السيدُ الصمداني

أنهو التصوف قد تلقى فاغتدا وله به وبعلمه نورانِ

هذه جملة معترضة منشطة يعني.

(المتن)

ثم قال: وسنذكر أصول السنة وما ورد من الاختلاف فيما نعتقده فيما خالفنا فيه أهل الزيغ، وما وافقنا فيه أصحاب الحديث من المثبتة إن شاء الله.

ثم ذكر الخلاف في الإمامة واحتج عليها: وذكر اتفاق المهاجرين والأنصار على تقديم الصديق رضي الله عنه وأنه أفضل الأمة.

ثم قال: وكان الاختلاف في خلق الأفعال، هل هي مقدرة أم لا؟ قال: وقولنا فيها أن أفعال العباد مقدرة معلومة وذكر إثبات القدر.

(الشرح)

طبعاً هنا يرد على المعتزلة، المعتزلة يرون أن أفعال الإنسان ليست مقدرة وأنها أصلاً لا تدخلُ تحت قدرة الله عز وجل وأنها مقدرةٌ للإنسان وهي فعلٌ للإنسان ويقابلهم الجبرية الذين لا يثبتون للإنسانِ فعلاً أصلاً.

(المتن)

ثم ذكر الخلاف في أهل الكبائر ومسألة «الأسماء والأحكام».

(الشرح)

الخلاف في أهل الكبائر كما تعرفون بين الخوارج والمعتزلة من جهة وبين المرجئة من جهة ووسطية أهل السُنة فيها.

ومسألة الأسماء والأحكام يقصد أسماء الدين، مُسلم، مؤمن، كافر، فاسق، هذه.

(المتن)

وقال: قولنا: إنهم مؤمنون على الإطلاق.

(الشرح)

طبعاً هذا الإطلاق عليه تحفظ، إنهم مؤمنونَ على الإطلاق. قوله: إنهم مؤمنوَ على الإطلاق هذا لا يقبل بهذا الإطلاق بل الصحيح أن الفاسق وأهل الكبائر صاحب الكبيرة لا يسلبُ مطلق الإيمان ولا يُعطى الإيمانَ المطلق. إنهم مؤمنونَ على الإطلاق: هذا فيه إيهام أنه يُعطى الأسمَ الكامل، يُعطى الإيمان الكامل وهذا غير صحيح. لا يُسلب مطلق الإيمان ولا يُعطى كامل الإيمان، وهناك فرق بين مطلق الإيمان وهو أدناه والإيمان المطلق وهو أعلاه، واضح؟

إذاً هذه الجملة فيها تحفظ.

(المتن)

وقال: قولنا: إنهم مؤمنون على الإطلاق وأمرهم إلى الله تعالى، إن شاء عذبهم، وإن شاء عفا عنهم.

(الشرح)

هو يرى أن أصل الإيمان توفيق من الله عز وجل، وشك أن أصل الإيمان توفيق من الله عز وجل.

(المتن)

وقال: أصل الإيمان موهبة يتولد منها أفعال العباد، فيكون أصله التصديق والإقرار والأعمال، وذكر الخلاف في زيادة الإيمان ونقصانه، وقال: قولنا: إنه يزيد وينقص.

قال: ثم كان الاختلاف في القرآن: مخلوقًا أو غير مخلوق، فقولنا وقول أئمتنا: إن القرآن كلام [الله] غير مخلوق وأنه صفة منه بدأ قولًا، وإليه يعود حكمًا.

(الشرح)

منه بدأ قولاً: هو المتكلمُ به. وإليه يعودُ حكماً: كما سبقَ في شرحِ شيخ الإسلام: أنه يعودُ إليه، سُبحانه يعودُ آخر الزمان حينما يتركُ الناس العملَ به يُنزعُ من الصدور ومن المصاحف.

(المتن)

ثم ذكر الخلاف في الرؤية وقال: قولنا قول أئمتنا فيما نعتقد أن الله يُرى في يوم القيامة، وذكر الحجة.

(الشرح)

قولنا وقول أئمتنا فيما نعتقد أن الله عز وجل يُرى يوم القيامةِ بالأبصار، نعم وهذا مذهبُ أهل السُنةِ والجماعة خالفهم المتكلمون وعلى رأسهم الجهمية والمعتزلة.

(المتن)

ثم قال: واعلم . رحمك الله . أني ذكرت أحكام الاختلاف على ما ورد من ترتيب المحدِّثين في كل الأزمنة. وقد بدأت أن أذكر أحكام الجمل من العقود.

(الشرح)

وقد بدأت أن أذكر أحكام الجمل من العقود، أي الأحكام المجملة في العقيدة، العقود يقصد العقيدة، يعني الأحكام المجملة في العقيدة، يبدأ بالأحكام المجملة ثم يفصل.

(المتن)

فنقول ونعتقد أن الله عز وجل له عرش، وهو على عرشه فوق سبع سماواته بكمال أسمائه وصفاته، كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:5] و ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة:5] ولا نقول: إنه في الأرض كما هو في السماء على عرشه؛ لأنه عالم بما يجري على عباده.

(الشرح)

لأنه عالمٌ بما يجري على عباده، هذا تكملة لهذا القول، وأصحاب هذا القول أشرنا إليهم مراراً، هم يرونه أنهم فوق العرش ومستوٍ على العرش، أيضاً على العرش زعموا أنهم بذلك يجمعون بين النصوص وهذا جهلاً منهم، وكما بينَ المحاسبي كما سبق أن نصوص المعية الآن تعارض نصوص العلو.

(المتن)

إلى أن قال: ونعتقد أن الله خلق الجنة والنار، وأنهما مخلوقتان للبقاء لا للفناء.

(الشرح)

طبعاً الذين يخالفون هنا هم المعتزلة، يرون أن الجنة والنار يُخلقانِ يوم القيامة وأنه ليس لخلقهما الآن فائدة، سُبحان الله!، هكذا عقيدتهم، وما أدراكم أنه ليس هناك بالنسبة لأهل الجنة في القبور يأتيهم النعيم من روحها ونسيمها، وكفار أهل النار يأتيهم من لفحها وسمومها.

على كل حال عرفنا الفائدة أو ما عرفنا، الله عز وجل أخبرنا أنها مخلوقة فنؤمن هي مخلوقتان الآن.

(المتن)

وأنهما مخلوقتان للبقاء لا للفناء.

إلى أن قال: ونعتقد أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عرج بنفسه إلى سدرة المنتهى.

(الشرح)

يشير في قوله هنا يُشير إلى أن قول من قال أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُرج أو عرج بروحه فقط هذا خطأ، يقول: عرج بنفسه أي ببدنه وروحه هذا هو الصحيح، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: 1]، والعبدُ روح وجسد. وكلامه هو الصحيح.

(المتن)

إلى أن قال: ونعتقد أن الله قبض قبضتين فقال: «هؤلاء إلى الجنة وهؤلاء إلى النار».

(الشرح)

وهذا الحديث صحيح أخرجه الإمام أحمد وغيره، وهذا فيه إثباتُ القبضتين، إثبات الصفات.

(المتن)

ونعتقد أن للرسول صلى الله عليه وسلم حوضًا.

(الشرح)

أن للرسول حوض صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نعتقدُ أن للرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حوضاً.

(المتن)

ونعتقد أن للرسول صلى الله عليه وسلم حوضًا.

ونعتقد أنه أول شافع وأول مشفع.

(الشرح)

طبعاً الذين ينكرون الحوض هم بعض الخوارج وبعض المعتزلة.

أول شافعٍ وأول مُشفع. أيضاً الذين ينكرون يخالفون أهل السُنة في بعض مسائل الشفاعة هم المعتزلة والخوارج لأنهم يرون أن أهل الكبائر وأهلُ الفسق لا تنفعهم شفاعةُ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هكذا يرون، وهذا خطأ بل شفاعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنواع، ذكر بن أبي العز ثمانية أنواع منها، ومنها شفاعته منها لأهل الكبائر من أُمته.

(المتن)

وذكر الصراط، والميزان، والموت، وأن المقتول قتل بأجله، واستوفى رزقه.

(الشرح)

المقتول قُتلَ بأجلهِ وأستوفى رزقه. هُنا يرد على المعتزلة، المعتزلة يرون أن المقتول قد أُجلَ أجله وأنه ليس مقتولاً بأجله وأنه قد قُطعَ أجله. ولذلكَ القاتل يُقتص منه ويقتلُ به، هكذا يقول المعتزلة، وهذا خطأ. عند أهل السُنة المقدر هو الأجل مع السبب، أجله مع السبب وهو الذي يكونُ به موتُ الإنسان. المقدر هو الموت مع سببه، كلاهما مقدران.

والمعتزلة يرون أن أفعال الإنسان منها قلته خلقٌ له وليس لله عز وجل، والله عز وجل يقول: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: 34].

ويقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه جابر رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً، يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب**» أي لا تتهوروا في الطلب، أجملوا في الطلب، «**فإن نفساً لن تموتَ حتى تستوفيَ رزقها وإن أبطأ عنها**»، أخرجه ابنُ ماجة وهو حديثٌ صحيح.

إذاً المقتول مقتولٌ بأجله.

ذكر بعض أهل السُنة هنا: المقتول لو لم يُقتل هل كان سيموت أيضاً؟ بعضهم قال: نعم سيموت. وبعضهم قال: ما كان ليموت. وذكر شيخ الإسلام أن هذا الافتراض لغو، كيف تفترض شيئاً خلاف ما هو حاصل، ما دام هذا حاصل علمنا أن الله عز وجل قدرَ عليه هذا الموت بهذا الشكل، وأن وقته انتهى، وأنه ما كان ليتأخر للحظة، فهذا خلافُ ما وقع وخلافُ ما قدره الله عز وجل مثل هذه التقديرات لا يجوز أن نخوضَ فيها، لو كان كذا لكان كذا، لماذا؟ الله عز وجل قدر هذا وانتهينا.

المهم: الرد هنا على المعتزلة الذين يرون أن المقتولَ ليس مقتولاً بأجله وإنما هو مؤجلٌ أجله، وهذا خطأ. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نستكمل إن شاء الله بعد الصلاة.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

للإمام الشيخ

شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني

- رحمه الله -

(المجلس التاسع عشر)

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد محمدي النورستاني

- حفظه الله -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(المتن)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين اللّٰهم اغفر لنا ولشيخنا آمين.

قال شَيْخ الإِسْلَام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: إلى أن قال: ومما نعتقد أن الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر، فيبسط يده فيقول: «ألا هل من سائل؟» الحديث وليلة النصف.

(الشرح)

يشير إلى ما ورد في ليلة النصف من شعبان، وقد وردت أحاديث كثيرة في ليلة النصف من شعبان والشيخ الألباني -رَحِمَهُ الله- صححها بمجموع الطرق في "**سلسلة الأَحَادِيْث الصحيحة**"، أَيْضًا في "**تخليل كتاب السنة**" لابن أبي عاصم ولكن والله أعلم هذه الأَحَادِيْث لا تثبت التي وردت في ليلة النصف من شعبان، ففيها يَعْنِي من العلل ما قد لا تنجبر أو لا تجبر بعضها بعضًا والله أعلم.

(المتن)

وعشية عرفة، وذكر الحديث في ذلك.

(الشرح)

عشية عرفة الحديث سبق وهو في صحيح مسلم.

(المتن)

قال: ونعتقد أن الله كلم موسى تكليمًا، واتخذ إبراهيم خليلًا، وأن الخُلَّة غير الفقر، لا كما قال أهل البدع.

(الشرح)

وأن الخُلَّة غير الفقر هذا الكلام سيعيده المؤلف فيما سيأتي، والخُلَّة هي كمال المحبة التي تستغرق المحب ولا تجعل فيه مجالًا لغيره، وهي أعلى أنواع المحبة وأكلمها وهي تستلزم من العبد كمال العبودية لله سبحانه، وبالتالي من يدعي أنه يعشق الله -عَزَّ وَجَلَّ-

وأن كذا وكذا وهو بعيد عن السنة كلامه غير صحيح، الخُلَّة تستلزم من العبد كمال العبودية لله -عَزَّ وَجَلَّ- وهي من الله -عَزَّ وَجَلَّ- كمال المحبة نعم.

(المتن)

وأن الخُلَّة غير الفقر، لا كما قال أهل البدع.

(الشرح)

سيأتي فيما سيأتي قريبًا أن هؤلاء الذين يشير إليهم هم المعتزلة يرون أن الخُلَّة هي الفقرة نعم سيأتي في كلامهم مرة أخرى نعم.

(المتن)

ونعتقد أن -الله تَعَالَى- خص محمدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالرؤية.

(الشرح)

هذا رأيه هذا رأي المؤلف رأي ابن خفيف -رَحِمَهُ الله- وهذا الرأي مرجوح؛ والصحيح أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم يره بعيني رأسه لم يره وأن الله -عَزَّ وَجَلَّ- لا يرى في الدنيا.

وأنه يراه الْمُؤْمِنُوْن يوم القيامة يرونه بأبصارهم وأن رؤيته سبحانه هي أجل النعم نسأل الله أن يرزقنا بها، والقول بأن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رآه بعيني رأسه في الدنيا هذا قولٌ مرجوح، فابن خفيف يذهب إلى هذا المذهب نعم.

(المتن)

واتخذه خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا.

(الشرح)

واتخذه الضمير يرجع إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

الطالب: قول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾[الشورى: 51]، ألا يدل على منع الرؤية؟!

الشيخ: تقصد أن هذا من أدلة نفي الرؤية الله أعلم.

(المتن)

واتخذه خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا.

(الشرح)

نعم هذا الوصف لم يثبت إلا لهذين النبيين الكريمين لهذين الرسولين الكريمين: «ولو كنت متخذًا أحدًا خليلًا لاتخذت أبى بكرٍ خليلًا»، وبعض الناس يرى أن بكر وعمر صنما قريش نعوذ بالله نعم.

(المتن)

ونعتقد أن -الله تَعَالَى- اختص بمفتاح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾[لقمان:43] الآية، ونعتقد المسح على الخفين. ثلاثًا للمسافر، ويومًا وليلةً للمقيم.

(الشرح)

طَبْعًا هذه المسألة هي مسألة فقهية مسألة المسح على الخفين؛ ولكن الأئمة الذين كتبوا في الاعتقاد تتابعوا على ذكرها في مصنفاتهم الاعتقادية لإنكار الرافضة لهذه المسألة ينكرون المسح على الخفين، ويوافقهم الخوارج على هذا تعرفون الروافض والخوارج متقابلان ولكنهم هنا اتفقوا كما ذكره الأشعري نعم.

(المتن)

ونعتقد الصبر على السلطان من قريشٍ ما كان من جورٍ أو عدل.

(الشرح)

هذا التقييد من قريش هل هذا التقييد عنده يَعْنِي قيد احترازي، ويرى أنهم إذا لم يكونوا من قريش لا نصبر عليهم؟ يبدوا أنه ليس هكذا لأن الصحيح أن قريش لهم الأولوية، وإذا كان من غيرهم أَيْضًا نعتقد الصبر عليهم، أن نصبر على ماذا؟ ما كان من جورٍ أي إذا كان عنده ظلم فنصبر عليهم.

(المتن)

ما أقام الصلاة من الجمع والأعياد، والجهاد معهم ماضٍ إلى يوم القيامة، والصلاة في الجماعة حيث ينادى لها واجبٌ إذا لم يكن عذرٌ مانع.

(الشرح)

طَبْعًا هذه المسائل كلها هي تابعة لمسألة الإيمان وكما تعرفون الإيمان عند أَهْلِ السُّنَّة: "**قولٌ وعملٌ واعتقاد**"، والإيمان عندهم يزيد وينقص والإيمان عندهم يتبعض أَيْضًا لا يذهب كله لذهاب بعضه، الذين يوافقون أَهْلِ السُّنَّة في تعريف الإيمان وهم الخوارج والمعتزلة يرون أن الإيمان لا يتبعض، وأن ذهاب بعضه يَعْنِي ذهاب كله هكذا يرون.

ووافقهم المرجئة أَيْضًا على أن الإيمان لا يتبعض، كلتا الطائفتين يرون أن الإيمان لا يتبعض وأنه لا يتجزأ، المعتزلة يرون أن ذهاب بعضه دليلٌ على ذهابه كله لأنه لا يتجزأ، المرجئة يرون أن بقاء بعضه دليلٌ على بقائه كله لأن الإيمان لا يتبعض ولا يتجزأ.

فهذا الشخص مثْلًا ولنقول: هذا الشخص نرى أن هذا الشخص فيه من أوصاف الإيمان الشيء الكثير، ومن الصعب أن تقول: أن هذا مع صلاته ومع حجه ومع قيامه بهذه الأعمال الصالحة أنه كافر مما يدل على أنه مؤمن، وقد علمنا أنه يرتكب الكبائر وأن عنده فجور وفسق علمنا هذا يشرب الخمر يكذب مع أننا نجزم أنه مؤمن! هذا يدل على أن إيمانه لم يذهب وبقاء بعضه يدل على بقائه كله، وبالتالي مؤمنٌ كامل الإيمان.

الخوارج والمعتزلة يرون أن نحن علمنا أن هذا مرتكبٌ للكبائر وعنده فسقٌ وفجور ونحن متأكدون من هذا، وبالتالي نحن متأكدون من أن بعض الإيمان ذهب من هذا وعندنا قاعدة: "**أن ذهاب بعضه يدل على ذهابه كله**"، والشبهة هذه شبهة فاسدة الإيمان يتجزأ والإيمان فيه أدنى وفيه مرحلة متوسطة وفيه مرحلة عليا.

يقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**الإيمان بضعٌ وستون أو بضعٌ وسبعون شعبة أعلاها قول: لَا إِلَهَ إِلَّا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبةٌ من الإيمان**»، هذا وسط.

والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هنا ذكر القول وذكر العمل وذكر الاعتقاد، فالإيمان فيه بعض الأعمال ما يذهب الإيمان بذهابها وبعض الأعمال لا يذهب الإيمان بذهابها،

وبالتالي نحن نستغرب أن شبهةً واحدة جعلتهم على طرفي نقيض جعلت بعضهم يفرَطون وبعضهم يُفرِطون وهذه شبهة أن الإيمان لا يتبعض نعم.

كنت أقول: أن هذا المسائل تابع فمن كان يرى أن هذا الإمَام ظالم وفاسد وفاجر يرى أنه خرج من الإيمان، وبالتالي ليس له شيء عليه من الطاعة أو كذا، والصحيح أن هذا مؤمنٌ بإيمانه وفاسقٌ بكبيرته وله حقٌ إضافي وهو أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- ولاه علينا وله السمع والطاعة.

وهناك حدود ما أقام الصلاة وبالتالي نصلي معه الجمع والأعياد، وأَيْضًا الجهاد معهم قضية الجهاد فيها رأي الرافضة أن الجهاد معلق إلى خروج المعصوم هو في الحقيقة عندهم لا جهاد الآن، ويا ليتهم يلتزمون بهذا لأن جهادهم معلقٌ بالمعصوم وعند هؤلاء أهل الغلو والإفراط أن هذا الإمَام خارج من الملة وبالتالي لا جهاد معه.

وكما رأيتم أن هؤلاء هذا يعتقد أنه يعلن أنه إمام للمُسْلِمِيْن وذاك يعلن أنه إمام للمُسْلِمِيْن والأئمة عندهم كُثر، وهذا يعلن أن دار الإِسْلَام هنا وهذا يعلن أن دار الإِسْلَام هنا، لأنهم بكذا يخرج من الملة ودينهم مبنيٌ على التفرق.

مع نشوء الخوارج أَهْلِ السُّنَّة دائمًا يقولون: أنهم أَهْلِ السُّنَّة وَالجَمَاعَة هذه الكلمة نشأت مع نشوء الخوارج، طَبْعًا هذه الكلمة هي الحق وهي مأخوذة من حديث الافتراق الذي فيه ذكر الجماعة.

ولكن أَهْلِ السُّنَّة بدئوا يتمسكون بهذا اللفظ بعد نشوء الخوارج لأن دينهم مبنيٌ على التفرق، وأَهْلِ السُّنَّة هم دائمًا مجتمعون على السنة فهم أَهْلِ السُّنَّة أخص الناس بالسنة عملًا وروايةً ودرايةً وأخص الناس على الاجتماع عليها على الحق نعم.

(المتن)

قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: والتراويح سنة، ونشهد أن من ترك الصلاة عمدًا فهو كافر.

(الشرح)

هذا هو الراجح والمسألة مختلفٌ فيها والاختلاف فيها من عهد الصَّحَابَة، والاختلاف إذا كان بين أَهْلِ السُّنَّة فالمخالف فيها يعذر، والصحيح أن من ترك الصلاة عمدًا طَبْعًا إذا كان تركه للصلاة جحودًا اتفقوا كلمةً واحدة: هو كافر؛ ولكن المسألة هذه فيما إذا كان تركه كسلًا الصحيح أنه كافر نعم.

(المتن)

والشهادة والبراءة بدعة.

(الشرح)

يقول: "**والشهادة والبراءة بدعة**"، يشير المؤلف إلى الرد على من يشهد لفلان أنه من أهل الجنة ويشهد لفلان أنه أهل النار، وأَيْضًا يشير إلى من يقعدون هذه القاعدة: "**لا ولاء إلا ببراءة**" وهذا عند الرافضة، لا يمكن أن توالي عليًا -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه- إلا إذا تبرأت من بقية الصَّحَابَة، وبحبك لبقية الصَّحَابَة لا يمكن أن تكون مواليًا لـ: "**لا ولاء إلا ببراءة**"، ففيها هاتان المسألتان وكلتاهما باطلة.

طَبْعًا والشهادة هنا المقصود بها عمومًا لا نشهد لفلان أنه من أهل الجنة، أَيْضًا الشهادة هنا قد يشير المؤلف إلى ما عند الرافضة حيث يرون أن شهادة أن لَا إِلَهَ إِلَّا الله وأن محمدًا رسول الله تقبل إلا ببراءة مثل قولهم: "**لا ولاء إلا ببراءة**"، وكذلك يقولون: الشهادة بالتوحيد والرسالة لا تقبل إلا بالبراءة ممن يتبرءون منهم.

(المتن)

والصلاة على من مات من أهل القبلة سنة، ولا ننزل أحدًا جنةً ولا نارًا حتى يكون الله ينزلهم، والمراء والجدال في الدين بدعة.

(الشرح)

يقول: "**ولا ننزل أحدًا جنةً ولا نارًا حتى يكون اللهُ ينزلهم**"، نعم يَعْنِي لا نشهد لأحدهم بالجنة، هذه الجملة تدل على أن الجملة السابقة تشير إلى عقائد أولئك المنحرفين والله أعلم.

يقول: "**والمراء والجدال في الدين بدعة**"، المراء والجدال هو الجدال الذي لا يحق الحق ولا يبطل الباطل؛ أما إذا كان المراء والمناظرة للإحقاق الحق فهذا جائزٌ بشروطه عند أَهْلِ السُّنَّة؛ ولكن المراء عمومًا يطلق على الجدال بالباطل مثل كلمة الجدال.

ولكن الجدل مصطلح عند أهل الأصول جدل يَعْنِي علم المناظرة وعلم الجدل، وهو ينظر إليه بحسب مقاصده وبحسب أثره وبحسب المطلوب منه، قد يكون شيئًا وقد يكون الحكم عليه بالنظر إلى حقيقته، أما المراء عمومًا يطلق على الجدال بالباطل نعم.

الطالب: ...؟!

الشيخ: طَبْعًا لا نشهد لاحظ القيد هنا: "**ولا ننزل أحدًا جنةً ولا نارًا حتى يكون الله ينزلهم**"، إذا لم يشهد الله -عَزَّ وَجَلَّ- والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لمعينٍ أنه من أهل الجنة لا يجوز أن نقول: أنه من أهل الجنة حتى الشهيد شهيد المعركة، الإِمَام البُخَارِيّ بوب بابًا مستقلًا أنه لا يطلق عليه أنه شهيد؛ ولكن نرجوا للمحسن ونخاف على المسيء.

الطالب: ...؟!

الشيخ: المعين من غير المُسْلِمِيْن إذا علمت أنه مات على الكفر فتشهد عليه وتبشره بالنار إذا مررت على قبره نعم.

(المتن)

ونعتقد أن ما شجر بين أصحاب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أمرهم إلى الله.

(الشرح)

طَبْعًا موضوع الصَّحَابَة صحابة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذا الموضوع يهتم به أَهْلِ السُّنَّة وَالجَمَاعَة، لأن هذا الموضوع وثيق الصُلب بحب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، نحن نحب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأنه رسول الله والله -عَزَّ وَجَلَّ- هو الذي يحب لذاته وغيره يحب لأجله، ولأجل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولأجل مناصرته ومناصرة دينه نحب الصَّحَابَة، واعتقاد أَهْلِ السُّنَّة أننا نتولى جميع الصَّحَابَة و لا نستثني في ذلك أحدًا هذا أولًا.

ثانيًا: نعتقد ونؤمن بالتفاوت في المنزلة الذي ورد فيهم، فأبو بكر هو أفضلهم ثم عمر ثم عثمان ثم علي -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَ وأرضاهم أجمعين-، وهذا الترتيب في الأفضلية وفي الخلافة هذا مذهب أَهْلِ السُّنَّة.

وهذا الترتيب في الأفضلية وفي الخلافة من يخالفهم في الخلافة مبتدع ومن يخالفهم في الأفضلية خلافه لا يخرجه من كونه من دائرة أَهْلِ السُّنَّة، لأن هناك من أَهْلِ السُّنَّة من يرى تقديم علي بن أبي طالب على عثمان ولكن مذهب جمهور الصَّحَابَة من الأنصار والمهاجرين هذا الترتيب الذي هو ترتيبهم على الخلافة.

ومن خرج على أَهْلِ السُّنَّة في هذه المسألة طائفتان:

- طائفة الرافضة.
- وطائفة الخوارج.

الخوارج يرون أن علي بن أبي طالب وعثمان -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا- كلاهما من أهل النار، وكل من رضي بالتحكيم وكل من رضي بالحكمين كلهم عندهم من أهل النار، وهم النواصب لأنهم يناصبون أهل البيت العداء.

والرافضة كما تعرفون يتبرءون من الشيخين واعتقادهم في الصَّحَابَة من أسوء ما يكون، وطريقة أَهْلِ السُّنَّة هي الطريقة الحقة الوسط نتولى جميع الصَّحَابَة ونؤمن بما ورد في الأدلة من التفاوت فيما بينهم، ونشهد أنهم كلهم عدول بدون استثناء نعم.

(المتن)

ونترحم على عائشة ونترضى عليها.

(الشرح)

ذكرها بالخصوص لما نراه من الكلام السيئ حولها عند بعض الفرق نعم.

(المتن)

والقول في اللفظ والملفوظ، وكذلك في الاسم والمسمى بدعة.

(الشرح)

يقول: "**القول في اللفظ والملفوظ بدعة**" لِمَاذَا؟ لأن هذه المسألة لم تكن على عهد النبي ولا على عهد الصَّحَابَة لم يقل أحدٌ منهم: "**لفظي بالقُرْآن مخلوق أو غير مخلوق**" هذا أولًا.

ثانيًا: فيها إيهام فيها إجمال إذا قلت مثْلًا: لفظي بالقرآن مخلوق اللفظ مصدر، والمصدر يأتي بالمعنى المصدري ويأتي بمعنى المفعول، فقد يكون المعنى لفظي بالقرآن مخلوق أي تلفظي بالقرآن مخلوق والتلفظ فعلك أنت أليس كذلك؟ وفعلك مخلوق.

الإِمَام البُخَارِيّ ركز على هذه المسألة في كتابه "**خلق أفعال العباد**" هذا الكتاب ألفه بعد فتنة نيسابور التي لحقته ألفه بعد الفتنة، وبين فيه أن أفعال العباد من تلاوتهم وقراءتهم كلها مخلوقة التلاوة فعل.

وقد يكون لفظي بالقرآن مخلوق ملفوظي بالقرآن مخلوق والملفوظ هو القُرْآن، والكُلابية في ذلك الوقت كانوا يتسترون وراء مثل هذه الألفاظ، لا يقول: القُرْآن مخلوق لأن من يقول: القُرْآن مخلوق هم المعتزلة وهم معروفون مكشوفون عند الأمة، فلا يقول: القُرْآن مخلوق ولكن يقول: لفظي بالقرآن مخلوق وهو يريد الملفوظ.

ولذلك الإِمَام أحمد -رَحِمَهُ الله- كان ينهى عن الجميع يبدع الجميع، طَبْعًا الذي يقول: لفظي بالقرآن مخلوق وقصده باللفظ الملفوظ هذا جهمي كان الإِمَام أحمد يجهمه، والذي يرى أن اللفظ هو التلفظ كان يبدعه أَيْضًا الإِمَام أحمد ما الذي ألجأك إلى مثل هذه الألفاظ لِمَاذَا! ما وجدت لفظًا واضحًا! مع ما رأيت من نهي الأئمة عن مثل هذه الألفاظ لِمَاذَا تقول وتصر على هذه؟ إذًا فيه شيء فكان الإِمَام أحمد يبدعه.

جاء الإِمَام البُخَارِيّ ففصل في القضية فصل تفصيلًا ذكر الإِمَام ابن القيم -رَحِمَهُ الله- أن كلام الإِمَام البُخَارِيّ في هذه المسألة أقعد وأكثر تفصيلًا وتأصيلًا من كلام الإِمَام أحمد؛ لأن الإِمَام أحمد كان موقفه من باب سد الذريعة وفعلًا هذا الذي يصر على هذه اللفظة عنده شيء؛ لفظي بالقرآن مخلوق وأنت تعرف أن اللفظ بمعنى الملفوظ واللفظ بمعنى التلفظ فلِمَاذَا تصر؟ هناك شيء.

ولذلك كان يبدعه الإِمَام أ حمد حتى على القول بأن اللفظ بمعنى التلفظ، ففي المجمل أن هذا بدعة كما يقول ابن خفيف ولا يجوز أن تقول: لا يَنبغْي أن تستعمل مثل هذه الألفاظ، والإمام البُخَارِيّ نسبت إليه هذه اللفظة هذه الجملة أنه قال: لفظي بالقرآن مخلوق، مع أنه حلف أنه لم يقل يومًا ما: أن لفظي بالقرآن مخلوق.

مع أن الإِمَام البُخَارِيّ لو قال هذه الجملة ما كان عليه أي اعتراض، لأنه لن يقصد باللفظ الملفوظ أليس كذلك؟ ومع ذلك احتياطًا منه وذهابًا منه إلى ما ذهب إليه شيخه الإِمَام أحمد وهو شيخه لم يقل يومًا ما: لفظي بالقرآن مخلوق.

وتفصيله في **"خلق أفعال العباد"** تفصيل جميل بل فصل في هذه القضية حتى في **"صحيح البُخَارِيّ"** في كتاب التوحيد في الأخير بوب أبواب فيها التمييز بين فعل العبد وفعل الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

يقول: **"وكذلك في الاسم والمسمى بدعة"**، الاسم والمسمى أَيْضًا من الموضوعات التي أشغلت ولازالت تشغل، الاسم والمسمى نحن نعرف الاسم أنا اسمي محمد والمسمى المتحدث، اسمي ممكن تكتبه هناك وتضعه في الجيب ولكن تستطيع أن تضعني في الجيب؟ إِذًا هناك فرق بين الاسم والمسمى من حيث الأصل هناك فرق بين الاسم والمسمى.

المعتزلة عرفوا بهذا كان شعارهم الاسم غير المسمى، لذلك طَبْعًا بهم خلفية لأن أسماء الله -عَزَّ وَجَلَّ- عندهم غير الله والغيرية عندهم أنها ما دامت الأسماء غير الله -عَزَّ وَجَلَّ- هي مخلوقة؛ ليس الله -عَزَّ وَجَلَّ- هو الذي سمى نفسه بهذه الأسماء لا المخلوقون هم الذين سموه بهذه الأسماء إِذًا لهم خلفية عقدية.

جاء الكُلابية وقالوا: الاسم هو المسمى وكلامهم فيه بعد عن في هذه القضية من الناحية اللغوية كيف تقول: الاسم هو المسمى؟ لغويًا لا يستقيم، المسمى لما يولد فلان تختار له اسمًا أما أن تقول: الاسم هو المسمى!

قَالُوا: نحن نقول: الاسم هو المسمى مخالفةً للمعتزلة قلنا: جميل على ما في موقفكم من الخطأ، يَعْنِي ما دام هذا قصدكم خطأكم ليس أشنع هو خطأ، ولما تحقق معه تجد أن قصدهم يختلف.

هم يرون أن الاسم هو المسمى والمراد بالاسم عندهم هو الله -عَزَّ وَجَلَّ-، هم لما يقولون: أسماء الله غير مخلوقة يرون أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- غير مخلوق، أسماء الله غير مخلوقة ونحن نقول: أسماء الله غير مخلوقة وهذا صحيح، قصدهم أن أسماء الله غير مخلوقة أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- هو غير مخلوق لِمَاذَا؟ لأن الاسم هو المسمى.

والفريقان لهم أدلة كثيرة وأهل السنة مذهبهم ما عند هذا الفريق من الحق وما عند هذا الفريق من الحق كله يؤيد مذهب أَهْلِ السُّنَّة، وما عند هذا الفريق من الباطل وما عند هذا الفريق من الباطل به نرد على الفريقين ونثبت صحة موقف أَهْلِ السُّنَّة وَالجَمَاعَة في هذه المسألة.

وأَهْلِ السُّنَّة موقفهم أن نعبر هكذا الاسم للمسمى، ما نقول: الاسم هو المسمى ولا نقول: الاسم غير المسمى مع أن الاسم غير المسمى، ومع ذلك ما دام أن هذا شعار للمعتزلة لا نقول: الاسم غير المسمى بل نقول: الاسم للمسمى، وهذا هو الصحيح لأن الأسماء تكون للمسميات.

المسميات تسمى بهذه الأسماء لِمَاذَا؟ لأن الأسماء تدل على المسميات، وهذا هو الذي تؤيده الأدلة أَيْضًا: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف: 180]، وهكذا بقية فنحن نقول: الاسم للمسمى وهذا لا يمكن أن يعترض عليه لا الجهمي ولا الكُلابي لا يمكن لأن الاسم للمسمى.

والاسم هناك اختلاف بين البصريين والكوفيين في أصل الاسم بعضهم يقولون: من السمة وهي العلامة لأن الاسم علامة على المسمى، وبعضهم وهم البصريون يقولون: من السمو لأن به يسموا المسمى، ولذلك أنت تختار الاسم الجميل، على كل حال نحن لا يهمنا هذا ولا هذا ولكن نقول: الاسم للمسمى.

وما ذكره المؤلف هنا ما ذكره ابن خفيف أنه بدعة فعلًا بدعة لِمَاذَا؟ لما فيهما من الإجمال على الاثنين على الجملتين، أنت لما تقول: اللفظ والملفوظ لفظي بالقرآن مخلوق فيها إجمال أقل ما فيها أن فيها إجمال.

قضية الاسم والمسمى ما لم تذكر القضية بأطرافها فيها إجمال ولذلك لا نخوض فيها، وأهل السنة لا يخوضون في مثل هذه الأمور إلا اضطرارًا، ليس من منهجهم ومن نفسهم أنهم يخوضون ويتقعرون في مثل هذه لا يدخلون فيها نعم.

الطالب: ...؟!

الشيخ: لهم أدلتهم المعتزلة يتمسكون بالأصل اللغوي هذا هو الصحيح، والكُلابية لهم أدلة كثيرة نعم.

(المتن)

قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: والقول في أن الإيمان مخلوقٌ أو غير مخلوقٍ بدعة.

(الشرح)

أَيْضًا بدعة هذه الإيمان الآن أنا أسألكم ما هو الإيمان؟ أليس الإيمان اعتقاد تعتقده أنت؟ إِذًا هو عمل، إذا قلت: الإيمان مخلوق بهذا الاعتبار لا بأس باعتبار أن الإيمان اعتقادك وأن الإيمان قولك وأن الإيمان فعلك أليس كذلك؟!

إذا قلت أن الإيمان مخلوق بهذا الاعتبار لا بأس؛ ولكن الإيمان أليس هو اعتقاد قول لَا إِلَهَ إِلَّا الله؟ إِذًا لَا إِلَهَ إِلَّا الله هو الإيمان، وكذلك من أسماء الله -عَزَّ وَجَلَّ- المؤمن من الإيمان هل تقول: أن لَا إِلَهَ إِلَّا الله واسمه المؤمن مخلوق؟ لا تقول إِذًا فيها إجمال.

ما دام هناك إجمال لابد أن تفصل، إما لا تدخل في القضية رأسًا وإن أردت أن تدخل لابد أن تفصل، أما إذا ذكرتها بالإجمال فكما يقول المؤلف هنا: "**والقول في أن الإيمان مخلوقٌ أو غير مخلوقٍ بدعة**" لِمَاذَا؟ لما فيها من الإجمال.

بالسبة للألفاظ أَهْلِ السُّنَّة يعتنون بهذا الأصل اعتناءً خاصًا، لأن من أسباب الضلال عند الفرق كلهم بدون استثناء عدم الدقة في الألفاظ، تجده يرمي يمينًا وشمالًا ولا يدقق في

معانيها ولا يدقق في صلتها بالألفاظ الشرعية التي وردت في الكتاب والسنة، لذلك أَهْلِ السُّنَّة يهتمون بهذا الباب وخاصةً شَيْخ الإِسْلَام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ-.

له يَعْنِي هناك قاعدة من القواعد السبعة في "التدمرية" أن الألفاظ تنقسم إلى قسمين:

- ألفاظ شرعية.
- وألفاظ غير شرعية.

الألفاظ الشرعية هذه تحترم ويجب أن نؤمن بها حتى ولو لم نفهمها، وألفاظ غير شرعية أي لم ترد في الكتاب والسنة هذه الألفاظ تحاكم إلى الألفاظ الشرعية هذا هو الأصل عند أَهْلِ السُّنَّة، وَالذي نراه عند المبتدع أن الألفاظ الشرعية تحاكم إلى!

لا نقول: أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- فوق العرش لأنه يستلزم الجسمية سبحان الله أين في الكتاب أنك لابد أن تراعي هذا أين؟ لا نقول: الله -عَزَّ وَجَلَّ- فوق العرش لأنه يتحيز لأنه يستلزم التحيز، إِذًا هناك ألفاظ مجملة جعلوها هي الأصل.

فباب الألفاظ يهتم بها أَهْلِ السُّنَّة يهتمون بهذا اهتمامًا لأن بهذه الدقة لا يقعون فيما وقع فيه كما لاحظنا هنا الاسم للمسمى لا أحد يستطيع أن يعترض عليه، مع انسجامه مع الأدلة الأدلةْ كلها تدل على وهذا هو الواقع الاسم يكون للمسمى نعم.

(المتن)

قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: واعلم أني ذكرت اعتقاد أهل السنة على ظاهر ما ورد عن الصحابة والتابعين مجملًا من غير استقصاء؛ إذ قد تقدم القول عن مشايخنا المعروفين من أهل الإمامة والديانة، إلا أنني أحببت أن أذكر "عقود أصحابنا المتصوفة" فيما أحدثه طائفةٍ انتسبوا إليهم مما قد تخرَّصوا من القول مما نزه الله المذهب وأهله من ذلك.

(الشرح)

طَبْعًا هنا ابن خفيف-رَحِمَهُ الله- يظهر ما يستشعره من الجفاء ممن ينتسب إلى التصوف وممن يرد عليهم، ممن يرد عليهم سيذكر ابن جرير في الفقرة هذه، وممن ينتسب إلى التصوف

يقول: "**إلا أنني أحببت أن أذكر عقود أصحابنا المتصوفة فيما أحدثه طائفةٍ انتسبوا إليهم مما قد تخرَّصوا من القول مما نزه الله المذهب وأهله من ذلك**"، عقود أي عقيدة.

يقول: هؤلاء لا يمثلون المتصوفة، وللأسف أمثال ابن خفيف انتهى دورهم الآن، الآن التصوف الموجود إما حلولي وإما اتحادي وابن خفيف عندهم وهابي المتصوفة الموجودين الآن، هذه محاولة من ابن خفيف ومن أمثاله أن يبقى التصوف والتصوف من بدايته، على كل حال هؤلاء الذين يقولون بالسنن ويثبتون العقيدة الصحيحة يَعْنِي وجود أمثالهم فيهم غنيمة؛ ولكن الآن الوضع اختلف نعم.

(المتن)

إلى أن قال: وقرأت لمحمدٍ بن جرير الطبري في كتاب سماه "التبصير".

(الشرح)

نعم محمد بن جرير الطبري المفسر المعروف توفي سنة ثلاثمائة وعشرة، يقول: قرأت له في كتاب سماه "التبصير".

(المتن)

(المتن)

في كتاب سماه "التبصير".

(الشرح)

الكتاب مطبوع بتحقيق الدكتور/ علي الشبل، وهذا الذي ذكره موجود في الكتاب، وابن جرير -رَحِمَهُ الله- بعض ما ذكره المؤلف يبدوا لي أنه مأخوذٌ منه ما يتعلق باللفظ والملفوظ والاسم والمسمى ذكره ابن جرير في رسالته "صريح السنة"، وهو إمامٌ من أئمة المُسْلِمِيْن ولكن ابن خفيف له ملاحظة عليه وسنرى أن ملاحظته ليست دقيقة نعم.

(المتن)

كتب بذلك إلى أهل طبرستان.

(الشرح)

إلى أهل طبرستان طبرستان هذه تقع الآن في شمال إيران تسمى مازندران، هذه المنطقة لعلكم تتذكرون بحر قزوين المنطقة التي تحيط ببحر قزوين من الجنوب هي هذه طبرستان وإليها نسبة الطبري، وليست هي طبرية الشام هي هذه المنطقة هناك، وتسمى آمل والآن تسمى مازندران نعم.

(المتن)

في اختلافٍ عندهم، وسألوه أن يصنف لهم ما يعتقده ويذهب إليه، فذكر في كتابه اختلاف القائلين برؤية -الله تَعَالَى-؛ فذكر عن طائفةٍ إثبات الرؤية في الدنيا والآخرة، ونسب هذه المقالة إلى الصوفية قاطبة.

(الشرح)

طَبْعًا الصحيح أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- يُرى في الآخرة وليس في الدنيا، وقد قال بعض المتصوفة وجميع الحلولية: أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- يُرى في الدنيا والآخرة، وهذا ذكره شَيْخ الإِسْلَام في الفتاوى المجلد الثاني مائتين وستة وثلاثين إلى مائتين وسبعة وثلاثين.

والصوفية الآن الموجودين أحدهم كنت مع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كأنه يتحدث عنه: كنت مع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ورأيت الله وقال لي كذا وكذا هذا جدًا عندهم عادي.

فيقول: "**نسب هذه المقالة إلى الصوفية قاطبةً لم يخص طائفةً دون طائفة**"، لأن عبارة ابن جرير هكذا: "**وقال جماعةٌ متصوفة ومن ذكر عنه ذلك مثلُ بكر بن أخت عبد الواحد: الله يُرى في الدنيا والآخرة**"، إِذًا هو لم يعمم وبالتالي ملاحظة ابن خفيف -رَحِمَهُ اللهُ- على الطبري يَعْنِي ليست مسلمة على كل حال.

(المتن)

لم يخص طائفةً دون طائفة فتبين أن ذلك على جهالةٍ منه.

(الشرح)

يقول: "فتبين أن ذلك على جهالةٍ منه"، يقول: هذا لجهلٍ من الطبري وقد رأينا أن الملاحظة هذه ليست دقيقة، والإمام الطبري وخاصةً في المقالات في مذاهب الناس وفي أقواهم علامة علامةّ في كل شيء وهو إمام أهل التفسير نعم.

(المتن)

فتبين أن ذلك على جهالةٍ منه بأقوال المحصلين منهم، وكان ممن نسب إليه ذلك القول بعد أن ادعى على الطائفة ابن أخت عبد الواحد بن زيد، والله أعلم بمحله عند المحصلين؛ فكيف بابن أخته؟!

(الشرح)

يقول: عبد الواحد نفسه محله عند المحصلين يَعْنِي عند المحققين الذين حصلوا العلم والعرفان حصلوا التحقيق، يقول: محله عندهم الله أعلم به فكيف بابن أخته؟ نعم.

(المتن)

وليس إذا أحدث الزائغ في نحلته قولًا نسب إلى الجملة.

(الشرح)

هذا صحيح أنه: "ليس إذا أحدث الزائغ في نحلته"، في نحلته أي في طائفته: "قولًا نسب إلى الجملة"، لا تنسب المقالة إليه هو نعم.

(المتن)

كذلك في الفقهاء والمحدثين ليس من أحدث قولًا في الفقه، أو لبَّس فيها حديثًا ينسب ذلك إلى جملة الفقهاء والمحدثين.

واعلم أن ألفاظ "الصوفية" وعلومهم تختلف، فيطلقون ألفاظهم على موضوعاتٍ لهم، ومرموزاتٍ وإشاراتٍ تجرى فيها بينهم، فمن لم يداخلهم على التحقيق، ونازل ما هم عليه، رجع عنهم خاسئًا وهو حسير.

(الشرح)

على كل حال هذا الذي ذكره ابن خفيف -رَحِمَهُ الله- قد تكون لنا يَعْنِي ملاحظة عليها، نعم هؤلاء كما يقول: "**فيطلقون ألفاظهم على موضوعاتٍ لهم، ومرموزاتٍ وإشاراتٍ**

تجرى فيما بينهم"، قصده أنهم يصطلحون على أمورٍ معينة ويشيرون إليها إشارات وهم فيما بينهم يفهمون هذه الإشارات وهذا لا بأس به.

لكل طائفة أن تصطلح اصطلاحات وتشير إشارات إلى ما هو معروفٌ بينهم من حيث الأصل لا إشكال فيه؛ ولكن تأتي إلى مصطلح شرعي وتغير فيه لا يجوز هذا لا يجوز لا للصوفي ولا لغير الصوفي مثل التوحيد؛ التوحيد لا يتحقق إلا بإثبات الأسماء والصفات ولا يتحقق إلا بإثبات الإلوهية والربوبية أليس كذلك؟!

الصوفي يأتي ويصطلح ويريد من التوحيد نفي الاثنينة، يقول: التوحيد نفي الاثنينة هل يقبل هذا منه؟ لا يقبل، كما لا يقبل من المعطل أن يقول: التوحيد نفي الصفات، أنت الآن تلعب بمصطلح شرعي تأتي بعبارة بمصطلح جديد من عندك وتتصرف فيه كما تريد ترمز إليه تشير إليه هذا عندك.

وما حصل من الصوفية من هذا كثير جدًا أحدهم يقول: "**ما في الجبة إلا الله**" فيأتي أمثال الهيتمي وغيرهم ويقولون ويذكرون نفس ما ذكره ابن خفيف هنا: أنا ألفاظهم تختلف إشاراتهم تختلف مرموزاتهم تختلف.

"**ما في الجبة إلا الله**" كفر صريح وبالتالي لا يقبل، وهناك رسالة علمية جميلة جدًا في المصطلحات تأصيل هذا الموضوع عند أَهْلِ السُّنَّة، رسالة علمية نسيت المؤلف رسالة علمية ضخمة يَعْنِي ممكن هي طبعت في مجل ولكن الخط لو طُبعت بهذه الحروف تكون رسالة في مجلدين، فعلى كل حال الألفاظ الشرعية لا يجوز أن تتصرف فيها بشيءٍ من الإضافة والتغيير والتبديل هي تؤخذ معانيها من الشرع.

فقوله هنا: "**فيطلقون ألفاظهم على موضوعاتٍ لهم**"، هذا الموضوع ليس خاصًا به التوحيد ليس خاصًا به، يقول: "**ومرموزاتٍ وإشاراتٍ تجرى فيما بينهم فمن لم يداخلهم على التحقيق، ونازل ما هم عليه**"، مع أنه لم يدخل معهم في التحقيق ومع ذلك نازلهم نافسهم ورد عليهم يقول: "**رجع عنهم خاسئًا وهو حسير**"، يقول: لم يفهم شيئًا وبالتالي ردوده قد تكون على أمورٍ أخرى ليس في.

أنا قرأت للهيتمي وقرأت لغيره من تأويلاتهم لما نجد من الكفر الصريح عند الصوفية عند بعض الصوفية، جميع ألفاظهم يقولون: لابد أن نؤول الذي يثبت العلو على ما أثبته الله -عَزَّ وَجَلَّ- هذا لا تعذرونه مع أنه لم يزد على ما جاء في الكتاب والسنة، هذا عندكم مجسم وعندكم كذا وعندكم مشبه جعلتموه كأنه من الكفار، هذا الذي عنده كفر صريح تتأول بِمَاذَا تتأول؟!

(المتن)

ثم ذكر إطلاقهم لفظ الرؤية بالتقييد، فقال: كثيرٌ ما يقولون: رأيت الله، وذكر عن جعفرٍ بن محمدٍ قوله لما سئل: هل رأيت الله حين عبدته؟ قال: رأيت الله ثم عبدته.

(الشرح)

هكذا عندك كثيرٌ ما يقولون أنا أظن هذه كثيرًا ما يقولون، نسخة الغامدي كثيرًا ولا كثيرٌ؟ كثيرًا هذا هو الصحيح اللي عندنا خطأ.

الطالب: ...؟!

الشيخ: لا هو ما مع ما ما يستقيم لو قال: كثيرٌ يقولون يَعْنِي على شيءٍ من الركاكة، أما كثيرًا ما يقولون.

الطالب: ...؟!

الشيخ: على كل حال مع كلمة ما، فقال: كثيرًا ما يقولون والله أعلم هل ذكر نسخ؟ هكذا كثيرًا ما يقولون، حتى هنا خطأ هذا نسخة التعليق فقال: كثيرًا ما يقولون، حتى ولو صح هذا النادر الذي ما يستعمل نعم.

يقول: "**كثيرًا ما يقولون: رأيت الله**"، ما زال الكلام لابن خفيف يقولون: رأيت الله، يقول: لا تستنكر إذا قال الصوفي: رأيت الله لا تستنكر لِمَاذَا؟ لما سيبينه نعم.

(المتن)

وذكر عن جعفرٍ بن محمدٍ قوله لما سئل: هل رأيت الله حين عبدته؟ قال: رأيت الله ثم عبدته؛ فقال السائل: كيف رأيته؟ فقال: لم تره العيون بتحديد العيان، ولكن رأته القلوب بتحقيق الإيقان.

(الشرح)

يقول: لا تفصل وتحاقق معهم يبينون لك أن الرؤية هنا بمعنى اليقين، ومع ذلك لا يجوز أن تطلق هذه اللفظة ما دام عرفت أن الإطلاق هكذا لا يجوز لِمَاذَا تتعب الناس تقول: رأيت الله؟ نعم.

(المتن)

ثم قال: يرى في الآخرة كما أخبر في كتابه وذكره رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فهذا قولنا وقول أئمتنا دون الجهال من أهل الغباوة فينا.

(الشرح)

نعم هو يستشعر بما عند بعضهم من الشطح والشطط، يقول: "دون الجهال من أهل الغباوة فينا" نعم.

(المتن)

وإن مما نعتقد أن الله حرَّم على المؤمنين دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وذكر ذلك في حجة الوداع، فمن زعم أنه يبلغ مع الله درجةً يبيح الحق له ما حظر على المؤمنين إلا المضطر على حالٍ يلزمه إحياء النفس، وإن بلغ العبد ما بلغ من العلم والعبادة فذلك كفرٌ بالله والقائل بذلك قائلٌ بالإلحاد وهم المنسلخون من الديانة.

(الشرح)

هذا أَيْضًا جميل ما ذكره ابن خفيف-رَحِمَهُ الله- جميل جدًا، وفيه أَيْضًا ردٌ على أصحابه من الصوفية الذين يرون أن الناس قسمان:

- قسم يطلقون عليهم أهل الظاهر، وهؤلاء يجب عليهم أن يلتزموا الشرع.
- وقسم يطلقون عليهم أهل التحقيق والعرفان وهؤلاء لا يلزمهم ما يلزم على العامة.

ويقولون: العبادات هذه وسيلة للوصول فَإِذا وصلت تستغني، أنت لما تذهب إلى مكة وتسلك طريقًا لتصل إلى مكة إذا وصلت إلى الكعبة أنت استغنيت عن الوسيلة، هذه

الوسيلة للوصول إلى هناك هدفك الوصول إلى هناك وبالتالي لا ترجع إلى الطريق لا تجعله هدفًا.

ويقولون: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[الحجر: 99]، هذا معناه حتى تصل إلى اليقين مع أن اليقين هنا الموت هكذا يقولون هكذا يقول المتصوفة الآن بشتى مدارسهم، وهو يرد عليهم يقول: **"فمن زعم أنه يبلغ مع الله درجةً يبيح الحق له ما حظر على المؤمنين إلا المضطر على حالٍ يلزمه إحياء النفس، وإن بلغ العبد ما بلغ من العلم والعبادة فذلك كفرٌ بالله"**.

طَبْعًا هناك جملة معترضة: **"إلا المضطر على حالٍ يلزمه إحياء النفس"**، هو في حالٍ إذا لم يأكل الميتة مثْلًا يموت ويلزمه أن يأكلها حتى يحيي نفسه، يَعْنِي يقول هنا: **"إلا المضطر على حالٍ يلزمه إحياء النفس"**، يَعْنِي النفس هنا معرضة للتلف والهلاك ولابد أن يحييها بأكل الميتة إذا لم يكن بهذه الحال: **"وإن بلغ العبد ما بلغ من العلم والعبادة فذلك كفرٌ بالله"**، إذا اعتقد أنه الله -عَزَّ وَجَلَّ- يبيح له ما حضر ومنع منه الآخرين فهذا كفرٌ بالله: **"والقائل بذلك قائلٌ بالإلحاد وهم المنسلخون من الديانة"**.

فنحن نطلق هذه الألفاظ وعلى الصوفية الآن الذين يقولون: علم الشريعة وعلم الحقيقة علم الطريقة وعلم الشريعة، ولا عندهم حلال ولا عندهم حرام أحدهم يقول: **"أصبحت منفعلًا لما تختاره مني ففعلي كله طاعةُ"**.

يقول: كل ما يحصل مني فهو مرادك مني وليس فيه شيءٌ اسمه معصية أو فسق وفجور: **"أصبحت منفعلًا لما تختاره مني ففعلي كله طاعةُ"**، بشرط أن يكون قد وصل فعلًا إذا لم يصل إلى هذه الزندقة لا يمكن أن يقول بهذا طَبْعًا هذا شرطهم هم، ورده فعلًا جميل رد ابن خفيف -رَحِمَهُ الله- جميل.

الطالب: ...؟!

الشيخ: هذا صحيح وهذا صحيح لأن من يثبت وجود الله -عَزَّ وَجَلَّ- لا يمكنه أن يقول بهذا، أَيْضًا قولٌ بالإباحة لأنه أباح له ما مُنع منه غيره.

(المتن)

وأن مما نعتقده ترك إطلاق العشق على الله؛ وبين أن ذلك لا يجوز لاشتقاقه.

(الشرح)

طَبْعًا هذا مما نراه الآن الصوفية الآن ترون البرلوية وغيرهم أحدهم يقول: "**أنا أعشق النبي** -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-"، ويقولون: "**نحن نعشق الله** -عَزَّ وَجَلَّ-" لا يجوز؛ ابن خفيف -رَحِمَهُ الله- منع من إطلاق هذا اللفظ أولًا لاشتقاقه لأن العشق محبة مع شهوة فلذلك لا أحد يقول: أعشق أمي أبد لا يجوز.

يقول: "**ولعدم ورود الشرع به**"، لأن الحب مراتب بعض المراتب مثْلًا الحب والخُلَّة بعض المراتب ورد إطلاقها على الله -عَزَّ وَجَلَّ- وبعض المراتب لم يرد إطلاقها فنحن نتقيد بما ورد كلا الدليلان قويان نعم.

(المتن)

ولعدم ورود الشرع به، وقال: أدنى ما فيه أنه بدعةٌ وضلالة، وفيما نص الله من ذكر المحبة كفاية، وأن مما نعتقده: أن الله لا يحل في المرئيات.

(الشرح)

المرئيات هي المخلوقات لأنك لا ترى إلا إذا كان مخلوقًا جسمًا، فيقول: "**مما نعتقده**" مما يدل على أن في ذلك الوقت كان هذا هو، متى توفي ابن خفيف؟ ثلاثمائة وواحد وسبعين، وقلت لكم: هذا هو تلميذ أبي الحسن الأشعري وشيخ الباقلاني، فمثل هذه الألفاظ تنفعنا في معرفة طبقات الصوفية، وأنهم في هذا الوقت كانوا كذا يَعْنِي تدرج الانحراف في الفرق، أن الله لا يحل في المرئيات يرد هنا على الحلولية.

(المتن)

وأنه المنفرد بكمال أسمائه وصفاته، بائنٌ من خلقه، مستوٍ على عرشه، وأن القرآن كلامه غير مخلوق، حيث ما تلي وحفظ ودرس.

(الشرح)

كلام الله -عَزَّ وَجَلَّ- من جميع جهاته سواءً تُلي وسواءٌ حُفظ وسواءً دُرس سواءً تلفظ وسواءً كُتب، هو من جميع جهاته كلام الله -عَزَّ وَجَلَّ- لا يخرج عن كونه كلامًا لله -عَزَّ وَجَلَّ-، وكما قال الإِمَام أحمد: "**كلامه من جميع جهاته**" ويقصد هذه الجهات الخمس هو كلامه من جميع جهاته هو كلامه وغير مخلوق، لأنه من كلام الله -عَزَّ وَجَلَّ- والكلام صفة من صفات الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

(المتن)

ونعتقد: أن-الله تَعَالَى- اتخذ إبراهيم خليلًا، واتخذ نبينا محمدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خليلًا وحبيبًا، والخُلَّة لهما منه على خلاف ما قاله المعتزلة: أن الخُلَّة الفقر والحاجة.

(الشرح)

نعم أنا أشرت إلى هذا فيما سبق نعم.

(المتن)

إلى أن قال: والخلة والمحبة صفتان لله هو موصوفٌ بهما.

(الشرح)

موصوفٌ بهما أي الله -عَزَّ وَجَلَّ- موصوفٌ بالخُلة والمحبة، الخُلة من الله-عَزَّ وَجَلَّ- محبته لأهلها، والله -عَزَّ وَجَلَّ- أثبت المحبة له لعباده ولعباده له يحبهم ويحبونه في آية واحدة أثبت المحبة من الطرفين.

والجهمية والمعتزلة لا يثبتون صفة المحبة من الطرفين، يقولون: المحبة لا تكون إلا من متجانسين وإثباتها لله -عَزَّ وَجَلَّ- هذا يستلزم كذا وكذا، والأشاعرة يثبتون المحبة من جهة واحدة من جهة العبد ولا يثبتون المحبة من الله -عَزَّ وَجَلَّ-، والله -عَزَّ وَجَلَّ- أثبت هذا في آية واحدة أثبت المحبة من الطرفين: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[المائدة: 54].

بل إن مبنى العبادة على المحبة أساس العبادة على المحبة فمن يقول: أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- لا يجوز أن تحبه هذا يمنعك من العبادة، وأي عبادة يأتي بها إذا كان يحبه إذا لم تكن مبنيةً على المحبة لله -عَزَّ وَجَلَّ-؟!

(المتن)

ولا تدخل أوصافه تحت التكييف والتشبيه، وصفات الخلق من المحبة والخلة جائزٌ عليهم الكيف.

(الشرح)

إي يَعْنِي أنت تعرف كيفية محبته وكيفية خُلته نعم.

(المتن)

وأما صفات -الله تَعَالَى- فمعلومةٌ في العلم، وموجودةٌ في التعريف.

(الشرح)

"معلومةٌ في العلم، وموجودةٌ في التعريف" يقصد يمكننا أن نعرفها، مثْلًا نقول: صفة العلم معناها كذا وكذا وصفة الإرادة معناها كذا وكذا أليس كذلك نعرف هذه الصفات؛ ولكن ما نعرف الكيفيات.

(المتن)

قد انتفى عنهما التشبيه، فالإيمان واجبٌ وحسم الكيفية عن ذلك ساقط.

(الشرح)

طَبْعًا هنا في هذه الفقرة يبين ابن خفيف-رَحِمَهُ الله- ما يعتقده في المكاسب والتجارات ويرد على أصحابه الصوفية، وتعرفون ما عند الصوفية من التواكل وأنه لا يجوز إذا كان وصل إلى درجة معينة لا يجوز أن يدخل في التجارة ولا يجوز أن يشغل نفسه بالبيع في المكاسب هكذا يرون، لذلك ابن خفيف -رَحِمَهُ الله- هنا يرد عليهم.

(المتن)

ومما نعتقده: أن الله أباح المكاسب والتجارات والصناعات، وإنما حرم الله الغش والظلم.

(الشرح)

يقول: الجهتان منفكان الحلال شيء والحرام شيء.

(المتن)

وأن من قال بتحريم المكاسب، فهو ضالٌ مضلٌ مبتدع، إذ ليس الفساد والظلم والغش من التجارات والصناعات في شيء.

(الشرح)

نعم يقول: الممنوع هو الفساد والظلم والغش والتجارات ليس من لوازمها دائمًا الغش والفساد والظلم هذا شيء وهذا شيء.

(المتن)

وإنما حرم الله ورسوله الفساد لا الكسب والتجارة، فإن ذلك على أصل الكتاب والسنة جائزٌ إلى يوم القيامة.

(الشرح)

يَعْنِي زهدهم يبين أن زهدهم ليس هذا الزهد الذي عند الصوفية، من أئمة السنة الذين كتبوا في الزهد ابن المبارك "**كتاب الزهد**" لابن المبارك مطبوع في مجلدين، وابن المبارك على اصطلاح اليوم من رجال الأعمال، كان -رَحِمَهُ الله- يتكفل بنفقات كل من يحج معه يأخذ منهم ويجعله عنده ويرجعه كله بعد ما يرجع، وكان ينفق على المحدثين من زملائه ومن شيوخه ومن تلاميذه وكتب هذا الكتاب "**كتاب الزهد**" هذا هو الزهد.

(المتن)

وإن مما نعتقده: أن الله لا يأمر بأكل الحلال، ثم يعدمهم الوصول إليه من جميع الجهات.

(الشرح)

هناك هذه المسألة فيها إفراط وتفريط مسألة الحلال والحرام، بعض الناس تجد عنده تساهل جدًا فلان معاملاته كلها ربوية ما عنده إشكال، وبعض الناس عنده ورع زائد عن إذا دعاه شخص وكان يومًا ما تعامل معاملة كذا يجده لا يقبل دعوته هناك إفراط وتفريط.

بعض الناس يرون أن الوصول إلى الحلال مستحيل الآن، ابن خفيف -رَحِمَهُ الله- يشير إلى هذا الصنف مثْلًا الجويني والغزالي والعز بن عبد السلام والزركشي والسيوطي ذكروا هذه الصور: لو انعدم الحلال وكان الوصول إلى الحلال متعذرًا هل تنتظر في الحرام حتى تصل إلى الحالة التي يجوز لك أن تأكل الميتة! أو بمجرد التعذر بمجرد علمك بالتعذر يجوز أن تأكلها؟ ذكروا هذه الصور.

فيقول ابن خفيف: "**مما نعتقده: أن الله لا يأمر بأكل الحلال، ثم يعدمهم الوصول إليه من جميع الجهات**"، أصلًا هذا يكون غير متصور الله -عَزَّ وَجَلَّ- يأمرك بشيء ثم يعدم هذا الذي أمرك بشيء من جميع الجهات، نعم هناك صعوبة ولكنك مكلف لابد أن تتعب في الوصول إلى الحلال.

(المتن)

لأن ما طالبهم به موجودٌ إلى يوم القيامة، والمعتقد أن الأرض تخلو من الحلال، والناس يتقلبون في الحرام فهو مبتدعٌ ضال.

(الشرح)

هذا حكمه وقلت لكم: الذين ذكروا هذه الصورة الجويني وتلميذه الغزالي والعز بن السلام والزركشي والسيوطي وغيرهم ذكروا هذه الصورة نعم.

(المتن)

إلا أنه يقل في موضعٍ ويكثر في موضع؛ لا أنه مفقودٌ من الأرض.

(الشرح)

يستحيل أن يكون مفقودًا من الأرض والله -عَزَّ وَجَلَّ- أمرك به، طَبْعًا إذا لم تصل إذا كنت في موقع في بلد وصرت مضطرًا فحكمك معروف حكم المضطر معروف كما أشار إليه ابن خفيف نفسه نعم.

(المتن)

ومما نعتقده: أنَّا إذا رأينا من ظاهره جميل لا نتهمه في مكسبه وماله وطعامه.

(الشرح)

يقول: بعض الناس أَيْضًا عنده تهور في هذا الباب فلانٌ ملبسه جميل وكذا جميل، يقول: هذا أكيد فيه يا أخي أحسن الظن في الناس، يقول: "**إذا رأينا من ظاهره جميل لا نتهمه في مكسبه وماله وطعامه**"، لا وبالتالي لا نتورع من أكل ما قد يقدمه لك جائزٌ أن يؤكل طعامه نعم.

(المتن)

جائزٌ أن يؤكل طعامه، والمعاملة في تجارته، فليس علينا الكشف عن ماله.

(الشرح)

لا نتكلف أذكر قصة أذكرها بهذه المناسبة مرة كنا في سفر في هذه السفرة مشينا ثمانية عشر يومًا ونحن نمشي مثْلًا من باكستان إلى نورستان؛ في الطريق مررنا على قرية ونحن طُلاب صغار وكدنا أن نشرف على الهلاك من الجوع، فأحد الإخوة استضافنا في القرية ولما ذهبنا إلى البيت ما شاء الله كان ذبح دجاجة وطبخها وكذا وجلسنا على المائدة.

أحد مشايخنا إلى الآن أتذكر وأقول له دائمًا سأله قال له: ما تكون هذه الدجاجة قد أكلت من لا تكون من الجلالة؟ ها ذاك قال: نعم، قال: إِذًا نحن ما نأكل ما يجوز يا أخي أولًا أنت تسببت في وثانيًا هذا لا يجوز، يَعْنِي فعلًا من جرب كما يقول الرازي مثل تجربتي، تدينًا لا يجوز ليس معنى ورعك على الناس لا بل أحسن الظن هذا هو الأصل في المُسْلِم نعم.

(المتن)

فليس علينا الكشف عن ماله فإن سأل سائل على سبيل الاحتياط جاز.

(الشرح)

إن سأل سائل على سبيل الاحتياط لِمَاذَا؟ إذا رأى شيئًا فيسأله على سبيل الاحتياط يجوز نعم.

(المتن)

إلا من داخل الظلمة ومن لا يزغ عن الظلم، وأخذ الأموال بالباطل.

(الشرح)

إلا من كان مثْلًا يداخل الظلمة ولا يتورع عن الظلم معروف منهجه هذا ليس بعيدًا أن يكون قد سلب أموال الناس، إِذًا هناك قرينة تجعلك تشك في.

(المتن)

ومعه غير ذلك: فالسؤال والتوقي؛ كما سأل الصديق غلامه.

(الشرح)

يشير إلى قصة الصديق -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه وأرضاه- مع غلامه عن عائشة -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْها- قالت: "كان لأبي بكر غلامٌ يخرج له الخراج وكان أبو بكرٍ يأكل من خراجه فجاء يومًا بشيءٍ فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسانٍ في الجَاهِلِيَّة وما أحسن الكهانة إلا أني خدعت أدعيت أنني كاهن فأعطاني فهذا الذي أكلت منه هذا هو، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيءٍ في بطنه"، أخرجه البُخَارِيّ في صحيحه.

يقول الحافظ بن حجر: في رواية الإسماعيلي من وجهٍ آخر من طريق إسماعيل ابن أبي خالد عن قيس ابن أبي حازم: "كان لأبي بكرٍ غلامٌ فكان يجيء بكسبه فلا يأكل منه حتى يسأله، فأتاه ليلةً بكسبٍ فأكل منه ولم يسأله ثم سأله".

(المتن)

فإن كان معه من المال سوى ذلك مما هو خارجٌ عن تلك الأموال فاختلطا، فلا يطلق عليه اسم الحلال ولا الحرام.

(الشرح)

أي بمجرد الاختلاط لا يطلق على الجميع أنه حلال ولا يطلق عليه أنه حرام وصاحبه هو أدرى بها نعم.

(المتن)

إلا أنه مشتبهٌ، فمن سأل استبرأ لدينه.

(الشرح)

استبرأ لدينه هذا هو الاحتياط فمن سأل هنا استبرأ لدينه.

(المتن)

كما فعل الصديق وأجاز ابن مسعود وسلمان قالا: «كُلْ منه وعليه التبعة».

(الشرح)

قال: «كُلْ منه وعليه التبعة»، أي وعلينا التبعة قَالُوا: لا تسأل إلا إذا كانت هناك قرينة تثير والناس طبقات.

(المتن)

وأجاز ابن مسعود وسلمان قالا: «كُلْ منه وعليه التبعة»، والناس طبقاتٌ والدينُ: الحنيفيةُ السمحة.

(الشرح)

في نسخة وعليهما هذا هو الصحيح وعليهما التبعة، يَعْنِي من يقينهما في هذه المسألة يقولون وابن مسعود وسلمان من هم في زهدهم؟ قالا: «كُلْ منه وعليه التبعة».

(المتن)

والناس طبقاتٌ والدينُ: الحنيفيةُ السمحة.

(الشرح)

الحنيفيةُ السمحة أَيْضًا مع هذا التفصيل أشار ابن خفيف كُن سمحًا هذا هو الأصل، لا تتقعر ولا تحقق مع الناس في.

(المتن)

وأن مما نعتقده: أن العبد ما دام أحكام الدار جاريةً عليه فلا يسقط عنه الخوف والرجاء.

(الشرح)

هذه المسألة نفس المسألة التي مضت أعادها وكررها لما فيها من الخطورة: أن العبد ما دام أحكام الدار جاريةً عليه.

(المتن)

فلا يسقط عنه الخوف والرجاء.

(الشرح)

يَعْنِي الصوفية يقولون: أننا نعبد الله -عَزَّ وَجَلَّ- بالحب فقط، لا نخاف عذابه ولا نرجوا ثوابه وإنما نعبده، يقول ابن خفيف: هذا خطأ مادام أحكام الدار جارية عليه فلا يسقط عنه الخوف والرجاء، لابد من الخوف والرجاء والحب لابد من هذه الأمور الثلاثة في جميع العبادات القلبية نعم.

(المتن)

فكل من ادعى الأمن فهو جاهلٌ بالله، وبما أخبر به عنه نفسه: ﴿فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[الأعراف:99] ، وقد أفردت كشف عوار كل من قال بذلك.

(الشرح)

يقول: أنا أفردتهم بالتأليف أفردت هذا بالتأليف، فعلًا هذه المسألة هي صميم دين الصوفية الآن: أن العبادة لا تكون إلا بالحب، ويذكرون في هذا إذا قلنا: ما دليلكم؟ قالت رابعة العدوية سبحان الله، يَعْنِي هي أفضت إلى ما قدمت وأقوالها ليست دليل الدليل في الكتاب والسنة: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[الأنبياء: 90].

(المتن)

ونعتقد: أن العبودية لا تسقط عن العبد ما عقل وعلم ما له وما عليه.

(الشرح)

ما عقل يَعْنِي إلى الوقت الذي عنده عقله ما عقل وعلم ما له وما عليه العبودية لا تسقط نعم.

(المتن)

فيبقى على أحكام القوة والاستطاعة.

(الشرح)

يبقى على أحكام القوة والاستطاعة أي إذا استطاع أن يقوم بشيء إذا كان قادرًا على أن يقوم بشيء فعليه يجب عليه نعم.

(المتن)

إذ لم يسقط ذلك عن الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين.

(الشرح)

كلام جميل ما دام الأنبياء والرسل والشهداء والصالحين لم يسقط عنهم وهو الواصلون كيف أنتم؟!

(المتن)

ومن زعم أنه قد خرج من رق العبودية إلى فضاء الحرية بإسقاط العبودية.

(الشرح)

طَبْعًا هذه ألفاظهم مما يدل على أنه يرد عليهم: "ومن زعم أنه قد خرج من رق العبودية إلى فضاء الحرية بإسقاط العبودية" نعم.

(المتن)

بإسقاط العبودية والخروج إلى أحكام الأحدية المبدئية بعلائق الآخرية، فهو كافرٌ لا محالة.

(الشرح)

طَبْعًا مما يلاحظ في كلام الصوفية أنهم يشغلوك بكلام ما تفهم منه شيء إلا أنه لئن لا فيه شيء، الآن لاحظ هنا: "**الخروج إلى فضاء الحرية بإسقاط العبودية والخروج إلى أحكام الأحدية المبدئية بعلائق الآخرية**"، كأن فيه شيء وهذا ما لنا فيه شيء.

طَبْعًا الخروج إلى أحكام الأحدية المبدئية المبدأ هو الله -عَزَّ وَجَلَّ- والأحد هو الله -عَزَّ وَجَلَّ-، يقصد أنه ليس متقيد بأحكام العباد لا له حكمٌ آخر أحكام الأحديثة المبدئية له حكمٌ آخر يقول: من قال بهذا فهو كافرٌ لا محالة، أما الكلمة هذه بعلائق الآخرية هذه ما فهمتها حاولت أن أفهمها ما فهمتها لعل لها معنىً.

الطالب: شيخ علائق الآخرية أحكامها ما تتعلق بالآخرة؟!

الشيخ: المبدئية بعلائق الآخرية أي الآخرة لها أحكام؛ ولكن هنا لأن الخروج إلى أحكام الأحدية المبدئية أي الخروج إلى أحكام الله -عَزَّ وَجَلَّ-، لا تلزمه أحكام العباد بل له حكمٌ خاص هذا الحكم هو منسوب إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- طيب بعلائق الآخرية؟!

الطالب: ...

الشيخ: لعل فيها أنا في حدود الكتب الموجودة عندي ما فهمتها، وإذا فهمت كلام الصوفي كله فَإِذًا هو ما صار صوفيًا، فمن احترامك للصوفي أن لا تفهم بعضه والله أعلم نعم.

(المتن)

إلا من اعتراه علةٌ، أو رأفةٌ فصار معتوهًا، أو مجنونًا، أو مبرسمًا.

(الشرح)

أَيْضًا كلامه جميل جدًا إلا من اعتراه علة أو رأفة فصار معتوهًا، أو مجنونًا، أو مبرسمًا، أَيْضًا مبرسمًا البرسام كلمة معربة علة تصيب الرأس يَعْنِي مجنونًا.

(المتن)

أو مبرسمًا وقد اختلط في عقله، أو لحقه غشيةٌ، ارتفع عنه أحكام العقل، وذهب عنه التمييز والمعرفة، فذلك خارجٌ عن الملة مفارقٌ للشريعة.

(الشرح)

إن لم يكن هكذا فهو خارجٌ عن الملة مفارقٌ للشريعة والله كلام جميل، هم يقولون: أن هذا لا تسميه جنونًا إذا رأيته يَعْنِي في حالةٍ من الهوس والخلط فهو في درج معينة في مراقبة لا زال يسلك لا تظن أنه مجنون، سبحان الله بعضهم تجده عريان وبعضهم يتلفظ بهذه يقولون له وضعٌ خاص، ابن خفيف -رَحِمَهُ الله- اختصر لنا: هذا مجنون فهو معذور معتوه وهو معذور مبرسم فهو معذور ليس هناك فعلًا.

ذكر أبو عُبيد القاسم بن سلام له كتاب في فضائل القُرْآن، أبو عُبيد من أقران الإِمَام أحمد توفي قبله، بوب بابًا عن الذي يُغشى عليهم من قراءة القُرْآن ذكر بعض الآثار منها: أنك توقفه على جدار تجلسه على جدار وتقرأ عليه وترى أيغشى عليه أم لا؟ لأنه سيسقط ويموت هنا لن يغشى عليه.

سبحان الله نبي الله وكذلك الصحابة ما كانت لهم، طَبْعًا شَيْخ الإِسْلَام ذكر أن هذه الحالات قد تقع ولكن شخص يغشى عليه في اليوم مرتين هذا كما، المهم هذه ليست كما يزعمون درجة من درجات الزهاد فليس هو في طريقه إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- نعم.

(المتن)

ومن زعم الإشراف على الخلق حتى يعلم مقاماتهم ومقدارهم عند الله بغير الوحي المنزل من قول الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهو خارجٌ عن الملة.

(الشرح)

يقول: من زعم أنه يشرف على الخلق وأنه وصل إلى درجة أنه يعلم مقاماتهم ومقدارهم عند الله؛ ولكنه يدعي هذا كله بغير الوحي المنزل من قول الرسول -صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: هذا خارجٌ عن الملة وإلا ما الذي أدراه أن فلان هذه درجته وفلان هذا.

أنتم لما تذهبون إلى هؤلاء أنت كذا وكذا وفلان سبحان الله، أنا لا ألومه لأنه مجنون الذي يذهب إليه هو أين عقلك! تذهب إلى من! هذا الرجل حاله يدل على ما عليه من الفساد والبطلان نعم.

(المتن)

ومن ادعى أنه يعرف ما قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقد باء بغضبٍ من الله.

(الشرح)

طَبْعًا هذه الجملة يبدوا أنها مقحمة انظر صفحة مائة وثمانية وسبعين، انظر الجملة ماذا تقول؟ "**ومن ادعى أنه يعرف ما قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقد باء بغضبٍ من الله**".

نحن نعرف أن الأعمال بالنيات قول الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ونعرف أن ما في الصَّحِيْحَيْنِ أقوال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نجزم بهذا، فهل هذا الحكم علينا: فقد باء بغضبٍ من الله؟!

جملة باطلة وهي مقحمة في المطبوع من الفتاوى وليست في النسخ المخطوطة كما أفاد، ليست في النسخ المخطوطة هي جملة مقحمة وهي كما هو واضح جملة باطلة لا تصح، أن من يجزم أن هذا قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقد باء بغضبٍ من الله؟ جملة باطلة نعم.

الطالب: ...؟!

الشيخ: فقد باء بغضبٍ من الله إلى هنا الجملة هذه مقحمة ليست من الكتاب نعم.

(المتن)

ومن ادعى أنه يعرف مآل الخلق ومنقلبهم، وأنهم على ماذا يموتون ويختم لهم، بغير الوحي من قول الله وقول رسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقد باء بغضبٍ من الله.

(الشرح)

يدعي أن الخلق مآلهم ومنقلبهم كذا وأن فلانًا كذا هذا كله تخرص، يقول: **"فقد باء بغضبٍ من الله"**؛ طَبْعًا بعد أن رد على من يدعي الغيب كأن سائلًا سأل يَعْنِي هذا جوابٌ على سؤالٍ مقدر، إِذًا ما حكمك على ما يتوصل إليه من طريق الفراسة؟ هناك من عنده فراسة وهذه ثابتة في الكتاب والسنة، يقول: **"الفراسة"** ليست من هذا الباب.

(المتن)

"والفراسة" حقٌّ على أصولٍ ذكرناها، وليس ذلك مما سميناه في شيء.

(الشرح)

يَعْنِي "الفراسة" ليست من إدعاء الغيب نعم.

(المتن)

ومن زعم أن صفاته قائمةٌ بصفاته ويشير في ذلك إلى غير الأيد والعصمة والتوفيق والهداية وأشار إلى صفاته -عَزَّ وَجَلَّ- القديمة، فهو حلوليٌ قائلٌ باللاهوتية والالتحام، وذلك كفرٌ لا محالة.

(الشرح)

من يدعي أن صفاته قائمةٌ بصفاته أي بصفات المخلوق يَعْنِي يدعي أن طَبْعًا هذه الجملة أَيْضًا ما فهمتها؛ ولكن أنا أقول لكم ما فهمته بصفاته الضمير يرجع إلى المخلوق من زعم أن صفاته الضمير هنا يرجع إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- قائمةٌ بصفاته هذا إلى المخلوق، طَبْعًا ويشير اتركوه الجملة المعترضة حتى نفهم الباقي وأشار إلى صفاته -عَزَّ وَجَلَّ- القديمة فهو حلولي، من يزعم أن فيه من صفات الله -عَزَّ وَجَلَّ- كذا وكذا فهو حلولي.

ارجع إلى الجملة المعترضة: **"ويشير في ذلك إلى غير الأيد والعصمة والتوفيق والهداية"**، طَبْعًا ما عندك الأيدي هي القوة من العصمة والتوفيق والهداية من الله -عَزَّ وَجَلَّ- أليس كذلك؟ هذا من الله -عَزَّ وَجَلَّ- هبة من الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

من يدعي لنفسه غير هذه فهو حلولي ويرى أن صفات الله -عَزَّ وَجَلَّ- القائمة به هو هذا حلولي قائلٌ باللاهوتية والالتحام الذين يقولون: حل اللاهوت في الناسوت مثل

النصارى، الذين يرون أن عيسى -عَلَيْهِ السَّلَام- جزءٌ من الله وأن اللاهوت حل في الناسوت وذلك كفرٌ لا محالة.

لاشك أن من يدعي شيئًا من صفات الله -عَزَّ وَجَلَّ- لنفسه لاشك أن هذا كفر، من ذلك التصرف في الكون ومن ذلك إدعاء علم الغيب وغيرها نعم.

(المتن)

ونعتقد أن الأرواح كلها مخلوقة، ومن قال: إنها غير مخلوقة فقد ضاهى قول النصارى النسطورية في المسيح، وذلك كفرٌ بالله العظيم.

(الشرح)

الأرواح كلها مخلوقة طَبْعًا هذه مما نعتقدها بداهةً؛ ولكن هناك من يقول من بعض الروافض وجمهور الفلاسفة وبعض زنادقة المتصوفة يرون أن الأرواح ليست مخلوقة وأنها أزلية وأبدية ولا تفنى.

يقول:"من قال: إنها غير مخلوقة فقد ضاهى قول النصارى النسطورية في المسيح" هذا قولهم في المسيح؛ يقول: "**وذلك كفرٌ بالله العظيم**".

(المتن)

ومن قال: إن شيئًا من صفات الله -عَزَّ وَجَلَّ- حالٌّ في العبد، وقال بالتبعيض على الله فقد كفر.

(الشرح)

بالتبعيض على الله -عَزَّ وَجَلَّ- وأنه متبعض وأنه مركب بالمعنى اللغوي يقول: هذا كفر.

(المتن)

والقرآن كلام الله ليس بمخلوقٍ ولا حالٍّ في مخلوق، وأنه كيف ما تُلي وقُرئ وحُفظ، فهو صفة الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وليس الدرس من المدروس، ولا التلاوة من المتلو، لأنه -عَزَّ وَجَلَّ- بجميع أسمائه وصفاته غير مخلوق، ومن قال بغير ذلك فهو كافر.

(الشرح)

الدرس ليس من المدروس أنت لما تدرس وتقرأ كلام الله -عَزَّ وَجَلَّ- وتدرسه الدرس هذا فعلك أنت مثل القراءة، والمدروس هو كلام الله -عَزَّ وَجَلَّ- إِذًا الدرس غير المدروس فهمنا الدرس فعلك أنت.

الآن الدرس فعلنا والمدروس غير الكتاب هذا، وكذلك التلاوة غير المتلو، المتلو كلام الله -عَزَّ وَجَلَّ- والتلاوة فعلك لأنه -عَزَّ وَجَلَّ- بجميع أسمائه وصفاته غير مخلوق، ومن قال بغير ذلك فهو كافر.

(المتن)

ونعتقد: أن القراءة الملحنة بدعةٌ وضلالة.

(الشرح)

طَبْعًا هذه المسألة فيها تفصيل ونختصر ونقول: القراءة الملحنة إذا كان فيها تكلف لا يخلوا من إشكال، نعم أما إطلاق البدع عليها والله أعلم.

(المتن)

وأن القصائد بدعة.

(الشرح)

القصائد بدعة لِمَاذَا؟ لأن هذا دين الصوفية القصائد عندهم هذا السماع مقدم على سماع كلام الله -عَزَّ وَجَلَّ- وعلى كلام النبي-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دينهم، لذلك يقول: "**القصائد بدعة**" لأنهم يتعبدون بهذه القصائد وهذه القصائد فيها ما فيها، ويقرءون ويسمعون ويكون منهم ما يكون من المجانين وهذا يسمونه دينًا نعم.

أنا أذكر قديمًا كان عندنا الآن الحمد لله اختفى بعد انتشار الدعوة السلفية في المساجد يرقصون الذين يدرسون يرقصون، والناس لا يعترضون أبدًا لِمَاذَا؟ أنا أذكر كانوا يقولون: عطن يَعْنِي شيء محترم يرقصون وكذا بالنسبة للفرش ويلزمون الناس أن يجددوا الفرش، هذا كله على أنه دينٌ يتقرب إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- به ليس من الدين في شيء، ولازلنا نرى هذا كما تعرفون تراهم في بعض المقاطع سبحان الله رقص مجون بسم الدين نعم.

(المتن)

ومجراها على قسمين: فالحسن من ذلك من ذكر آلاء الله ونعمائه، وإظهار نعت الصالحين وصفة المتقين، فذلك جائز.

(الشرح)

فذلك جائز هذا جائز الأشعار التي فيها هذا القبيل جائز نعم.

(المتن)

وتركه والاشتغال بذكر الله والقرآن والعلم أولى به.

(الشرح)

ومع ذلك يقول: تركه أولى الاشتغال بذكر الله والقُرْآن والعلم أولى لِمَاذَا؟ لأنه قد يشغلك نعم.

(المتن)

وما جرى على وصف المرئيات، ونعت المخلوقات، فاستماع ذلك على الله كفر.

(الشرح)

طَبْعًا هذه الجملة أَيْضًا تحتاج إلى الذي فهمته من هذه الجملة في بعض الشروح معنى هذه الجملة: أن ما كان فيه من وصف الله -عَزَّ وَجَلَّ- بالمرئيات وأوصاف المخلوقات فاستماعه كفر، لأن فيه وصف الله -عَزَّ وَجَلَّ- بأوصاف المخلوقين، لأنه كفر فإذا لم يكن يتعلق بالله -عَزَّ وَجَلَّ- لا يكون كفرًا.

يقول: "**وما جرى على وصف المرئيات، ونعت المخلوقات**"، يَعْنِي تصف الله -عَزَّ وَجَلَّ- بأوصاف المخلوقات والمرئيات يقول: "**فاستماع ذلك على الله كفر**".

(المتن)

واستماع الغناء والربعيات على الله كفر.

(الشرح)

طَبْعًا الربعيات ما أدري هي يبدوا أنها نوع خاص من القصائد، "**واستماع الغناء والربعيات على الله كفر**"، أي استماع الغناء والربعيات التي فيها وصفه سبحانه بأوصاف المخلوقين كما سبق هذا كفر، أو معناه استماع الغناء والربعيات للتقرب إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ-

هذا كفر لأن فيه تشريع، كيف تزعم أن هذا من العبادة التي تقربك إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ-

نعم.

(المتن)

والرقص بالإيقاع ونعت الرقاصين على أحكام الدين فسق، وعلى أحكام التواجد والنغام لهوٌ ولعب.

وحرامٌ على كل من سمع القصائد والربعيات الملحنة الجاري بين أهل الأطباع على أحكام الذكر، إلا لمن تقدم له العلم بأحكام التوحيد، ومعرفة أسمائه وصفاته، وما يضاف إلى -الله تَعَالَى- من ذلك مما لا يليق به -عَزَّ وَجَلَّ- ما هو منزهٌ عنه، فيكون استماعه كما قال: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: 18].

وكل من جهل ذلك، وقصد استماعه على الله على غير تفصيله، فهو كفرٌ لا محالة.

(الشرح)

يقول: **"وكل من جهل ذلك، وقصد استماعه على الله"**، أي تقربًا إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ-

نعم.

(المتن)

فكل من جمع القول وأصغى بالإضافة إلى الله، فغير جائزٍ إلا لمن عرف ما وصفت من ذكر الله ونعمائه، وما هو موصوفٌ به -عَزَّ وَجَلَّ- ما ليس للمخلوق فيه نعتٌ ولا وصف، بل ترك ذلك أولى وأحوط، والأصل في ذلك أنها بدعة، والفتنة بها غير مأمونة، إلى أن قال: واتخاذ المجالس على الاستماع والغناء والرقص بالرباعيات بدعة، وذلك مما أنكره المُطلبّي ومالك، والثوري، ويزيد بن هارون وأحمد بن حنبل، وإسحاق والاقتداء بهم أولى من الاقتداء بمن لا يعرفون في الدين، ولا لهم قدم عند المخلصين.

(الشرح)

المُطلبّي هو الإِمَام الشافعي، الإِمَام الشافعي المُطلبّي، يقول: والاقتداء بهم أولى هؤلاء أئمة الإِمَام الشافعي وشيخه مالك وقرينه الثوري ويزيد بن هارون وتلميذهم أحمد

وإسحاق هؤلاء أئمة معرفون والاقتداء بهم أولى من الاقتداء بمن لا يعرفون في الدين، ولا لهم قدمٌ عند المخلصين.

(المتن)

وبلغني أنه قيل لبشر بن الحارث.

(الشرح)

بشر بن الحارث هو من قدماء الصوفية وهو بشر الحافي، توفي سنة مائتين وسبعة وعشرين.

(المتن)

قيل له: إن أصحابك قد أحدثوا شيئًا يقال له القصائد قال: مثل إيش؟ قال مثل قوله:

اصـــبري يـــا نفـــس حتـــى تســـــــكني دار الجليـــــــــل

(الشرح)

اصـــبري يـــا نفـــس حتـــى تســـــــكني دار الجليـــــــــل

يَعْنِي حتى تسكني وتهدئي في الجنة قبل ذلك لن تسكني المعنى جميل فقال: حسن نعم.

(المتن)

فقال: حسن، وأين يكون هؤلاء الذين يستمعون ذلك؟ قال: قلت: ببغداد.

(الشرح)

قال: هؤلاء وين أين هؤلاء الذين يستمعون إلى مثل هذه القصائد؟ قال: قلت: ببغداد فهؤلاء في بغداد.

(المتن)

فقال: كذبوا والذي لا إله غيره، لا يسكن ببغداد من يسمع ذلك.

(الشرح)

يقول: لو كانوا زهادًا فعلًا ما سكنوا بغداد، طَبْعًا هناك بعض الزهاد كان لهم رأي في سُكنى بغداد أنه لا يسكنها إلا من كان بعيدًا عن الزهد وإلى آخره كان له رأي في سُكنى بغداد.

يقول: من يدعي أنه من هذا القبيل ومع ذلك يسكن بغداد يقول: "**كذبوا والذي لا إله غيره، لا يسكن ببغداد من يسمع ذلك**"، قصده أن هذا الذي ذكرته شيء جميل والذي يستمعون إلى مثل هذه الأبيات الجملية يقول: فعلًا زهاد ولكن إذا كان في بغداد هم كذبة.

(المتن)

قال أبو عبد الله: ومما نقول وهو قول أئمتنا أن الفقير إذا احتاج وصبر لم يتكلف إلى وقت يفتح الله له كان أعلى.

(الشرح)

يقول: "أن الفقير إذا احتاج وصبر لم يتكلف إلى وقت يفتح الله له كان أعلى"، ممن ذهب إلى التسول الذي صبر هو أعلى نعم.

(المتن)

فمن عجز عن الصبر كان السؤال أولى به على قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لأن يأخذ أحدكم حَبْلَه ...»، الحديث.

(الشرح)

«**لأن يأخذ أحدكم حَبْلَه فيحتطب على ظهره خيرٌ له من أن يأتي رجلًا فيسأله أعطاه أو منعه**»، نعم.

(المتن)

ونقول: إن ترك المكاسب غير جائزٍ إلا بشرائطٍ مرسومةٍ من التعفف والاستغناء عما في أيدي الناس.

(الشرح)

الذي يترك المكاسب يتأكد من نفسه أنه سيتعفف وسيستغني عما في أيدي الناس نعم.

(المتن)

ومن جعل السؤال حرفةً وهو صحيح، فهو مذمومٌ في الحقيقة خارجٌ.

(الشرح)

خارجٌ عن طريقة الصوفية يَعْنِي هو ليس منا نعم.

(المتن)

ونقول: إن المستمع إلى الغناء والملاهي، فإن ذلك كما قال -عَلَيْهِ السَّلَام-: «**الغناء ينبت النفاق في القلب**»، وإن لم يكفر، فهو فسقٌ لا محالة.

والذي نختار: قول أئمتنا: ترك المراء في الدين، والكلام في الإيمان مخلوقٌ أو غير مخلوق، ومن زعم أن الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- واسطٌ يؤدي، وأن المرسل إليهم أفضل، فهو كافرٌ بالله.

(الشرح)

يشير إلى من يرى أن الولي أفضل من النبي بعضهم يقول: "مقام النبوة في برزخٍ فويق الرسول ودون الولي"؛ يشير إلى أن الذي يرى أن المرسل إليهم وهو الولي أفضل من النبي هو كافرٌ بالله.

(المتن)

ومن قال بإسقاط الوسائط على الجملة فقد كفر.

(الشرح)

الذي يرى أنه ليس عليه شيء ويرى بإسقاط الوسائط على الجملة فقد كفر، هذا آخر كلام ابن خفيف -رَحِمَهُ الله- وقد رأينا أن في كلامه يَعْنِي جملًا جميلة جدًا؛ أولًا في الموضوع الذي سرد شيخ الإِسْلَام كلامه لأجل إثبات الصفات، يَعْنِي حتى صفة المحبة هذه الصفة التي ينفيها المتكلمون كلهم يَعْنِي أثبتها مما يدل على أن الرجل في هذا الباب على طريقة أَهْلِ السُّنَّة وَالجَمَاعَة.

والمحبة هي صفة فعلية فَإِذا كان أحدهم يثبت شيئًا من الصفات الفعلية فهذا يدل على أنه على طريقة أَهْلِ السُّنَّة في هذا الباب، ثم ذكر ما فيه ردٌ على الصوفية من كلامه وكلامه

فعلًا جميل واستدلاله، لعل شيخ الإِسْلَام استطرد ونقل هذه الجمل لأجل هذه الموضوعات.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

للإمام الشيخ

شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني

- رحمه الله -

(المجلس العشرون)

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد محمدي النورستاني

- حفظه الله -

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مدته في المرحلة الأخيرة قد امتدت إلى أن أُخذ عنه منهجه، وعُرف عنه منهجه، وهو طريقته ومنهجه على الطريقة السلفية.

وقبل أن أتمعن في كلام ابن خفيف ما كنت أدري أن هناك من تلاميذ أبي الحسن الأشعري من هو على منهجه في المرحلة الأخيرة، مع أني قرأت هذا مرارًا، إلا أنني لم أتمعن ولم أتنبه لهذه الفائدة، وهي فائدة كبيرة؛ أن من تلاميذ أبي الحسن الأشعري من كان على منهجه كاملًا، بما في ذلك إثبات الصفات الاختيارية؛ إثبات الصفات الفعلية.

لأن الأشاعرة كما تعرفون المذهب الأشعري مرّ بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: المرحلة الكُلابية؛ بدأت المرحلة الأولى من المرحلة الثانية من مراحل الأشعري، وأئمة هذه المرحلة منهم الباقلاني ومنهم من تلاميذه؛ أكثر تلاميذ الأشعري وهم على المذهب الكُلابي، منهم ابن مجاهد وغيره.

أما من هو على مذهب الأشعري تمامًا بما في ذلك إثبات الصفات الفعلية، هذا استفدناه من كلام ابن خفيف هذا الذي ساقه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- بطوله.

وهناك رسالة علمية يعني ابن خفيف لم يطلع عليها، لعل فيها فوائد أخرى، أيضًا مطبوعة.

ثم ذكر شيخ الإسلام نصوصًا أخرى أيضًا لبعض العلماء، يقول: **"ومن متأخريهم"** الضمير يرجع إلى الصوفية؛ لأن ابن خفيف من أعلامهم، وقد عرفنا أن تصوفه ليس من ذلك التصوف الذي فيه الحلول والاتحاد أو تلك الخرافات، مع أن التصوف ولو كان قليلًا لا يخلو من خطورة.

"ومن متأخريهم: الإمام أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي"؛ نسبةً إلى جيلان لأنه من هناك، يُقال الجيلاني ويُقال الجيلي.

"قال في كتاب (الغنية)" كتابه "الغُنية" مطبوع، وطُبع طبعات؛ طُبع مترجمًا وطُبع بدون ترجمة، وهو "الغُنية" وقد نقل عنه كثيرون من الحنابلة وغيرهم.

يقول فيه: "**أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات**". الصانع هذا لا يجوز استعماله كاسم من أسماء الله -عز وجل-؛ ليس من أسماء الله -عز وجل- الصانع؛ وإنما هذا من باب الإخبار، وهو بمعنى الخالق.

"**وأما معرفة الصانع بالآيات والدلالات**"، الآيات؛ الآيات الكونية والشرعية، الدلالات؛ أيضًا الشرعية والكونية، "**على وجه الاختصار**".

(المتن)

فهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد، إلى أن قال: وهو بجهة العلو، مستو على العرش، محتو على الملك، محيط علمه بالأشياء.

(الشرح)

تعبيره هنا من أصرح ما يكون؛ لم يقل وهو في العلو، بل قال: "**وهو بجهة العلو**" هذا من أصرح ما يكون، مع أن أهل السنة لا يُطلقون القول بإثبات الجهة كما تعرفون، ولكنه هنا بهذا التقييد "**بجهة العلو**" لا بأس به.

هذه الجملة: "**وهو بجهة العلو، مستو على العرش، محتو على الملك، محيط علمه بالأشياء**" جملة واضحة جدًا، حُرفت؛ حرّفها بعضهم كما في طبعة... من "الغنية"، وجعلوها هكذا: وهو بجهة العلو مستوٍ، على العرش محتوٍ. هو بجهة العلو مستوٍ يكون بمعنى المستولي؛ يعني هو مستولٍ على جميع الجهات، ومحتوٍ على العرش وغيره، وبهذا يختلف المعنى، وهذا تأويلٌ بارد، وتكلف ما أدري كيف تجشمه صاحبه؛ جملته وكلامه واضح.

(المتن)

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: 10]، ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: 5]،



ولا يجوز وصفه بأنه في مكل مكان؛ بل يقال: إنه في السماء على العرش، كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5] .

(الشرح)

الذين يصفونه بأنه في كل مكان هم صوفية الجهمية والمعتزلة، والذين ينفون عنه النقيضين لا داخل العالم ولا خارج العالم؛ هم أيضًا الجهمية والمعتزلة ولكن نُظارهم، وقد يكون أحدهم أحيانًا يقول بهذا وأحيانًا يقول بهذا.

(المتن)

وذكر آيات وأحاديث، إلى أن قال: وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش. قال: وكونه على العرش مذكورٌ في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف.

(الشرح)

طبعًا "مذكورٌ في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل" هذا يحتاج إلى دليل، ولعله عنده دليل.

(المتن)

وذكر كلامًا طويلاً لا يحتمله هذا الموضع، وذكر في سائر الصفات نحو هذا.

ولو ذكرت ما قال العلماء في هذا لطال الكتاب جدًا.

وقال أبو عمر بن عبد البر.

(الشرح)

ابن عبد البر هذا إمام المغرب، وقد اشتُهر بهذا اللقب في هذا العصر، وعصريه الخطيب اشتُهر بإمام المشرق، وكلاهما توفي في سنة واحدة؛ أربعمائة وثلاثة وستين.

(المتن)

قال: روينا عن مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، والأوزاعي، ومعمر بن راشد.

(الشرح)

هؤلاء نصوصهم كلها سبقت، وهم أئمة؛ مالك وسفيان ومعمر أيضًا في طبقته، توفي سنة مائة وثلاثة وخمسين.

(المتن)

في أحاديث الصفات أنهم كلهم قالوا: أمِرُّوها كما جاءت.

(الشرح)

سبق تفصيل شيخ الإسلام لهذه الجملة، وأنها جاءت ألفاظًا دالةً على معاني، فإن أخذتها ألفاظًا فقط لم تمررها كما جاءت كما يقول المفوضة، إن أخذتها ألفاظًا فقط لم تُمررها كما جاءت؛ لأنها ألفاظ تدل على معاني.

(المتن)

قال أبو عمر: ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من نقل الثقات، أو جاء عن الصحابة رضي الله عنهم، فهو علم يُدَان به.

(الشرح)

"علمٌ يدان به" نعتقده حتى ولو لم نفهمه.

(المتن)

وما حدث بعدهم ولم يكن له أصل فيما جاء عنهم، فهو بدعة وضلالة.

وقال في "شرح الموطأ": لما تكلم على حديث النزول قال: هذا حديث ثابت من جهة النقل، صحيح الإسناد، لا يختلف أهل الحديث في صحته، وهو منقول من طرق سوى هذه، من أخبار العدول عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه دليل على أن الله في السماء على العرش من فوق سبع سماوات، كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة في قولهم: إن الله في كل مكان.

(الشرح)

قلت لكم أن الذين يقولون أن الله -عز وجل- في كل مكان هم. . . الجهمية؛ صوفيتهم، والذين يقولون بأنه لا داخل العالم ولا خارج العالم هم متكلموهم؛ متكلمو الجهمية و. . طبعًا هم أصلًا متكلمون.

لذلك يقال متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئًا، ومتصوفتهم يعبدون كل شيء، نعم هذا ذكره شيخ الإسلام.

(المتن)

وقال: والدليل على صحة قول أهل الحق قول الله .وذكر بعض الآيات .إلى أن قال: وهذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته، لأنه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد، ولا أنكره عليهم مسلم.

(الشرح)

هكذا كلهم يضطرون إليه، ولا أحد أوقفهم عليه؛ كلهم اتفقوا على هذا.

(المتن)

وقال أبو عمر بن عبد البر أيضًا: أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل.

(الشرح)

التأويل بمعنى التفسير.

(المتن)

قالوا في تأويل قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: 7] هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك من يحتج بقوله.

(الشرح)

نُقل هذا عن ابن عباس وعن ابن مسعود وغيرهم من الصحابة.

(المتن)

وقال أبوعمر أيضًا: أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة؛ لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك، ولا يَحُدُّون فيه صفة محصورة.

(الشرح)

"ولا يَحُدُّون فيه صفة محصورة" أي لا يحدون علمًا بصفاته؛ فصفات الله -عز وجل- أعظم من أن يُحيط بها مخلوق.

فصفة العلم مثلًا من صفات الله -عز وجل-؛ هل يمكننا أن نُحيط بكيفيتها وحدودها؟ لا يمكننا، هذا معناه.

(المتن)

وأما أهل البدع -الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج- فكلهم ينكرها، ولا يحمل شيئًا منها على الحقيقة، ويزعم أن من أقر بها مشبِّه، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون: بما نطق به كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهم أئمة الجماعة.

وفي عصره الحافظ أبو بكر البيهقي مع توليه للمتكلمين من أصحاب أبي الحسن الأشعري، وذبه عنهم قال في كتاب "الأسماء والصفات".

(الشرح)

البيهقي -رحمه الله تعالى- من بيهق، وبيهق هذه تقع في خرسان على الحدود بين إيران وأفغانستان، وهو من الأئمة؛ أئمة الشافعية، وأئمة المحدثين المعروفين بعلم الحديث، وقد تأثر بشيخه ابن. . . ووقع فيما وقع فيه المتكلمون من التأويل، وهو يُثبت بعض الصفات الخبرية ويؤول بعضها، طبعًا توفي سنة أربعمائة وثمانية وخمسين، هو وأبو يعلى توفيا في سنةٍ واحدة.

"**مع توليه للمتكلمين من أصحاب أبي الحسن الأشعري**" يعني هو متأثر بهم، وتأثره بهم واضح، وكتابه هذا الذي ينقل عنه شيخ الإسلام فيه كثيرٌ من التأويلات، وفيه كثيرٌ من الإثبات أيضًا.

يقول شيخ الإسلام مع هذا ومع ذبه أيضًا عن المتكلمين، "**قال في كتاب "الأسماء والصفات"**" مع ما وقع فيه من التأويل إلا أنه مع ذلك أثبت كثيرًا من الصفات.

كتابه "الأسماء والصفات" طُبع أول ما طُبع بتعليقات الكوثري؛ محمد زاهد الكوثري، وملأه بتعليقاتٍ فيها سبٌ وشتم للإمام الأعلام، وسبه وشتمه شيءٌ لا يُطاق، وأيضًا تعليقاته أفردها بعضهم ورد عليه كثيرون، من أوسعهم في الرد عليه شيخنا الشيخ

الدكتور شمس الدين السلفي؛ اهتم بالرد عليه اهتمامًا خاصًا، وكان يهتم بهذا كأنه خُلق لهذا الكوثري.

وشيخنا الشيخ شمس أيضًا كان رجلًا موسوعيًا، قويًا في اللغة، وهذا مكنه من الرد عليه في كل شيء؛ رد عليه في الحديث وفي اللغة وفي كل ما يخوض فيه، وأفرد لردوده عليه فهرسًا خاصًا في كتابه "الماتردية"، فهرس خاص لسباب ولشتائم الكوثري، وفهرس خاص لردوده عليه.

ثم طُبع بتحقيق الشيخ عبد الله محمد الحاشدي تحقيقًا جيدًا، وهو يبدو لي من قراءتي لكلامه أخ متمكن في علم الحديث.

(المتن)

"باب ما جاء في إثبات اليدين صفتين. لا من حيث الجارحة لورود خبر الصادق به".

(الشرح)

طبعًا لسنا بحاجة لهذه الجملة هذه "**لا من حيث الجارحة**"، يقول: "**ما جاء في إثبات اليدين صفتين، لا من حيث الجارحة**" هذا من تأثره بالمتكلمين، من قال لك أن من يُثبت الصفتين هذه؛ يُثبتها على أنها جارحتان، من قال؟ وهذه الألفاظ لا تُستخدم لا إثباتًا ولا نفيًا، ولسنا بحاجة إليها؛ جارحة وليست جارحة والذي أحوجنا إليها، نفينا للتكييف يكفي.

"**لورود خبر الصادق به**" هذا كلامٌ جميل، يقول نحن نُثبت هذه الصفات؛ "**لورود خبر الصادق به**" طبعًا في الكتاب والسنة، خبر الصادق يعني الكتاب والسنة.

(المتن)

قال الله تعالى: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: 75]، وقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: 46].

وذكر الأحاديث الصحاح في هذا الباب، مثل قوله في غير حديث، في حديث الشفاعة: «**يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه**».

(الشرح)

حديث متفق عليه.

(المتن)

ومثل قوله في الحديث المتفق عليه: «أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخطّ لك الألواح بيده» وفي لفظ: «وكتب لك التوراة بيده»، ومثل ما في صحيح مسلم: «وغرس كرامة أوليائه في جنة عدن بيده»، ومثل قوله صلى الله عليه وسلم: «تكون الأرض يوم القيامة خُبْزَةً واحدة يتكفاها الجبار بيده، كما يتكفى أحدكم خُبْزَته في السفر، نُزُلًا لأهل الجنة».

(الشرح)

هذا الحديث فيه بيان ما ستكون عليه الأرض في المحشر، و «خُبْزَةً واحدة» الخبزة هنا هي خبز. . . موجودة هنا في السعودية؛ أنا رأيتها، هنا ما أدري، كانت قديمًا لما يذهبون في الصحراء يحفرون وهناك. . تعرفونها خبز. . .

القصد هنا أن الأرض ستكون هكذا ك. . ، وفي لفظٍ آخر في البخاري نفسه. . نسيت اللفظة؛ قريبة من هذه،. . . أو قريب من هذا، ستكون الأرض هكذا، وستكون هي «خُبْزَةً واحدة يتكفاها» وفي لفظة «يتكفوها يقلبها الله -عز وجل- بيده» طبعًا الحديث في صحيح البخاري.

«كما يتكفى أحدكم خُبْزَته في السَفر»، و «في السُفر» كلاهما. . السُفر جمع سُفرة والسَفر معروف.

هذه الخبزة هي تُقلب وتُسوى وهكذا ب. . والقصد أن هذه ستكون «نُزُلًا لأهل الجنة»، هذه سيأكل منها أهل الجنة؛ الأرض التي تحتهم هي هكذا نُزلًا لهم.

والشاهد هنا «يتكفاها الجبار بيده» هذا هو الشاهد.

(المتن)

وذكر أحاديث مثل قوله: «بيدي الأمر»، «والخير بيديك» «والذي نفس محمد بيده».

(الشرح)

«والذي نفس محمد بيده» هذا ورد في أحاديث كثيرة.

(المتن)

و «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل» وقوله: «المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين»، وقوله: «يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟».

وقوله: «يمين الله ملأى، لا يَغِيضُها نفقة، سَحَّاء الليل والنهار».

(الشرح)

« سَحَّاء» هذه صفة وما بعدها منصوبٌ على الظرفية، صفة هذه « سَحَّاء».

«ملأى»، « سَحَّاء»؛ الليل والنهار، يعني دائمة العطاء والصبر.

(المتن)

أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم يغض ما في يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى القبض يخفض ويرفع».

(الشرح)

القبض قبض أي قبض الأرواح عند الموت.

(المتن)

وكل هذه الأحاديث في الصحيح.

وذكر أيضًا قوله: «إن الله لما خلق آدم، قال له ويداه مقبوضتان: اختر أيهما شئت. قال: اخترت يمين ربي، وكلتا يدي ربي يمين مباركة».

(الشرح)

حديث حسن.

(المتن)

وحديث: «إن الله لما خلق آدم مسح ظهره».

(الشرح)

وهذا الحديث ضعيف؛ ضعفه ابن عبد البر والشيخ الألباني.

(المتن)

إلى أحاديث أخر ذكرها من هذا النوع.

ثم قال «البيهقي»: أما المتقدمون من هذه الأمة، فإنهم لم يفسروا ما كتبنا من الآيات والأخبار في هذا الباب.

(الشرح)

"لم يفسروا" أي لم يؤولوا التأويل الذي عليه الجهمية والمعتزلة، أما إذا كان يقصد بـ "لم يفسروا" أي لم يُدركوا معانيها ولم يهتموا بمعانيها فهذا خطأ، وهذا كثير في كلام السلف؛ نفي التفسير وهو مفسرٌ عندهم، مثل ابن عبيد القاسم بن سلام، وفي كلام غيره مُفسر. أن نفي التفسير هنا نفي تفسير الجهمية.

(المتن)

وكذلك قال في الاستواء على العرش، وسائر الصفات الخبرية مع أنه يحكي قول بعض المتأخرين.

وقال القاضي أبو يعلى في كتاب "إبطال التأويل".

(الشرح)

القاضي أبو يعلى من أئمة الحنابلة، وألف هذا الكتاب. . طبعًا هو توفي في السنة التي توفي فيها البيهقي؛ أربعمائة وثمانية وخمسين.

"إبطال التأويل" طبعًا هو مطبوع بتحقيق الشيخ عبد الله بن حمد، ويبدو أن هنا أخطأ، طبعًا هو الآن مطبوعٌ في مجلدٍ واحد؛ طُبع في أجزاء سابقة، الآن طبعه في مجلد واحد.

هذا الكتاب ألفه في الرد على. . . .، . . . ألف كتابه "مشكل الحديث" وملئه بالتأويلات، والمراد بالمُشكل هو عنده المُشكل فيما يراه؛ الإشكال الذي يراه المتكلمون، فملئه بالتأويلات.

جاء أبو يعلى ورد عليه، وأحسن في "إبطال التأويل"، أحسن في هذا الجانب أيما إحسان، ولكنه لم يُحسن في باب التقرير؛ سرد أحاديث كثيرة، أحاديث ضعيفة، ضعيفة

جدًا، منكرة، بل موضوعة؛ سردها، ذكرها استدلالًا بها على إثبات الصفات، هذا الجانب لم يُحسن فيه، والجانب الآخر الأول أحسن فيه.

(المتن)

وقال القاضي أبو يعلى في كتاب "إبطال التأويل": لا يجوز رد هذه الأخبار ولا التشاغل بتأويلها.

(الشرح)

"رد هذه الأخبار" كما هو منهج المعتزلة؛ يردونها هكذا، أولًا يردونها ثم يؤولون بعضها.

"ولا التشاغل بتأويلها" كما هو منهج غالب الكُلابية والأشاعرة والماتريدية.

(المتن)

والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفات الله، لا تشبه بسائر الموصوفين بها من الخلق، ولا نعتقد التشبيه فيها، لكن على ما روي عن الإمام أحمد وسائر الأئمة.

وذكر بعض كلام الزهري ومكحول ومالك، والثوري والأوزاعي والليث وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن عيينة، والفضيل بن عياض، ووَكِيع، وعبد الرحمن بن مهدي، وأسود بن سالم.

(الشرح)

أسود بن سالم هو الوحيد الذي لم يسبق، يقول المحقق: أبو محمد العابد؛ كان ذا عبادةٍ وصلاح، مجانبًا لأهل البدع ومبغضًا لهم. يقول الطبري: كان ثقةً ورعًا فاضلًا.

أما البقية فسبقت نصوصهم.

(المتن)

وإسحاق بن راهويه، وأبي عبيد، ومحمد بن جرير الطبري، وغيرهم في هذا الباب. وفي حكاية ألفاظهم طول.

إلى أن قال: ويدل على إبطال التأويل: أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها.

(الشرح)

طبعًا حملوها على ظاهرها ولم يتعرضوا لتأويلها؛ التأويل يُقابل الظاهر، ما هو التأويل؟ التأويل صرفُ اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى غيره بقرينة.

فالتأويل يُقابله الظاهر، والمجاز يُقابله الحقيقة، لذلك يقول: "**حملوها على ظاهرها ولم يتعرضوا لتأويلها**".

(المتن)

ولم يتعرضوا لتأويلها، ولا صرفها عن ظاهرها، فلو كان التأويل سائغًا لكانوا إليه أسبق، لما فيه من إزالة التشبيه ورفع الشبهة.

(الشرح)

"**لما فيه من إزالة التشبيه**" كما يزعمه المتكلمون؛ لأن هذه حاجة مُلحة، لو كانت ضرورية لسبقوا إليها.

(المتن)

وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتكلم، صاحب الطريقة المنسوبة إليه في الكلام في كتابه الذي صنفه في "**اختلاف المصلين، ومقالات الإسلاميين**".

(الشرح)

هذه الطريقة المنسوبة إليه معروفة؛ الأشعرية، والأشعرية كما قلنا مرت بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: الكُلابية، هي المرحلة الثانية من مراحل الأشعري.

المرحلة الثانية: الاعتزالية، تبدأ من بعد الجويني.

المرحلة الثالثة: الفلسفية، الأشعرية الفلسفية، وإمامها الرازي الذي توفي سنة ستمائة وستة، ومن بعده.

إذًا الأشعرية من أحسن إلى أسوأ، بينما أبو الحسن نفسه له ثلاث مراحل، من سيء إلى أحسن:

1- كان معتزليًا.

2- ثم كُلابيًا.

3- ثم سلفيًا.

ففي المرحلة الأخيرة كان على مذهب الإمام أحمد كما سنقرأ كلامه هنا، مع ذلك بقيت بعض الرواسب التي لم يتفطن لها، وظن أنها من السنة، ولكنه في الجملة على مذهب أهل السنة، فلاحظوا هذا التفاوت بين الأشعري نفسه وبين الأشعرية.

والذين ينتسبون إليه الآن أبو الحسن الأشعري لا يمت إليهم بصلة، أول من يرد عليهم هو، أول من يتبرأ منهم هو؛ لأنه ترك هذه الطريقة، وترك هذا المنهج، وأبطل هذا المنهج، وألف مؤلفاتٍ عديدة في الرد على هذا المنهج، مع ذلك هم يتمسكون بأقواله القديمة، ويزعمون أنهم أشاعرة!

وسيذكر شيخ الإسلام فيما سيأتي أن هؤلاء يخرجون ممن يتعصبون لهم؛ يأخذون منهم الأسوأ ويتركون ما أصابوا فيه، وسيأتي هذا التنبيه من شيخ الإسلام.

طبعًا هذا الكتاب مطبوع بتحقيق أحد المستشرقين، وهو كما يقول شيخ الإسلام من أحسن الكتب المؤلفة في بيان اختلاف الفرق ومذاهبهم.

(المتن)

وذكر فرق الروافض والخوارج، والمرجئة، والمعتزلة، وغيرهم.

ثم قال: "**مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث جملةً**".

(الشرح)

هكذا عنون عنوان "**مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث**"، "**جملةُ**" يبدو هذه مع ما بعدها، إذًا هذا الذي عندنا ليس بصحيح؛ "**مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث**" هكذا العنوان.

نعم ذكر في الهامش، ولكن في الترقيم أيضًا كان ينبغي أن يقول هكذا "**مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث**" هنا نقطتين، بعدها هذه "**جملةُ**" مع ما بعدها.

(المتن)

جملةُ قول أصحاب الحديث وأهل السنة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبما جاء عن الله، وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يردون شيئًا من ذلك، وأن الله واحد أحد، فرد صمد، لا إله غيره، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا.

(الشرح)

"**جملةُ قول**" يعني مجمل القول.

"**وأن الله واحد أحد**" هذا كله ورد في اسمه الواحد واسمه الأحد، لكن فرد لم يرد اسمًا لله -عز وجل-، ورد في حديثٍ ضعيف، ولم يرد له دليل صحيح؛ إذًا هذا من باب الإخبار وليس من باب الاسم.

(المتن)

وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النارحق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله على عرشه، كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5]، وأن له يدين بلا كيف كما قال تعالى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: 75]، وكما قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: 64].

(الشرح)

"**بلا كيف**" معناه بلا تكييف، نحن لا ندري كيفية صفات الله -عز وجل-.

(المتن)

وأن له عينين بلا كيف كما قال تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: 14]، وأن له وجهًا كما قال تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 27].

وأن أسماء الله تعالى لا يقال: إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج.

(الشرح)

هذا سبق أن المعتزلة ومن تأثر بهم من الخوارج يقولون إن أسماء الله -عز وجل- غير الله، وما كان غير الله فهو مخلوق، وبهذا يتوصلون إلى القول بخلق أسماء الله -عز وجل-، وذكرنا أن من قابلهم من الكُلابية يقولون أسماء الله الاسم هو المسمى، عندهم الخوارج والمعتزلة الاسم غير المسمى، وعند الكُلابية الاسم هو المسمى.

وذكرنا أن أهل السنة والجماعة يُعبرون بأن الاسم للمسمى، سبق التفصيل عندما علقنا على كلام ابن جرير الطبري.

(المتن)

وأقروا أن لله علمًا، كما قال تعالى: ﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: 166]، وكما قال تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر: 11]، وأثبتوا السمع والبصر، ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة، وأثبتوا لله القوة كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: 15] وذكر مذهبهم في القدر. إلى أن قال: ويقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق، والكلام في اللفظ والوقف، من قال باللفظ وبالوقف فهو مبتدع عندهم، لا يقال: اللفظ بالقرآن مخلوق، ولا يقال: غير مخلوق.

(الشرح)

الكلام في اللفظ والوقف، من كان يتوقف ويقول لا أقول القرآن مخلوق، ولا أقول القرآن غير مخلوق؛ هذا مبتدع، وهؤلاء يُسمون الواقفة، وبدعته من شر أنواع البدع؛ يعني تتوقف في ماذا؟ مادام يتوقف هو مقتنع ببدعة ما.

أما اللفظية الذين يقولون لفظي بالقرآن مخلوق، ففيهم من. . اللفظي أي الملفوظ، هم يستعملون هذا اللفظ للتستر، اللفظ عندهم هو الملفوظ، فالذي يرى أن الملفوظ مخلوق هم الجهمية، والذي يقول لفظي بالقرآن مخلوق، ويقصد باللفظ التلفظ هذا صحيح، ولكن الإمام أحمد كان يمنع من هذا سدًا للذريعة، كان يُبدع من يقول هذا.

(المتن)

ويقرون أن الله يرى بالأبصار يوم القيامة، كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون، ولا يراه الكافرون؛ لأنهم عن الله محجوبون، قال عز وجل ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: 15].

وذكر قولهم في الإسلام والإيمان والحوض والشفاعة وأشياء، إلى أن قال: ويقرون بأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ولا يقولون مخلوق.

(الشرح)

"ولا يقولون مخلوق" هذا أيضًا سبق، لأن الإيمان إما أن يُقصد به الأعمال؛ أعمالك هي مخلوقة، وإما أن يُقصد به ما تقوله منها لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله، ومن أسماء الله -عز وجل- المؤمن، هذا ليس مخلوق، ولأجل هذا الإجمال لا نقول مخلوق ولا نقول غير مخلوق؛ نُفصل.

(المتن)

ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار. إلى أن قال: وينكرون الجدل والمراء في الدين والخصومة فيه والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل، ويتنازعون فيه من دينهم، ويسلمون للروايات الصحيحة.

(الشرح)

فمن إنكارهم للجدل والمراء معروفٌ عنهم، والآثار في ذلك كثيرةٌ جدًا، من أكثر من ذكرها وأوردها ابن بطة -رحمه الله تعالى- في "الإبانة"، كثيرة جدًا؛ لأن المراء ليس سبيلًا للوصول إلى الحق أبدًا.

(المتن)

ولما جاءت بها الآثار التي جاءت بها الثقات عدلاً عن عدل حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يقولون: كيف ولا لمِ؟ لأن ذلك بدعة.

(الشرح)

"لا يقولون: كيف" في الصفات لا يقولون كيف، ولا يقولون لمِّ في الأفعال، الله -عز وجل- له الحكمة البالغة في أفعاله، ولكن لا يجوز أن يُسئل ويقال ما الحكمة في ذلك وما الحكمة في ذلك، عرفنا الحكمة جيد، ما عرفنا نؤمن بأن هناك حكمة.

(المتن)

إلى أن قال: ويقرون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: 22]، وأن الله يقرب من خلقه كيف يشاء؛ كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: 16] .

(الشرح)

سبق التعليق على هذه الآية وأن ﴿نحن﴾ المراد به الملائكة، فهذا لا يوافق عليه الإمام أبو الحسن الأشعري.

(المتن)

إلى أن قال: ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة، والتشاغل بقراءة القرآن، وكتابة الآثار، والنظر في الفقه، مع الاستكانة والتواضع، وحسن الخلق، مع بذل المعروف، وكف الأذى، وترك الغيبة والنميمة والسعاية، وتفقد المآكل والمشارب.

(الشرح)

كلامه جميل وجامع.

"وتفقد المآكل والمشارب" تفقدها من حيث الحل والحرمة.

(المتن)

قال: فهذه جملة ما يأمرون به، ويستسلمون إليه، ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب، وما توفيقنا إلا بالله وهو المستعان.

(الشرح)

أرأيتم هذا الوضوح "وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب"، الأشاعرة المعاصرون يقولون أن هذه الجملة مدسوسة في كلام أبي الحسن الأشعري، ومن فضل الله -عز وجل- أن هذا الكتاب حُقق بتحقيق كافر؛ أحد الكفار هو الذي حققه، لو حُقق في السعودية أو في هذه البلاد لقالوا هذه جملة مدسوسة دسها التيميون، والكذب عندهم رخيص، الكذب عند بعضهم وخاصةً هؤلاء الجدد؛ أعلام النشاط الأشعري الجديد في بعضهم هذا رخيص.

ما هو الدليل على أن هذه الجملة مدسوسة؟ ما هي النسخ عندك؛ نسخ الكتاب المخطوطة؟ أبرزها للناس حتى نعرف أن هناك شيئًا من المصداقية في كلامك، هكذا تدعي أنها مدسوسة، طيب هذا الكافر ما المصلحة في أن يدسها هذا الكافر؟ هل هو أيضًا من أتباع ابن تيمية.

"وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب"، نعم أنتم ما تقولون؟ أبو الحسن يقول، والمفروض أن تقولوا بما يقول؛ مادام أنكم أشاعرة.

(المتن)

وقال الأشعري أيضًا في "اختلاف أهل القبلة في العرش".

(الشرح)

أبو الحسن الأشعري -سبحانه وتعالى- أنا لاحظت في حياته، حتى لما تقرأ الرجل فعلًا يحب الحق، ولا ينظر إلى اعتباراتٍ أخرى، معتزلي كُلابي سلفي يعني هذا التنقل وبهذه الصورة تراه لا يكون إلا ممن يريد الحق فعلًا، وإلا هل ترون أن هؤلاء عتاة المعتزلة لم يظهر لهم الحق طوال حياتهم؟! بعيد، هذا الرجل فعلًا يريد الحق، صار معتزليًا لأن هذه بيئته؛ شيخه معتزلي وزوج أمه معتزلي وشيوخه معتزلة، ثم صار كُلابيا، ثم في كل مرحلة واضح، وهذا لا يكون إلا ممن يقهر النفس ويقهر الهوى، ويكون قويًا جدًا في طلب الحق، هذا الرجل منهم أحسبه كذلك والله حسيبه.

الطالب:. . .

الشيخ: طبعًا هم لنيل درجاتهم يُحققون كتب، مثلما نحن نُحقق، الأقسام عندهم تحقيق الكتب، حققوا كثيرًا من الكتب.

الطالب:. . .

الشيخ: إي هذا مستشرق. . .

(المتن)

وقال الأشعري أيضًا في "اختلاف أهل القبلة في العرش": قال أهل السنة وأصحاب الحديث: ليس بجسم ولا يشبه الأشياء.

(الشرح)

يعني حتى تعبيراته جميلة؛ "قال أهل السنة وأصحاب الحديث" نعم -رحمه الله تعالى-

.

(المتن)

ليس بجسم ولا يُشبه الأشياء.

(الشرح)

هذا من الأمور التي لا يُوافق عليه أبو الحسن الأشعري ولا غيره، أهل السنة والجماعة لا يقولون ليس بجسم ولا يقولون هو جسم أبدًا؛ هذه من الألفاظ المجملة التي نُجري عليها قاعدة أهل السنة المعروفة؛ التوقف في اللفظ والاستفصال في المعنى

وأيضًا لا يقول أهل السنة: لا يُشبه الأشياء. هكذا عمومًا؛ لأن التشبيه لفظ مجمل، إنما ينفون المثلية؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير﴾[الشورى: 11]، والحديث عن التشبيه والتمثيل طويل، المهم هذان لفظان أهل السنة لا يُطلقون هكذا.

(المتن)

وأنه استوى على العرش كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5]، ولا نتقدم بين يدي الله ورسوله في القول.

(الشرح)

هذا أولًا سبحان الله دليل تدرجه في الاستدلال تدرج قوي؛ أولًا الله –عز وجل– هو الذي يُثبت؛ "﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5]، ولا نتقدم بين يدي الله ورسوله في القول؛ بل نقول: استوى بلا كيف".

(المتن)

بل نقول: استوى بلا كيف، وأن له وجهًا، كما قال تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 27]، وأن له يدين كما قال تعالى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: 75]، وأن له عينين كما قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: 14]، وأنه يجيء يوم القيامة هو وملائكته كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: 22]، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا كما جاء في الحديث، ولم يقولوا شيئًا إلا ما وجدوه في الكتاب وجاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(الشرح)

لاحظوا كيف أنه دقيق في التعبير هنا؛ "ولم يقولوا شيئًا إلا ما وجدوه في الكتاب وجاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم"، ذكر هذه النماذج ثم أطلق هذا القول في مذهب أهل السنة، لا يلتزمون إلا ما كان في الكتاب والسنة، يقول هكذا عمومًا سواءً فيما ذكرته أو فيما لم أذكره، هذا منهجه.

(المتن)

وقالت المعتزلة: إن الله استوى على العرش بمعنى: استولى وذكر مقالات أخرى.

(الشرح)

ورد عليهم، ورد على أبو الحسن الأشعري أحد الماتريدية؛ رد عليه وقال. . أبو. . . النسفي هذا من أئمة الماتريدية، هو من أشهرهم بعد أبي المنصور الماتريدي.

رد عليه وقال: هذا التأويل ليس مما انفرد به المعتزلة، نحن أيضًا نؤول! ما شاء الله استدلال جميل!

(المتن)

وقال أيضًا أبو الحسن الأشعري في كتابه الذي سماه "الإبانة في أصول الديانة".

(الشرح)

"الإبانة في أصول الديانة" طُبع طبعات عديدة، من أحسنها طبعة الدكتورة فوقية؛ قدمت له بمقدمة عن حياة الأشعري وعن أطواره، وأيضًا اعتمدت نسخ عديدة، وإلى الآن لازال هؤلاء الأشاعرة يُشككون في هذا الكتاب، يقولون هذا الكتاب ليس من كتب أبي الحسن الأشعري! سبحان الله!

الكتاب أورده ابن عساكر في كتابه "تبيين كذب المفتري"؛ أودعه كله هناك دفاعًا عن الأشعري، وابن عساكر أشعري.

قالوا: هناك فروق بين ما أورده ابن عساكر وبين النسخ الموجودة. الفروق موجودة حتى في صحيح البخاري، حتى في صحيح مسلم الفروق موجودة، هل نُنكر أنه صحيح البخاري ونقول هو ليس للإمام البخاري؟ نُنكر كونه مؤلفًا للبخاري لأن هناك فروقًا؟

(المتن)

وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنفه، وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه.

(الشرح)

يُشير إلى ابن عساكر -رحمه الله تعالى-.

(المتن)

فقال: فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة.

فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة، والقدرية، والجهمية، والحرورية، والرافضة، والمرجئة.

(الشرح)

الحرورية هم خوارج.

(المتن)

فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون.

قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكلام ربنا وسنة نبينا، وما رُوي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون.

(الشرح)

هذه الجملة جملة جميلة جدًا؛ فيها بيان المنهج باختصار شديد، يقول: "التمسك بكلام ربنا وسنة نبينا، وما رُوي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون"، هذا هو منهج أبي الحسن الأشعري، ونحن ندعو الأشاعرة إلى هذا المنهج، الذي أعلن عنه من ينتسبون إليه.

(المتن)

وبما كان يقول أبو عبد الله أحمد بن حنبل -نضَّر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته- قائلون، ولما خالف قوله مخالفون، لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل؛ الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلالة، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكّين؛ فرحمة الله عليه من إمام مقدَّم، وجليل معظَّم، وكبير مفهّم.

(الشرح)

-رحمه الله تعالى-، رحم الله أبا الحسن الأشعري على هذا الثناء الجميل لإمام أهل السنة؛ الإمام أحمد -رحمه الله تعالى-، نسأل الله أن يرحمهم كلهم برحمته.

هذا الوضوح أيضًا لا يمكن أن يهضمه الأشاعرة، ولذلك الأحسن عندهم الذي اختاروه أن الكتاب ليس لأبي الحسن.

طبعًا العلاقة بين الحنابلة والأشاعرة بعد رجوع الأشعري وثنائه على الإمام أحمد كانت علاقة جيدة، مع أن بعض الحنابلة كان موقفهم سلبي، ولكن العموم كانت العلاقة بين الأشعري وتلاميذه وبين الحنابلة كانت جيدة إلى فتنة القشيري؛ سنة أربعمائة وخمسة وأربعين.

(المتن)

وجملة قولنا: أنّا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبما جاؤوا به من عند الله، وبما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا نرد من ذلك شيئًا؛ وأن الله واحد لا إله إلا هو، فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق؛ وأن الجنة حق، والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

(الشرح)

مثلما ذكره نقلًا عن أصحاب الحديث في "مقالات الإسلاميين".

(المتن)

وأن الله مستوٍ على عرشه كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5]، وأن له وجهًا كما قال تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 27]، وأن له يدين بلا كيف، كما قال تعالى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: 75]، وكما قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: 64]، وأن له عينين بلا كيف، كما قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: 14].

وأن مَنْ زعم أن أسماء الله غيره كان ضالًا.

(الشرح)

طبعًا هم المعتزلة والخوارج المتأثرون بهم.

(المتن)

وذكر نحوًا مما ذكر في الفرق، إلى أن قال:

ونقول: إن الإسلام أوسع من الإيمان، وليس كل إسلام إيمانًا.

(الشرح)

"الإسلام أوسع من الإيمان" من حيث الدائرة، والإيمان أوسع من الإحسان من حيث الدائرة، وليس كل إسلامٍ إيمانًا؛ لأن بعض الإسلام قد لا يكون مبنيًا على الإيمان فلا يُقبل، الإسلام لابد فيه من الحد الأدنى من الإيمان؛ يُصحح الإسلام.

(المتن)

وندين بأن الله يقلب القلوب بين إصبعين من أصابع الله عز وجل وأنه عز وجل يضع السماوات على أصبع، والأرضين على أصبع، كما جاءت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إلى أن قال: والإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ونسلم الروايات الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي رواها الثقات عدلاً عن عدل حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(الشرح)

فمما ذكره في "مقالات الإسلاميين" وما ذكره هنا ترى متطابق تقريبًا، هذا يشهد له وذاك يشهد له.

الطالب:...

الشيخ: "الإبانة" نعم.

الطالب:...

الشيخ: لا، ما يُنكرون، ولكن يقولون الجملة الأخيرة "وبه نقول"، يقولون هذه الجملة مدسوسة "وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب"، يقولون هذه الجملة مدسوسة في كلام الأشعري، أما الكتاب لا يُنكرون.

(المتن)

إلى أن قال: ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل من النزول إلى السماء الدنيا، وأن الرب عز وجل يقول: «هل من سائل؟ هل من مستغفر؟ » وسائر ما نقلوه وأثبتوه، خلافًا لما قال أهل الزيغ والتضليل.

ونعوّل فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا وسنة نبينا، وإجماع المسلمين وما كان في معناه.

(الشرح)

هذا أيضًا مثل ما سبق من تحديد مصدر التلقي، وهذا مهم، والأشعري -رحمه الله تعالى- يُدندن حول كثيرًا ويُكرره؛ لأنه يدري لماذا كان ضلاله، لماذا كان انحرافه، يدري لماذا كان السبب؛ لذلك يُعيد هذا.

يقول: "ونعوّل فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا وسنة نبينا، وإجماع المسلمين وما كان في معناه".

(المتن)

ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن لنا به، ولا نقول على الله ما لا نعلم، ونقول: إن الله يجيء يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: 22].

وأن الله يقرب من عباده كيف شاء كما قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: 16]، وكما قال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: 8-9] .

(الشرح)

هذا أيضًا جبريل.

(المتن)

إلى أن قال: وسنحتج لما ذكرناه من قولنا وما بقي مما لم نذكره بابًا بابًا. ثم تكلم على أن الله يُرى، واستدل على ذلك، ثم تكلم على أن القرآن غير مخلوق، واستدل على ذلك، ثم تكلم على من وقف في القرآن وقال: لا أقول: إنه مخلوق، ولا غير مخلوق ورد عليه.

ثم قال: باب في ذكر الاستواء على العرش.

فقال: إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: إن الله مستوٍ على عرشه كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5]، وقد قال الله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: 10]، وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: 158]، وقال: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: 5]، وقال تعالى حكاية عن فرعون: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غافر: 36-37] كذّب موسى في قوله: إن الله فوق السماوات، وقال: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾ [الملك: 16]، فالسماوات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السماوات قال: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ لأنه مستو على العرش الذي فوق السماوات، فكل ما علا فهو سماء، فالعرش أعلى السماوات.

(الشرح)

يقول في قوله: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ المراد بالسماء العلو، وهذا أحد المعنيين هنا، ﴿في السماء﴾ أي في العلو، وما هو أعلى من السماوات أيضًا هو العرش، إذًا المراد بالسماء هنا هو العرش؛ لأن هذا أحد المعنيين.

الطالب: . . .

الشيخ: ما فيها إشكال، هذه الحكاية غير الحكاية التي يذكرها الأشاعرة، هم يرون أن القرآن كله حكاية وليس من كلام الله -عز وجل-، أما هذه الحكاية نقل لا بأس، وهذا يستعمله السلف، هذه الحكاية غير تلك الحكاية.

نُكمل بعد الصلاة إن شاء الله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

شرح
الفتوى الحموية الكبرى

للإمام الشيخ

شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني

- رحمه الله -

(المجلس الحادي والعشرون)

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد محمدي النورستاني

- حفظه الله -

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

(المتن)

قال أبو الحسن -رحمه الله تعالى-: فكل ما علا فهو سماء، فالعرش أعلى السماوات، وليس إذا قال: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ يعني جميع السماء، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السماوات، ألا ترى أن الله عز وجل ذكر السماوات فقال: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: 16] فلم يرد أن القمر يملؤهن، وأنه فيهن جميعًا.

ورأينا المسلمين جميعًا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء، لأن الله على العرش الذي فوق السماوات، فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض.

(الشرح)

بسم الله الرحمن الرحيم، نحمده ونُصلي على رسوله الكريم، أما بعد:

هذا الذي ذكره الإمام الأشعري -رحمه الله تعالى- أحد معنيبه السماء، السماء بمعنى العلو، هذا إذا كان ﴿في﴾ على بابها بمعنى الظرفية، أما إذا كانت ﴿في﴾ بمعنى علا فالسماء هي الأجرام المبنية.

(المتن)

فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض.

(الشرح)

طبعًا هذا الاستدلال الذي ذكره أبو الحسن الأشعري -رحمه الله تعالى-، ذكره كثيرون من الكُلابية وغيرهم، ولكن بعض الأشاعرة وأذكر منهم الآن الغزالي، لهم توجيهٌ آخر لهذا الذي ذكره أبو الحسن الأشعري.

يقول الغزالي: إن رفع أيديهم إلى العلو هذا من باب النظر إلى الموضع الذي يكون منه الرزق، فإذا كان هناك موضع خاص يكون منه الرزق، ويُقسم منه الرزق الواحد يتوجه إلى

هذا؛ من هذا الباب، ليس لأن الله -عز وجل- على العرش ولا لأنه في العلو، فكأنهم يرفعون أيديهم إلى مخلوق، ويرفعون أيديهم إلى المستودعات مثلًا، هكذا ذكره الغزالي، وذكر كلامه شيخ الإسلام في (بيان تلبيس الجهمية) ورد عليه.

(المتن)

ثم قال: فصلٌ: وقد قال قائلون من المعتزلة، والجهمية، والحرورية: إن معنى قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5] أنه استولى وملك وقهر، وأن الله عز وجل في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة.

(الشرح)

يعني أولوا الاستواء بالاستيلاء.

(المتن)

فلو كان كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة، لأن الله قادر على كل شيء. والأرض فالله قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم، فلو كان الله مستويًا على العرش بمعنى الاستيلاء -وهو عز وجل مستول على الأشياء كلها- لكان مستويًا على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار.

(الشرح)

الاستواء خاصٌ بالعرش، هذه الصفة خاصة بالعرش، لا يُقال الله -عز وجل- مستوٍ على السماء، هذا خاصٌ بالعرش.

(المتن)

لأنه قادر على الأشياء مستول عليها، وإذا كان قادرًا على الأشياء كلها، ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: إن الله مستوٍ على الحشوش والأخلية، لم يجز أن يكون الاستواء على العرش بمعنى: الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها.

(الشرح)

"الأشياء كلها" لأن الله -عز وجل- قادرٌ عليها كلها.

(المتن)

ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص العرش دون الأشياء كلها وذكر دلالات من القرآن والحديث والإجماع والعقل ثم قال: باب الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين.

وذكر الآيات في ذلك، ورد على المتأولين بكلام طويل لا يتسع هذا الموضع لحكايته: مثل قوله: فإن سئلنا: أتقولون لله يدان؟.

قيل: نقول ذلك، وقد دل عليه قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: 10]، وقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: 75]، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إن الله مسح ظهر آدم بيده، فاستخرج منه ذريته**».

(الشرح)

سبق هذا الحديث وذكرنا أنه ضعيف.

(المتن)

وقد جاء في الخبر المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن الله خلق آدم بيده، وخلق جنة عدن بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس شجرة طوبى بيده**».

(الشرح)

المحقق جزاه الله خيرًا يقول: لم أقف على هذا الحديث بهذا اللفظ؛ وإنما ورد نحوٌ من هذا عند البيهقي، في (الأسماء والصفات)؛ عن عبد الله بن الحارث عن أبيه -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إن الله -عز وجل- خلق ثلاثة أشياء بيده؛ خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده**». وقال: هذا حديثٌ مرسل.

(المتن)

وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل: عملت كذا بيديّ، ويريد بها النعمة، وإذا كان الله إنما خاطب العرب بلغتها، وما يجري مفهومًا من كلامها، ومعقولاً في خطابها، وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان أن يقول القائل: فعلت بيديّ، ويعني به النعمة، بطل أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿بِيَدَيَّ﴾ النعمة. وذكر كلامًا طويلًا في تقرير هذا ونحوه.

(الشرح)

طبعًا اليد إذا أُضيفت (بيدي) مثلًا، أو ثُنيت لا يُراد بها إلا اليد الحقيقية، فظاهر اللفظ في مثل هذا الإطلاق يُراد به اليد الحقيقية.

أما إذا قُطعت عن الإضافة يراد بها النعمة، مثلًا لفلانٍ عليّ يدٌ؛ أي له عليّ نعمة، أو عندي لفلانٍ يدٌ؛ المراد بها النعمة والإحسان، فاستعمال اليد هنا لأن النعمة تُسدى باليد في الغالب، أما إذا أُضيفت أو ثُنيت فلا.

طبعًا مثل هذه الأمور هي من البديهيات، واضحة جدًا لا تخفى على أمثال الرازي وغيره، ليست من الأمور الغامضة، ولكنهم مع ذلك يخلطون.

(المتن)

وقال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتكلم -وهو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري، ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده- قال في كتاب (الإبانة) تصنيفه.

(الشرح)

له كتبٌ كثيرة، وهو أشهر من يمثل الطبقة الكُلابية، وهذه الطبقة تنتهي عنده، توفي سنة أربعمائة وثلاثة، كان مالكي المذهب، ولأجله تمشعر المالكيون، وكتب في أصول الفقه، وكتب في علم الكلام، بعض كتبه مطبوعة، وهذا الكتاب الذي ينقل عنه شيخ الإسلام غير مطبوع.

(المتن)

قال في كتاب (الإبانة) تصنيفه:

فإن قال: فما الدليل على أن لله وجهًا ويدًا؟ قيل له: قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 27]، وقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: 75] فأثبت لنفسه وجهًا ويدًا.

فإن قال: فلم أنكرتم أن يكون وجهه ويده جارحة إذ كنتم لا تعقلون وجهًا ويدًا إلا جارحة؟.

قلنا: لا يجب هذا.

(الشرح)

يقول: كيف لو قيل لنا: لماذا لا يكون وجهه ويده جارحةً، لأنه لا يُعقل في الموجودين من له وجهٌ ويدٌ إلا جارحة، فما هو الجواب؟

(المتن)

قلنا: لا يجب هذا كما لا يجب إذ لم نعقل حيًا عالمًا قادرًا إلا جسمًا أن نقضي نحن وأنتم بذلك على الله سبحانه.

(الشرح)

"نقضي" عليه بماذا؟ بأنه جسم، مع أننا لا نعقل حيًا عالمًا قادرًا إلا جسمًا، مع ذلك لا نُطلق عليه جسم، لا نحن ولا أنتم.

إذًا القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، هذه هي القاعدة التي قررها حتى الباقلاني، القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر.

(المتن)

وكما لا يجب في كل شيء كان قائمًا بذاته أن يكون جوهرًا، لأنا لا نجد قائمًا بنفسه في شاهدنا إلا كذلك.

(الشرح)

إي نعم، ولذلك لا نقول، لا نُطلق أن الله -عز وجل- جوهر؛ لأنه قائمٌ بنفسه، وكل قائمٍ بنفسه في الشاهد جوهر.

(المتن)

وكذلك الجواب لهم، إن قالوا: فيجب أن يكون علمه وحياته وكلامه وسمعه وبصره وسائر صفاته عرضًا واعتلوا بالوجود.

(الشرح)

يعني "**وكذلك الجواب لهم إن قالوا**" لو تزال، إن قالوا هكذا واعتلوا بالوجود فهذا جوابنا لهم، اعتلوا بالوجود أي إذا استدلوا بالوجود؛ أننا لا نجد في الوجود حيًا عالمًا سميعًا قديرًا إلا جسمًا، إذا استدلوا بما نشاهده، الوجود هنا بمعنى الشاهد، فها نحن

نُجيبهم بهذا الجواب؛ أن هناك في الوجود ما لا يكون إلا كذلك، مع ذلك لا نُطلقه على الله -عز وجل- نحن وإياكم؛ كلنا.

ففيما اختلافنا نُحاكمهم إلى ما اتفقنا عليه.

الطالب:. . .

الشيخ: الباقلاني تلميذ تلاميذ الأشعري، من تلاميذ الأشعري ابن مجاهد، وهذا من تلاميذه؛ أخذ من تلاميذ الأشعري.

(المتن)

قال: فإن قال: تقولون: إنه في كل مكان؟ قيل لهم: معاذ الله؛ بل هو مستوٍ على العرش كما أخبر في كتابه فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5]، وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: 10]، وقال: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: 16].

قال: ولو كان في كل مكان، لكان في بطن الإنسان وفمه، والحشوش، والمواضع التي يُرغب عن ذكرها، ولوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة إذا خَلق منها ما لم يكن، وينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان، ولصح أن يُرغب إليه إلى نحو الأرض.

(الشرح)

"أن يُرغب" أي أن يُدعى متوجهًا إلى الأرض، يقول يا رب يا رب.

(المتن)

وإلى خلفنا وإلى يميننا وإلى شمالنا، وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله.

وقال أيضًا في هذا الكتاب: صفات ذاته التي لم يزل ولا يزال موصوفًا بها، وهي الحياة، والعلم والقدرة، والسمع والبصر، والكلام، والإرادة والبقاء، والوجه، والعينان، واليدان، والغضب، والرضا.

(الشرح)

طبعًا جعل الكلام أيضًا صفةً أزليةً بحتة، وهذا من الأخطاء التي عليها الكُلابية، صفة الكلام وكذلك السمع والبصر، هي أزلية باعتبار وفعلية باعتبار.

جعل الغضب والرضا أيضًا من صفات الذات، أو من الصفات الذاتية؛ لأنه يقول في تتمة كلامه: "**والغضب والرضا وهما الإرادة**" فيؤولها بالإرادة، والإرادة صفة ذاتية، وهذا خطأ؛ التأويل بالإرادة خطأ وجعلها صفةً ذاتية خطأ.

(المتن)

وقال في كتاب (التمهيد) كلامًا أكثر من هذا.

(الشرح)

الكتاب هذا مطبوع.

(المتن)

وكلامه كلام غيره من المتكلمين في هذا الباب مثل هذا كثير لمن يطلبه، وإن كنا مستغنين بالكتاب والسنة وآثار السلف عن كل كلام.

وملاك الأمر أن يهب الله للعبد حكمة وإيمانًا بحيث يكون له عقل ودين، حتى يفهم ويدين، ثم نور الكتاب والسنة يغنيه عن كل شيء.

(الشرح)

وقال في كتاب (التمهيد) كلامًا أكثر من هذا، وكلامه وكلام غيره من المتكلمين في هذا الباب مثل هذا كثيرٌ لمن يطلبه، وإن كنا مُستغنين بالكتاب والسنة وآثار السلف عن كل كلام، نحن مستغنون فعلًا، مع ذلك لماذا ذكرها شيخ الإسلام؟ سيذكر فيما يأتي لماذا ذكر هذه النصوص.

(المتن)

وملاك الأمر أن يهب الله للعبد حكمة وإيمانًا بحيث يكون له عقل ودين، حتى يفهم ويدين، ثم نور الكتاب والسنة يغنيه عن كل شيء.

(الشرح)

هذه هي الحكمة التي لأجلها ذكر هذه النصوص، وسيأتي أيضًا في صفحة لاحقة بيان حكمة أخرى.

(المتن)

ولكن كثير من الناس قد صار منتسبًا إلى بعض طوائف المتكلمين، ومحسنًا للظن بهم دون غيرهم، ومتوهمًا أنهم حققوا في هذا الباب ما لم يحققه غيرهم، فلو أُتي بكل آية ما تبعها حتى يُؤتى بشيء من كلامهم.

(الشرح)

في ذهنه الأشعري قال الله قال رسول الله هذا ما ينفعه كثيرًا، حتى ولو نفعه لا يكون مثل تلك الأسماء، ولابد أن يسمع أو ينظر إلى رأي فلان في هذا الذي قاله، قال فيه النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقال فيه رب العالمين لا؛ لابد أن ينظر إلى رأي فلان فيما قاله الله -عز وجل- وقال فيه رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ولذلك ذكر لهم هذه النصوص الكثيرة، الأشعري وتلاميذه وتلاميذ تلاميذه كلهم يُثبتون، عندهم إثبات.

(المتن)

ثم هم مع هذا مخالفون لأسلافهم.

(الشرح)

"هم" يقصد المتكلمون النفاة.

(المتن)

ثم هم مع هذا مخالفون لأسلافهم غير متبعين لهم، فلو أنهم أخذوا بالهدى، الذي يجدونه في كلام أسلافهم لرُجي لهم مع الصدق في طلب الحق أن يزدادوا هدى، ومن كان لا يقبل الحق إلا من طائفة معينة، ثم لا يستمسك بما جاءت به من الحق، ففيه شبه من اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 91] .

(الشرح)

يقول شيخ الإسلام فيهم آفتان، وفعلًا هذه الآفة أو هاتان الآفتان أحدهما أشنع من الثاني:

أولًا: ربط الحق بفئة معينة؛ يُحسن في هذه الفئة الظن، ويظن أنهم هم الذين حققوا في هذا الباب، وهم الذين وهم الذين، هذا أولًا.

ثانيًا: هؤلاء الذين يُحسن فيهم الظن لا يأخذ منهم ما عندهم، الأشعري والباقلاني هذا الذي دائمًا تذكره؛ هم عندهم إثبات فلماذا لا تُثبت؟

يقول شيخ الإسلام: "**ثم لا يستمسك بما جاءت به من الحق**"، هذه الطائفة المعينة التي يربط بها الحق ويقصر عليها الحق، لا يأخذ منها ما عندها من الحق، هذه الطائفة عندها من الحق وعندها شيء من الباطل، فلا يأخذ ما عندها من الحق، ويقتصر في الأخذ على ما عندها من الباطل؛ شيء غريب.

يقول: ففيهم "**شبه من اليهود الذين قال الله فيهم**: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 91] ".

(المتن)

فإن اليهود قالوا: لا نؤمن إلا بما أنزل الله علينا. قال الله لهم: فلم تقتلم الأنبياء من قبل إن كنتم مؤمنين بما أنزل عليكم.

(الشرح)

نعم هم جاءوكم وقتلتموهم، الآن تقولون لا نؤمن إلا بما أُنزل علينا؟ الذين جاءوكم قتلتموهم.

(المتن)

يقول سبحانه: لا ما جاءتكم به أنبياؤكم تتبعون، ولا لما جاءتكم به سائر الأنبياء تتبعون. ولكن إنما تتبعون أهواءكم، فهذا حال من لم يتبع الحق، لا من طائفته ولا من غيرهم، مع كونه يتعصب لطائفته بلا برهان من الله ولا بيان.

(الشرح)

يقول من البداية نقول لكم أن تعصبكم لهذه الطائفة خطأ؛ لماذا تتعصبون لطائفة دون طائفة بلا برهان من الله ولا بيان، هذا أولًا.

ثانيًا: إذا كنتم تتعصبون خذوا منهم ما عندهم من الحق، هذا الحق لم تأخذوه لا منهم ولا من غيرهم؛ اتبعتم أهوائكم.

(المتن)

وكذلك قال أبو المعالي الجويني في كتاب (الرسالة النظامية).

(الشرح)

الجويني -رحمه الله تعالى- هو إمام الأشعرية المعتزلية، أو الأشعرية الاعتزالية، توفي سنة أربعمائة وثمانية وسبعين، وهو أشهر شيوخ الغزالي والذي توفي سنة خمسمائة وخمسة.

والجويني كتبه كلها باستثناء كتاب أو كتابين على منهج التأويل؛ من أشهرها (الإرشاد) مطبوع، ومنها (الشامل) مطبوع، نصر فيه منهج التأويل، وهذا منهجه، هو أبرز أئمتهم في هذا.

في الأخيرة ألف هذه الرسالة (الرسالة النظامية)، واختار فيها مذهب التفويض، وذكر لهذا أدلة نقرأها.

(المتن)

وكذلك قال أبو المعالي الجويني في كتاب (الرسالة النظامية): اختلفت مسالك العلماء في هذه الظواهر، فرأى بعضهم تأويلها، والتزم ذلك في آي الكتاب، وما يصح من السنن وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها، وتفويض معانيها إلى الرب.

(الشرح)

"الظواهر" يعني في هذه النصوص التي هي نصوص الصفات، يسمونها الظواهر، حتى هنا لم يتخلى عنها، هذه تسمية باطلة، كثيرٌ من النصوص وبعضها ظواهر.

"**وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل**" إلى هنا جميل.

"**وإجراء الظواهر على مواردها**"، أيضًا جميل.

"**وتفويض معانيها إلى الرب**" هنا اختار طريق آخر، ثم ما بعده أيضًا ما سيذكره من الأدلة قوية جدًا، ولكن البغية والدعوى باطلة، ولكن الأدلة التي يذكرها جميلة.

ما أدري هل تحدثنا عن التفويض في. . هو موقف الجويني من أبرز الأسباب في نشر التفويض، كما أن موقف الحنابلة من الأسباب التي كانت وراء نشر التفويض، ومن تلك الأسباب مذهب الجويني، ونسبة التفويض له السلف بهذا الشكل؛ "وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل".

(المتن)

قال: والذي نرتضيه رأيًا وندين الله به عقدًا: اتّباع سلف الأمة، والدليل السمعي القاطع في ذلك.

(الشرح)

"عقدًا" عقيدةً.

"اتّباع سلف الأمة" نعم هذا الذي يجب، ولكن هو يقصد إتباعهم في التفويض.

(المتن)

أن إجماع الأمة حجة متبعة، وهو مستند معظم الشريعة.

(الشرح)

نعم جميل هذا، ولكن المُدعى والدعوى باطلة.

(المتن)

وقد درج صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ترك التعرض لمعانيها ودَرْك ما فيها.

(الشرح)

هذا من أبطل الباطل؛ أن يقال عن الصحابة أنهم لم يُحاولوا فهم هذه النصوص، ولم يتعرضوا لمعانيها التي هي معاني حقة، والتي هي مدلولات هذه النصوص، من أبطل الباطل.

وهذه النصوص التي تدل على الأسماء والصفات يُتعبد بها، نحن نتعبد لله -عز وجل- بالأسماء والصفات، والتعبد بالأسماء والصفات يتوقف على فهم معانيها.

(المتن)

وهم صفوة الإسلام، والمستقلون بأعباء الشريعة، وكانوا لا يألون جهدًا في ضبط قواعد الملة، والتواصي بحفظها، وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها.

(الشرح)

كل هذا جميل.

(المتن)

فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغًا أو محتومًا: لأوشَكَ أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل، كان ذلك هو الوجه المتبع، فحق على ذي الدين أن يعتقد تنزيه الله عن صفات الْمُحدَثين، ولا يخوض في تأويل المشكلات، ويَكِلْ معناه إلى الرب.

(الشرح)

"**أن يعتقد تنزيه الله عن صفات الْمُحدَثين**"، هذا أيضًا جيد، ولكن هذا التعبير ليس مما عليه السلف؛ لأنهم أدخلوا في هذا كثيرًا من. . بهذا ينفون كثيرًا من الحق.

نحن نعتقد تنزيه الله -عز وجل- وتسبيحه وتقديسه عما لا يليق به، وهذا هو التسبيح، وتسبيح الله -عز وجل- كما ذكرنا مرارًا يكون بإثبات صفات الكمال، ولذلك يكون الجمع بين التسبيح والتحميد؛ ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾.

"**ولا يخوض في تأويل المشكلات**" هذه ليست. . هذه النصوص من أوضح النصوص معنى؛ ليست مشكلة.

(المتن)

فليجر آية الاستواء والمجيء وقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: 75]، ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 27]، وقوله: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: 14]، وما صح من أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم كخبر النزول وغيره على ما ذكرنا.

(الشرح)

يقول هذا المنهج الذي ينبغي أن يمشي عليه الجميع، هذا موقف الجويني من التفويض، جاء تلميذه الغزالي فجعل التفويض للعموم والتأويل للخواص، وعلى هذا بنى

كتابه (إلجام العوام عن علم الكلام)، والعوام بدءًا من المحدثين والفقهاء فكلهم عوام عنده، (إلجام العوام عن علم الكلام) مبنيٌ على هذا أن التفويض للعوام، والتأويل للخواص؛ لأنه إلجام العوام وليس إلجام الخواص.

ثم بعده انتهج المتكلمون عمومًا الأشاعرة والماتريدية؛ أن يكون التأويل والتفويض كلاهما مسلكان معتبران؛ فمن يريد السلف فله التفويض، ومن يريد الخلف فله التأويل، كما سبق في المقولة الباطلة: مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم.

(المتن)

قلت: وليعلم السائل أن الغرض من هذا الجواب ذكر ألفاظ بعض الأئمة.

(الشرح)

سبحان الله أين السؤال وأين الجواب، نتذكر ذلك السؤال المختصر وأين أوصلنا شيخ الإسلام، هذه النصوص، تلك القواعد ثم هذه النصوص؛ كلها لبيان أن القوم في وادٍ والحق في واد، وأنك إذا أردت أن تتبع الحق وإذا أردت أن تقصده؛ فلم يُعدم أن تجده حتى فيما كتبه أئمتك الذين تقصر الحق عليهم.

(المتن)

قلت: وليعلم السائل أن الغرض من هذا الجواب ذكر ألفاظ بعض الأئمة الذين نقلوا مذهب السلف في هذا الباب، وليس كل من ذكرنا شيئًا من قوله من المتكلمين وغيرهم يقول بجميع ما نقوله في هذا وغيره.

(الشرح)

هذا تنبيه مهم، رأينا أن من أمانة ودقة شيخ الإسلام؛ أنه نقل هذه النصوص بألفاظها، حتى لـما نقل عن الأشعري من قوله: قال أهل السنة وأصحاب الحديث ليس بجسمٍ ولا يُشبه. . كان بإمكانه أن يحذف هذه، وكان بإمكانه أن يحذف كل لفظة فيها شيء، كان بإمكانه لكنه مع ذلك لم يفعل هذا، ونقل كلامه بأمانة، وهذا منهج السلف؛ الدقة والأمانة، أي لا تقول القائل ما لم يقله، ولا تحاول أن تحوره وتجعله مثلك، لا؛ الدقة مطلوبة بل هي الواجبة.

وأيضًا ما يستطيع أن يُعلق على كل جملة، إذًا هذا سيكون مثل (بيان تلبيس الجهمية)، هذه فتوى؛ إشارة مختصرة، فهذا التنبيه يُغني، هذا تنبيه مهم؛ **"وليعلم السائل أن الغرض من هذا الجواب ذكر ألفاظ بعض الأئمة الذين نقلوا مذهب السلف في هذا الباب"** من حيث الجملة، **"وليس كل من ذكرنا شيئًا من قوله من المتكلمين وغيرهم يقول بجميع ما نقوله في هذا وغيره"** ليس كل من ذكرنا قولهم يقول بكل ما نقوله، ولكن هذه النصوص حتى من نصوص المتكلمين تدل على الإثبات المجمل؛ عندهم إثبات فلماذا أنتم اقتصرتم على الباطل الذي معهم، الحق الذي عند أئمتكم لماذا تركتموه؟

(المتن)

ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به؛ وكان معاذ بن جبل يقول في كلامه المشهور عنه، الذي رواه أبو داود في سننه: اقبلوا الحق من كل مَنْ جاء به؛ وإن كان كافرًا -أو قال فاجرًا- واحذروا زيغة الحكيم. قالوا: كيف نعلم أن الكافر يقول الحق؟ قال: إن على الحق نورًا أو قال كلامًا هذا معناه.

فأما تقرير ذلك بالدليل، وإماطة ما يعرض من الشبه، وتحقيق الأمر على وجه يخلص إلى القلب ما يبرد به من اليقين ويقف على مواقف آراء العباد في هذه المهامِهِ، فما تتسع له هذه الفتوى، وقد كتبت شيئًا من ذلك قبل هذا، وخاطبت ببعض ذلك بعض من يجالسنا، وربما أكتب -إن شاء الله- في ذلك ما يحصل المقصود به.

(الشرح)

"في هذه المهامِهِ" جمع مَهْمَة والمَهْمَة المفازة البعيدة.

يقول شيخ الإسلام هنا معتذرًا للسائل، بعد هذا كله أيضًا يعتذر؛ يقول: **"فأما تقرير ذلك بالدليل، وإماطة ما يعرض"** أولًا ذكره للأدلة، ثم إماطة ما يعرض من الشبه، هذه أيضًا مرحلة.

"وتحقيق الأمر على وجه يخلص إلى القلب ما يبرد به من اليقين"، التحقيق الذي يوصل اليقين.

"**ويقف على مواقف آراء العباد في هذه المهامِهِ**"، يقول تحقيق هذه المقامات كلها "**فما تتسع له هذه الفتوى**"، هذه فتوى.

"**وقد كتبت شيئًا من ذلك قبل هذا، وخاطبت ببعض ذلك بعض من يجالسنا، وربما أكتب -إن شاء الله- في ذلك ما يحصل المقصود به**" هذا كله اعتذار لهذا السائل.

نكتفي بهذا القدر، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أسئلة

السؤال الأول:

شيخنا أحسن الله إليك، ذكر أبو الحسن الأشعري قبل قليل أن المعتبر الإجماع أو ما في معنى الإجماع؛ ما المقصود بمعنى الإجماع؟

الجواب:

الاتفاق، أو إجماع الأكثر؛ اتفاق الأكثر. . .

ولكن يُنكرون هذه الجملة (مقالات الإسلاميين)، هم لا يُنكرون كون الكتاب للأشعري، ولكن يُنكرون هذه الجملة لما ذكر مقالات الناس، جاء إلى مقالات أهل السنة وأصحاب الحديث، وبعد ذكر مقالتهم قال: "**وبه نقول**" يقولون هذه الجملة مدسوسة.

الطالب:. . .

الشيخ: نعم؛ الكتاب من حيث الجملة، وكذلك كتاب (الإبانة)، وكذلك كتاب (الرسالة إلى أهل الثغر)؛ كتب كثيرة ألفها في هذه المرحلة.

الطالب:. . .

الشيخ: طبعًا الجملة التي هي ثقيلة عليهم؛ هي هذه الجملة، الباقي يعدونه نقلًا لمواقف الناس، وإلا لما يعنون أن هذا جملة أقوال أهل السنة؛ هل تتوقع أنه سيُخالفهم؟ العنوان يدل على أن هذا اختياره.

أيضًا شيء آخر؛ ذكر فيه مقالة الكُلابية، ذكر في (مقالات الإسلاميين) مقالة الكُلابية، وذكر فيه مقالة أهل السنة؛ مما يدل على أنه يُغاير بين الموقفين، وأنه يختار هذا دون هذا.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

للإمام الشيخ

شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني

- رحمه الله -

(المجلس الثاني والعشرون)

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد محمدي النورستاني

- حفظه الله -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين. اللَّهم اغفر لنا ولشيخنا آمين.

(المتن)

قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى-: وجماع الأمر في ذلك: أن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه، وقصد اتباع الحق، وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في أسماء الله وآياته.

ولا يحسب الحاسب أن شيئًا من ذلك يناقض بعضه بعضًا البتة.

(الشرح)

بسم الله الرحمن الرحيم، نحمده ونُصلي على رسوله الكريم، أما بعد:

هذا هو الدرس الأخير إن شاء الله من دروسنا حول هذه الرسالة القيمة؛ (الفتوى الحموية الكبرى).

يذكر شيخ الإسلام هنا السبل التي بها تصل إلى الحق، يقول: "**وجماع الأمر في ذلك: أن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور**"، كمال الهدى والنور يحصل بالكتاب والسنة، ولكن ذكر له شروط:

الشرط الأول: "**لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه**"، لابد من التدبر والقراءة والاجتهاد.

الشرط الثاني: "**وقصد إتباع الحق**"، لا يكون تدبرك لتصيد ما قد يكون فيه دفاعًا عن باطلك، وهذا لا يمكن، ولكن كثيرًا من الناس أو بعض الناس يقرأ في الكتاب والسنة؛ لتصيد الأدلة التي قد يمكن استغلالها لباطلها.

الشرط الأخير: "**وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في أسماء الله وآياته**"، هذا المنهج الأعوج الذي سلكه المنحرفون المبتدعة بطوائفهم يُعرض عن هذه الطريقة، لابد أن يحترم كتاب الله -عز وجل-، لا يسمها تحريفًا وتبديلًا وتأويلًا، وعلى هذا سيصل إلى الحق، وسيصل إلى الهدى، وسيُرزق النور.

بعد هذا يُجيب على سؤال، قد يقول قائل: أنا أتدبر وأقرأ، مع ذلك أجد أن بعض النصوص فيها تعارض، بعد التدبر ما أصل إلى الحق، حتى بعد أن يكون قصدي طلب الحق ما أصله، لماذا؟ لخللٍ في النصوص مما يدل على أن هذا الذي تدعيه ليس بصحيح، كيف وهناك تعارض بين النصوص؛ فبعض النصوص فيها إثبات العلو والارتفاع، وبعض النصوص فيها أن الله -عز وجل- مختلط بكم، في النصوص فكيف أصل إلى الحق، وكيف هذه الدعاوي العريضة.

يُجيب على هذا السؤال، يقول: ولا يحسب الحاسب أن شيئًا من ذلك -شيئًا من ذلك بهذا العموم- يُناقض بعضه بعضًا البتة.

مثل؛ ذكر هذا المثال الذي هو أبر الأمثلة عند المبتدعة، وفي هذا المثال بعد دعوى التعارض بين النصوص، بعضهم يقع في التعطيل، وبعضهم يقع في الحلول والإتحاد، فيُجيب عنه.

(المتن)

ولا يحسب الحاسب أن شيئًا من ذلك يناقض بعضه بعضًا البتة، مثل أن يقول القائل: ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه في الظاهر قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: 4]، وقوله صلى الله عليه وسلم: «**إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قِبَل وجهه**» ونحو ذلك، فإن هذا غلط.

(الشرح)

إذًا المدعي يدعي أن بعض النصوص فيها أن الله -عز وجل- مباينٌ لخلقه، وأن الله مستوٍ على عرشه، وفي بعض النصوص أنه مختلط بهم؛ لأن قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ هذا يدل على المخالطة، والمعية تستلزم المخالطة عند هؤلاء، أيضًا «**إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قِبَل وجهه**» وهو هناك أمامه، وكيف تقول أنه فوق العرش مباينٌ عن خلقه، يقول: فإن هذا الزعم غلط.

(المتن)

وذلك أن الله معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة.

(الشرح)

أولًا هذه قاعدة عامة في الصفات، الصفات في الحقيقة هي حقيقةٌ في الخالق، وحقيقةٌ في المخلوق، الخالق متصفٌ بصفاته اللائقة به وبكماله وجلاله حقيقةً، والمخلوق متصفٌ بصفاته التي تليق بضعفه وكونه مخلوقًا حقيقةً، هذا هو الصحيح.

بعض المتكلمين قالوا: الصفات حقيقة في المخلوق مجاز في الخالق، وهذا أخبث الأقوال، وقال أبو القاسم... من المعتزلة: يقول أبو العباس... الصفات حقيقةٌ في الله -عز وجل- مجازٌ في المخلوق. هذا أيضًا غلط، إذًا الله -عز وجل- معنا حقيقةً، وهو فوق العرش حقيقةً، الله -عز وجل- متصفٌ بصفاته حقيقةً، كما أن المخلوق متصفٌ بصفاته حقيقةً.

المعية حقيقة، وكونه فوق العرش حقيقيٌ أيضًا، ولكن ما هي المعية؟

(المتن)

كما جمع بينهما في قوله تعالى: ﴿الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: 4].

فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الأوعال: «والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه».

(الشرح)

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ وهذا فيه العلو، مع ذلك ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ بعلمه، بدأ بالعلم وانتهى بالعلم، أي ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

والأدلة على هذا أكثر من أن تُحصر، الأدلة على كون الله -عز وجل- فوق العرش، على مباينته للمخلوقات، الأدلة على ذلك كثيرة، والأدلة على أنه مع المخلوقين هي هذه الأدلة، إذًا ما هي المعية؟ "فإن هذا غلطٌ" لماذا؟ يذكر الدليل.

(المتن)

وذلك أن كلمة (مع) في اللغة إذا أطلقت، فليس في ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين وشمال، فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى، فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا، أو النجم معنا. ويقال: هذا المتاع معي لمجامعته لك، وإن كان فوق رأسك، فالله مع خلقه حقيقة، وهو فوق عرشه حقيقة.

(الشرح)

يُبين شيخ الإسلام هنا معنى المعية، والمعية عندهم تستلزم المُخالطة، وصحيح أن المعية قد تقضي المخالطة وقد لا تقضي، ولا تستلزم المخالطة أبدًا وعندهم تستلزم، ولهذا وقع عندهم الإشكال.

شيخ الإسلام رتب الأدلة في (الواسطية) باختصار شديد، رتبها ترتيبًا رائعًا، وذكر هناك أربع أدلة على أن المعية لا تستلزم المخالطة.

أولًا: ذكر أن هذا لا توجبه اللغة، وهذا الذي فصّله هنا، هذه الفقرة تفصيلٌ لتلك الفقرة؛ أن هذا لا توجبه اللغة، اللغة لا توجب أن تكون المعية في كل مقام مستلزمةٌ للمخالطة، هذا خطأ، هذا ادعاءٌ على اللغة.

وهذا الخطأ كثير عندهم؛ تجده يدعي أن هذا يستلزم كذا، والأمر كذا، لا؛ لا، لا يستلزم، هذا خطأٌ على اللغة، إذًا اللغة لا توجب أن تكون المعية في كل مكان مستلزمة للمخالطة، هذا أولًا.

ثانيًا: هو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، الإجماع الذي هو حجة، على خلاف الإجماع، هذا أيضًا دليل؛ إذا كان خلاف الإجماع انتبه أن هناك خلل.

ثالثًا: خلاف ما فطر الله عليه الخلق.

رابعًا: ذكر مثالًا يقول: بل القمر في السماء وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان، أشار إليه.

القمر من أصغر مخلوقات الله -عز وجل-، كوكبنا هذا مقارنةً مع غيره من العوالم من أصغر الذرات، فكيف بالقمر، مع ذلك نحن نقول مازلنا نسير والقمر معنا.

إذًا اللغة لا تستوجب، وهذه الأدلة الأخرى أيضًا تدل على أن المعية لا تستلزم المخالطة.

(المتن)

ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد.

(الشرح)

هذا أولًا أن المعية لا تستلزم المخالطة، طيب تستلزم ماذا، المعية تقضي. ماذا؟ مزيدٌ من التوضيح يقول شيخ الإسلام: "**المعية تختلف أحكامها**" باختلاف المواضع؛ "بحسب الموارد".

(المتن)

فلما قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: 4] دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم، شهيد عليكم ومهيمن عالم بكم. وهذا معنى قول السلف: (إنه معهم بعلمه)، وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته.

(الشرح)

هذا نوعٌ من المعية؛ المعية بالعلم والاطلاع والهيمنة، هذا نوعٌ من المعية، هذه المعية عرفناها بالنظر إلى السياق والسباق، هذا نوع.

(المتن)

وكذلك في قوله ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: 7].

(الشرح)

هذه هي المعية العامة.

(المتن)

ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبه في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: 40]، كان هذا أيضًا حقًا على ظاهره.

(الشرح)

هذه معية أخرى، يقول: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾ هذه المعية تزيد على المعية الأولى بالنصر والتأييد، المعية الأولى هي المعية العامة، وهذه المعية تزيد عليها بالنصر والتأييد؛ ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾، هذا أيضًا حقٌ على ظاهره.

"ودلت الحال على أن حكم المعية هنا -مع الاطلاع-: النصر والتأييد.

(الشرح)

"النصر والتأييد" هذا من أين أخذناه؟ يقول شيخ الإسلام: "ودلت الحال" الحال هنا تدل على أن المعية هنا النصر والتأييد، وإلا إن لم يكن المراد النصر والتأييد ما الذي استفادوه من هذه المعية، فالنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُلقنوه أن الله -عز وجل- معنا، وسينصرنا، هذه هي الفائدة، إذًا الحال تُبين أن المعية هنا معية خاصة.

(المتن)

وكذلك قوله: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: 128]، وكذلك قوله لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: 46]. هنا المعية على ظاهرها، وحكمها في هذا الموطن النصر والتأييد.

(الشرح)

كل هذه معية خاصة.

(المتن)

وقد يدخل على صبي من يخيفه، فيبكي، فيشرف عليه أبوه من فوق السقف ويقول: لا تخف، أنا معك، أو أنا حاضر ونحو ذلك.

(الشرح)

"من فوق السقف ويقول: لا تخف؛ أنا معك، أو أنا حاضر" هل الصبي يقول: أنت بعيد؛ كيف تقول أنا معك، لو تنزل حتى تقول؛ حتى يصلح هذا الإطلاق؟

(المتن)

ينبهه على المعية الموجبة بحكم الحال دفع المكروه.

(الشرح)

"**المعية الموجبة بحكم الحال**" هذه الحال تقتضي أن المعية هنا دفع المكروه، وأن أي مكروه يصيبني ترى. . . معية.

(المتن)

ففَرْقٌ بين معنى المعية وبين مقتضاها، وربما صار مقتضاها من معناها، فيختلف باختلاف المواضع.

(الشرح)

دلالة المعية على العلم من دلالة الملزوم على اللازم؛ أولًا، لوازم المعية كثيرة منها العلم، ومنها النصر والتأييد.

أيضًا نقول معنى المعية الاقتران والمصاحبة، أو مطلق الاقتران والمصاحبة، أو مطلق المصاحبة هذا معنى المعية، ومُقتضاها إذا أُطلقت المعية على الله -عز وجل- يكون مقتضاها العلم والقدرة ومعاني الربوبية كلها، وقد تقتضي حسب السياق النصر والتأييد، هذه كلها حسب السياق.

يقول شيخ الإسلام: كلمة مع معناها المصاحبة والمقارنة، ثم ذلك الاقتران يدل على أمور أخرى تكون من لوازم الاقتران؛ مادام هو معك إذًا ما الذي تستفيد منه، هذه لوازم الاقتران والمصاحبة.

فالله -عز وجل- إذا قيل أنه مع خلقه فمن لوازم ذلك علمه بهم، وقدرته وتدبيره لهم وقدرته عليهم، وإذا كان مع بعض مخلوقاته وهو مع الجميع بعلمه وتدبيره، إذا أطلق المعية على بعضهم أليس علمه شاملًا الجميع، فلماذا خصّ هذا البعض، فيكون في السياق ما يدل على أن المعية هنا معية خاصة.

يقول: وإذا كان مع بعضهم خصوصًا، كان في السياق ما يُبين أنه ناصرٌ لهم ومعينٌ لهم. (بيان تلبيس الجهمية).

(المتن)

فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع يقتضي في كل موضع أمورًا لا يقتضيها في الموضع الآخر.

(الشرح)

لا تقول مادام أن المعية هنا بهذا المعنى هنا أيضًا، لا؛ هذا خلط.

(المتن)

فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع، أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها.

(الشرح)

"**فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع**" المعية تختلف، "**أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها**" وهو مطلق المصاحبة، المعية إما أن تدل على مطلق المصاحبة، أو تختلف؛ بحسب السياق، فتكون لكل سياقٍ وسباقٍ معية تناسبه.

(المتن)

-وإن امتاز كل موضع بخاصية- فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب مختلطة بالخلق حتى يقال: قد صرفت عن ظاهرها.

ونظيرها من بعض الوجوه الربوبية والعبودية، فإنها وإن اشتركت في أصل الربوبية والتعبيد، فلما قال: ﴿بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الأعراف: 121-122].

(الشرح)

في بعض النسخ "**فإنهما وإن اشتركتا**"، في نسخة التعليق وفي بقية النسخ هكذا.

أقول نظير المعية في بعض الوجوه، مثلها في بعض الوجوه الربوبية والعبودية، هنا في كونهما ينقسمان إلى ربوبية عامة وربوبية خاصة، وعبودية عامة وعبودية خاصة.

(المتن)

فلما قال: ﴿بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الأعراف: 121-122]، كانت ربوبية موسى وهارون لها اختصاص زائد على الربوبية العامة للخلق.

(الشرح)

﴿بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هذه ربوبية عامة، ثم يقول: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ إذًا ربوبيته لهم ربوبية خاصة.

(المتن)

فإن من أعطاه الله من الكمال أكثر مما أعطى غيره: فقد ربه ورباه، وربوبيته وتربيته أكمل من غيره.

(الشرح)

أيضًا هو يدخل تحت الربوبية العامة، ولكن ربوبيته له خاصة.

هذا بالنسبة للربوبية؛ عندنا الربوبية تنقسم إلى؛ ربوبية عامة تعم جميع المخلوقات، وربوبية خاصة لبعض مخلوقاته، الذين يخصهم الله -عز وجل- بشيء من فضله وقدره.

وكذلك العبودية؛ ﴿عينًا يشرب بها﴾..

(المتن)

وكذلك قوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: 6] و ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾ [الإسراء: 1] .

(الشرح)

العبودية هنا عبودية خاصة، وهذا العبودية واضحة من السياق والسباق.

(المتن)

فإن العبد تارة يعنى به المعبد فيعم الخلق كما في قوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: 93] .

(الشرح)

إذًا الجميع مُعبدون مُقهورون بعبوديته العامة، لا يخرج أحدٌ عن عبوديته العامة، ولذلك يُخلقوا ويولدوا في وقت، ثم يموتوا حتى ولو كان فرعون؛ يموت رغم أنفه، هذه عبودية عامة، وهناك عبودية خاصة كما في هاتين الآيتين، في الآية الأخيرة ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾.

(المتن)

وتارة يُعنى به العُباد فيخص، ثم يختلفون.

(الشرح)

حتى هؤلاء الذين لهم عبودية خاصة؛ العباد أيضًا يختلفون، الضمير يرجع إلى العباد.

(المتن)

فمن كان أعبد علمًا وحالاً، كانت عبوديته أكمل، فكانت الإضافة في حقه أكمل، مع أنها حقيقة في جميع المواضع.

(الشرح)

حتى العُباد العبودية تختلف باختلاف حالهم -وهو العمل- وعلمهم، إذا كان عالمًا ويعمل بعلمه -هذا الذي يُعبر عنه بالحال- عبوديته تكون أكمل، فمن كان أعبد علمًا وحالًا كانت عبوديته أكمل.

الخلاصة أن العبد يتناول معنيين؛ الأول: العابد كُرهًا، وعلى هذا؛ ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾[مريم: 93]، والثاني: وهم عباد الرحمن.

إذًا هذا الاختلاف هل تجعل أنت يا أيها المبتدع هذا الاختلاف دليلًا على الاضطراب، لا؛ هذا الاختلاف كيف عرفناه نحن؟ بالنظر إلى النصوص، النصوص تدل على أن الربوبية في بعض المواضع بمعنى الربوبية العامة، وفي بعض المواضع بمعنى الربوبية الخاصة، وكذلك المعية وكذلك العبودية.

(المتن)

ومثل هذه الألفاظ يسميها بعض الناس (مشككة) لتشكيك المستمع فيها.

(الشرح)

في بعض النسخ "لتشكك المستمع فيها"، وهذا هو الصحيح؛ لأن الشك هنا من المستمع، وليس من غيره، ولا يُشكك غيره.

(المتن)

هل هي من قبل الأسماء المتواطئة، أو من قبل المشتركة في اللفظ فقط، والمحققون يعلمون أنها ليست خارجة عن جنس المتواطئة؛ إذ واضع اللغة إنما وضع اللفظ بإزاء القدر المشترك، وإن كانت نوعًا مختصًا من المتواطئة، فلا بأس بتخصيصها بلفظ.

(الشرح)

أظن سبق أن ذكرنا هذا التقسيم أن الألفاظ منها متواطئة ومنها مشتركة، ومنها متواطئة مشككة على هذا التجويز من شيخ الإسلام، الألفاظ المتواطئة ما اتفق في اللفظ والمعنى، كالإنسان والتعدد هنا. . . ، كلهم يشتركون في اللفظ فهو إنسان، وكلهم يشترك في المعنى فله من معاني الإنسانية ما لغيره، هذه الألفاظ المتواطئة.

وهناك ألفاظ مشتركة، اتفقت في اللفظ واختلفت في المعنى، وعكسها الترادف. المشتركة مثل كلمة العين؛ تُطلق على الباصرة وعلى العين الجارية وعلى الجاسوس وعلى الذهب وعلى الذات، وكما قلت عكسها المترادفة.

ومن الألفاظ ما يكون الحكم فيه متأرجحًا، تشك فيه أن هذا من هذا أو من هذا، مثلًا كلمة الحي أو اسم الحي إطلاقه على الله -عز وجل- وعلى الإنسان من أي الأنواع، أنت لما تنظر إلى حقيقة الحياة، وأن حياة الإنسان في الحقيقة لا تستحق أن تُسمى حياة، ليست بيده لا ابتداءً ولا انتهاءً ولا في الوسط أبدًا؛ ليس في يده منها شيء، لا يدري عنها أصلًا؛ هل كنت تدري متى تولد؟ ما كنت تدري، كلنا ما كنا ندري، وهل ندري نحن متى نموت مع كل هذا التطور المذهل، الفراعنة هؤلاء يدرون؟ ما يدرون، إذًا هذه ليست حياة في الحقيقة، هذه نظرة.

نظرة أخرى أن الحياة هذه ضد الموت، وهناك فرق بيني وبين هذا، من هذه الناحية يصلح أن يُطلق عليها حياة، من الناحية الأولى ما يصلح أن يُطلق عليها حياة، فالحياة هي حياة الله -عز وجل-؛ ﴿اللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ لا بداية لها ولا نهاية لها، وحياته هي الحياة الكاملة، هذه هي الحياة، فماذا نُطلق عليها؟ هي فعلًا تُشكك هنا؛ هل هي من قبيل المتواطئة أو من قبيل الألفاظ المشتركة، الحياة لفظٌ واحد؛ حياة الإنسان غير وحياة

الخالق غير وحياة المخلوق غير، هل هي هكذا، أو هل هي من الألفاظ المتواطئة؛ حياة الإنسان مثل حياة الخالق مثل حياة المخلوق والعكس، مثلما يشتركون في الإنسانية؛ هل هي هكذا؟

يُرجح شيخ الإسلام أنها من قبيل الألفاظ المتواطئة، والألفاظ المتواطئة فيها نوع يصلح أن تُسميه مشكك، يقول في الأخير هنا: "**وإن كانت نوعًا مختصًا من المتواطئة، فلا بأس بتخصيصها بلفظ**"، إذا كنت تريد أن تُخصص بلفظٍ؛ باصطلاحٍ خاص سمِّها، ولكنها من النوع المتواطئ.

وفي المتواطئ يكون هناك تفاوت في المعنى؛ مثلًا البياض بياض هذا يختلف عن بياض الإنسان مثلًا، متواطئة. . . في البيان هذا أبيض وهذا أبيض ولكنها متفاوتة، إذًا هذا التفاوت في حياة الإنسان وحياة الخالق وفي حياة المخلوق، مثل هذه الصحيح أنها من الألفاظ المتواطئة؛ تتفق في أصل المعنى، التواطؤ لا يستلزم التساوي في المعنى، وهذا كثير.

الصحيح أنها من الألفاظ المتواطئة، وإن أردت أن تُسميها باصطلاحٍ خاص، وتقول مثلًا هي من الألفاظ المُشككة فلك ذلك، ولكن هذا النوع من المتواطئ.

هذه النسب بين الألفاظ واضحة، يعرفها الجميع، ويبحث فيها المناطقة وغير المناطقة، ولا تختلط، ولكننا لما نأتي إلى الألفاظ الشرعية وإلى المعاني الشرعية، يبدأ الخلط هنا أحيانًا عمدًا وأحيانًا جهلًا، يجعل بعض المعنى حجةً لإنكار بعض المعنى، أو حجةٌ للخلط والتلبيس في بعض المعاني.

الطالب: . . .

الشيخ: أبدًا، إذا كانت مشتركة إذًا حياة الإنسان حياة لا تشترك مع حياة الخالق في شيء، وحياة الخالق لا تشترك، في أصل المعنى الذي هو الحياة ضد الموت مشتركة؛ مشتركة في أصل المعنى، ولكنها تتفاوت تفاوتًا عظيمًا.

وفي الألفاظ المشتركة ليس هناك اشتراك في المعاني، الاشتراك في اللفظ فقط، فإذا قلت أنها مشتركة تكون هذه الحياة غير، وهذه الحياة غير؛ كالتغاير بين العين الباصرة والعين الجارية.

الطالب:. . .

الشيخ: لأصل المعنى. . يعني هذه. . . مختلفة في الحقيقة؛ لأن حقائقها تختلف.

(المتن)

ومن علم أن المعية تضاف إلى كل نوع من أنواع المخلوقات -كإضافة الربوبية مثلاً- وأن الاستواء على الشيء ليس إلا للعرش، وأن الله يوصف بالعلو والفوقية الحقيقية، ولا يوصف بالسفول ولا بالتحتية قط، لا حقيقة ولا مجازًا: علم أن القرآن على ما هو عليه من غير تحريف.

(الشرح)

إذًا إذا نظرت بنظرة تمعن للنصوص ليس هناك تعارض، وأن الله -عز وجل- متصفٌ بصفة العلو والاستواء حقيقةً، مع اتصافه بصفة المعية حقيقةً.

(المتن)

ثم من توهم أن كون الله في السماء بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه فهو كاذبٌ -إن نقله عن غيره-، وضالٌّ -إن اعتقده في ربه- وما سمعنا أحدًا يفهمه من اللفظ، ولا رأينا أحدًا نقله عن أحد، ولو سئل سائر المسلمين: هل تفهمون من قول الله تعالى ورسوله «أن الله في السماء» أن السماء تحويه؟ لبادر كل أحد منهم إلى أن يقول: هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا.

(الشرح)

لازال شيخ الإسلام يوضح هذا المعنى، ويقول لهم: من أين جئتم بهذا المعنى، أنه إذا قيل الله في السماء معناه أن السماء تُحيط به وتحويه، كيف فهمتم هذا؟

لا أحد من المسلمين الذين فطرتهم سليمة؛ فطرتهم لم تتلوث، لا أحد يفهم هذا الفهم.

يقول: "ثم من توهم أن كون الله في السماء بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه فهو كاذبٌ -إن نقله عن غيره-" فهما هو حال المتكلمين؟ "وضالٌّ -إن اعتقده في ربه-".

(المتن)

وإذا كان الأمر هكذا فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئًا محالًا لا يفهمه الناس منه.

(الشرح)

أليس من الظلم أن يجعل ظاهر اللفظ؛ اللفظ هنا لفظ من؟ لفظ الله -عز وجل-؛ كلام الله -عز وجل- وكلام رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يجعل ظاهره ويتكلف في ذلك؛ حتى يجعل ظاهره محالًا لا يفهمه الناس منه، فهذا من أين بهذا الظاهر، وهذا التكلف تجدونه في كتب المتكلمين.

(المتن)

ثم يريد أن يتأوله بل عند المسلمين أن الله في السماء وهو على العرش واحد، إذ السماء إنما يراد به العلو، فالمعنى أن الله في العلو لا في السفل، وقد علم المسلمون أن كرسيه سبحانه وسع السماوات والأرض وأن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وأن العرش خلق من مخلوقات الله لا نسبة له إلى قدرة الله وعظمته، فكيف يتوهم بعد هذا أن خلقًا يحصره ويحويه، وقد قال سبحانه: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: 71]، وقال تعالى: ﴿فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ﴾ [آل عمران: 137] بمعنى علا ونحو ذلك، وهو كلام عربي حقيقة لا مجازًا وهذا يعلمه من عرف حقائق معاني الحروف، وأنها متواطئة في الغالب لا مشتركة.

(الشرح)

عندنا كلمتان؛ كلمة السماء وكلمة في، السماء تأتي بمعنيين؛ تأتي بمعنى مطلق العلو، وتأتي بمعنى الأجرام المبنية؛ السبع سموات وفوقها عرش رب العالمين.

﴿فِى السَّمَاءِ﴾ إذا كانت ﴿السَّمَاءِ﴾ بمعنيين، ﴿فِى﴾ تأتي على بابها وهذا هو الغالب، وتأتي بمعنى علا أيضًا.

إذا كان المراد بـ ﴿السماء﴾ العلو فـ ﴿في﴾ على بابها، إذا كانت ﴿السماء﴾ بمعنى الأجرام المبنية؛ فـ ﴿في﴾ بمعنى علا.

وذكر شيخ الإسلام في القاعدة الرابعة من (التدمرية) أن ﴿في﴾ للظرفية المطلقة؛ ﴿في﴾ لمطلق الظرفية، وتختلف باختلاف المظروف، وتختلف باختلاف ما قبلها وما بعدها.

فمثلًا نحن نقول: هذا الشيء في المكان. ونقول: هذا الشيء في الحيز. يختلف؛ هناك فرقٌ بين المكان والحيز، هذا مكانه هذا، وحيزه هذا الذي يشغله، هذا المكان الذي يشغله ولا يمكن أن يشغله غيره هذا هو الحيز.

أيضًا كون العرض وكون الصفة في الجسم هناك اتصال في هذه الظرفية، وإلم يكن هناك اتصال لا تكون صفة؛ هنا الاتصال ضروري.

وكون الوجه في المرآة، الوجه ليس في المرآة، ولا المرآة هذه هل تسع الوجه؟ هذه الظرفية تختلف، مثالها الوجه. . .

وكون الكلام في الورق، (في) هذه حقيقة فيها كلها، فمعناها يتحدد بالنظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها.

تأتي وتتمسك وتقول شوف الكلام في الورق، هذه أليس (في) للظرفية؟ هنا ظرفية خاصة، وهكذا ينبغي أن يكون في قولك: وجهي في المرآة. خلط؛ وللأسف الشديد الخلط الذي يمارسه المتكلمون عن عمد أو عن غير عمد شيء مهول، وعن هذا الخلط جاءوا بنظريات كثيرة نحن شُغلنا بها.

"**وأنها متواطئة في الغالب لا مشتركة**"، الاشتراك في الغالب هو خلاف الأصل، وهناك من يقول لا يوجد اشتراك في اللغة، يوجد ولكنه خلاف الأصل، فلا يُلجأ إليه إلا في أضيق الحدود.

(المتن)

وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه، فلا يبصق قبل وجهه**» الحديث حق على ظاهره، وهو سبحانه فوق العرش، وهو

قبل وجه المصلي، بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات؛ فإن الإنسان لو أنه يناجي السماء ويناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه وكانت أيضًا قبل وجهه.

(الشرح)

الحديث متفق عليه، سبق تخريجه.

أنا الآن لما أُخاطب الشمس كم بيني وبين الشمس من المسافة، مع ذلك أمامي، هذا في المخلوقات الصغيرة هذه، فالله -عز وجل- ﴿ وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ﴾، يعني هم المتكلمون كما يقولون أخضعوا الغائب بأحكام الشاهد، وقالوا هذا مستحيل وهذا مستحيل، هذا هكذا هنا الظاهر، هذا تمثيل.

(المتن)

وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل بذلك -ولله المثل الأعلى، ولكن المقصود بالتمثيل بيان جواز هذا وإمكانه لا تشبيه الخالق بالمخلوق- فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**ما منكم من أحد إلا سيرى ربه مُخْلِيًا به**». فقال له أبو رُزين العقيلي: كيف يا رسول الله، وهو واحد ونحن جميع؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**سأنبئك مثل ذلك في آلاء الله، هذا القمر كلكم يراه مُخْلِيًا به وهو آية من آيات الله، فالله أكبر**» أو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم.

(الشرح)

المحقق ذكر هنا مشكورًا أنه لم يقف عليه بهذا اللفظ، ذكر اللفظ يقول أبو رزين: يا رسول الله كلنا يرى ربه يوم القيامة، وما آية ذلك في خلقه؟ يعني اضرب لي مثالًا يُقرب لي هذا، فقال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**أليس كلكم يرى هذا القمر مُخْلِيًا به**».

أنت هنا لوحدك تنظر إلى القمر، وهذا لوحده هكذا، قلت: بلى. قال: «**فالله -عز وجل- أعظم**».

(المتن)

وقال: «**إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر**» فشبه الرؤية بالرؤية، وإن لم يكن المرئي مشابهًا للمرئي.

(الشرح)

شبّه الرؤية بالرؤية في الظهور وفي الوضوح وفي العلو وفي الفوقية؛ الظهور والوضوح والعلو والفوقية. . . ، شبّه الرؤية بالرؤيةفي هذه الأمور الثلاثة؛ في الظهور والوضوح، وفي العلو والفوقية، وفي نفي الإحاطة.

نحن نرى القمر، ولكن هل نُحيط به؟ هل نظنه قرص هكذا، أليس كذلك، والشمس ننظر إليها ونظنها قرص ملتهب، وهذه النجوم ننظر إليها ونظنها هكذا وقد تكون هي أكبر من هذا الكوكب بمليارات المرات، إذًا نراها وهي واضحة، وهي فوقنا، ولا نُحيط بها.

(المتن)

فالمؤمنون إذا رأوا ربهم يوم القيامة وناجوه كل يراه فوقه قبل وجهه كما يرى الشمس والقمر، ولا منافاة أصلاً.

ومن كان له نصيب من المعرفة بالله والرسوخ في العلم بالله يكون إقراره بالكتاب والسنة على ما هما عليه أوكد.

(الشرح)

هذا حسب نصيبه من المعرفة بالله -عز وجل-، وحسب نصيبه من الرسوخ في العلم بالله، "يكون إقراره بالكتاب والسنة على ما هو عليه أوكد".

(المتن)

واعلم أن من المتأخرين من يقول: مذهب السلف إقرارها على ما جاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد، وهذا لفظ مجمل، فإن قوله: ظاهرها غير مراد.

(الشرح)

هؤلاء هم المفوضة، شيخ الإسلام هنا يُناقش المفوضة، من هنا إلى صفحة خمسمائة وعشرة، وهؤلاء عندهم نوعٌ خاصة من الجهل، عندهم جهل ويجعلون النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والصحابة أيضًا مثلهم! لذلك يُسميهم شيخ الإسلام أهل التجهيل، فهم أهل الجهل والتجهيل، وهذا الجهل ينسبونه إلى السلف بأنه صفة مدح؛ يعني على مذهب السلف وهم كانوا مفوضة، ينسبون إليهم هذا الجهل كأنهم يمدحونهم!

يقول شيخ الإسلام أن من المتأخرين من يقول مذهب السلف إقرارها على ما جاءت به، مع اعتقاده أن ظاهرها غير مراد! كيف أقررتها؟ ما أقررتها؛ إقرارها على ما جاءت به، جاءت لماذا؟ جاءت بالمعاني هذه، الألفاظ جاءت بالمعاني، وأنت لما تقول: مع اعتقادي أن ظاهرها غير مراد. ما أقررتها، فالمقولة كما ذكرنا مرارًا متناقضة في نفسها، وهذا الإقرار لفظٌ مجمل، ذكره؛ ناقشه من ناحيتين.

"**فإن قوله: ظاهرها غير مراد**"؛ يعني قوله ظاهرها غير مراد هذا مجمل.

(المتن)

فإن قوله: ظاهرها غير مراد، يحتمل أنه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المُحدَثين.

(الشرح)

"المُحدَثين" هي المخلوقات.

هناك فرق بين النعت والصفة ذكرها ابن القيم -رحمه الله تعالى-، لا أستحضرها الآن، ولكن هنا النعت والصفة بمعنى "**نعوت المخلوقين وصفات المُحدَثين**" أي صفات المخلوقين، المحدثون هم المخلوقون.

(المتن)

مثل أن يراد بكون الله «قِبَل وجه المصلي» أنه مستقر في الحائط الذي يصلي إليه، وأن «**الله معنا**» ظاهره أنه إلى جانبنا، ونحو ذلك، فلا شك أن هذا غير مراد.

(الشرح)

طبعًا هذه المسألة خصص لها شيخ الإسلام قاعدة خاصة في (التدمرية)؛ القاعدة الثالثة، نحن لما نقول الظاهر مراد أو الظاهر غير مراد، فما هو هذا الذي نقول عنه مرادٌ أو غير مراد، ذكر هنا بالتفصيل.

قد يقول هذا الذي يقول الظاهر غير مراد، قد يكون مراده أن ما يليق بالمخلوقين غير مراد، مثلًا ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه: 5] والاستواء فيه احتياج وهذا غير مراد؛ لأن

ظاهر الاستواء الاحتياج، لأن المستوي يحتاج إلى المستوى عليه، ويسقط بسقوطه، كما هو حالي الآن على الكرسي، فقد يكون هذا مراده.

مثلما في قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**الله -عز وجل- قِبَل وجه المصلي**» الظاهر أنه مستقرٌ في الحائط الذي يُصلي إليه، «**الله معنا**» ظاهره أي إلى جانبنا مختلطٌ بنا، المعنى الأول أن الظاهر غير مراد؛ أن الظاهر هو ما يليق بالمخلوقين.

(المتن)

ومن قال: إن مذهب السلف: أن هذا غير مراد، فقد أصاب في المعنى، لكن أخطأ في إطلاق القول بأن هذا هو ظاهر الآيات والأحاديث، فإن هذا هو المحال ليس هو الأظهر على ما قد بيناه في غير هذا الموضع. اللّهم إلا أن يكون هذا المعنى الممتنع صار يظهر لبعض الناس، فيكون القائل لذلك مصيبًا بهذا الاعتبار، معذورًا في هذا الإطلاق.

فإن الظهور والبطون قد يختلف باختلاف أحوال الناس وهو من الأمور النسبية. وكان أحسن من هذا أن يبين لمن اعتقد أن هذا هو الظاهر: أن هذا ليس هو الظاهر، حتى يكون أعطى كلام الله وكلام رسوله حقه لفظًا ومعنى.

(الشرح)

إذًا هذا المعنى الأول، الذي يقول الظاهر غير مراد، قد يكون المقصود بالظاهر عنده ما يليق بالمخلوقين، فنحن نقول له أصبت في نفي هذا الظاهر، وفي إزالة هذا الظاهر، ولكنك أسأت جدًا في تسميته ظاهرًا، وهذا من سوء فهمك وهذا من جهلك المركب؛ جهلك مركب، ظاهر كلام الله -عز وجل- هذا المحال؟! ظاهر كلام الله -عز وجل- هذا الكفر؟! تأتي تقول الظاهر غير مراد! هكذا ترمي؟

فنفي هذا الظاهر صحيح، ولكن تسميته ظاهرًا هذا جهل مركب، والمفوض للأسف الشديد في إزالة هذا الظاهر، هذا المفوض -قلت لكم هذا مفوض- في إزالة هذا الظاهر مع المؤول.

ذكر الجويني أن التأويل له ركنان، التأويل الذي عاش عليه -رحمه الله تعالى- ثم تاب من التأويل ووقع في التفويض، يقول: التأويل له ركنان؛ الركن الأول: إزالة الظاهر. يقول: هذا أعظم الركنين، وهذا أهم الركنين؛ لأنك إذا قلت أن الظاهر غير مراد، الركن الأخير ليس مهمًا، لذلك يقول أن من أزال الظاهر وتوقف في تحديد المراد، يقول: هذا وافق المؤولة، ويقول: توقفه في تحديد المراد هذا سهل. إذًا الركن الأول: إزالة الظاهر.

الركن الثاني: تحديد المراد، إذا كان هذا الظاهر غير مراد، إذًا ما هو المراد يا المريسي.؟ سنفهم كلام الله -عز وجل- وكلام رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في مدرسة الجهم، وفي مدرسة المريسي وابن أبي دواؤد إلى غيرهم من العتاة هؤلاء.

الركن الثاني هو تحديد المراد، وأهم الركنين كما يقول إمام الحرمين الجويني؛ إزالة الظاهر، وهذا المفوض الذي سمى نفسه مفوض، والذي يرفع دائمًا لافتة الله أعلم، هذا وافقهم في هذا ال. .

لذلك يقول الجويني: من وافقك على إزالة الظاهر، ولم يوافقك على تحديد المراد فالأمر سهل، هذا يقوله في كتابه (الشامل)، عندهم (الإرشاد إلى قواطع الأدلة)، و (الشامل) ما أدري شامل في ماذا؟!

إذًا هذا المفوض وافقهم في الركن الأول، وبالتالي ليس مفوضًا. . . ، لو كان مفوضًا صحيحًا سيأتي، المفوض الصحيح ستأتي حاله؛ ذاك المتوقف المتردد المضطر، الذي لا يدري عن نفسه في أي وادٍ هلك، هذا هو المفوض سيأتي بيانه، أما هذا الذي يوافق المؤولة في الخطوة الأولى هذا ليس مفوضًا؛ هذا مؤول هذا متكلم.

إذًا هذا الذي يقول أن ما يليق بالمخلوقين غير مراد، نقول له أصبت في نفي هذا الظاهر، ولكنك أخطأت في تسميته ظاهرًا.

لاحظوا هنا يقول: "**فإن هذا هو المحال ليس هو الأظهر على ما قد بيناه في غير هذا الموضع**".

يقول في (التدمرية): يقول الله -تعالى- أعلى وأحكم؛ من أن يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه إلا ما هو كفرٌ وضلال.

وبالتالي هذا مجرم هذا، هذا الذي يقول هذا الظاهر وأزلته، هذا الظاهر ليس بحاجة إليك وإلى إزالتك. وكما قلت فصّل شيخ الإسلام في هذا في (التدمرية).

هنا يقول في آخر الفقرة: "**وكان أحسن من هذا أن يبين لمن اعتقد أن هذا هو الظاهر: أن هذا ليس هو الظاهر، حتى يكون أعطى**"؛ يعني كان أحسن أن يقول ترى هذا ليس ظاهرًا، يُعالج، الذي يقول هذا الظاهر يقول له هذا ليس ظاهرًا، هذا هو الصحيح.

"**حتى يكون أعطى كلام الله وكلام رسوله حقه**" حقه من التقديس والتعظيم والتنزيه، كلام الله -عز وجل- يستحق التقديس، الله -عز وجل- سبّح نفسه وسبّح أسمائه؛ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾[الأعلى: 1] التسبيح هنا لاسمه، وهذا دائمًا أسماء الله -عز وجل- التي أثبتها لنفسه لا يُسبحها ولا يُنزهها ولذلك يقع في حقبة التعطيل.

"**حقه لفظًا ومعنى**" فألفاظ الكتاب والسنة هي أعظم الألفاظ، وهي أعظم المعاني، كيف تفهم منها هذا الكفر والضلال.

(المتن)

وإن كان الناقل عن السلف أراد -بقوله الظاهر غير مراد عندهم- أن المعاني التي ظهرت من هذه الآيات والأحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته، ولا يختص بصفة المخلوقين، بل هي واجبة لله، أو جائزة عليه جوازًا ذهنيًا، أوجوازًا خارجيًا: غير مراد، فهذا قد أخطأ فيما نقله عن السلف، أو تعمد الكذب، فما يمكن أحد قط أن ينقل عن واحد من السلف ما يدل -لا نصًا ولا ظاهرًا- أنهم كانوا يعتقدون أن الله ليس فوق العرش، ولا أن الله ليس له سمع وبصر ويد حقيقة.

(الشرح)

المعنى الثاني أن يكون الظاهر ما يظهر من كلام الله -عز وجل- ومن كلام رسوله؛ من المعاني التي تليق بالله -عز وجل-، تلك المعاني التي هي المقصودة بالألفاظ، يقول هذا

هو الظاهر وهو غير المراد، فنقول له أصبت في وصفه الظاهر، ولكنك أخطأت في نفيه؛ كيف تنفيه، أنت تعترف أن هذا هو الظاهر من هذا الكلام وتنفيه! لماذا تنفيه؟! هذا الذي يليق بالله -عز وجل-.

يقول "**أن المعاني التي ظهرت من هذه الآيات والأحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته**"، ومما الواو للعطف، "**ولا يختص بصفة المخلوقين، بل**" صفة الله -عز وجل- "**بل هي واجبة لله، أو جائزة عليه جوازًا ذهنيًا، أوجوازًا خارجيًا**" تعرفه أنت "**غير مراد، فهذا قد أخطأ فيما نقله عن السلف**"، أنت تقول أن السلف قالوا هذا الظاهر غير مراد، هذا خطأ، غير مراد عندك أما أن تُقحم السلف في هذا الجهل لا يجوز.

يقول: "**قد أخطأ فيما نقله عن السلف أو تعمد الكذب**" وهذا للأسف موجود، "**فما يمكن أحد قط أن ينقل عن واحد من السلف ما يدل -لا نصًا ولا ظاهرًا- أنهم كانوا يعتقدون أن الله ليس فوق العرش، ولا أن الله ليس له سمع وبصر ويد حقيقةً**".

إذًا الذي يقول الظاهر غير مراد هذا فيه إجمال؛ قد يكون الظاهر عنده ما يليق بالمخلوقين، فنفيه لهذا الظاهر صحيح، ولكن تسميته ظاهرًا خطأ، وقد يكون فهمه للظاهر صحيح، وينفيه وينسبه للسلف؛ فنقول نفيك ونسبته إلى السلف خطأ، السلف يقولون ويعتقدون ويؤمنون بهذا الظاهر الذي يليق بالله -عز وجل-.

الطالب: . . .

الشيخ: حسب علمك، أنت مثلًا تقول أنا أعرف أن هذه الصفة فعلًا تجوز لله -عز وجل- كذا وكذا، الذهني ليس عندك مانع مثلًا من آية من حديث، فليس عندك مانع، الخارجي قد عرفته، الذهني ليس عندك مانع من. . والله أعلم؛ يظهر لي هذا، نُكمل إن شاء الله بعد الأذان.

في صفة الاستواء الظاهر هو العلو والارتفاع، إزالة الظاهر أن يقول ليس المراد هنا هو العلو والارتفاع، أزال هذا المفوض، المفوض يقول لا أستطيع أن أثبت العلو والارتفاع،

وليس ظاهر الاستواء هو العلو والارتفاع، حتى لو كان ظاهر الاستواء العلو والارتفاع هذا غير مراد، هذه الخطوة الأولى.

الخطوة الثانية: تحديد المعنى، مادام أن العلو والارتفاع غير مراد فما هو المراد؟ الجويني يقول الاستواء: الاستيلاء.

(المتن)

وقد رأيت هذا المعنى ينتحله بعض من يحكيه عن السلف، ويقول: إن طريقة أهل التأويل هي -في الحقيقة- طريقة السلف.

(الشرح)

هذه الدعوى من أغرب الدعاوى، هناك حرب طاحنة بين الخلف والسلف، وطريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم، مع ذلك يأتي بعضهم ويقول ليس هناك خلافٌ بين السلف والخلف!

وشيخ الإسلام هنا يقول: "**وقد رأيت هذا المعنى ينتحله بعض من يحكيه عن السلف**"، ولم يذكر لنا من، وأنا لم أطلع على تحديدهم عند شيخ الإسلام، وأول من رأيته من هذا القبيل هو ابن جماعة في كتابه (إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل)، ما أدري من هو، ذكر هذا؛ ذكر أنه ليس هناك خلافٌ بين السلف والخلف، سبحان الله، سبحان الله.

إذًا لماذا هذا؛ طريقة السلف، طريقة الخلف، كل هذا لماذا، مادام أنكم لا تختلفون مع السلف لا تخالفونهم.

وقد قلّده في ذلك كثيرون؛ منهم. . . ومنهم الكوثري ومنهم صاحب. . هذا الذي له. . عبد العظيم فلان، له كتاب في علوم القرآن، من أشهر الكتب في علوم القرآن، ليس الزرقاني، معاصر هو، كتاب كبير، أظن (مناهل العرفان) هذا اسمه، معاصر، كُثر، ما شاء الله ليس هناك خلاف بين الخلف والسلف.

(المتن)

ويقول: إن طريقة أهل التأويل هي -في الحقيقة- طريقة السلف، بمعنى أن الفريقين اتفقوا على أن هذه الآيات والأحاديث لم تدل على صفات الله سبحانه، ولكن السلف أمسكوا عن تأويلها، والمتأخرون رأوا المصلحة تأويلها، لمسيس الحاجة إلى ذلك ويقول: الفرق أن هؤلاء يعينون المراد بالتأويل، وأولئك لا يعينون لجواز أن يراد غيره.

(الشرح)

الصحيح أن هؤلاء السلف الذين هم تقمصوا هم المفوضة، المفوضة هؤلاء هم السلف وأعلم ما يقولون هذا مذهب السلف ترى هم، أنت لما تقول أيها المؤولة أن نحن والمفوضة متفقون كلامك دقيق، أما أن تقول طريقة أهل التأويل هي في الحقيقة طريقة السلف، وتقصد بالسلف أولئك السلف هذا خطأ، كما ذكر شيخ الإسلام في المقولة السابقة: طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم. أن هذه المقولة كاذبة؛ فيها كذب على السلف، وهكذا هنا، هؤلاء لا أدري من هم السلف؛ هم المفوضة، أما السلف لا؛ السلف بريئون عن هذه.

أيضًا غريب أنت دائمًا ترد على من هو على مذهب السلف، ثم تدعي أنه ليس هناك خلاف، فإذًا تُحارب من؟!

(المتن)

وهذا القول على الإطلاق كذب صريح على السلف: أما في كثير من الصفات فقطعًا.

(الشرح)

فقطعًا هو كذب على السلف.

(المتن)

مثل أن الله فوق العرش، فإن من تأمل كلام السلف المنقول عنهم -الذي لم يحك هنا عشره-.

(الشرح)

يقول ما نقلته هنا أقل من العُشر.

(المتن)

عَلم بالاضطرار أن القوم كانوا مصرحين بأن الله فوق العرش حقيقة، وأنهم ما اعتقدوا خلاف هذا قط، وكثير منهم قد صرح في كثير من الصفات بمثل ذلك.

(الشرح)

يعني هذا الإطلاق كذبٌ صريحٌ على السلف في كثيرٍ من الصفات قطعًا.

(المتن)

والله يعلم أني بعد البحث التام، ومطالعة ما أمكن من كلام السلف، ما رأيت كلام أحد منهم يدل -لا نصًا ولا ظاهرًا، ولا بالقرائن- على نفي الصفات الخبرية في نفس الأمر؛ بل الذي رأيته أن كثيرًا من كلامهم يدل -إما نصًا، وإما ظاهرًا- على تقرير جنس هذه الصفات.

(الشرح)

مادام أثبت بعض الصفات إذًا هو يُخالفكم.

(المتن)

ولا أنقل عن كل واحد منهم إثبات كل صفة، بل الذي رأيته أنهم يثبتون جنسها في الجملة؛ وما رأيت أحدًا منهم نفاها، وإنما ينفون التشبيه.

(الشرح)

التشبيه هنا بمعنى التمثيل، وهو التشبيه في الخصائص؛ تشبيه صفات المخلوقين بصفات الله -عز وجل- فيما تختص به صفات الله -عز وجل-، هذا هو التشبيه الذي يجب أن يُنفى، فصفات الله -عز وجل- لها خصائصها وصفات المخلوقين لها خصائصها، وهذه الخصائص لا يجوز أن تُشبه صفات المخلوقين بتلك الصفات في تلك الخصائص، إذًا التشبيه هنا بمعنى التمثيل.

(المتن)

وينكرون على المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه، مع إنكارهم على من نفى الصفات؛ كقول نعيم بن حماد الخزاعي -شيخ البخاري-.

(الشرح)

نعيم بن حماد الخزاعي من أبرز مشايخ الإمام البخاري، توفي سنة مائتين وتسعة وعشرين، وقد افتُتن -رحمه الله تعالى- وامتُحن على موقفه.

(المتن)

كقول نعيم بن حماد الخزاعي -شيخ البخاري-: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهًا.

(الشرح)

يعني ذكر ثلاث جمل فيها تلخيص هذا الباب؛ الجملة الأولى: من شبه الله بخلقه فقد كفر؛ لأنه جعل الخالق مخلوقًا، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، أخيرًا وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهًا، كيف يكون ما وصف الله به نفسه تشبيهًا؟

(المتن)

وكانوا إذا رأوا الرجل قد أغرق في نفي التشبيه من غير إثبات الصفات قالوا: جهمي مُعَطِّل.

(الشرح)

كانوا يقولون هذا جهميٌ معطل، فالجهمية تُرادف النفي والتعطيل، والتعطيل مرادف للجهمية، كانوا يقولون عن كل من ينفي أنه جهمي معطل، وذكرنا سابقًا أن الجهمية على ثلاث طبقات ذكرها شيخ الإسلام في (التسعينية).

من هذا الباب يقول أحد الشعراء:

جهمية الأوصاف إلا أنها ... قد حُليت بمحاسن الأشياء

(جهمية الأوصاف) ليس فيها صفة... (جهمية الأوصاف) نظيفة، (إلا أنها قد حُليت محاسن الأشياء) يعني الجهمية للنفي.

(المتن)

وهذا كثير جدًا في كلامهم، فإن الجهمية والمعتزلة إلى اليوم يسمون من أثبت شيئًا من الصفات مشبهًا -كذبًا منهم وافتراء-.

(الشرح)

وهذا كذب، كل من يثبت شيئًا من الصفات يُسمونه مشبه.

نُكمل بعد الصلاة، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

شرح

الفتوى الحموية الكبرى

للإمام الشيخ

شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني

- رحمه الله -

(المجلس الثالث والعشرون)

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد محمدي النورستاني

- حفظه الله -

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، اللّهم اغفر لنا ولشيخنا، آمين.

(المتن)

قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى-: وكانوا إذا رأوا الرجل قد أغرق في نفي التشبيه من غير إثبات الصفات قالوا: جهمي مُعَطِّل؛ وهذا كثير جدًا في كلامهم، فإن الجهمية والمعتزلة إلى اليوم يسمون من أثبت شيئًا من الصفات مشبهًا -كذبًا منهم وافتراء- حتى إن منهم من غلا ورمى الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- بذلك، حتى قال ثُمَامة بن أشرس من رؤساء الجهمية.

(الشرح)

من رؤسائهم كما قال شيخ الإسلام، تلميذ بشر بن المعتمر، توفي سنة مائتين وثلاثة عشر.

(المتن)

حتى قال ثُمَامة بن أشرس من رؤساء الجهمية: ثلاثة من الأنبياء مشبهة، موسى حيث قال: ﴿إِنْ هِىَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف: 155] .

(الشرح)

﴿إِنْ هِىَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ﴾ إن هذا عملك؛ لأن أثبت له هذا وهذا تشبيه.

(المتن)

وعيسى حيث قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: 116].

(الشرح)

أثبت لله -عز وجل- النفس.

(المتن)

ومحمد حيث قال: «ينزل ربنا».

(الشرح)

على منطقه جميع الأنبياء كلهم مشبهة، يبدو أنه ما كان يدري إلا عن هذه النصوص الثلاث! وبالتالي رمى بها، لو يدري جميع الأنبياء مشبهة وجميع الصحابة مشبهة وجميع أهل السنة والجماعة كلهم مشبهة عنده، ولكن هذا المنطق سبحان الله هذه الجرأة العارمة هذا هو الغريب.

(المتن)

وحتى أن جُلَّ المعتزلة تدخل عامة الأئمة مثل: مالك وأصحابه والثوري وأصحابه، والأوزاعي وأصحابه، والشافعي وأصحابه، وأحمد وأصحابه، وإسحاق بن راهويه، وأبي عبيد وغيرهم، في قسم المشبهة.

(الشرح)

هذا كثير عندهم، لما يذكرون الفرق ويأتون إلى المشبهة، والمشبهة "**مالك وأصحابه والثوري وأصحابه، والأوزاعي وأصحابه**".

(المتن)

وقد صنف أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن درباس الشافعي جزءًا.

(الشرح)

ابن درباس الشافعي توفي سنة ستمائة واثنين وعشرين، ومن الشافعية الأعلام، سمى كتابًا. .

(المتن)

جزءًا أسماه: (تنزيه الشريعة عن الألقاب الشنيعة).

(الشرح)

هذه رسالة جميلة؛ درست هذه الرسالة هذه الظاهرة الغريبة، وهي كثرة الألقاب الشنيعة التي رُمي بها أهل السنة والجماعة، لو تجمع الألقاب التي. . ما أدري هو ابن درباس -رحمه الله تعالى- هل استطاع أن يجمع جميع الألقاب الشنيعة التي رُمي بها أهل السنة، من المؤكد يكون ذكر أغلبها؛ لأن جميع المبتدعة بدون استثناء يرمون أهل السنة بشيء من الألقاب الشنيعة؛ لأنهم إذا لم يرموهم بهذه الألقاب الشنيعة لا يستقيم لهم، مادام

يُخالف أهل السنة والجماعة في شيء، فلابد أن يُسميه باسمٍ حتى يكون هو على الحق، هو سيقول قال أهل الحق كما يُكثر منه الجويني وغيره؛ قال أهل الحق، طيب من يخالفه في هذا الحق لابد أن يكون له اسم، جميع أهل البدع بدون استثناء عندهم ألقاب يتهمون بها أهل السنة كثرت أو قلت.

وبالتالي احصر الفرق التي خالفت أهل السنة؛ في الإيمان، في الأسماء والصفات، في الربوبية، في القدر، في الصحابة، وغيرهم، واحصر الألقاب التي. . كثيرة جدًا.

(تنزيه الشريعة) طبعًا وأصحابها (عن الألقاب الشنيعة) كتابٌ جميل، ويبدو أنه غير مطبوع للآن.

(المتن)

وذكر فيه كلام السلف وغيرهم من معاني هذه الألقاب، وذكر أن أهل البدع كل صنف منهم يُلقب أهل السنة بلقب افتراه، يزعم أنه صحيح على رأيه الفاسد، كما أن المشركين كانوا يلقبون النبي صلى الله عليه وسلم بألقاب افتروها.

(الشرح)

كما قلت كل من خرج عن السنة بشيء؛ يُلقب أهل السنة بلقب من كان على نقيض بدعته، كما تأتي الأمثلة؛ القدري نقيض بدعته عند الجبرية؛ يُسمينا جبرية، الجبري نقيض بدعته عند القدرية؛ يُسمينا قدرية، المُشبهة والمُعطلة يتنابذون ونحن عند هذا هذا اللقب، وعند هذا هذا اللقب.

(المتن)

فالروافض تسميهم نواصب، والقدرية يسمونهم مجبرة، والمرجئة يسمونهم شكاكًا، والجهمية تسميهم مشبهة، وأهل الكلام يسمونهم حشوية ونَوَابت".

(الشرح)

"شكاكًا" لأنهم يستثنون في الكلام.

"شكاكًا" لأنهم يستثنون في الكلام.

أما أهل الكلام فسجلهم طويل، ألقابهم التي يُلقبون بها أهل السنة كثيرة؛ منها هذه حشوية، يعني من العوام الذين لا يُبالى بهم، حشوية من الحشو؛ مثلما يُسمي بعض أهل السنة بعض كذا من العوام، الجمهور أما هم خواص.

"ونَوَابت" الذين نبتوا الآن يعني صغار.

(المتن)

وأهل الكلام يسمونهم حشوية ونَوَابت، وغثاءً، غُثْرًا.

(الشرح)

"غثاء" ما يحتمله السيل من القماش والقمامة وغيرها، يعني من ذلك ال. . ؛ «غثاءٌ كغثاء السيل».

"غُثْرًا" جهال.

(المتن)

إلى أمثال ذلك، كما كانت قريش تسمي النبي صلى الله عليه وسلم تارة مجنونًا، وتارة شاعرًا، وتارة كاهنًا، وتارة مفتريًا.

(الشرح)

سبحان الله، قريش أيضًا من عجيب أمرها؛ ما تركت مسبةً إلا ورموا بها النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، من ناحية يسمونه يقولون هذا مجنون، ومن ناحية يقولون هذا كاهن وهذا شاعر وهذا ساحر؛ لفصاحته ولذكائه!

لذلك يقول الله -عز وجل- يعني ما يجتمع شخص واحد يكون مجنون ويكون في نفس الوقت شاعر وكاهن! إما هذا أو هذا، يقول الله -عز وجل- ردًا عليهم: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَذَا﴾ إذا عندكم عقول تجمعون بين هذه الأوصاف التي لا تجتمع في النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟! ﴿ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[الطور: 32]، ﴿أم﴾ بمعنى بل؛ بل هم قومٌ أسرفوا في طغيانهم، وهكذا هؤلاء تجده يرمي أهل السنة بكل ما يحلو له.

(المتن)

قالوا: فهذه علامة الإرث الصحيح والمتابعة التامة.

(الشرح)

"قالوا" السلف قالوا: **"فهذه علامة الإرث الصحيح"**؛ مادام يُخالفك جميع المبتدعة فأنت على خير، هذا **"علامة الإرث الصحيح والمتابعة التامة"**.

(المتن)

فإن السنة هي ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقادًا واقتصادًا وقولًا وعملًا.

(الشرح)

"اقتصادًا" يعني لزومًا للسنة، "وقولًا وعملًا".

نقل المحقق كلامًا جميلًا لابن القيم -رحمه الله تعالى-، لو تقرأه. . .

الطالب: أي حاشية يا شيخ؟

الشيخ: قال الإمام ابن القيم في (الصواعق المرسلة) بعد أن ذكر بعض الصفات لله:

فهذه المعاني ثابتة للرب تعالى وهو موصوف بها فلا ننفيها عنه بتسميتكم للموصوف بها جسما.

-نعم أنتم. . وهذه. . بسبب "تسميتكم للموصوف بها جسمًا" لا ننفيها عنه-.

كما أنا لا نَسُب الصحابة لأجل تسمية الروافض لمن يحبهم ويواليهم نواصب ولا ننفي قدر الرب ونُكذب به لأجل تسمية القدرية لمن أثبته جبريا ولا نرد ما أخبر به الصادق عن الله وأسمائه وصفاته وأفاله لتسمية أعداء الحديث لنا حشوية.

ولا نجحد صفات خالقنا وعلوه على خلقه واستواءه على عرشه لتسمية الفرعونية المعطلة لمن أثبت ذلك مجسما مشبها.

فإن كان تجسيما ثبوت استوائه	على عرشه إني إذا لمجسم
وإن كان تشبيها ثبوت صفاته	فمن ذلك التشبيه لا أتكتم
وإن كان تنزيها جحود استوائه	وأوصافه أو كونه يتكلم
فعن ذلك التنزيه نزهت ربنا	بتوفيقه والله أعلى وأعلم

ورضي الله عن الشافعي حيث فتح للناس هذا الباب في قوله:

يا راكبا قف بالمحصب من منى | واهتف بقاعد خيفها والناهض
إن كان رفضا حب آل محمد | فليشهد الثقلان أني رافض

ورضي الله عن شيخنا إذ يقول:

فإن كان نصبا ولاء الصحاب | فإني كما زعموا ناصبي
وإن كان رفضا ولاء آله | فلا برح الرفض من جانبي

(المتن)

فإن السنة هي ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقادًا واقتصادًا وقولًا وعملًا؛ فكما أن المنحرفين عنه يسمونه بأسماء مذمومة مكذوبة -وإن اعتقدوا صدقها بناء على عقيدتهم الفاسدة-.

(الشرح)

"المنحرفين عنه" عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، لماذا يُسمونه بهذه الأسماء المكذوبة؛ إذ بناء على عقيدتهم الفاسدة هم فاسدون، فيتهمونه بهذه الألقاب يرمونه بهذه الألقاب.

(المتن)

فكذلك التابعون له على بصيرة الذين هم أولى الناس به في المحيا والممات، باطنًا وظاهرًا.

(الشرح)

إذًا وجود هذه الألقاب واتهام المبتدعة لأهل السنة بهذه الألقاب هذه علامة خير؛ يبدو وهذا يدل على أن هذا الإرث صحيح، وأنت من ورّاث النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

(المتن)

وأما الذين وافقوا ببواطنهم وعجزوا عن إقامة الظواهر، والذين وافقوه بظواهرهم وعجزوا عن تحقيق البواطن، أو الذين وافقوه ظاهرًا وباطنًا بحسب الإمكان.

(الشرح)

ذكر شيخ الإسلام هنا ثلاثة طوائف:

الذين كانوا يخالفوه تمامًا، عرفنا كيف كانوا يُلقبونه.

1- **"وأما الذين وافقوا ببواطنهم وعجزوا عن إقامة الظواهر"**، هم يعتقدون صدقه ويؤمنون بصدقه، ويوافقونه ببواطنهم، ولكن لعجزهم ولضعفهم في العلم؛ يعجزون عن إقامة الظواهر، عندهم نقص.

2- الطائفة الثانية: وافقوه بظواهرهم وعجزوا عن تحقيق البواطن؛ بواطنهم لا تتقبل ما اعتقدوه ظاهرًا.

3- الطائفة الثالثة: **"الذين وافقوه ظاهرًا وباطنًا"** ولكن **"بحسب الإمكان"**؛ عندهم نقص في هذه الموافقة.

هذه الطوائف الثلاثة، نعم في نسخة **"فلابد"** وهذا هو الصحيح، نحن عندنا لابد، وفي نسخة فلابد وهذا هو الصحيح.

(المتن)

فلا بد للمنحرفين عن سنته أن يعتقدوا فيها نقصًا يذمونهم به.

(الشرح)

إذًا هذا النقص الذي في هذه الطوائف؛ لماذا لم يكونوا كاملين ظاهرًا وباطنًا؟ لنقصٍ فيهم، وبالتالي سيكونون مخالفين للسنة في بعض جوانبها، في هذا الجانب سيسمون السنة بالنقص.

يقول: **"فلا بد للمنحرفين عن سنته"** ولو جزئيًا، **"أن يعتقدوا فيها نقصًا يذمونهم به"** يذمونهم: أهل السنة بهذا النقص.

(المتن)

ويسمونهم بأسماء مكذوبة -وإن اعتقدوا صدقها- كقول الرافضي: من لم يبغض أبا بكر وعمر، فقد أبغض عليًا، لأنه لا ولاية لعلي إلا بالبراءة منهما.

(الشرح)

هكذا يقولون.

(المتن)

ثم يجعل من أحب أبا بكر وعمر ناصبيًا، بناءً على هذه الملازمة الباطلة، التي اعتقدوها صحيحة، أو عاندوا فيها وهو الغالب.

وكقول القدري: من اعتقد أن الله أراد الكائنات وخلق أفعال العباد، فقد سلب العباد القدرة والاختيار وجعلهم مجبورين كالجمادات التي لا إرادة لها ولا قدرة.

(الشرح)

يقول: "**من اعتقد أن الله أراد الكائنات وخلق أفعال العباد**" هذا من هم؟ المعتزلة القدرية، إذًا "**سلب العباد القدرة والاختيار**" إذًا هذا جبري؛ أنه جعلهم كالجمادات التي لا إرادة لها ولا قدرة، يكذب.

يعني يجعل الجبرية الحقيقية وأهل السنة الذين لا يوافقونهم كلهم في سلة واحدة!

(المتن)

وكقول الجهمي: من قال: إن الله فوق العرش، فقد زعم أنه محصور، وأنه جسم مركب وأنه مشابه لخلقه.

(الشرح)

. . . الجهمي فسلسلة شبهاته طويلة، ما أدري كيف لخصها شيخ الإسلام.

الذي يقول الله -عز وجل- فوق العرش، فهو عنده باختصار شديد مشرك؛ لأن التوحيد لا يتم إلا بنفي هذه الصفات، نعم زعموا أنه محصور وأنه محدود، وأنه جسمٌ مركب وأنه مشابهٌ لخلقه، المهم حتى تكون موحدًا لابد أن تنفي الصفات؛ لأن التوحيد لا يتحقق عندهم إلا بنفي الصفات.

(المتن)

وكقول الجهمية المعتزلة: من قال: إن لله علمًا وقدرة، فقد زعم أنه جسم مركب، وهو مشبه.

(الشرح)

وبالتالي ليس موحدًا، وبالتالي كافر.

(المتن)

لأن هذه الصفات أعراض، والعَرَض لا يقوم إلا بجوهر متحيز، وكل متحيز فجسم مركب، أو جوهر فرد، ومن قال ذلك فهو مشبه، لأن الأجسام متماثلة.

(الشرح)

شوفتوا السلسلة هذه الطويلة؟ الصفات هذه العلم والقدرة هذه "**أعراض، والعرض لا يقوم إلا بجوهرٍ متحيز، وكل متحيز فهو جسم مركب**"، مركب كان إذا كان أكثر من جوهرين، "**أو جوهر فرد**" أيضًا متحيز، "**ومن قال ذلك فهو مشبه، لأن الأجسام متماثلة**" إذًا هذا مشبه وليس موحدًا.

(المتن)

ومن حكى عن الناس المقالات وسماهم بهذه الأسماء المكذوبة بناءً على عقيدتهم التي هم مخالفون له فيها، فهو وربه.

(الشرح)

من الذي يمسكه؛ يكتب ويرمي التهم يمينًا وشمالًا، ولكن الله -عز وجل- يُحاسبه على ما يكتبه، وعلى ما يكذب.

(المتن)

والله من ورائه بالمرصاد، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

وجماع الأمر: أن الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام، كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة.

(الشرح)

من هذا أيضًا تكملة الجواب؛ الجواب أن الصحيح أن نُثبت ما جاء في الكتاب والسنة، أما المخالفون. . هنا في هذه الأقسام الستة منها قسم أهل السنة والجماعة، والبقية مخالفون، جميع الأقسام الممكنة كما يقول شيخ الإسلام: "**الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام**".

وهذه المقارنة تُبين أيضًا استقامة طريقة أهل السنة والجماعة، وأن هذه الأقسام كلها غير أهل السنة والجماعة في ضرر، لذلك يذكر هنا جميع الأقسام الممكنة وهي ستة أقسام، بما فيهم أهل السنة والجماعة؛ كل قسمٍ عليه طائفة من أهل القبلة.

(المتن)

قسمان يقولان: تُجرى على ظواهرها.

وقسمان يقولان: هي على خلاف ظاهرها.

وقسمان يسكتون.

أما الأولان: فقسمان.

(الشرح)

القسمان الأولان الذين يقولون تُجرى على ظواهرها هم قسمان.

(المتن)

أحدهما: من يجريها على ظاهرها، ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين، فهؤلاء المشبهة، ومذهبهم باطل، أنكره السلف، وإليهم توجه الرد بالحق".

(الشرح)

كل من يسب المشبه ويرد عليهم، فالرد يتوجه إلى هؤلاء بالحق، هم فعلًا ينبغي أن يُرد عليهم، الذين يقولون تُجرى على ظاهرها، والظاهر هو الذي يليق بالمخلوقين، الصفات التي أثبتها الله -عز وجل- لنفسه ظاهرها مراد، والمراد من هذه الصفات المنسوبة إلى الله -عز وجل- والمضافة إليه ما يليق بالمخلوقين، هؤلاء مشبه، وعليهم ينبغي أن يكون الرد، وكل ردٍ على المشبه يتوجه إليهم بصدق؛ بحق.

(المتن)

والثاني: من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله، كما يجرى ظاهر اسم العليم، والقدير، والرب، والإله، والموجود، والذات ونحو ذلك، على ظاهرها اللائق بجلال الله، فإن ظواهر هذه الصفات في حق المخلوقين: إما جوهر محدث، وإما عرض قائم به.

(الشرح)

هذا القسم يُجري هذه الصفات على ظاهرها، والظاهر عندهم ما يليق بالله -عز وجل-، القسم الأول يُجريها على ظاهرها هذا جميل، ولكن الظاهر عندهم يليق بغير الله -عز وجل-، عند هؤلاء تُجرى على ظاهرها، والظاهر عندهم ما يليق بالله -عز وجل-، فهذا صحيح.

"**فإن ظواهر هذه الصفات في حق المخلوقين**"، ظواهر الصفات التي أثبتها الله -عز وجل- لنفسه في حق المخلوقين "**إما جوهر محدث، وإما عرض قائم به**".

ظواهر الصفات التي أثبتها الله -عز وجل- لنفسه في حق المخلوقين؛ إذا نُقارنها بالمخلوقين فهي في حق المخلوقين؛ إما جوهر محدث وإما عرض قائم بالجوهر.

(المتن)

فالعلم والقدرة والكلام والمشيئة والرحمة والرضا، والغضب، ونحو ذلك: في حق العبد أعراض.

(الشرح)

هذه الصفات المعنوية في حق العبد هي كلها أعراض، وهذا القسم كله متفقٌ عليه بيننا وبين الكُلابية، باستثناء الصفات الفعلية.

(المتن)

والوجه واليد والعين في حقه أجسام.

(الشرح)

في حق المخلوق أجسام.

(المتن)

فإذا كان الله موصوفًا عند عامة أهل الإثبات بأن له علمًا وقدرة وكلامًا ومشيئة -وإن لم يكن ذلك عرضًا، يجوز عليه ما يجوز على صفات المخلوقين- جاز أن يكون وجه الله ويداه ليست أجسامًا يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين.

(الشرح)

لاحظ؛ القسم الأول: العلم والقدر والكلام والمشيئة هذه في حق المخلوقين أعراض، والعرض عند المخلوق يعرض ويزول، فإذا كان عامة أهل الإثبات يُثبتون أن الله -عز وجل- له علمٌ وقدرةٌ وكلامٌ ومشيئة، وإن لم يكن ذلك عرضًا يجوز عليهم ما يجوز على صفات المخلوقين، يقولون هذه في حق الله -عز وجل- ليست مثل أعراض المخلوقين؛ أثبتوها صفاتٍ لائقةً بكمال الله -عز وجل- وجلاله، ولم يجعلوها مثل ما يُقابلها من صفات المخلوقين، فكذلك **"جاز أن يكون وجه الله ويداه ليست أجسامًا يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين"**.

يقول شيخ الإسلام هذا القسم يُثبت جميع الصفات؛ سواءً ما كان مقابله عند المخلوقين أعراضًا، أو ما كان مقابله عند المخلوقين أجسامًا، ولا يجعل هذا وهذا مثل ما يكون من المخلوقين.

إذًا الصفات التي في مقابلها عند المخلوقين أعراض يُثبتونها، والصفات التي مقابلها عند المخلوقين أجسام يُثبتونها، ويجعلونها لائقةً بالله -عز وجل-.

لماذا عدد هذا، لماذا ذكر هذا التقسيم؟ لأن هناك من يُثبت بعض الصفات ولا يُسمي. . هناك من ينفيها كلها؛ الجهمية والمعتزلة يقولون هذه أعراض، والأعراض تعرض وتزول، وبالتالي لا نُثبت له هذه الصفات؛ هي الأعراض.

يأتي الكُلابية ويقولون هذه ليست أعراض؛ لا نُسميها أعراض؛ هي صفات، ويُثبتها.

طيب نقول له: أليس ما يُقابلها عند المخلوق أعراض، ولكنها هنا تليق بالله -عز وجل-، طيب بقية الصفات؛ الصفات الخبرية، الوجه والقدمان، يقول: لا، هذه يُقابلها عند المخلوق. . . ، وهي تستلزم التبعض والتجزي والتركب ووو؛ لا أُثبتها.

طيب حتى القسم الأول يُقابلها عند المخلوقين أعراض، وهي تعرض وتزول؛ لماذا نزهته هناك ولم تُنزه هنا؟

إذًا هذه طريقة أهل السنة، طريقة مطردة؛ لأنهم يلتزمون النصوص، لا يصدرون إلا عن وحي.

الطالب: شيخ أحسن الله إليك، إذا كانوا هم يقولون إذا كانت الصفة في المخلوق عرضًا يثبتون، وتكون في حق الله -سبحانه وتعالى- صفة.

الشيخ: بعض الصفات هي في المخلوقين أعراض، وبعضها عند المخلوقين أجسام، أهل السنة لا يُفرقون بين هذا وهذا؛ يُثبتونها كلها.

الطالب: لماذا لا يُثبتون الضحك والغضب وهي أعراض؟

الشيخ: من؟

الطالب:. . .

الشيخ: هنا إشكال آخر؛ لأنها الصفات الاختيارية. . الصفات الفعلية تستلزم حلول الحوادث بذاته -سبحانه وتعالى-، يعني عندهم أمور كثيرة يتجنبونها، وعندهم احتياط؛ لأن النصوص التي تُثبت الصفات هذه يُفلترونها؛ يحتاطون، والله -عز وجل- رماها هكذا! هم يحتاطون!

ففي الصفات الاختيارية يقولون: هذه تستلزم حلول الحوادث بذاته -سبحانه وتعالى-، وهذه قطعًا لا نقبلها، كأن الأشعري يقول لك يكفيك ما وافقتك عليه.

(المتن)

وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطابي وغيره من السلف.

(الشرح)

الإمام الخطابي من أئمة المُحدثين، توفي سنة ثلاثمائة وثمانية وثمانين، وهو تلميذ ابن حبان، وكلاهما بُستيان، (بُست) هذه في وسط أفغانستان، الآن أسماء جديدة.

الإمام الخطابي من أئمة المحدثين الذين ابتلوا ببعض الدور، والإمام البيهقي ينقل عنه كثيرًا، أحيانًا ينقل عنه بحروفه، وأحيانًا ينقل بالمعنى، أوّل بعض الصفات حتى في شرحه على البخاري؛ شرحه على البخاري أفضلُ شرحٍ أو أقدم شرح مطبوع؛ (أعلام الحديث) مطبوع في خمس مجلدات.

لذلك ذكره شيخ الإسلام هنا؛ سماه، وإلا الخطابي ليس له ميزة. . . ، هذا مذهب السلف، قد تستغرب لماذا سمى الخطابي هنا؟ شيخ الإسلام يقول لك أئمتكم وإذًا هكذا يقولون، الخطابي.

الطالب: شيخ الخطابي محسوب على أهل السنة؟

الشيخ: إي؛ من أئمة أهل الحديث، ولكن عنده تأويل، مثل شيخه. . . ، الخطابي شيخه ابن حبان، وابن حبان شيخه ابن خزيمة، ابن خزيمة شديد جدًا على المؤولين، وكتابه (التوحيد) إلى الآن الكوثري وجماعته يُسمونه كتاب الشرك، الرازي أيضًا سماه كتاب (الشرك)، وابن خزيمة مثل شيخه البخاري، أما ابن حبان -رحمه الله تعالى- وقع في شيءٍ من التأويل، وتلميذ الخطابي وقع في شيءٍ من التأويل، وتلميذه البيهقي وهؤلاء الجماعة. . . وقعوا فيه، والأشاعرة يستدلون بأقوالهم كثيرًا.

لما يأتون إلى نسب الفرق يقولون الأشعرية تسعة وتسعين فاصلة تسعة وتسعين، ومعنا فلان ومعنا فلان، ومن أئمتنا فلان ويذكرون هؤلاء، نعم هم وقعوا في شيءٍ من التأويل، ولكن في الأصول ليسوا أشاعرة؛ ليس منهم من يقول: إذا تعارض العقل والنقل يُقدم العقل. معاذ الله.

(المتن)

وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطابي وغيره من السلف، وعليه يدل كلام جمهورهم، وكلام الباقين لا يخالفه، وهو أمر واضح، فإن الصفات كالذات، فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس المخلوقات، فصفاته ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقات.

(الشرح)

هذه القاعدة الثانية التي. . أو الأصل الثاني الذي ذكره شيخ الإسلام في (التدمرية)، وهذه القاعدة تتعلق بالكيف.

(المتن)

فمن قال: لا أعقل علمًا ويدًا إلا من جنس العلم واليد المعهودين.

قيل له: فكيف تعقل ذاتًا من غير جنس ذوات المخلوقين؟ .

(الشرح)

يعني القول في الصفات كالقول في الذات، في الثبوت وفي عدم العلم بالكيفية وفي نفس المماثلة، تذكرتم القاعدة هذه؛ القاعدة الثانية أو الأصل الثاني.

الأصل الأول: القول في بعض الصفات كالقول في بعض. . في ماذا؟ في أمرين: -عز وجل-

الأمر الأول: في وحدة المصدر، هذه الصفات ثبتت في الكتاب والسنة، وهذه الصفات ثبتت في الكتاب والسنة، فلماذا تُغاير بينها؛ تُثبت بعضها وتنفي بعضها.

والأمر الثاني: الموصوف بها واحد، هذه وصف بها الله -عز وجل- وهذه القول في الصفات كالقول في الذات؛ في الثبوت، أنت تُثبت وجود الله -عز وجل-، وفي نفي الكيفية؛ نفي علمك بالكيفية، تُثبت وجود الله -عز وجل- وتعترف بأنك تجهل الكيفية؛ كيفية الذات.

والأمر الثالث: نفي المماثلة، وهكذا في الصفات؛ القول في الصفات كالقول في الذات.

(المتن)

ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته، فمن لم يفهم من صفات الرب -الذي ليس كمثله شيء- إلا ما يناسب المخلوق فقد ضل في عقله ودينه.

وما أحسن ما قال بعضهم: إذا قال لك الجهمي: كيف استوى، وكيف ينزل إلى السماء الدنيا، وكيف يداه ونحو ذلك؟

فقل له: كيف هو في نفسه؟

فإذا قال لك: لا يعلم ما هو إلا هو، وكُنه الباري غير معلوم للبشر.

فقل له: فالعلم بكيفية الصفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف، فكيف يمكن أن تعلم بكيفية صفة لموصوف، ولم تعلم كيفيته، وإنما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذي ينبغي له.

(الشرح)

هكذا ينبغي، ثم ذكر شيخ الإسلام على المثالين اللذين ذكرهما أيضًا في (التدمرية)، في (التدمرية) بعدما ذكر هذين الأصلين؛ ذكر مثلين مضروبين.

"**بـل هـذه المخلوقـات في الجنـة**" هـذا المثـال الأول؛ موجـودات الجنـة، ونسـبة تلـك الموجودات إلى موجدات الدنيا.

(المتن)

بل هذه المخلوقات في الجنة قد ثبت عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء.

وقد أخبر الله: أنه لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم: «**أن في الجنة ما لا عين رأتْ، ولا أُذن سمعت، ولا خَطَر على قلب بَشَر**».

فإذا كـان نعـيم الجنـة وهـو خلـقٌ مـن مخلوقـات الله كـذلك، فـما الظـن بالخـالق سـبحانه وتعالى.

(الشرح)

"**وهو خلقٌ من مخلوقات الله كذلك**" أي ثابت بحقيقة الإثبات، مع ذلك لا يشبه ولا يُماثل موجودات الدنيا، فما الظن بالله -سبحانه وتعالى-، هذا المثال الأول.

المثال الثاني:. .

(المتن)

وهذه الروح التي في بني آدم قد علم العاقل اضطراب الناس فيها، وإمساك النصوص عن بيان كيفيتها.

(الشرح)

لماذا اضطرب الناس في حقيقة الروح؟ لأن النصوص أمسكت، أو ليس فيها بيان كيفيتها، نحن نعرفها بآثارها، أليس كذلك، يعني هل شاهدنا الروح؛ الروح التي بها قيام الإنسان شاهدناها؟ ما شاهدناها، يعني لذلك اختلف فيها الناس.

(المتن)

وإمساك النصوص عن بيان كيفيتها، أفلا يعتبر العاقل بها عن الكلام في كيفية الله تعالى؟ .

(الشرح)

إذا كان عاقلًا أفلا يعتبر، "**العاقل بها عن الكلام في كيفية الله تعالى؟** "، أنت أولًا لابد أن تُفكر في كيفية روحك، وأخبرنا عن كيفية روحك وبعدين تكلم في. .

نعم فعلًا –سبحان الله– الإنسان شيء غريب؛ ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾[النحل: 4].

(المتن)

مع أنا نقطع بأن الروح في البدن.

(الشرح)

كل واحد يقطع بهذا.

(المتن)

وأنها تخرج منه وتعرج إلى السماء، وأنها تُسَلّ منه وقت النزع كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة، لا نُغالي في تجريدها غلو المتفلسفة ومن وافقهم؛ حيث نفوا عنها الصعود والنزول، والاتصال بالبدن والانفصال عنه، وتخبطوا فيها حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته، فعدم مماثلتها للبدن لا ينفي أن تكون الصفات ثابتة لها بحسبها، إلا أن يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص، فيكونون قد أخطؤوا في اللفظ، وأنى لهم بذلك؟ .

(الشرح)

الروح يقول شيخ الإسلام هذه الصفات وردت للروح في الكتاب والسنة؛ أنها تُسل من الإنسان وقت النزع، وأنها تخرج منه، وأنها تعرج إلى السماء، يعني لها حركة، والمتحرك

عندهم جسم، ولذلك يقول شيخ الإسلام: الناس انقسموا في الروح إلى طائفتين؛ طائفة مشبهة، وطائفة مُعطلة.

المعطلة أشار إليهم هنا **"لا نُغالي في تجريدها غلو المتفلسفة"**، المتفلسفة قالوا حيث نفوا عن الصعود والنزول والاتصال بالبدن والانفصال عنه، هؤلاء عقلاء؟ الروح ليست متصلة بالبدن وليست منفصلة عن البدن! سبحان الله، حاولوا أن تفهموا هذه الجملة؛ الروح ليست متصلة بالبدن وليست منفصلة عن البدن! ذكرها الغزالي في كتابه (الفصول في الأسئلة وأجوبتها، صفحة مائتين وستة وسبعين إلى مائتين واثنين وثمانين، وأشار إليها الرازي في (أساس التقديس) في بدعته، وذكر فيه أيضًا أن الإنسان ليس مشاهدًا.

بل الروح ليس هذا فقط؛ أنها ليست متصلة بالبدن وليست منفصلة عنه، لا؛ قالوا لا داخل العالم ولا خارج العالم، ولا مباينة للعالم، ولا مُدَاخِلة له! سبحان الله، الجزاء من جنس العمل، أنت تُعارض النصوص دائمًا بعقلك المنقوص هذا، والله -عز وجل- جعلك عبرةً للمعتبرين، فإن والله هذا لا يُفهم، الروح ليست متصلة بالبدن وليست منفصلة، وليست داخل العالم وليست خارج العالم! اذهبوا إلى هؤلاء العقلاء الأشعرية، واطلبوا منهم أن يفهمونا هذه كما يقولون الهرطقة كيف هذه.

يقول شيخ الإسلام: الناس في الروح -وهي في كل إنسان- بعضهم صاروا مشبهة وبعضهم صاروا مُعطلة، وهؤلاء هم المعطلة؛ نفوا عنها الصفات التي. .

طبعًا نحن عالة على النصوص في ذكر أوصاف الروح.

وبعضهم قالوا الروح. . صاروا مشبهة؛ بما أن هذه تتحرك فهي مثل البدن! ليست مثل البدن، بعضهم صاروا مشبهة وبعضهم صاروا. .

ذكر هذا المثال لبيان أن الإنسان لا أدري ما أقول، يعني أعجز بكثير أن يخوض في صفات الله -عز وجل-؛ ما يدري عن صفاتها، الروح التي بها قيامه ما يدري عنها.

ثم يقول في الأخير: **"فعدم مماثلتها للبدن لا ينفي أن تكون الصفات ثابتةً لها بحسبها"**، هي ليست مماثلة في البدن، هل هذا مسوغ لأن تنفي الصفات؟ لا.

"إلا أن يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص، فيكونون قد أخطؤوا في اللفظ، وأنى لهم بذلك؟ "، الوصف الذي جاءوا به لا يمكن أن يتفق مع نصوص الوحيين، بأي اعتبار؛ لذلك يقول شيخ الإسلام: "وأنى لهم بذلك؟ ".

(المتن)

وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها.

(الشرح)

يعني هذان القسمان الأولان: تُجرى على ظاهرها، هم طائفتان؛ الطائفة الأولى: المُشبهة، والطائفة الثانية: أهل السنة والجماعة، وبينهما من البون الشاسع ما عرفناه.

(المتن)

وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها؛ أعني الذين يقولون: ليس لها في الباطن مدلول هو صفة الله تعالى قط.

(الشرح)

يقولون في الباطن ليست هناك صفة تدل عليها هذه الصفات.

(المتن)

وأن الله لا صفة له ثبوتية، بل صفاته إما سلبية وإما إضافية وإما مركبة منهما، أو يثبتون بعض الصفات -السبعة، أو الثمانية أو الخمس عشرة- أو يثبتون الأحوال دون الصفات.

(الشرح)

هذه الجملة سبقت وأعادها شيخ الإسلام هنا، هذه الطائفة تقول **"الله -عز وجل- لا صفة له ثبوتية، بل صفاته إما سلبية"** سلبية بحتة؛ ليس ليس ليس، هذه ليس فيها إثبات شيء.

"وإما إضافية" الصفات الإضافية قلنا في التعريف العام هي التي لا يُتعقل بعضها إلا بالنظر إلى. . كالأبوة والبنوة.

"وإما مركبة منهما" هكذا عرفنا تعريفًا عامًا.

الشيخ عبد الوهاب جزاه الله خيرًا، صوّر لنا من كتاب (النفي في باب صفات الله -عز وجل-) تقسيم أهل الفلسفة المحضة للصفات، نذكرها للفائدة.

يقول: هم يذكرون أن الصفات ثلاث أقسام:

القسم الأول: صفات سلبية محضة، وهذا النوع إذا وُصف به واجب الوجود -على حد تعبيرهم-؛ أفاد أن المقصود به نفس وجوده أولًا، مع سلب ما يؤدي إليه عنه، إليه يبدو إلى النفي، أما التفصيل هنا وهو ما يستلزم مفهومه واجب الوجود.

أنت لما تقول واجب الوجود يفيد معنين؛ يفيد نفس وجوده، ويفيد سلب ما يؤدي إلى السلب، فإذا قيل جوهر لم يُعنى به إلا هذا الوجود الواجب، مع سلب الكون في موضعٍ عنه، هذا الجوهر ليس في موضع.

وإذا قيل واحد لم يُعنى به إلا الوجود الواجب، وسلب الشريك عنه إلى آخره، صفاتٌ إضافية محضة، ضابطها هي الأمور المتضايفة التي لا يُعقل الواحد منها إلا بتعقل مقابله، ومن أمثلتها كونه أولًا، يعني تطبيقه على الله -عز وجل-، كونه أولًا، كونه مبدءًا، حتى كونه خالقًا عندهم، طبعًا هذا التقسيم للمتفلسفة، حتى كونه خالقًا ليس معناه هو الذي خلق، لا؛ نسبة هذه العوالم إليه.

مثلًا صفة كونه أولًا هي نفس وجود واجب الوجود، لكن مع الوجود إضافة، إذا نسب الله -عز وجل- إلى الموجودات. . غيرها؛ ما أدري.

أي لم يُعنى إلا إضافة هذا الوجود الواجب إلى الكل. ما فهمتها! ولكن الشيء الذي فهمته وتطبيقه فيما يتعلق بالله -عز وجل-، هم يقولون الله -عز وجل- علة، ويقولون مبدأ، هل معنى هذا أن الله -عز وجل- هو الذي خلق؟ لا؛ لأن إذا أثبت أنه خلق ففيها إثبات صفة الخلق، لا يريدون، لا؛ هو مبدأ مع أنه لم يفعل شيء، لم يخلق، بل هو لا يدري عن العالم.

ويقولون هو علة، هل معنى العلة أنه خلق؟ لا؛ معنى العلة أنه استلزم وجود المخلوقات، مع أنه لم يفعل شيئًا؛ لم يخلق ولا. .

صفات مركبة من سلبٍ وإضافة هذا الذي لم أفهمه بتاتًا، هنا توضيح جيد؛ هذا النوع من الصفات إذا وُصف به واجب الوجود؛ أفاد أن ذلك -هذا الوصف- له؛ لواجب الوجود على وجه السلب، وعلى وجه النسبة والإضافة أيضًا. يعني فيه سلب والإضافة.

وهو ما يستتبعه الاعتقاد بأنه خالقٌ ومدبرٌ للكون. طبعًا هذا لا ينطبق على المتفلسفة؛ المتفلسفة ما يعرفون بنظرية الخلق.

فإذا قيل واجب الوجود أي موجود لا علة له -وهذا سلب-، وهو علةٌ لغيره -هذه إضافة-، فالسلب والإضافة مجتمعان معًا.

أنا كنت نقلت لكم كلامًا، نسينا معًا؛ أيضًا ما فهمته؛ لأنه اللي هو مثّل لهذا كونه عاقلًا ومعقولًا وعقلًا. . هذا أوضح.

ثم يقول: "**أو يثبتون بعض الصفات**"، هذه الصفات "**السبعة**"، من هم؟ الأشاعرة؛ يُسمون السبعية.

"**أو الثمانية**" هم الماتريدية؛ يزيدون صفة التكوين، وحتى الأشاعرة بعضهم يزيد صفة البقاء.

"**أو الخمس عشرة**" هذه إما بإثبات الحال السبع هذه يجعلها سبعة في اثنين بأربعة عشر، زد عليها التكوين أو البقاء صارت إي إما هكذا وإما ما أدري؛ لأن شيخ الإسلام هنا يقول: "**أو يثبتون الأحوال دون الصفات**" الأشاعرة الذين يُثبتون يوافقون المعتزلة في إثبات الأحوال، جعلوا الصفات السبعة جعلوها أربعة عشر.

العلم مثلًا، صفة العلم وصفة القدرة وصفة الإرادة إلى آخره، هذه يسمونها صفات المعاني، هذه صارت سبعة، كونه عالمًا، كونه قديرًا، كونه مريدًا، نفس السبعة اضربها في اثنين صارت أربعة عشر، يسمونها الكينونة.

طبعًا الذين أخذوا بالأحوال من الأشاعرة، هم زادوا إلى مذهبهم ما أدري ما أقول. .

القول بالأحوال هذا القول لم يرتضيه بعض كبار الأشاعرة، ومنهم الباقلاني، ولكن أول من قال بهذا أو أشهر من قال بهذا هو الجويني؛ أطال في كتابه (الشامل) في إثبات الأحوال، ونظرية الأحوال غريبة جدًا.

فمن يُثبت الأحوال من الأشاعرة يجعلون السبعة أربعة عشر. أحد المعروفين من. . في النشاط الأشعري المعاصر، يقول: من يقول أن الأشاعرة لا يثبتون إلا سبع صفات فهذا خطأ؛ هم يُثبتون أكثر من هذا، وذكرها هكذا؛ لأن هذه سُبة أن تكون مع كونك أشعريًا تكون متأثرًا بالمعتزلة.

المهم هم إجماعهم أو إجماع أكثرهم على إثبات سبع صفات، وهذا الإجماع ذكره عبد القاهر البغدادي في كتابه (أصول الدين)، وغيره أيضًا ولكن أنا لم أتذكر إلا هذا.

أو يُثبتون الأحوال دون الصفات، الذين يثبتون الأحوال هم المعتزلة أو بعض المعتزلة، وأول من قال بهذه النظرية أبو هاشم المعتزلي، أما الأشاعرة فانقسموا إلى قسمين؛ أكثرهم لا يقولون بها، وبعضهم يقولون بها.

(المتن)

كما عرف من مذاهب المتكلمين. فهؤلاء قسمان.

(الشرح)

هذان القسمان اللذان ينفيان ظاهرها، أيضًا قسمان.

(المتن)

قسمٌ يتأولونها ويعينون المراد مثل قولهم: استوى بمعنى استولى، أو بمعنى علو المكانة والقدر، أو بمعنى ظهور نوره للعرش، أو بمعنى انتهاء الخلق إليه، إلى غير ذلك من معاني المتكلفين.

(الشرح)

هذا قسم، وهذا القسم يدخل فيه من القرامطة والجهمية والمعتزلة؛ كلهم يدخلون والأشاعرة، هذا القسم يتأولها، كلما قلنا يتأولون نتذكر كلام الجويني؛ يُزيلون الظاهر ثم

يـأتون بظـاهرٍ آخـر، هـم يقولـون نحـن أزلنـا الظـاهر، إذًا هنـاك ظـاهر يُزيلونـه، ثـم يـأتون يُجددون، هذا القسم الأول.

(المتن)

وقسـمٌ يقولـون: الله أعلـم بـما أراد بهـا، لكنـا نعلـم أنـه لم يـرد إثبـات صـفة خارجـة عـما علمنا.

(الشرح)

هـذا القسـم هـم المفوضـة، هـذا القسـم يتفـق معهـم في إزالـة الظـاهر، وفي أعظـم رُكنـي التأويـل، ولكنـه بعـد ذلـك يقـول الله أعلـم بـما أراد بهـا؛ فـلا يُعـين، لمـاذا لا تُعـين يـا أيهـا المفوض؟ احترامًا للسلف؛ على مذهب السلف، لا يريد أن يخوض فيما لا علم فيه.

(المتن)

وأما القسمان الواقفان.

(الشرح)

هـذا القسـم الأخير: القسـمان الواقفـان، هـذا القسـم عنـده حيرة واضـطراب، والقسـم الثاني من هذين القسمين أشد حيرةً واضطرابًا، مع ذلك هو منسجم مع نفسه.

(المتن)

فقسـمٌ يقولـون: يجوز أن يكـون المـراد ظاهرهـا الأليق بجـلال الله، ويجـوز أن لا يكـون المراد صفة الله ونحو ذلك. وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم.

(الشرح)

هذا القسم يُجيز كلا الأمرين؛ ثبوت الصفة وعدم ثبوت الصفة، وبما أن الأمر لا يهمه كثيرًا، لذلك يقول يجوز هذا ويجوز هذا والله أعلم.

سبحان الله؛ هذا الكم الهائل من النصوص لا يهمك أمرها!

المهـم هـذا القسـم يُجيـز هـذا ويُجيـز هـذا والله أعلـم؛ واقـف، ويقـف في الجـزم بأحـد الأمرين.

(المتن)

وقومٌ يمسكون عن هذا كله، ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث، معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقديرات.

(الشرح)

هذا القسم أشدهم حيرةً واضطرابًا، وهذا القسم إذا قلت له هل يمكن أن تُثبت الصفات؟ قال: لا. طيب لا تُثبت الصفات؟ لا، أبدًا، ولكنه كما قلت هذا منسجم مع نفسه، وهذا هو الذي ينبغي أن نُسميه المفوض؛ لأنه فعلًا احترم نفسه، أما هذاك المفوض مع المؤول ثم يقول الله أعلم!

فهذا القسمان قسما المتوقفة، وأكثرهم حيرةً وشكًا القسم الأخير؛ لا يقترب من هذا الباب أصلًا.

طيب ما الفرق بين القسم الثاني ممن ينفي الظاهر، والقسم الأول من هذين القسمين؟

أن هذاك الذي سميناه مفوض يشترك مع المؤول في إزالة الظاهر، أما هذا لا؛ يقول قد يكون وقد يكون، هناك فرق بينهما.

الطالب: . . .

الشيخ: لا، الفقهاء الذين كتبوا في الفقه، الفقهاء أئمة السلف، وهم سبق ذكرهم، الفقهاء الذين كتبوا في الفقه تجدهم لا يُركز على هذا الباب، قد يكون هذا صحيحًا وقد يكون. . قد تكون أنت أعلم وقد تكون. . لا يهمه كثيرًا، إما لا يهمه أو هذا مبلغ علمه.

(المتن)

فهذه الأقسام الستة لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها.

الصواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها، القطعُ بالطريقة الثابتة كالآيات والأحاديث الدالة على أن الله سبحانه فوق عرشه.

(الشرح)

يقول شيخ الإسلام: "**الصواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها**"، يقول قد نُعذر في بعضها، ولكن في أكثرها؛ كثير منها من السهل أن تقطع بالطريقة الثابتة؛ طريقة أهل السنة "**كالآيات والأحاديث الدالة على أن الله سبحانه فوق عرشه**".

يقول في كثيرٍ منها من السهل أن تقطع، قد يسأل سائل كيف الناس في اضطراب، وأنت تقول أنه سهل أن تقطع، كيف؟ يُعطيك الطريقة.

(المتن)

وتُعلم طريقة الصواب في هذا وأمثاله بدلالة الكتاب والسنة والإجماع على ذلك، دلالة لا تحتمل النقيض.

(الشرح)

أنت الآن لما تذهب إلى الفرق، وتطلب منهم أن يُدلي كل واحدٍ بدلوه؛ تريد أن تعلم الحق، هذا عنده القرآن الكريم وصحيح البخاري جالس، وهذاك عنده (الإرشاد) للجويني، وهذا عنده (إخوان الصفا)، وذاك عنده كتاب المريسي، كل واحد عنده عدته، فمن الذي يُعطيك الحق؟

يقول: "**وتُعلم طريقة الصواب في هذا وأمثاله بدلالة الكتاب والسنة**" على ذلك، هذا الذي عنده البخاري ومسلم؛ كتب الأحاديث والقرآن، هذا الذي سيُعطيك الحق، تريد أن تعرف الحق من (الشامل) لفلان، و (الإرشاد) لفلان، (أبكار الأفكار) لفلان، (غاية المرام) لفلان؟! الأسماء تدل على أنه ليس عنده.

"**بدلالة الكتاب والسنة والإجماع على ذلك، دلالة لا تحتمل النقيض**" دلالة واضحة.

(المتن)

وفي بعضها قد يغلب على الظن ذلك مع احتمال النقيض.

(الشرح)

مثلًا في صفة الساق قد، ولكن في غالبها دلالة واضحة، ولذلك هذه الدلالة سلطوا عليها قانونهم، الذي قالوا فيه أن الأدلة اللفظية كلها ظنيةٌ دلالةً.

وفي بعضها قد يغلب. . . ، لماذا لا تجزم هنا لماذا التردد؟

(المتن)

وتردد المؤمن في ذلك هو بحسب ما يؤتاه من العلم والإيمان، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[النور: 40].

(الشرح)

جزمك وترددك وتشكك وتشكيك هذا كله نابعٌ من نصيبك من علم الكتاب والسنة.

(المتن)

ومن اشتبه عليه ذلك أو غيره فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يصلي يقول: «اللّهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

(الشرح)

. . . أن ترجع إلى الله -عز وجل-؛ هو الذي يُلهمك الصواب، أنت الآن بذلت الأسباب، مع ذلك تلجأ إلى الله -عز وجل-.

(المتن)

رواية لأبي داود: كان يكبر في صلاته ثم يقول ذلك.

فإذا افتقر العبد إلى الله ودعاه، وأدمن النظر في كلام الله وكلام رسوله وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين: انفتح له طريق الهدى.

(الشرح)

"**افتقر العبد إلى الله ودعاه**"؛ لأن الله -عز وجل- بيده كل شيء، دائمًا تلجأ إليه، "**وأدمن النظر في كلام الله وكلام رسوله وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين**"، هذه هي الوسائل التي بها تستجلب الحق، بها تصل إلى الحق، وهذه كانت طريقة شيخ الإسلام كما حكاها عنه تلميذه، وذكر عن نفسه أيضًا أنه دائمًا يلجأ إلى الله -عز وجل- ويدعوه بهذا الدعاء.

أما من أراد الحق وقرأ كتابًا من كتب الفرابي أربعين مرة، كما حكاه ابن سينا يقول كتابه الفلاني قرأته أكثر من أربعين مرة حتى فهمته! هذا سيصل إلى الحق؟

يُدمن "النظر في كلام الله وكلام رسوله وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين"، عند هذا تنفتح له طريق الهدى.

(المتن)

ثم إن كان قد خبر نهايات إقدام المتفلسفة والمتكلمين في هذا الباب، وعرف غالب ما يزعمونه برهانًا وهو شبهة.

(الشرح)

ذكر شيخ الإسلام هنا طوائف من الناس:

1- طائفة بدأ بها **"إن كان قد خبر نهايات إقدام المتفلسفة والمتكلمين في هذا الباب"**، هذا الرجل قد خبر ما وصل إليه هؤلاء؛ مثل الرازي وغيرهم، حكوا عن أنفسهم، والجويني أيضًا، هذا له حال.

2- والمتوسط الذي لازال في الطريق، ولازال يؤمل في هذا الطريق الوعر، لازال يؤمل أنه سيوصله إلى الحق، هذا له حال؛ لأنه لم يصل إلى النهاية، أما هذا وصل إلى النهاية.

3- والذي لم يدخل هذا له حال، هذا المفروض لا يدخل.

والمتوسط من الآن نقول له: لا تؤمل شيئًا من الحق في هذا، أما الذي انتهى وخبر نهايات أقدام القوم فعندك التجربة، منك نستفيد.

"وعرف غالب ما يزعمونه برهانًا"، عندهم (الإرشاد إلى قواطع الأدلة)، ويسمون أدلتهم براهين، والبرهان هو الدليل الذي يوصل إلى المطلوب حتمًا.

(المتن)

وعرف غالب ما يزعمونه برهانًا وهو شبهة، رأى أن غالب ما يعتمدونه يؤول إلى دعوى لا حقيقة لها، أو شبهة مركبة من قياس فاسد، أو قضية كلية لا تصلح إلا جزئية.

(الشرح)

في غالب ما يعتمد دعوى لا حقيقة لها؛ دعاوى عريضة لما تُفتش فيها لا حقيقة لها.

"أو شبهة مركبة من قياسٍ فاسد"، القياس إلحاق فرعٍ بأصل في حكمٍ لعلةٍ جامعةٍ بينهما، هذه الشبهة مركبة من قياسٍ فاسد.

أركان القياس الأربعة، إذا كان هناك خلل في العلة مثلًا، فالنتيجة تكون كلها باطلة، أنت تظن أن هذا الذي في الأصل موجودٌ في الفرع، فينتج قياس. .

"**أو قضية كلية لا تصلح إلا جزئية**"، يقولون جميع الأجسام متركبة مثلًا من الجواهر الفردة، جميع الجواهر الفردة تنتهي إلى جزءٍ لا يقبل الانقسام، جميع. . هذه قضايا كلية لا تصلح إلا جزئية.

(المتن)

أو دعوى إجماع لا حقيقة له.

(الشرح)

أما هذا فحدث عنه ولا حرج، أجمع أهل الحق وتجد الإجماع الصحيح خلافه!

شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- له اهتمامٌ خاص بجمع تلك الإجماعات المزعومة، التي انعقد الإجماع الصحيح خلافها، إجماع مزعوم والإجماع الصحيح منعقدٌ خلافه، ذكر أمثلة.

(المتن)

أو التمسك في المذهب والدليل بالألفاظ المشتركة.

(الشرح)

الألفاظ المشتركة التي لا يتم الاستدلال بها إلا بشيء من التحكم، مثلًا العين معانيها كثيرة، أنت تدعي أن معنى العين هنا كذا فتستدل بها، ولا يكون الأمر كذلك، فيكون فيه شيءٌ من التحكم.

(المتن)

ثم إن ذلك إذا ركب بألفاظ كثيرة طويلة غريبة عمن لم يعرف اصطلاحهم، أوهمت الغِرَّ ما يوهمه السراب للعطشان.

(الشرح)

سبحان الله، هذان السطران إشارة شيخ الإسلام إليها، يقول: "**ثم إن ذلك إذا ركب بألفاظ كثيرة طويلة غريبة عمن لم يعرف اصطلاحهم، أوهمت الغِرَّ**"، الغر هو الذي لا يفطن

للشر ويغفل عنه؛ سليم الفطرة لا يدري كمية السم في هذا الكتاب، "**أوهمت الغِرَّ ما يوهمه السراب**"، أنت كثيرًا ما تقرأ لهؤلاء المتكلمين، قضية يبدأها من هنا إلى هنا، وتعرفون أن أسلوبهم جاف معقد، فلا تفهم بعض الالفاظ، فتقول. . . ؛ لأن الشيء منه ما فهمته، قد يكون فيه، لا أبدًا، يقول هذا كله لما تعرفه ما النتيجة؟ ولكن من يعرفه هذا؟ الذي يكون خبر نهايات أقدام. . يقول بعد هذا ازداد إيمانًا. .

(المتن)

ازداد إيمانًا وعلمًا بما جاء به الكتاب والسنة، فإن الضِدَّ يُظهِر حُسْنَه الضدُّ.

(الشرح)

فإن؛

الضد يظهر حسنه الضد وبضدها تتميز الأشياء

يقول المتنبي: ونديمهم وبهم عرفنا فضله.

يقول أعدائك المفروض لا نذمهم؛ لأننا لو لم نراهم كنا نظن أن الجميع مثلك، فلما رأيناهم عرفنا فضلك (ونديمهم) نذمهم، (وبهم عرفنا) وبضدها تتبين الأشياء.

يقول المفروض لا نذمهم؛ لأن لهم فضل علينا، وكما يقول شيخ الإسلام: فإن الضد يُظهر حسنه الضد.

(المتن)

وكل من كان بالباطل أعلم كان للحق أشد تعظيمًا، وبقدره أعرف.

فأما المتوسط من المتكلمين، فيخاف عليه ما لا يخاف على من لم يدخل فيه.

(الشرح)

هذا الصنف الأول الذين خبر نهايات أقدام القوم، هذا صنف آخر، وهذا الصنف الحقيقة بلية لبقية. . .

الآن لما تقول للمتكلمين هؤلاء المتكلمين المعاصرين؛ تقول لهم لماذا لا تستفيدون مما ذكرهم أئمتكم، مثلًا الرازي وما ذكره في نهاية كتابه (أقسام اللذات) مطبوع الكتاب، تقرأه

والله تستغرب، الذي يقرأه لابد يستفيد منه؛ لأن الرجل يحكي له خلاصة تجربته في عمره الطويل.

لما تقول لهم يقولون الذي يحكيه ابن تيمية عنهم، هذا مما لا يخلو منه الرجل في نهايته، يعني عند الموت كل واحد يندم على ما فات، ويندم على تقصيره، ليس من هذا الباب، هو يحكي لك في الصميم، فإذًا كلامه لابد أن يُستفاد منه، وأن يستفيد منه من كان على طريقه، هذا الطريق الذي أوصله إلى هناك، فالمتوسط هذا في نفس الطريق؛ المفروض يستفيد منه.

(المتن)

فأما المتوسط من المتكلمين، فيخاف عليه ما لا يخاف على من لم يدخل فيه، وعلى من قد أنهاه نهايته.

(الشرح)

يعني هناك طائفتان؛ "**على من قد أنهاه نهايته**" هذه طائفة، وطائفة لم تدخل فيه "**فيخاف عليه ما لا يخاف على**" هاتين الطائفتين.

(المتن)

فإن من لم يدخل فيه هو في عافية.

(الشرح)

هو في عافية، وعليه أن يستغل هذه العافية، هذه النعمة، لا يُجرب مثل من يُجرب السباحة أو ما يجرب في البحر، ويجرب هناك.

(المتن)

ومن أنهاه فقد عرف الغاية، فما بقي يخاف من شيء آخر.

(الشرح)

هذا خبر نهايات. .

(المتن)

فإذا ظهر له الحق وهو عطشان إليه قبله.

(الشرح)

هذا الرجل تخطى هذه المراحل كلها، كما يقول:

ونهاية إقدام العقول عقال=وغاية سعي العالمين ضلال

ثم يذكر أنه لم يترك إلا وقد. .

لعمري لقد طفتُ المعاهدَ كلَّها وسَيَّرتُ طَرْفي بين تلك المعالِمِ

فلم أرَ إلا واضعًا كفَّ حائرٍ على ذقَنٍ أو قارعًا سِنَّ نادم

إذًا هذا الرجل جرّب هذه كلها، هذا الرجل إذا وقف على الحق، يقول شيخ الإسلام: "**فإذا ظهر له الحق وهو عطشان إليه قبله**"، وهذا ذكره الرازي في كتابه هذا، في كتابه (أقسام اللذات)، ذكره مجملًا.

وأيضًا ذكره في وصيته التي نقلها عنه القطفي، القطفي هذا تلميذه، له كتابٌ مطبوع في تعريف. . ، كتاب القطفي اسمه. . . الأطباء، على كل حال له كتاب مطبوع ذكر فيه وصيته؛ وصية جميلة.

(المتن)

وأما المتوسط فمتوهم.

(الشرح)

هذا لازال يؤمل أن يصل إلى الحق من خلال هذا الطريق.

(المتن)

بما تلقَّاه من المقالات المأخوذة تقليدًا لمعظمه وتهويلاً.

(الشرح)

إي؛ لازال مع من يقول قال أهل الحق، قال أهل الحق، لازال يؤمل أنه سيصل إليه.

(المتن)

وقد قال الناس: أكثر ما يفسد الدنيا: نصف متكلم، ونصف متفقه، ونصف متطبب، ونصف نحوي، هذا يفسد الأديان، وهذا يفسد البلدان، وهذا يفسد الأبدان، وهذا يفسد اللسان.

(الشرح)

"**نصف متكلم**" هذا يُفسد العقائد.

(المتن)

ومن علم أن المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم هم في الغالب في ﴿قَـوْلٍ مُخْتَلِـفٍ * يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات: 8-9] يعلم الذكي منهم العاقل: أنه ليس هو فيما يقوله على بصيرة، وأن حجته ليست بيِّنة، وإنما هي كما قيل فيها:

حججٌ تهافتُ كالزجاج تخالها　　　　حقًا وكلٌّ كاسر مكسور

ويعلم العليم أنهم من وجه مستحقون ما قاله الشافعي .رضي الله عنه .حيث قال: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام.

(الشرح)

من وجهٍ يستحقون هذا، فعلًا يستحقون هذا؛ أولًا يُضربون بهذا الشكل، وثانيًا يُطاف بهم، لماذا يُطاف بهم؟ حتى يُعرف أن هذا متكلم لا يدعو إلى الكتاب والسنة، هذا كلام الإمام الشافعي الذي إليه ينتسب معظم الأشاعرة؛ ينتسبون إلى هذا الإمام.

(المتن)

ومن وجهٍ آخر إذا نظرت إليهم بعين القدر -والحيرة مستوليةٌ عليهم، والشيطان مستحوذٌ عليهم- رحمتَهم ورفقتَ عليهم.

(الشرح)

هذا الذي فيه سبحان الله دائمًا يرد على الكتاب والسنة، لازال أنه يُنزه الله -عز وجل- ويُقدسه ويُسبحه! ترحمه، من ناحية يستحق هذا الذي ذكره الإمام الشافعي، ومن ناحية ترحمه، مع مصادمته للكتاب والسنة لازال يظن أنه يُنافح عن التوحيد، ويُنافح عن التنزيل.

(المتن)

ورفقت عليهم، أُوتُوا ذكاءً وما أُوتوا زكاءً، وأُعطوا فُهومًا وما أُعْطُوا علومًا.

(الشرح)

الزكاء هو الصلاح والتقى، عندهم عقول؛ عباقرة في هذا، ولكنهم لم يصلوا إلى هذا؛ لم يستغلوها للحق.

(المتن)

وأُعطوا سمعًا وأبصارًا وأفئدة ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأحقاف: 26] .

(الشرح)

لذلك يقول شيخ الإسلام: أهل السنة هم أرحم الناس بالخلق، وأعلمهم بالحق.

علمك بالحق لا يجعلك متكبرًا، لا يكون سببًا للبطر، سببًا للتكبر.

(المتن)

ومن كان عليمًا بهذه الأمور: تَبَيَّنَ له بذلك حذق السلف وعلمهم وخبرتهم، حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه، وذمُّوا أهله وعابوهم.

(الشرح)

سبحان الله، نهيهم عن الكلام وتحذيرهم منه -يعني في كل طبقة كثيرٌ جدًا- وقد أُلفت فيه مؤلفات؛ منها كتاب الأنصاري أبي إسماعيل الهروي (ذم الكلام وأهله)، أيضًا هناك كتاب جميل إلى الآن لم أعثر عليه؛ (الغنية عن الكلام وأهله) هذا للخطابي، وهناك نقول جميلة عنه، أهمية هذا الكتاب. .

الطالب:. . .

الشيخ: غير مطبوع.

الطالب:. . .

الشيخ: إي، هذا نُقل، نقول جُمعت، أما الكتاب نفسه لم يُعثر عليه إلى الآن؛ (الغنية عن الكلام وأهله)، هناك نقول جميلة عنه.

كُتبت في هذا كتب.

(المتن)

حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه وذموا أهله وعابوهم، وعلم أن من ابتغى الهدى في غير الكتاب والسنة لم يزدد إلا بعدًا.

(الشرح)

ذكر الرازي في كتابه الذي ألفه في ترجمة الإمام الشافعي، ذكر فيه أن نصوص الإمام الشافعي في هذا الباب؛ الناس فيها على قسمين:

1- بعضهم استدلوا بها فردوا على أهل التوحيد.

2- وبعضهم استدلوا بها على جهل الشافعي.

أنت الآن من ناحية أنت إمام وترد على أهل التوحيد؛ إذًا أنت جاهل.

قال: ونحن -معنى كلامه- نجمع بين الأمرين.

رده على المتكلمين هم المعتزلة و. . أما إذا كان رده على علم الكلام فهذا لا يجوز؛ لأن الإمام الشافعي بنفسه كان يعرف الكلام وكان يدعو إليه وكان يمارسه، ما الدليل؟ لأنه يخلط بين علم العقيدة الصحيحة وعلم الكلام؛ علم الكلام عنده علم العقيدة، هذا يدل على أن الشافعي لا يجهل علم الكلام، فيُحذر عن ماذا؟ يقول: نحن عندنا الإمام الشافعي إمام، وهذا الكلام الذي صدر عنه يؤول على كذا وكذا، أنا ذكرت هذا في رسالتي؛ لأُمثل به أن تأويل كلام الأئمة عندهم سهل، هل كلام الإمام الشافعي أوضح من كلام الله -عز وجل-؟ أوضح من كلام النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ مادام أن كلام الله -عز وجل- لم يسلم منهم وكلام النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم يسلم منهم؛ فتأويل كلام الأئمة من أسهل ما يكون.

(المتن)

فنسأل الله العظيم أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، آمين.

(الشرح)

وبهذا ختم شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- هذه الرسالة الجميلة، ونحن أيضًا ندعو الله -عز وجل- ونسأله أن يهدينا الصراط المستقيم؛ صراط الذين أنعم عليهم، غير المغضوب عليهم، ولا الضالين، آمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.